المبحث الأول: اعتقادهم تعظيم قبور مخصوصة

وفيه ستة مطالب:

المطلب الأول: اعتقـــادهم تعظيم وبركة مقـــابر مخصوصة:

منذ أن بدأ المتصوفة تعلقهم بالقبور وقـالوا قـولتهم المشـهورة: (قـبر معـروف الكـرخي التريـاق المجـرب) وهم يتوسـعون في الانحـراف، ويـتيهون في الضـلال، ويضـيفون الجديد من الـدجل والخرافـة، ينسـبون بهما الفضائل والفواصل إلى قبور أوليائهم، فحيناً تعم البركة مقابر بأكملها، وحيناً تخص قبـوراً معينـة، وهنـاك مقـابر قد عممَّ قبورية اليمن البركـات عليها وأعطوها القداسة والتعظيم.

فمن تلك المقـابر مقـبرة المِشْـدَارة بقرية المخادر محافظة إب، قـال الجنـدي في ترجمة علي بن أبي بكر التبـاعي: (وقـبره بمقـبرة المخـادر وتعـرف بالمسدارة بخفض الميم بعد ألف ولام وسـكون السـين المهملة وفتح الـدال المهملة ثم ألف ثم راء مفتوحة ثم هاء، وهي من المقابر المشـهورة بالبركـة، إذ رأى بعض الصـــالحين النـــبي ﷺ وهو في طرفها يـــزور، وجماعة يسـألونه الشـفاعة فقـال هـذا خـاتمي ذمـام على أهل المسدارة من النار ولما كان مستفيضـاً لم يكد أحد من أهل القرية ونواحيها يحب أن يقـبر إلا فيها تعلقـاً بهـذا الأثر)[1]، فـانظر إلى هـذه الرؤيا كيف أثـرت في النـاس فصدقوها وعملوا بمقتضاها، حـتى إن أهل تلك النـواحي

1 (?) السلوك (2/183)، وطبقات الخواص ص(212).

لا يقبرون إلا فيها.

ومنها مقبرة الكثيب الأبيض بأبين، قال اليافعي: (وهو كثيب يزوره أهل تلك البلاد وما حولها من البلدان في كل سنة في وقت معلوم في رجب... ويقال في ذلك المكان قبور بعض الصالحين)[1].

وقد ذكره كذلك الجندي بشيء من البسط فقال: (وقد تطلع النفوس إلى خبر الكثيب: أما الشأن فيه فهو موضع في أبين عدن وهو أحد المواضع المباركة في اليمن على ما ذكر الثقة فيما رواه الرازي مقدم الذكر أن في اليمن أربعة مواضع مباركة بالاتفاق منها الكثيب الأبيض عند وادي يرامس أرض أبين، ومنها الجند، ومنها زبيد، ومنها نجران، ولم يزل الناس ينتابون الكثيب لاسيما في رجب ويجتمعون فيه ليلة سبع وعشرين من الشهر ويزعمون أنها سنة العلماء المتقدمين[2]، سُئل بعض فقهاء تلك الناحية من المتأخرين هل يذكر شيئاً من فضله؟ فقال: لا أعلم إلا أني رأيت و سمعت الإجماع منعقد على قصده وزيارته و ما يكون مجاناً عن باطل). [3]

ومنها مقابر تريم الثلاث: زنبل، و الفريط، وأكدر والتي يجمعها اسم شامل هو "بشار" للثلاث التُربَ، وهذه المقابر قد بلغ فيها الغلو مبلغاً لم تبلغه أي مقبرة أخرى في اليمن، واسمع إلى فضلها من مؤرخ القوم وناشر مناقبهم وفضائلهم بغثها وسمينها وعُجرها وبُجرها المؤرخ الشلي في مشرعه:

---

1 (?) مرآة الجنان (4/354).

2 (?) في الأصل. المتقدمون وهو خطأ.

3 (?) السلوك (2/615).

(وأما مقـابر مدينة تـريم **فأعظمها وأحقها** بالتقـديم مقـــبرة " زَنْبَل " بفتح الــزاي وســكون النـــون وفتح الموحدة آخرها لام، وهي مقبرة السادة الأشـراف وفيها من العلماء العاملين والأوليـاء والصـالحين ما لا يحصـى، وكان الشيخ عبدالرحمن السقاف يقول: " فيها من أكبر الأولياء أكـثر من عشـرة آلا ف وفيها ثمـانون قطبـاً من الأشراف"، ونحو ذلك حكى عن الشـيخ الـولي سـعد بن علي، ويقــال أن فيها عصــبة من الصــحابة أرســلهم الصـديق الأكـبر لقتـال أهل الـردة مع زيـاد بن عبيد[1] الأنصاري فمات كثيرون منهم بتريم ولم نعرف قبورهم، لكن حكى عن الشيخ عبدالرحمن السقاف أنه قـال: إن قبورهم شرقى قبر الأستاذ الأعظم الفقيه المقـدم بنحو رمية حجـر، وذلك بقـرب مشـهد العـارف بالله أبي بكر باشــميلة ونفعنا بهم، (وبالجملــة) فهي بقعة تــأرجت بطيب تربها وأشرقت أرضها بنور ربها.

(الثانية) مقـبرة الفريط تصـغير فـرط وهو كما في القـــــاموس: الجبل الصـــــغير أو رأس الاكمة والعلم المستقيم يهتدي به جمعه أفرط وأفـراط سـميت باسم الجبل الــذي بقربها وهى مقــبرة آل بافضل والخطبــاء وغيرهم من مشايخ تلك الجهة، وفيها أيضـاً من العلمـاء والفضـــلاء والأوليـــاء ما لا يحصى وحكى عن الشـــيخ عبدالرحمن السقاف أن فيها أكثر من عشـرة آلاف ولى وقد شـــاهد كثــــير من أهل الكشف أن الرحمة أول ما تــنزل من الســماء على هــذه المقــبرة ثم تعم ســائر الجهات.

وحكى عن عبــدالرحمن الســقاف وحكــاه الســيد

---

1 (?) كذا في الأصل والمعروف زياد بن لبيد.

الجليل عبد[1] بن أحمد بن أبي بكر بن أحمد بن الأستاذ الأعظم عن بعض مشايخه بمكة أنهما قالا: إن تحت الفريط الأحمر روضة من رياض الجنة، وحكى عن غير واحد من الأولياء أنه شاهد نوراً ساطعاً على قبور الخطباء لاحقا بعنان السماء، وعن الشيخ حسن الورع بن علي أنه قال: من نظر منارة الجامع و الفريط حتى سفر[2] عليه لم يكتب عليه ذنب، وكان بعض الأولياء العارفين يقول: من وقع ظل الفريط عليه لم تمسه النار؛ ولأجل هذا يحرص أهل البلدان على أن تكون مقابرهم حذاء الفريط المذكور حيث يقع ظله عليها.

(الثالثة) مقبرة أَكْدَر بفتح الهمزة وسكون الكاف وفتح المهملة فراء، وتسمى هذه المقابر الثلاث "بشَّار" بفتح الموحدة وتشديد المعجمة آخره راء وهو اسم الواقف، لها وهذه المجنات مشهورة بالبركات في كل واحدة منها جم غفير من الأولياء العارفين ظاهرين ومستورين، من آل بصرى وجديد وعلوي، ومن آل بافضل، والخطباء، وآل باحرمي، وآل بامحسون، وآل بامروان، وآل باعيسى، وآل باعبيد، وغيرهم، إلا أن كثيرا منهم لا يعرف عين قبره بل ولا جهته؛ لأن المتقدمين كانوا يجتنبون البناء والكتابة على القبور وإنما استحسنه المتأخرون لأمور منها: أن يعرف الميت هل بُلي أو لا؟ لأن المشهور عندهم أن الميت لا يبلى إلا بعد أربعين سنة أو نحوها، ومنها أن يعرف صاحب القبر ليزار، ويتبرك به، ويدفن عنده أقاربه، ونحو ذلك من المقاصد الحسنة، وكان الشيخ محمد بن أفلح يقول:

---

1 (?) كذا في الأصل.

2 (?) كذا في الأصل.

مِنْ مسجد عبد الله بن يمـاني إلى آخر زنبل كلها قبـور، ومن ثم يقع لكثير من المشـايخ أنه يخلع نعليه إذا جـاوز المســجد المــذكور، وقد كــان كثــير من أهل الكشف يشاهدون البركـات الظـاهرة والأنـوار البـاهرة في هـذه الجنـــان، و شـــاهد غـــير واحد منهم أنهم على غاية من النعيم والنـــور الجســـيم، ورأى جماعة رســـول الله ﷺ يزورهم، وكذا الشيخان أبو بكر وعمر رضي الله عنهمـا، وحكي أن الشيخ أبا سعيد قرأ سورة هـود فلما بلغ قوله تعالى: ﴿**فمنهم شـقي وسـعيد**﴾[1]، جعل يـردد الآية ويتفكـر، ثم قـال يأهل القبـور ليت شـعري من الشـقي منكم ومن السـعيد؟ فأجابه الإمـام العـارف بالله تعـالى أحمد بن محمد بافضل من قـبره بقولـه: أمض يا سـعيد في قراءتك ليس فينا شـــقي، وقيل إن الـــذي أجابه هو الشيخ مسعود بن يحيى باحرمي ولعل الواقعة تعددت.

وحكى عن الشـــيخ الزاهد الـــورع الســـيد حسن بن علي، وكــان من أهل الكشف أنه قــال: ســأل رجل من أهل الفريط رجلاً من أهل زنبل عن أهل مقبرته فقــال: خيلنا تحمل رجلنـــا، وســـأله عن أهل مقبرته فقـــال: زنادقتنا[2] حشو جنتنا.

وللشـــيخ الإمـــام علي بن أبي بكر بن عبـــدالرحمن السقاف:

وكم بدور بذاك **تمد زوارها من**

وكم عز بيته بفضل هطالها

[1] (?) هود (105).

[2] (?) زنادقتنا هنا ليس على أصلها المعروف عند العلماء ولكن المقصود الظرفاء والمهرّجون.

وذات دن دنت	زوارها في سواد
وذات أكدر للأكدار	تشفى بمرهمها
وارجع إلى ذكر	خصوا بها صفوة
وامنحوا من عظيم	وكم عطايا وكم
وكم حقائق توحيد	وكم جواهر أنوار
وكم مواقيت أسرار	وكم تماكين
شيوخنا في بحار	قد مكنوا الكل
حظوا وخصوا بجاه	وسع ولافضلهم
رسوخ أقدامهم	أسود نهام تحمي
بحور علم شموس	تهدي الضوائل
أئمة الدين آل	مكارم عدها يربو
وراث طه على	محاسن أدهشت
أولو الصفا والوفا	أولو العبودة حقاً
هم عمدة الكون	باهى المهيمن
فلا مزيد على مدح	وذكره فضلهم في
فالقحط عنا مع	أيضاً وفي الجدب
وهم بدور لنا في	وهم لنا عمدة في
قوم إلى الله	حق دنوا من رياض
أهل التقى و	فأينعت بثمار
فحسّن الظن	كي في معاد تفز
واقصد رضى الله	لعل تحظى بحور

وقال الشيخ أبو بكر بن عبدالله العيدروس:

في جنان بشار خيامهم قد
أقمار[1] تلألأت أنوارهم

وقال:

ولم يزل عني إلا إذا زرت آل
وأهل الفريط وقبر الشيخ
العيدروس بحر الغضنفر[2]

فانظر إلى هذه الخصـائص والفضـائل وما جعل فيها من كرامـات ينالها الـزوار ويحصل عليها الراغبـون، أفلا يحمل ذلك ضـعاف العقـول على التعلق بهـذه المقـابر ومَنْ فيها واعتقاد النفع والضر فيهم؟.

وغير مقابر تريم هناك مقـابر أخـرى في حضـرموت مباركة مجربة - هكـــذا يزعمـــون -، يقـــول الشـــلي: (والمقابر المشهورة في حضرموت أربـع: مقـبرة تـريم، ومقبرة شبام، ومقبرة الهجرين، ومقبرة الغيل الأسفل)[3].

المطلب الثــاني: اعتقــاد بركة قبــور معينة بركة عامة:

لن أسـتطيع ولن يسـتطيع أي بـاحث حصر وإحصـاء القبـور الـتي أطُلِْق عليها المـدح والثنـاء، ونسـبت إليها البركات، وما يضئ منها من الأنـوار، وما يفـوح منها من الـــروائح العطرية و المســـكية، وما يتحقق لزائرها من الأنس والارتباط، ثم نجاح الحاجات وتفريج الكربات، إن

---

1 (?) في الأصل "قمار".
2 (?) المشرع (1/146 - 148).
3 (?) المشرع(1/148).

إحصاء ذلك أمر غير متيسر قطعاً ولكنني سأكتفي بذكر بعض ذلك ومن أماكن متفرقة من اليمن.

وأول تلك الأماكن "زبيد" فقد ذُكر عن كثير ممن قُبِرَ بها من الصالحين الثناء على قبره ونسبة الكثير من الفضائل إليه، وأكثر ما ذكر من ذلك عن قبور بمقبرة "باب سهام "، ومقدمو تلك المقبرة سبعة نفر، قال الشرجي في ترجمة إبراهيم الفشلي: (وقُبره بمقبرة باب سهام، من مدينة زبيد من القبور المشهورة المقصودة للزيارة والتبرك، وهو أشهر السبعة الذين يعتقد أهل زبيد أن من زارهم سبعة أيام متوالية قضيت حاجته، وهم هذا الفقيه إبراهيم والشيخ أحمد الصياد، والفقيه عمر بن رشيد، والشيخ مرزوق بن حسن، والشيخ علي بن أفلح، والشيخ علي المرتضى، وفي السابع اختلاف، فمن الناس من يجعله أحد بني عقامه ومنهم من يجعله الشيخ أحمد المعترض، ومنهم من يقول غير ذلك، والله أعلم) [1].

وقد نظم هؤلاء السبعة بعضهم فقال:

بباب سهام سبعة لقاصدهم ذخر

مرزوق جبرتي[2] وأفلح صياد كذا ابن

زيارتهم نجح لكل للذى زار مقبل[3]

ولأن هذه مفخرة عند القوم لمدينة زبيد قد تسمو بها على غيرها من المدن لم يرتضِ أهل تريم ذلك، بل

---

[1] (?) طبقات الخواص ص (45).

[2] (?) كذا في الأصل ولست أدري من يعني.

[3] (?) المشرع (1/148) وقد اختلفت بعض الأسماء ولا أراه يضر إذ المقصود إثبات العقائد الضالة في ذلك وليس تعيين الأسماء.

عارضوهم بذكر ما في مقابر تريم من فضـائل وفضـلاء، قـال الشـلي بعد أن نقل تلك الأبيـات: (فعارضه الإمـام مبـدي العلـوم الغريبة والأخبـار العجيبة الشـيخ على بن أبي بكر فقال:

تريم بها منهم	**بساحة بشار**
زيارة كل منهم	**لما شئت من**
وإن قيل ترياق	**ففي ربع بشار**
ويا حبذا ذاك	**فكم قد حوى من**
فكم معدن كم	**وكم حبر تحقيق**
وبلبل قلبي نفح	**بها من كنوز السر**
وكم جهبذ فيها	**بهم ينزل الله**
فلا تحتقرها رب	**على كل معضل)[1]**

وإليك بعض القبور المفـردة الـتي ذكـرت لها بعض البركــات والأســرار وتعلق بها النــاس واعتقــدوا فيها العقائد الضالة:

ومن مدينة زبيد أيضــاً: قــال الشــرجي: (ومن ذلك رجل بمقـبرة بـاب النخل يقـال له المُلَبـك، بضم الميم وفتح اللام وتشديد الباء الموحدة وآخـره كـاف، ما كـان يعـرف ولا سـمعنا به إلا في هـذا الزمـان، ذكر رجل من عــوام أهل زبيد أنه نبهه عليه إنســان وهو في المنــام وقـال لـه: إن صـاحب هـذا القـبر من الأوليـاء وإن من لازمه في حاجة قضيت، وشاع هذا في أهل البلـد، حـتى صــار لهم فيه معتقد عظيم، يزورونه ويتــبركون بــه، لاسـيما العـوام والنسـاء فـإنهم يخرجـون في ذلك عن

1 (?) المشرع ص(1/148).

الحد)[1].

وكـذلك يقـول الشـرجي في ترجمة عثمـان بن أبي القاسم بن أحمد بن إقبال: (وقبره هنالك مشـهور يـزار ويتـبرك بـه)، ثم تـرجم لولد له وقـال في آخر ترجمتـه: (ودفن عند والده وقبره يـزار، ويتـبرك بـه، على تـربتهم أنس ظاهر وبركة)[2]، وفي ترجمةإسماعيل بن إبــراهيم الجبرتي قال: (ودفن بمقبرة باب سهام من مدينة زبيد، وله هنالك مشهد عظيم لم يكن في تلك المقبرة أعظم منه، عليه أثر النور والبركة ظاهر)[3].

نماذج من القبور المعظّمة في محافظة تعز:

قـال الشـرجي في ترجمة أحمد بن علـوان: (ودفن في قريته قرية "يَفْـرُس " بفتح اليـاء المثنـاة من تحت وسكون الفاء وضم الراء وآخره سين مهملة، وهي على نحو مرحلة من مدينة تعـز، وقـبره بها ظـاهر معـروف مقصود للزيارة والتبرك من الأماكن البعيدة لا سيما في آخر جمعة من شـــهر رجب، فـــإن أهل تلك النـــواحي يقصـدونه من كل موضـع، أهل تعز وغـيرهم، ويخرجـون بالنسـاء والأولاد، وقرية الشـيخ المـذكور محترمـة، ومن استجار بها لا يقدر أحد أن يناله بمكروه)[4].

وفي ترجمة الفقيه الإمــام زيد بن عبدالله اليفــاعي قال الشرجي: (وقبره بـالمقبرة القريبة من مدينة الجند مشهور مقصود للزيارة والتـبرك، قـال الجنـدي: " لم أرَ في اليمن تربة تتجـــدد معرفتها ويكـــثر زوارها كتربة

---

1 (?) الطبقات ص (418).
2 (?) المصدر السابق ص (195).
3 (?) المصدر السابق ص (106).
4 (?) المصدر السابق ص (71).

الفقيه زيد، ولا تكاد تخلو تربته من زائر، و قلما قصدها ذو حاجة إلا قضيت حاجته، قال: ولقد أخبرني جمع لا يمكن تواطؤهم على الكذب بأخبار يطول شرحها في ذلك نفع الله به وبسلفه آمين ")[1].

قلت: هل يقصد الجندي أن ذلك متواتر بالمعنى الاصطلاحي إن كان كذلك فممن أخذ هذا الجمع؟ إنه في الغالب عن جماعة من تجار الخرافة و الكرامات.

وفي ترجمة أبي عبدالله محمد بن ظفر الشميري قال الجندي: (وقد بلغتُ تربته قاصداً للزيارة، فأقمت عنده أياماً وإلى جنبه قبر امرأته المذكورة، قال: وببركته لم تزل تربته محترمة ما قصدها أحد بسوء إلا خذله الله تعالى، ولم أجد بتلك الناحية مزاراً أكثر من تربته قصداً للزيارة وقضاء الحوائج التي تطلب من الله تعالى وكثرة النذور وغير ذلك، وفي ليلة الرغائب من شهر رجب يجتمع عندها خلق ناشر قال: وتراب تربةِ الفقيه يشم منه ريح المسك نفع الله به)[2].

قلت: أما رائحة المسك التي تكررت ولا تزال في ترب كثير من المقدسين فإنها لعبة من لعب السدنة، يصبون الروائح العطرية على التراب ليوهموا الزوار بأن ذلك من ريح التربة والقبر المقدس.

نماذج من قبور إب:

منها قبر الشيخ علي بن عمر قال الجندي في ترجمته: (وتربته من الترب المشهورة في البركة واستجابة الدعاء، ومن عجيب بركتها ما أخبرني بعض الثقات من أهل العناية والبحث عن أحوال هذا الرجل

---

1 (?) الطبقات ص (138).

2 (?) السلوك (2/263) وانظر: طبقات الخواص (302).

وأمثاله أنه كـان على قـبره شـجرة سـدر يتـبرك بها الناس، ويأخذ أصحاب الحمـوات من أوراقها يطلـون بها رؤوسهم فيبرأون، واستفاض ذلك في جهات كثيرة حتى كـان يـؤتى لـذلك من الأمـاكن البعيـدة، ويُعْتمد في الأمـراض الشـديدة، ومن عـادات أهل إب في غـالب الأعياد أن يحصل بينهم وبين أهل باديتهم حـروب كثـيرة كما هو متحقق فلا يـألو من ظفر منهم بصـاحبه غـير مفكر بالأذية بقتل أو غـيره، فحصل في بعض الأعيـاد حرب انتصر بها أهل البادية فانهزم أهل إب إلى البيوت، ووصل أهل القرية إلى قريتهم ولم يطيقوا دخولها فقال بعض شـياطينهم اذهبـوا بنا إلى هـذه الشـجرة الـتي يعبدونها، ولنعقرها عليهم فلا ينتفعوا بها فنهـاهم العقلاء، وأسـرع إلى ذلك الجهلاء، فضـربوا العلبة بفـأس حـتى أوقعوها الأرض، وألقى الله بقلـوب أهل المدينة القـوة والأنفة فخرجـوا مسـرعين نحـوهم فهزمـوهم هزيمة شنيعة وقتلـوا منهم جمعـاً أولهم عـاقر الشـجرة، وحين وقع هبّروه بالسيوف تهبيراً عظيماً، وتعـرف هـذه التربة بتربة من سـمع النـداء بالصـلاة عليه في الحـرم ولم ير المنادي)[1].

ومنها قـبر محمد بن عبدالله الهمـداني بناحية السحول، قال في ترجمته الشرجي: (وقبره في الرباط المذكور مقصود للزيارة و استنجاح الحوائج)[2].

ومنها قبر يحيى بن أبي الخير الإمـام المشـهور قـال الشرجي في ترجمته: (وكانت وفاه الشـيخ يحـيى بقرية ذي السفال كما قدمنا سنة ثمان وخمسين وخمسـمائة،

---

1 (?) السلوك (1/356-357).

2 (?) الطبقات ص (319).

وقبره هنالك من القبور المشهورة في اليمن المقصودة للزيارة والتبرك واستنجاح الحوائج، وله عند أهل الجبال كافة مكانة عظيمة، ولهم فيه معتقد حسن، ويــروون له كرامات كثيرة، ويتوجهون به في مهماتهم ويستغيثون به في ضروراتهم، وهو كذلك وفـوق ذلك رحمه الله تعـالى ونفع به)[1].

من قبور لحج وأبين:

منها قـــبر الحسن علي بن الحسن الأصـــابي قـــال الشــرجي في ترجمتــه: (تُــوفي ســنة ســبع وخمســين وستمائة بقرية المحْفَد بفتح الميم والفاء وسكون الحـاء المهملة بينهما وآخره دال مهملة، وقبره هنالك مشــهور يزار ويتبرك بـه، ويوجد منه رائحة المسك خصوصـاً ليلة الجمعة، ذكر ذلك الجندي رحمه الله)[2].

ومنها قبر عبدالله بن علي بن حسن بن الشيخ علي، قــال الشــلي: (ولقي ربه ســنة ســبع وثلاثين وألف في قرية الوهط الشـــهيرة، وقـــبره بها كالشـــمس وقت الظهــيرة مقصــود بالزيــارات وقضــاء الحاجــات ونيل المطلوبــات ومن اســتجار به نجا من جميع المخــاوف والـــــردى، وعمل الباشا محمد باشا على قـــــبره قبة عظيمة)[3].

من قبور عدن:

منها قــــــبر أبي عبدالله محمد بن عبدالله بن أبي الباطل الصريفي، قال الشرجي في ترجمتــه: (... حـتى تـوفي بها - عـدن - وتربته هنالك من الـترب المشـهورة

[1] (?) المصدر السابق ص (365).
[2] (?) المصدر السابق ص (213).
[3] (?) المشرع (2/193).

المقصودة للزيارة والتبرك، ومن استجار به لا يقـدر أحد أن يناله بمكـــروه، ولأهل عـــدن فيه معتقد عظيم، وله عنـدهم محل جسـيم، وهو فـوق ذلك رحمه الله تعـالى ونفع به)[1].

ومنها قــبر الشــيخ عبدالله بن أحمد العــراقي، قــال الشـرجي في ترجمتـه: (ولأهل عـدن فيه معتقد حسـن، وله هنالك تربة معظمة)[2].

ومنها قبر الشيخ جوهر بن عبدالله له، قـال الشـرجي في ترجمته: (وتربته هنالك من أكـبر الـترب المشـهورة المقصودة للزيارة والتبرك، ومن استجار به لا يقـدر أحد أن يناله بمكـــروه، ومن تعــدى إلى ذلك عــوقب عقوبة معجلــة، وقد جــرب ذلك غــير مــرة، ولم أتحقق تــاريخ وفاته - رحمه الله تعالى - ونفع به آمين)[3].

من قبور شبوه:

قــبر الشــيخ محمد بن عمر الحبــاني(وهو يقع على مكــان مرتفع في المقــبرة الحبانية القديمة فــوق طين الجديدة وبجانبية بعض أولاده وأحفـاده وقبـورهم منـورة ومقصودة بالزيارة)[4].

قبر الشـيخ أبي بكر بن إسـماعيل بن محمد بن عمر الحبـاني (وهو في مجـري السـيل في شـعب الشـقب، ويمر الماء من حواليه دون أن يأخذ منه شيئاً، وقد كــان

---

1 (?) الطبقات ص (283).

2 (?) المصدر السابق ص (419).

3 (?) المصدر السابق ص (121).

4 (?) ما جاد به الزمـان من أخبـار مدينة حبـان تـأليف السـيد محمد بن عبد الله بن محمد الحوت المحضار بدون تاريخ ولا سنةطبع.

أهل البلاد أيــام الاستســقاء يتوســلون به إلى اللــه، ولا يأتي الليل إلا ويأتيهم الغيث بأذن الله، وقد حضـرنا هـذا مراراً ونحن صغار)[1].

قـبر الفقيه علي بن محمد بن عمر الحبـاني صـاحب الحوطـه، قـال المحضـار: (ودفن بجـوار المسـجد وقد كـانت علية قبة وانهد مت)[2]، وقـال قبل ذلك (أخـبرني الثقة من أهل الحوطة أن الســيد الصــوفي محسن بن عبد الله بن عبد القادر المحضار صاحب مرخة جـاء إلى الحوطة وكان يزروها دائماً، وليلة دخل إليها بعد العشـاء فقدم المسجد بعد أن خرج المصلون، وكان جائعــاً ودق على التابوت إلى أن خرج إليه قـرص حـار ولحمه فأكل نصف القـرص واللحمـة، ومع الفجر جـاء أحد المشـايخ الكرام.. وقال للسيد محسن أعطني من عشـاء الشـيبة فأعطاه النصف الباقي)[3].

من قبور حضرموت:

ومنها قبر عبدالله بن شيخ العيـدروس، قـال الشـلي في ترجمتـه: (وعمل عليه قبة حسـنة البـاطن والظـاهر والنور في أرجائها لائح وبـاهر)[4]، ومنها قـبر الشـيخ أبي بكر بن ســالم، قــال الشــلي في ترجمتــه: (وتربته بها مشـهورة كالشـمس وسط النهـار، تقصـده الـزوار من جميع الأقطــار، بــأنواع الأنــذار، ومن اســتجار بقــبره المــأنوس أمسى وهو محــروس، لا يقــدر أحد أن يناله ببؤس، وبـني عليه قبة عالية البنـاء عظيمة القـدر حسـاً

---

1 (?) المصدر السابق ص (25 - 26)

2 (?) المصدر السابق ص(35)

3 (?) المصدر السابق ص(34).

4 (?) المشرع (2/177).

ومعنى)[1]، ومنها في مدينة الشحر قبر شيخ بن إسماعيل بن إبراهيم السقاف، قال الشلي: (ومشهده في الشحر مشهور وبالأنوار مغمور وبالزيارة معمور)[2]، ومنها قبر الفقيه المقدم، قال الشلي في ترجمته: (وقبر الأستاذ بمقبرة زنبل المشهورة، وبالزيارة والقراءة معمورة، وقبره بها كالبدر ليلة الكمال، وكالشمس وقت الزوال، مقصود بالزيارة من كل البلاد، ويهرع إليه عند النوائب من كل نادٍ، ويسعى الناس كل يوم لزيارته سعياً حثيثاً، ويستسقى به قديماً وحديثاً، وكان حفيده الشيخ الإمام عبدالله باعلوي كثير الزيارة له وينشد عنده:

يا دار إن غزالاً **لله درك ما تحويه**
لو كنت أشكو إليها **إذن رأيت بناء**

وكان يقول إذا رآه " كل الصيد في جوف الفراء "وكان الشيخ محمد بن أبي بكر باعباد يزوره كثيراً وإذا رأى القبر الشريف قبله، فقيل له: كيف تقبله وأنت تنهى عن تقبيل القبور فقال ما صبرت عنه)[3].

قبور من نواحٍ مختلفة:

فمن كمران قبر الفقيه محمد بن الحسن بن عبدربه، قال الشرجي في ترجمته: (حتى توفي سنة خمس وعشرين وخمسمائة، ودفن إلى جنب مسجده

---

1 (?) المصدر السابق (2/29).
2 (?) المصدر السابق (2/115).
3 (?) المصدر السابق (2/10-11).

في الجزيــــرة المـــــذكورة، وتربته هنالك من الــــترب المشـــهورة، مشـــهورة الفضـــل، وآثـــار الفقيه وبركته ظاهرة على ذلك الموضع المبارك، وهو مأوى لعباد الله الصـالحين المختفين والظـاهرين، وقد تقـدم في ترجمه الشـــيخ أحمد الصـــياد ما يـــدل على ذلك نفع الله بهم أجمعين)[1].

ومن قبور بلاد الزيدية قـبر الإمـام المهـدي أحمد بن الحسين بن أحمد بن القاسم المعروف بأبي طـير، قـال الأكوع في ترجمتـه: (وقـبره معـروف يـزار ويتـبرك بـه، وقد انـدفع عـوام النـاس يعتقـدون فيه اعتقـادات باطلة حتى أخرجوه من آدميته، كما ذكر الإمام الشـوكاني في رسـالته " الـدر النضـيد في إخلاص كلمة التوحيـد" ص(12) جاء فيها ما يلي:

(وروي لنا أن بعض أهل جهـــات القبلة وصل إلى القبة الموضـوعة على قـبر الإمـام أحمد بن الحسـين صـاحب ذي بين رحمه الله فرآها وهي مسرجة بالشمع، والبخور ينفح في جوانبها، وعلى القبر الستور الفائقة فقـال عند وصـوله إلى البـاب: أمسـيت بـالخير يا أرحم الـراحمين ")[2].

ومنها قبر الإمام يحيى بن حمزة بـذمار، قـال الإمـام الشـوكاني في ترجمتـه: (ومـات في سـنة 705 خمس وسـبعمائة بمدينة ذمـار ودفن بها وقـبره الآن مشـهور مزور، ومما شـاع على الألسن أنه إذا دخل رجل يـزوره ومعه شيء من الحديد لم تعمل فيه النار بعد ذلـك، وقد جربت ذلك فلم يصح، وكذلك اشـتهر أنه إذا دخل شـيء

---

1 (?) الطبقات ص (278).
2 (?) هجر العلم (2/743).

من الحيات قبته مات من حينــه)[3]، ونقل المعلق على الكتاب هذه الأبيات التي كتبت على قبته وهي:

نور النبوة	**أرسى كلاكله ولم**
في قبة نصبت	**وأشرف في**
وعلى الإمامة	**والجود والمجد**
وعلى السماحة	**وعلى المليك**
والعالم المتوحد	**المتعبد المتنفل**
يحيى بن حمزة	**لب اللباب من**
كشاف كل	**ملمة ورجاء كل**
يا زائراً ترجو	**عن قبره وضريحه**
لذ بالضريح وقف	**واطلب رضاك من**
تحيى بكل فضيلة	**وتنال خيراً من علو**
شرفت ذمار بقبر	**شرفت مدينة يثرب**
فليهنأ أهل ذمار	**في المستقبل[1]**

المطلب الثالث: اعتقـادهم اسـتجابة الـدعاء عند بعض القبور:

تقدم اعتقاد القوم في مقابر معلومة اعتقاداً شـاملاً لها كما تقـــدم اعتقـــادهم في بعض القبـــور، وإســـباغ الفضائل عليها بدون تخصـيص نـوع معين من الكرامـات التي تدرك لـديها، وفي هـذا المطلب أذكر إن شـاء الله بعض القبور التي قيل أن الـدعاء عنـدها مسـتجاب، وما

3 (?) البدر الطالع (2/333).

1 (?) المصدر السابق (2/333).

دام أن الأمر مخصوص باستجابة الدعاء فـإنني سأقتصر على ذكر القــبر واسم صــاحبه مع المرجع فقط طلبــاً للاختصـار إلا ما رأيت في غـير إيـراد نص كلام المـترجم فائدة فإنني سأذكره.

فمن تلك القبور:

- قبر أبي الخير الشماحي بزبيد ذكره الشرجي[1].
- قبر علي بن الحسن الأصابي بأبين (المحفد) ذكره الشرجي[2].
- وقــبر محمد بن علي مــولى الدويلة بــتريم ذكــره الشلي[3].
- وقبر أحمد بن أبي بكر بن أحمد بن الأسـتاذ ذكـره الشلي[4].
- وقبر عبدالله با علوي ذكره الشلي[5].
- وقبر عبد الله بن محمد بن علي صـاحب الشـبيكة بمكة ذكره الشلي[6].
- وقـبر عقيل بن عمر أبي المـواهب بالربـاط قـرب ظفار ذكره الشلي[7].
- وقبر محمد بن عبدالرحمن السقاف ذكره الشــلي في كيفية زيارة مقابر تريم. [8].

---

1 (?) الطبقات ص (84).
2 (?) المصدر السابق ص (213).
3 (?) المشرع (1/202).
4 (?) المصدر السابق (2/47-48).
5 (?) المصدر السابق (2/73).
6 (?) المصدر السابق (2/201).
7 (?) المصدر السابق (2/205)
8 (?) المصدر السابق (1/149).

المطلب الرابع: اعتقادهم قضاء الحوائج لدى بعض القبور:

ومن تلك الاعتقادات الباطلة التي يعتقدها القبورية في قبور أوليائهم أن صاحب الحاجة إذا لزم تلك القبور قضيت حاجته، وكأنها هي الواهبة لها أو الواسطة فيها، وكلا الأمرين مبني على ولاية أصحاب تلك القبور وما أعطوا من التصرف في الكون والتوسط بين الله وبين خلقه في إعطاء ما ينفع الناس.

فمن تلك القبور قبر محمد بن عبدالله بن يحيى الهمداني، قال الشرجي في ترجمته: (وقبره بالرباط المذكور مقصود للزيارة واستنجاح الحوائج)[1]، ومنها قبر مرزوق بن حسن الصريفي، قال الشرجي: (قلما قصده ذو حاجة إلا وقضيت)[2]، ومنها قبر الإمام زيد بن عبدالله اليفاعي، قال الشرجي: (ولا تكاد تخلو تربته من زائر، وقلما قصدها ذو حاجة إلا قضيت)[3]، ومنها قبر صاحبي عواجة محمد بن أبي بكر الحكمي ومحمد بن حسين البجلي، قال الشرجي في ترجمة البجلي: (وقبره بقرية عواجة إلى جنب قبرصاحبه الشيخ محمد الحكمي، تستنجح بهما الحوائج ويستنزل بهما القطر)[4]، ومنها قبر محمد العيدروس ابن عبدالله بن شيخ بالهند، قال الشلي في ترجمته: (ومن زاره بحسن نية وسلامة طوية أعطي سؤاله ونال مأموله ونواله)[5]، ومنها قبر

1 (?) الطبقات ص (319).
2 (?) المصدر السابق ص (339).
3 (?) المصدر السابق ص (138).
4 (?) المصدر السابق ص(269).
5 (?) المشرع (1/186).

أبي الحسن على بن قاسم العيلف بن هيش بن عمر بن نـافع الحكمي، قـال الشـرجي: (يـروى أنه من قـرأ عند قـبره سـورة ياسـين إحـدى وأربعين مـرة لم يقطع بين ذلك بكلام قضيت حاجته كائنة ما كانت، وقد جربتُ ذلك وصح والحمد لله على ذلــك)[1]، ومنها قــبر أبي الحسن علي بن عبد الملك بن أفلح، قال الشرجي في ترجمته: (وقــبره بمقــبرة بــاب ســهام من القبــور المشــهورة المقصـــودة للزيـــارة والتـــبرك و اســـتنجاح الحـــوائج والمطالب)[2]، ومنها قـبر أبي بكر بن عيسى بن عثمـان الأشـعري، قـال الشـرجي في ترجمتـه: (وقـبره هنالك مشهور يزار ويتـبرك بـه، ويـروى أن من قـرأ عند قـبره سورة ياسين (إحدى وأربعين) مـرة قضـيت حاجته كائنة ما كـانت وقد جـرب ذلك وصـح)[3]، ومنها قـبر القاضي أحمد بن محمد باعيسى، قـال الشـلي وهو يتحـدث عن كيفية زيـارة مقـابر تـريم: (كالقاضي أحمد بن محمد بن محمد باعيسى حكي عنه أنه قــــــــال: من زارني بنية صادقة وطلب حاجة ضمنت له قضاءها أو كما قال)[4].

المطلب الخامس: اعتقادهم أن بعض القبور أمان للخائفين:

من القضــــايا المســـلَّمة عند القـــوم أن بعض من ينسبون إلى الصلاح تظل مقابرهم محترمة مبجلة يـأمن فيها الملتجئ إليها ســـواء كـــان محقـــاً في التجائه أو

---

1 (?) الطبقات ص (208).
2 (?) المصدر السابق ص (209).
3 (?) المصدر السابق ص (378).
4 (?) المشرع (1/149).

مبطلاً، وسواء كان طالبه والباحث عنه محقاً أو مبطلاً، مادام الاثنان مؤمنين بقداسة تلك البقعة، معتقدين لولاية صاحبها و كراماته التي فيها تأمين اللاجئين إليه، ولكن عندما يأتي من لا يؤمن بقداسة ذلك المحل خصوصاً الطالبين ولا يعتقدون ما يعتقده عامة الأمة فيه فإنه لا يحصل شيء من ذلك، فابن علوان وأبو الغيث بن جميل والعيدروس وعلي بن حسن العطاس وغيرهم كثير قيل في تراجمهم أن تربتهم مأوى اللاجئين وأمان الخائفين من التجأ إليها أمن ومن تعدّى عليها عوجل بالعقوبة، ويحكون حكايات كثيرة فمنها وقائع وقعت لمن تعدى على حرمة تلك الترب حتى قالوا إن علي بن حسن العطاس يحمي الناس من شهر ربيع الأول ولو قبل الوصول إلى مشهده، وذلك بأن يقتل من أقارب المعتدي بعدد الأيام التي مضت من الشهر، فإن مضى يومان وحصل الاعتداء قتل اثنان وإن كان في الرابع منه قتل أربعة وهكذا[1].

إذن فالأمر محقق عند القوم بينما نجد أن هناك اعتداءات (بحسب تعبيرهم) سافرة وقعت لا على الملتجئين إليهم بل عليهم أنفسهم فلم يدفعوا عن أنفسهم ولم يحصل على الجاني أي شيء فما السر؟.

السر والله أعلم عدة أمور:

الأمر الأول: الحالة النفسية لأولئك المتعلقين فهم عندهم الاستعداد النفسي لقبول أي شيء من قبل هذه القبور، وهذا يضعف المقاومة ويهيئ السبيل لوقوع تلك الأحوال التي يعدونها عقوبات لمنتهك حرمة ذلك المقام، وهذا أمر شائع ومعروف، فالمجتمع الذي يكثر

---

1 (?) انظر: تاج الأعراس (1/209).

الحـديث عن الجن ويسـرد القصص الكثـيرة يصـيبه من أذى الجن مالا يصيب المجتمع المُعْرِض عن ذلك الذي لا يلتفت إليـه، وكـذلك قل في العين والطـيرة ونحو ذلك ولعل القرآن أشار إلى ذلك في قول الله تعالى: **وأنه كان رجال من الإنس يعـوذون برجـال من الجن فـزادوهم رهقـاً**[1]، فحينما وجد الجن ذلك الضـعف من الإنس نحوهم زادوا من أذيتهم.

والأمر الثـاني: وجـود خـدم لبعض الأضـرحة من الجن كما صرحوا هم بذلك وسـيأتي بيـان هـذا في موضع آخر إن شاء الله.

والأمر الثـالث: حيل السدنة ومكـرهم ودهـاؤهم الـذي يجعلهم يفعلون أفعالاً بطرق خفية وملتوية يتوهم من لا يعرف حقيقة الحال أن تلك الأفعـال صـادرة عن الـولي بينما هي من أفعال السدنة.

والأمر الرابع: وجود فئات من القبائل ترى أنها ملتزمة لذلك الـولي وذريته وأن حمايته وحماية ذريته واللائـذين به من واجباتهم، فهم يقومـون بالانتقـام ممن أخفر ذمة ذلك الولي أو أحد ذريته أو محبيه اللائذين به، فيقومـون بـذلك طبيعيـاً ثم يشـاع أنه عقوبة من الـولي، بينما نجد أن الـذين لا يفكـرون في تلك العقوبـات والتصـرفات المنسوبة إلى الولي لا يضرهم شيء، فـالجيش النجـدي الموحَّد المتوكل على الله حين هاجم حضـرموت ضـرب تلك القبب وأزال توابيتها وسـواها كما أمر الرسـول فلم يحصل عليهم شيء، ولم ينتقم منهم أولئك الأوليـاء بشـيء بل عـادوا إلى بلادهم سـالمين وإن حصل عليهم هزيمة في معركة ما فشـأن الحـروب فر وكر ونصر

---

1 (?) الجن (6).

وهزيمة والعاقبة للمتقين.

وكـذلك ما فعله الإمـام أحمد بن يحـيى حميد الـدين بقـبري ابن علـوان وابن العجيل وغيرهما لم يصـبه من أثـره شـيء، وأوضح من ذلك وأقـرب ما فعله الشـباب المحتسب بعد حرب الانفصال (ربيع الأول 1415هـ) من تسوية القبور المعظمة في عـدن ومنها قـبر العيـدروس لم ينتج عنه شـــيء عليهم، وهـــذا كله دليل على بطلان تلك المـزاعم وعلى صـحة التفسـير الـذي تقـدم والله أعلم.

ومن تلك القبور، قـبر عيسى بن إقبـال الهتـار، قـال عنه الشــرجي: (ودفن بقرية التريبة بضم التــاء المثنــاة من فوق تصغير تربة، قرية من قرى الوادي زبيد وقــبره هنالك مشـــهور يقصد للزيـــارة والتـــبرك من الأمـــاكن البعيــدة، ومن اســتجار به لا يقــدر أحد أن يتعــرض له بمكــروه، ومن تعــدَّى ذلك عوجل بالعقوبة والقرية كلها محترمة ببركته)[1]، ومنها قبر أبي الغيث بن جميل، قـال الشـرجي: (ودفن بقريته بيت عطـاء المشـهورة، وتربته هنالك من الـترب المشـهورة المعظمة قـلَّ أن يوجد لها نظير في اليمن، لا تكاد تنقطع من الزوار من كل ناحية، ومن اسـتجار به لا يقـدر أحد أن يناله بمكـروه من أهل الدولة والعرب وغـيرهم)[2]، ومنها قـبر أحمد بن عجيـل، قال الشـرجي في ترجمتـه: (ومن اسـتجار به سـلم من جميع المخاوف بل مَنْ وصل إلى قريته لم يقدر أحد أن يتعـرض له بمكـروه، وليس للملـوك وغـيرهم على أهل قريته تصــرف ولا ولاية كما في ســائر القــرى كل ذلك

---

1 (?) الطبقات ص(251).

2 (?) المصدر السابق ص (410).

ببركته)[1]، ومنها قبر أحمد بن علوان، قال الشرجي في ترجمته: (وقرية الشيخ المذكور محترمـة، ومن اسـتجار بها لايقدر أحد أن يناله بمكروه)[2]، ومنها قبر سفيان بن عبدالله الأبيـني، قـال الشـرجي في ترجمتـه: (وتربته هنالك من الترب المشهورة المقصودة للزيارة والتبرك، ومن استجار به لا يقدر أحد أن يناله بمكـروه أبـداً، ومن تعدَّى شيئاً من ذلك عوقب أشد العقوبة من غير إمهال، وقد جرب ذلك غير مـرة)[3]، ومن تلك القبـور في عـدن قـبر محمد بن عبدالله الصـريفي، قـال الشـرجي في ترجمته: (ومن استجار به لا يقدر أحد أن يناله بمكـروه، ولأهل عـدن فيه معتقد عظيم وله عنـدهم محل جسـيم وهو فـوق ذلك رحمه الله تعـالى ونفع بـه)[4]، ومنها في حضرموت قبة عبدالله بن شيخ العيدروس، قال الشـلي في ترجمة سقاف العيدروس: (ودفن بقبة جـده عبدالله بن شـيخ، وقـبره مشـهور عند النـاس، ومن اسـتجار به أمن من كل بـأس)[5]، ومنها كـذلك قـبر الشـيخ أبي بكر بن سالم صاحب عينات، قال الشلي في ترجمته: (ومن اسـتجار بقـبره المـأنوس أمسى وهو محـروس لا يقـدر أحد أن يناله ببـــؤس)[6]، ومنها قـــبر علي بن حسن العطـاس، بالمشـهد بحضـرموت، قـال صـاحب " تـاج الأعراس " ضـمن حكاية سـاقها: (قلت: وقـول الحـبيب

1 (?) المصدر السابق ص (63).
2 (?) المصدر السابق ص(71).
3 (?) المصدر السابق ص(149).
4 (?) المصدر السابق ص (283).
5 (?) المشرع (2/139-140).
6 (?) المصدر السابق (2/29).

هادون لجده الحبيب علي "وهز الـرمح " لما اشـتهر من أن الحـبيب علي كـان يلقب بـأبي حربـة، وسـبب تلقيبه بذلك أنها تواترت الأخبار من المعادين للحـبيب علي في حياته وأهل الجـرأة على مقـام المشـهد بعد وفاته أنهم يرونه في منامـاتهم يطعنهم بحربته فيخـبرون قرابـاتهم بـذلك موقـنين بـالموت ويموتـون في الحـال بـإذن الله القائل: "**من آذى لي ولياً فقد آذنته بـالحرب** "، لا سيما الذين يعتدون على غـيرهم في شـهر المشـهد أي ربيع الأول؛لأن الحـبيب علي قد جعله عُرضة بضم العين أي أمانـاً مؤبـداً في كل سـنة... إلخ)[1]، فهـذه عـدد من الأمثلة على ذلك الاعتقـــاد من مـــواطن مختلفة من اليمن.

المطلب الســـادس: اعتقـــادهم بعض القبـــور متخصصة في قضاء حاجات معينة:

للنــاس عند زيـاراتهم لبعض القبــور حاجـات كثـيرة يستغيثون بها من أجل الحصول على الولد والاستســقاء والاستشفاء وسيأتي ذلك تفصيلاً في السطور التالية:.

الحصول على الولد:

سبق في فروع الاعتقاد بتصرف الأوليـاء في الكـون أن من الناس من يعتقد بـأن فلانـاً يعطي الولـد، وذكرنا هنــاك أمثلة لــذلك وبعض القبــور الــتي يعتقد ذلك في أصــحابها، ومن تلك القبــور قــبر الشــيخ القرشي في مقبرة الفريط بتريم حتى أنهم يسمونه صـاحب الذريـة، وليس الأمر مجرد دعاء عند قـبره ذلك ولكن فقط وضع

---

1 (?) تاج الأعراس (1/208-209).

" حصاة " عند القبر[1].

الاستسقاء:

كذلك مرَّ في فروع عقيدة التصرف في الكـون أنهم يعتقـدون في بعض الأوليـاء، أنهم يـنزلون الغيث وذكرنا أمثلة على ذلك.

ومن القبـور الـتي ذكرناها هنـاك قـبر الشـيخ جنيد بـاوزير صـاحب النقعـة، وذكرنا قصة علي بن جعفر العطـاس وقوله لأهل حريضـة: با نجيكم بسـيل من عند الشـيخ جنيد بـاوزير إن شـاء الله[2]، كما ذكـرت قصة باسـليمان واعتمـاده على الشـيخ سـعيد بن عيسى العمـودي في إنـزال الغيث[3]، وذكر الجنـدي في ترجمة الشـيخ أبي بكر بن أكـدر قـال: (أخـبرني الثقة من أهل تلك الناحية أنهما يـزاران ومـتى عطش أهل حضـرموت واشـتد بهم الجهد وصـلوا قبرهما واستسـقوا بهما فما يلبثون أن يسقوا)[4].

الاستشفاء:

سبق أيضاً في فروع عقيـدة التصـرف بعض الأمثلة في الاستشفاء، نضيف هنا أمثلة أخرى منها ما ذكره صاحب تذكير الناس: (قال سيدي: ولما خـرج الحـبيب أحمد بن محمد المحضار من دوعن، لزيارة تريم وعينـات، ووادي ابن راشد، بـات ليلة بـذي أصـبح عند السـادة آل البحـر، فاشـتدت الحمى بابنه محمـد، حـتى غـاب عن إحساسـه،

---

1 (?) انظر: ص (239-241).
2 (?) انظر: ص (243).
3 (?) انظر: ص (244).
4 (?) السلوك (1/462).

فأشفق عليه والده منها، فخرج ليلاً إلى ضـريح الحـبيب حسن بن صالح، وكان شيخ فتحه، ووقف تجاهه، وقـال: وعـزة المعبـود، إن لم تـذهب الحمى من ولـدي محمد لأصـبح في خشـامر، عند بن علي جـابر، فلما كـان آخر الليــل، عــرق ابنه محمد وخــرجت منه الحمى، وطلب الأكـل، وأصـبح: كأنما[1] نشط من عقـال، وسـرحوا من يومهم)[2].

ومنها ما قاله عبـــدالقادر العيـــدروس: (... وذلك أن بعض الأصحاب من أهل حضرموتأهدى لي طيبــاً فقلت: هلا أهديت لي من تراب قبر سيدي الشيخ سعد بن علي ؟ فــإنَّ ذلك عنــدي من أشــرف الهــدايا، وأفخر أنــواع الطيب، ثم أنشدت في هذا المعنى:

سألت العرفا عن ... **فقالوا تراب ذلك**

على الخبير ... **وربي إنه درياق**

داوني يا سعد ... **وحقك أنني لك**

فأرسل إليَّ من العــام القابل قليلاً من تــراب ذلك الضريح الشريف في قارورة زجاج ولله الحمد...)[3].

وقد جــاء في ترجمة عمر المحضــار: (مــات وهو ساجد في صـلاة الظهـر، يـوم الاثـنين ثـاني عشـرة في شـهر ذي القعـدة سـنة ثلاث وثلاثين و ثمانمائـة، وقـبره بتريم يـزار ويتـبرك بـه، ترياق مجـرب يعـرف اسـتجابة الدعاء وكذلك مسجده)[4].

---

1 (?) في الأصل (كما نما).

2 (?) تذكير الناس ص (220).

3 (?) النور السافر ص(427).

4 (?) شرح العينية ص(195)، والغرر ص (198).

المبحث الثاني: ظاهرة البناء على القبور وإسراجها و إلباسها

وفيه خمسة مطالب:

المطلب الأول: القبور المعظمة الثابتة لأصحابها:

أقصد بهذا المطلب إعطاء صـورة تقريبية للحالة الـتي وصل إليها القـوم من نشر لمظـاهر القبورية على الـرغم من النهي الصحيح الصريح عن البناء على القبـور واتخاذها مسـاجد وإسـراجها والكتابة عليها ورفعها وإنارتهـا... إلخ، وقد مرّ ذلك كله في الباب التمهيدي.

ومع ذلك النهي وتقريـــره في كتب علمـــاء الإســلام ومنهم علمـــاء الشـــافعية و الهادوية الـــذين صـــرحوا إما بالتحريم أو بالكراهـة، بل إن ابن حجر المكي -وهو عمـدة علماء اليمن الشافعية في الفقـه- عـدَّ ذلك كله من كبـائر الذنوب، ولو أنـني فصّـلت في هـذا المطلب وتتبعت جميع القبـور المعظّمة لطـال جـداً بل لاسـتغرق مجلـداً كـاملاً، ولكن الأمر لا يحتــاج إلى حشد الكثــير من الأدلة لظهــور ذلك للعيان واستطاعة كل إنســان أن يـرى تلك المشـاهد والقبـــاب والقبـــور المجصصة والشـــواهد الكبـــيرة ذات الكتابات الواضحة الحاملة لمناقب ومزايا أصحابها في كل مكـــان، فما من مدينة أو قرية في اليمن إلا ولها نصـــيب من ذلك يقل أو يكـــثر وكلما كـــانت المدينة أعـــرق في التصـوف والتشـيع كـان حظها أكـبر كزبيد وعـدن وتـريم والشحر وصـعدة وغيرها من المـدن والقـرى على امتـداد الساحة اليمنية.

وحتى يسهل الوقوف على ذلك سـوف أسـتعرض ذلك محافظةً محافظة وليس من شرطي الاستقصاء والإحاطة

وإنما إعطاء فكرة فقط كيفما تيسر.

محافظتي الحديدة وزبيد:

وأبدأ من حيث بدأت القبورية وانتشرت وفـاقت غيرها وسـبقت سـواها سـبقاً زمنيـاً وسـبقاً من حيث الكـثرة والكثافة من " تهامة "، وســأذكر الأســماء فقط دون أي إعتبار للترتيب لا من حيث الزمن ولا من حيث المكان ولا حتى من حيث ترتيب الأسماء على حسب الحروف:

- (أحمد بن موسى بن عجيل / بيت الفقيه)
- (إبــراهيم بن علي الفشــلي/ زبيد)
- (أحمد بن محمد الرديــني / قرية عــازب الحلى)
- (أحمد بن عمر الـزيلعي / اللحية)
- (إســماعيل بن محمد الحضرمي / الضَّحِى)
- (أحمد بن أبي بكر الــرداد / زبيد)
- (بكر بن محمد بن حسن بن مــــــرزوق / زبيد)
- (إســـماعيل بن إبـــــراهيم الجبرتي / زبيد)
- (ســــليمان بن أبي القاسم الهــــــاجري / المهجم)
- (ســـعد بن محمد العرضـــي/بيت حسين)
- (طلحة بن عيسى الهتار / التريبة)
- (علي بن عبدالله الطواشي / حلى)
- (علي بن محمد المعروف بابن الغـريب/ قرية السلامة)
- (علي بن المرتضى الحضـــــرمي / زبيد)
- (علي بن الحسين بن
- (عمر بن

رطاس / زبيد)

- (محمد بن أبي بكر الحكمي / عواجة)
- (محمد بن عمر بن حُشَيبر / بيت الفقيه)
- (أحمد بن أبي بكر بن يحيى المساوى /حرض)
- (عثمان بن أبي القاسم بن أحمد بن إقبال / القرتب)
- (أحمد بن عبدالله بن أحمد الصريدح / المدالهه)
- (عثمان بن هاشم الحجري / بيت حسين)
- (أبو القاسم بن عثمان بن أبي القاسم / القرتب)
- (علي بن عبدالملك بن أفلح / زبيد)
- (علي بن أبي بكر بن شداد / زبيد)

محمد بن رشيد / زبيد)

- (محمد بن حسين البجلي / عواجة)
- (محمد بن يعقوب أبو حربة / وادي مدرر)
- (علي بن أبي بكر الأجحف / الحرجة)
- (مسعود بن عبدالله الحبشي / رمع)
- (أحمد بن أبي الخير الشماحي / زبيد)
- (محمد بن عمر النهاري / سهام)
- (علي بن قاسم العليف الحكمي/ زبيد)
- (علي بن نوح بن علي الأبوي / زبيد)
- (عيسى بن إقبال الهتار / التريبة)

- (عيسى بن حجاج العامري / بيت حسين)
- (محمد بن عبدالله الحقيص / زبيد)
- (محمد بن عمر بن محمد بن شوعان / زبيد)
- (محمد بن أبي بكر بن شبيح / العامرية)
- (مفتاح بن عبدالله الأسدي / بيت مفتاح)
- (يوسف بن علي الأشكل / وادي سردد)
- (أبو بكر بن عيسى بن عثمان الأشعري / زبيد)
- (أبو بكر محمد بن حسان المضري / التحيتا)
- (أبو القاسم بن محمد السهامي/ زبيد)
- (رجل يقال له ابن سيرين / زبيد)
- (أبوبكر السلاسلي /

- (عيسى بن مطير الحكمي/ بيت حسين)
- (محمد بن إبراهيم بن دحمان / زبيد)
- (محمد بن أبي بكر الزوقرى / زبيد)
- (محمد بن أحمد الزجاجي / زبيد)
- (مهدي بن محمد المنسكي / المهجم)
- (محمدبن أبي بكرالأشكل/وادي سردد)
- (يوسف بن عمر المعتب/ حد القحرية)
- (أحمد الجندح / المثينة)
- (عبلة ورزم / زبيد)
- (الشيخ البكاء / زبيد)
- (الملبك

القرتب)

- (محمد بن يوسف الضجاعي / وادي رمح)
- (محمد بن عبدالله المـؤذن / قرية الغصن من وادي مور
- (محمد بن إسـماعيل المكـدش / قرية الأنفة وادي سهام
- (محمد بن أبي مليكه / وادي سردد)
- (أبـوبكر بن محمد بن علي الجندح / حيس)
- (الفيروزآبادي صاحب القاموس / زبيد)
- (قراء ياسين العشرة / زبيد)
- (الحجب / التريبة)
- (الشـيخ صـديق / الحديدة)
- (الساكت / القطيع)
- (حباك الماء/ التريبة)

/زبيد)

- (الصـديق بربش/زبيد)
- (محمد بن مهنا القرشي / وادي مور)
- (محمد بن مهنا الشريف / قرية البرزة)
- (مـرزوق بن حسن الصـريفي / زبيد)
- (أبـوبكر بن محمد الحـداد / زبيد)
- (أبو الغيث بن جميل / بيت عطاء)
- (الشـيخ يونس / زبيد)
- (عمر بن أبي القاسم الخـزان / القطيع)
- (علي بن عمر الأهـدل / المراوعة)
- (المقـدم / القطيع)
- (أحمر العين / المنيرة)

- (الشيخ أدهل / الزيدية)
- (حامي الحمى / القناوس)
- (سود بن الكميث / الفاشق)
- (طاهر أبو الغيث / حرض)

محافظة تعز:

- (أبو العباس أحمد بن محمد الصبعي / سهفنه)
- (محمد بن عبدالله بن الخطيب / موزع)
- (عبدالملك بن محمد بن أبي ميسرة اليافعي / الجوه)
- (السروي / منطقة جبا)
- (أحمد بن محمد الشكيل / المخلاف)
- (أحمد بن محمد الجماعي / سهفنه)
- (عبدالرحمن بن عقيل بن محمد صاحب المخا / المخا)
- (الواسطي / الجند)
- (محمد بن ظفر الشميرى/ الجند)
- (أبو السرور بن إبراهيم / الدملوة)
- (الشيخ سلمان / حبيل سلمان تعز)
- (عفيف الدين سليمان بن عمر / تعز)
- (أحمد بن علوان / يفرس)
- (زيد بن عبدالله اليفاعي / الجند)
- (علي بن أحمد الرميمة /

صبر تعز)

- (علي بن عمر الشاذلي / المخا)
- (عمر بن عبـــدالرحمن / صاحب الحراء)
- (أحمد بن محمد الضبعي / سهفنه)
- (محمد بن عبدالله الخطيب / موزع)
- (أبوبكرمحمد بن ناصر الحميري/ الذنيبتين قرب الجند)
- (الحساني / جبل حيشي)
- (عبدالله بن محمد العباس الحجاجي الشاكري / الجند)
- (ابن ردمان / الصراهم)
- (علي بن يوسف صاحب المجرية/ جبل شمير).

محافظة إب:

- (الحســــــين بن محمد بن الحســـين الســـحولي / السحول)
- (عمر بن عبــدالرحمن بن حســــــــان / الذهوب)
- (أبو موسى عمـــــــــــران الصوفي / جبلة)
- (يحــــيى بن أبي الخـــــــير العمــراني / ذي السفال)
- (علي بن أبي بكر التباعي / المخادر)
- (عمر بن سعيد الهمــداني / ذي عقب)

محافظة لحج والضالع:

- (عبدالله بن علي بن حسن بن الشيخ / الوهط لحج)
- (سفيان بن عبدالله / سفيان لحج)
- (عبدالله بن حسن الجوهري / المحلة لحج)
- (عمر بن علي/ الوهط)
- (حسن البحر / الحمراء لحج)
- (طهرور / قرية طهرور)
- (بهية بنت موسى / عيديد لحج)
- (موسى بن حسين / الجفاية لحج)
- (مزاحم / لحج)
- (سعيد بن عيسى / مقيبرة لحج)
- (علي بن زين/ الشرج)
- (عبدالله بن حسن الجوهري / المحلة)

محافظات عدن وأبين وشبوة:

- (ريحان بن عبدالله العدني / عدن)
- (علي بن حسن الأصابي / المحفد أبين)
- (عبدالله بن محمد بن عبدويه / كمران)
- (أحمد بن علي الحرازي / عدن)
- (أحمد بن محمد بامعبد / رضوم شبوة)
- (محمد بامعبد / عين بامعبد / شبوة)
- (جوهر بن عبدالله الصوفي / عدن)
- (علي بن أحمد بن قيدار القريضي / عدن)
- (أبو بكر بن عبدالله
- (أبان بن عثمان

- العيدروس / عدن)
- (العثمـاني / الشـيخ عثمان عدن)

بن عفان / عدن)[1]

- (الهاشـــمي / الشـــيخ عثمـــان عدن)

محافظة حضرموت:

هي أكــبر المحافظــات تلوثــاً بالقبورية بعد تهامـة، بل ربما زادت على تهامة خصوصـاً هـذه الأيام فإن حركة إحيـاء القبورية فيها قائمة على قـدم وسـاق في شـتى مناحيها من حيث إشـادة وتــرميم المشـاهد وإحيـاء الزيـارات والشـعائر القبوريـة، ونشر كتب الخرافة والـدجل، وتـأليف الرســائل لتأصــيل تلك الخرافــات أوالــرد على المعترضين عليها.

- (عبـــدالرحمن بن محمد يعـــــــرف بسقاف العيدروس " / تريم)
- (أبو بكر أكـدر / تريم)
- (عبدالله بن عبـدالرحمن الشـهير بالنحوي/ روغه)
- (عبدالله بن أبي بكر العيدروس / تريم)
- (عبدالله بن شـيخ بن عبدالله العيدروس / تريم)
- (عبـــدالرحمن السقاف / تريم)
- (أبو بكر بن سالم صـــاحب عينـــات / عينات)[2]
- (محمد بن علي الفقيه المقدم / تريم)

---

[1] (?) قال بامخرمه في تاريخ ثغر عدن: (وأظنه أبان بن عثمـان بن عفان) ص(33) طبع دار الجيل بيروت - ودار عمـار الأردن، تحقيق علي بن حسن عبد الحميد.

[2] (?) هذه البلدة تحتـوي على عـدد كبـير من الأضـرحة أشـهرها

- (أحمد بن حسين بن عبدالله العيدروس / تريم)
- (أحمد بن الأستاذ الأعظم / العجز)
- (محمد بن حسن المعلم أسد الله جمل الليل / تريم)
- (أحمد بن عبدالرحمن المشهور ب(شهاب الدين/تريم)
- (عبدالله باعلوي / تريم)
- (علوي بن الأستاذ الفقيه المقدم / تريم)
- (علي بن محمد صاحب مرباط / تريم)
- (علي بن عبدالله باعلوي / تريم)
- (علي بن علوي خالع قسم / تريم)
- (علي بن أبي بكر السكران / تريم)
- (أحمد بن محمد الشهير بالحبشي/ الحسيسة)
- (حسين بن عبدالله العيدروس / تريم)
- (سالم بن بصرى / تريم)
- (محمد بن علوي بن أحمد بن الأستاذ / تريم)
- (حسن بن علي بن محمد مولى الدويلة/ تريم)
- (عبدالله بن الأستاذ الفقيه / تريم)
- (محمد بن عبدالله باعلوي / تريم)
- (محمد بن علي عيديد / تريم)
- (الشيخ عمر المحضار / تريم)
- (حسن الورع / تريم)

سبعة ولها قداسة ومكانة عظيمة عند قبورية حضرموت).

- (سالم بن فضل / تريم)
- (أحمد بــــــايحيى واسع وعمه / تريم)
- (أبو بكر بن الحاج / تريم)
- (علي بن عمر القرشي / تريم)
- (علي بن محمد الخطيب / تريم)
- (أحمد بن علي الخطيب / تريم)
- (ســـعيد بن علي بامـدحج / المشـهور بالسويني / تريم)
- (محمد الغــريب / تريم)
- (محمد بن علي خرد / تريم)
- (أبــــوبكر بن عبد الله الشهير بالإمام / تريم
- (عبـــــاد بن بشر الصـحابي رضي الله

- (فضل بن محمد بافضل / تريم)
- (إبــــراهيم بن يحــــيى بافضل / تريم)
- (علي بن أحمد بــــامروان / تريم)
- (أحمد بن محمد بافضل / تريم)
- (عبـــدالرحمن بن يحيى الخطيب / تريم)
- (أحمد بن محمد بن أبي الحب / تريم)
- (يحـــــيى بن ســـالم بافضـــل/ تريم)
- (القطب عبدالله بن علــوي الحداد / تريم)
- (محمد بن علي مـــــــولى الدويلة/تريم)
- (أحمد بن أبي بكر بن أحمد بن الأستاذ/تريم)
- (أحمد بن عيسى المهـــاجر

عنه / القرية) إلى الله / الحسيسة)

- (سلطانه بنت علي الزبيدية / حوطة سلطانه قرب سيئون)

- (علي بن محمد الحبشي / سيئون) - (عمر بامخرمة / سيئون)

- (عيدروس بن عمر الحبشي / الغرفة) - (أحمد بن زين الحبشي/حوطة أحمد بن زين)

- (الحسن بن صالح البحر / ذي أصبح) - (أحمد بن عبد الله القديم باعباد/الغرفة)

جرب هيصم مقبرة شبام تحتوي على عشرات القبور المعظمة والقباب والمشاهد.

- (الهدار / القطن)

- (وفي بلد النقعه بالقرب من حورة قبر الشيخ جنيد باوزير)- (وقبر الشيخ علي بن سالم باوزير)

وأما حريضة ففيها عدد كبير جداً من القباب والمشاهد على قبور آل العطاس منها: قبر السيد عمر بن عبد الرحمن العطاس، وقبر طالب بن حسين العطاس، وقبر أبي بكر بن عبد الله العطاس، وقبر أحمد بن حسن العطاس وغيرهم.

وفي وادي عمد أكثر من عشرين قبراً معظماً أشهرها:

صالح بن عبد الله العطاس، وصالح بن عبد الله الحامد، وقبر عمر بن حسين العطاس بنفحون.

ثم بقية قرى الوادي لا تكاد قرية واحدة تكون خالية من قبة أو مشهد أو قبر مجصص يزار في السابق، ولدي قائمة بأكثر تلك القبور آثرت عدم كتابتها للاختصار.

وهناك مناطق لم تذكر وقبور كثيرة تركتها كذلك حيث القصد التمثيل وليس الحصر.

المطلب الثـاني: القبـور المنسـوبة إلى الأنبيـاء والقبور المجهولة:

لم يكتف القبورية بتعظيم قبور الأوليـاء والصـالحين أو من يـدّعون أنهم كـذلك ممن عُـرف شخصه وتحقق موقع قـبره، بل جمح بهم الخيـال، وأعطـوا لأنفسـهم أعنتها لاختراع قبور ما أنزل الله بها من سلطان، مسـتحلين في ذلك الكـذب، أو مستسـلمين للـدجل، أو مصـدقين الـرؤى الـتي لا تثبت بها حجة ولا تـوجب عملاً، ويا ليتهم اكتفـوا بآحـاد النـاس لكـان الأمر مع قبحه أخف وأهـون، ولكنهم ذهبـوا يكـذبون على أنبيـاء الله كهـود وصـالح وشـعيب وغيرهم، أو يثبتون أنبياء ما جاء بنبـوتهم دليل لا من كتـاب ولا من سـنة ولا من قـول صـاحب أو مفسر معتمـد، بل بموجب رؤى أو كشوف صوفية كاذبة أصبحت حقـائق عند القـوم، وعلى إثر ذلك أقيمت الأبنية والمشـاهد وعملت التـوابيت وشـرعت الزيـارات إليها وغـرس لها في قلـوب العامة الاعتقادات التي لا تجوز إلا في الله تعالى، وما هي الحكمة من ذلك ولمصلحة مَنْ تلك الخزعبلات؟!.

لا يجد الباحث المنصف جواباً شافياً كافياً إلا أن يقول إن وراء ذلك مصـالح ووجاهـات وسـلطة على عـوام المسلمين، هذا ما يمكن فهمه من هذه المظـاهر ولا أريد أن أجزم وأعمم ولكن هذا هو أقوى الاحتمالات.

القبر الأول: قبر رسول الله هود :

ومن أشـهر تلك القبـور في اليمن على الإطلاق القـبر المنسوب إلى رسول الله هـود شـرقي حضـرموت، وهو أشـهرها وأكثرها زواراً وأكثرها كـذلك فضـائل وكرامـات مزعومـة، بل إنه من أعجب وأغـرب القبـور المعظمة في

العـــالم، حيث لزيارته مناسك مكانية مرتبـــة، ومناسك زمانية محددة، وحوله من المآثر المزعومة مـالا يوجد عند أي قـبر من القبـور إلا أن يكـون قبـور أئمة الشـيعة في العراق وإيران، فهناك نهـرٌ من أنهـار الجنـة، وبـئر معطلة تضم أرواح الأنبياء والأولياء، وناقة هود المتحجرة التي هي عبارة عن صخرة ضـخمة جـداً ومعظمة جـداً عند القـوم، حتى لقد مهدوا ما حولها ووسعوه وجعلوه موضع صـلاتهم وموقع تعبدهم الجماعي عندما يقيمون صلاتهم وسـماعهم وموالـدهم ومـواعظهم، وتحتها في الطريق إليها صـخرة صغيرة مقعرة قالوا: إنها موطئ قـدم هـود ، كما أن في مكة حول الكعبة مقام إبراهيم الذي فيه موطئ قدميه.

أما المناسك الزمانية والعملية فهي تجمع عند مشـاهد أبي بكر بن سالم وبنيه عند نية التوجه إلى شعب هود، ثم المرور ب" المحذفة " أي المرجم الذي يرجمه جموع من الزوار، ثم المرور بقبر الكافرة الذي يُسَب ويُشـْتم ويُتْفل عليـه، ثم الوصـول إلى الشـعب والاغتسـال في نهر هـود الذي هو في زعمهم "من أنهـار الجنـة"، ثم الصـلاة عند " حصاة " عمر المحضار أي الموقع الذي كان يتعبد ويصـلي فيه ذلك الصوفي الكبير المقدس عندهم " عمر المحضـار بن عبد الـرحمن السـقاف " نقيب السـادة في وقتـه، ثم الوقـوف على البـئر المعطلة والسـلام على الأرواح الـتي فيها وحي أرواح الأنبياء والأوليـاء، ثم الوقـوف على القـبر المزعوم، ثم النزول إلى تحت الصـخرة المقدسة " الناقة المتحجـــرة " -كما يزعمـــون-، وعند العـــودة إلى تـــريم يختمون بالطواف سبعة أشواط حـول مقـابر تـريم الثلاث المسماة بشار.

المناسك الزمانية:

1) جمادى الآخرة وشـهر رجب شـهرا التحـريض على

الزيارة.

2) ليلة السابع والعشرين من رجب تقرأ قصة الإسراء والمعراج ثم تكون التهويدة[1].

3) ليلة آخر ربــوع من رجب ليلة الإشــهار الرســمي للزيارة وهي ليلة سعد لديهم.

4) الأيام المحددة للزيارة هي الثامن والتاسع والعاشر والحـادي عشر من شـهر شـعبان، ويـوم العاشر يـوم عيد الــزوار فينحــرون ويــذبحون الأغنــام، ويتلــذذون بــأنواع الطعام.

5) الوقفة: تكون يوم الحادي عشر وهي مـأخوذة من وقفة عرفــة، فمن حضــرها فقد أدرك الزيــارة ومن فاتته فاتته الزيارة كما هو الحال في وقوف يوم عرفة للحجاج.

6) دخلة القبائل آخر الزيـارات وبعـدها ينصـرف أكـثر الناس.

7) النفرة الأولى عصر يوم الحادي عشر من شعبان.

8) النفرة الأخيرة يوم الثاني عشر من شعبان.

9) الحلق والتقصير، عندما يقبل الـزوار على بلـدانهم فيــنزلون خــارج البلد ثم يحلقــون أويقصــرون ويتطيبــون

1 (?) وهي تســجيعات تحث على زيــارة قــبر هــود، وعند آخر تسجيعة تغنى لفظة الجلالة، ثم يقول الجميع بأصوات مرتفعة: هــود يــاهود، يا غافل أذكر الله وقل لاإله إلا اللــه، موجــود في الكون الله الله، يـاهود يـانبي اللـه، يـاللي كلمه الغـزال وحنت عليه الجمـال، رسـول الله مـولى بلال شـفيع الخلق عند اللـه، ياهود ياهود يانبي الله.

وربما ذبحوا الأغنام، (هذا ما ذكـره بعض المـؤرخين ولعله لم يعد قائماً الآن بسبب توفر المواصلات السريعة).

10) عصر يـوم الثـالث عشر تبـدأ الـدخلات بالألعـاب الشـعبية والخابه[1]، وترديد هـذه العبـارة (زرنا وقد رجعنا عسى القبول).

11) تختم المناسك بالشعبانية عصر يـوم الرابع عشر (ليلة الخامس عشر من شـعبان، حيث يقـرأون دعـاء ليلة النصف من شـــعبان، وقد يحصل احتكـــاك بين الحويف[2] المتنازعة، وفي تلك العصرية يكون الطواف بمقابر تريم)[3].

هذا بعض ما يمكن قوله عن هذه الزيـارة فـالقبر غـير محقق، ولئن سلمنا احتمال وجوده في حضرموت عمومـاً باعتبـار قربها من مـواطن قـوم هـود فإننا ننفي بقـوة أي دليل على وجـوده في تلك البقعة بالـذات كما سـبق إلى نفيها عـدد من المـؤرخين من قبـل، فأصـبحت بـذلك تلك الزيارة ظلمات بعضها فوق بعض.

القبر الثاني: قبر نبي الله صالح :

قـال صـالح بن علي الحامـد: (وللنـبي صـالح عنـدنا بحضرموت قبر معروف مشهور يقصده الـزوار. وهو واقع في شـعب (عَشْـنَب) من وادي (سَـرّ)، وقد زرته أنا مع شـيخنا العلامة محمد بن هـادي السـقاف مـرتين، وزاره الكثير من العلماء والصلحاء في هذا القرن والقـرن الـذي قبله، ومن أشـدهم عناية به السـيد العـارف بالله عمر بن سـقاف الصـافي العلـوي، فقد زاره مـرات، وله في هـذا الشعب أشعار منها قصيدته التي يقول فيها:

---

1 $?# نوع من الألعاب الشعبية.

2 $?# جمع حافة أي الحارة أو الحي.

3 $?# كل ما تقدم ملخص من كتاب الكشف المبين عن حقيقة القبوريين زيارة هود وما فيها من ضلالات ومنكرات للباحث.

(في رُبَى عَســـْنبَ محط الأمـــاني * مهبط الوحي والبها والجلالة)

وقبره مستطيل جداً كقبر هود تقريباً أو أطـول على سفح جبل، وعليه حائـط، وحوله خـدور ومنـازل مبنية من الحجر مطلية بـالكلس زاهية منـيرة يشـعر الزائر حوله بالأنس والروحنة وحوله بئر يستقي منها الـزوار والسـكان القريبون من هذا الموضع)[1].

وقد نقل بعض النقـولات المتناقضة قبل ذلـك، وكلمة للشـيخ عبد الوهـاب النجـار قـال فيهـا: (ويقـول أهل حضـرموت: إنهم ذهبـوا إلى حضـرموت، وأقـاموا بها لأن أصـلهم من تلك الناحية أو هي فصـيلة من أهل الأحقـاف. وهناك قـبر يزعمـون أنه قـبر صـالح، وقـال آخـرون: إنهم أقاموا في ديارهم بعد هلاك قومهم، وآخـرون: إنهم ذهبـوا إلى مكة وأقاموا بها إلى أن ماتوا. وقبورهم غربي الكعبة، وأقرب الأقوال عندي إلى التصديق أنهم ذهبوا إلى الرملة ونواحي فلسطين لأنها أقرب بلاد الخصب إليهم، والعـربي إنما يطلب الكلأ لمرعى ما شيته والأرض ذات الماء)[2].

ثم قـال الحامد بعد أن ذكر قـبر حنظلة بن صـفوان والبـئر المعطلة والقصر المشـيد، قـال: (وبعد فـإني وإن كنت لست على يقين تـام بكـون صـالح وحنظلة عليهما السلام قُبرا بحضرموت كما كنت على يقين في قـبر هـود ، فإن هذه الدلائل والروايات تورث غلبة الظن بذلك)[3].

وواضح من هـذه النقـول أنه ليس فيها شـيء يعتمد عليه حـتى في كونه في حضـرموت، ولئن تنزلنا وأخـذنا بذلك واعتمدناه فمن أين لنا أنه في ذلك الموضع؟!

وفيما ذكر المؤرخ الحامد، ما يشير إلى ابتداء الاعتنـاء

---

1 (?) تاريخ حضرموت ص (71-72).

2 (?) المصدر السابق ص (71 - 72).

3 (?) المصدر السابق ص (79).

بهذا القبر وذلك خلال القـرنين الثـالث عشر والرابع عشر الهجـريين، مع إفادته بالاعتنـاء التـام من قبل السـيد عمر ابن سقاف الصـافي وإشـادته بـذلك الموضع في قصـائده وهو متوفى سنة (1216ه)[1]، إن في ذلك إشارة واضــحة أن ذلك الرجل ربما كــان هو المظهر لهــذا القب ر، ومنذ ذلك الحين عرف وبدأ الناس يزورونه، وهـذه من مخـاريق الصوفية التي يقصدون بها تأسيس أثر يذكرون به ويكــون جاهاً لهم ولذرياتهم، ولكل امرئٍ ما نوى.

القبر الثالث: قبر نبي الله شعيب:

بجبل حضــور غــرب صــنعاء بحــوالي ثلاثين كيلومــتراً، وعندما يطلق اسم النبي شعيب، فأول ما ينصرف الــذهن إلى نبي الله ورسوله شعيب المبعوث إلى مدين إذ لا ذكر في القرآن والحـديث الصـحيح إلا لـه، ولكن المقصـود هنا ليس هذا النبي وإنما هو نبي آخر اسمه شـعيب بن مهـدم بن ذي مهدم، قال الهمداني في " الإكليل ": (فأولد مهدم بن ذي مهــدم: شــعيب النــبي بن مهــدم بن ذي مهــدم، ومســجده اليــوم في رأس جبل حــدة حضــور بن عــدي، وجبل حضور يعـرف بهـذا الاسم وهو جبل عظيم البركة لا يزال متعصباً بالغمام، ولم ينزل الثلج على جبل باليمن إلا عليه وعند المسـجد معين مـاء، ولا يـزال النـاس يزورونه ويصــلون فيــه)[2]. ثم أورد الهمــداني ما يــذكر من قصــته وتكــذيب قومه له وتســليط الله بختنصر عليهم، ثم قــال: (هذا خبر العامة في شعيب وحضور).

---

1 (?) انظر ترجمته في التلخيص الشـافي من تـاريخ آل طه بن عمر الصــافي ص (58-62)، تــأليف علــوي بن عبد الله بن حسين محسن السقاف، المطبوع (1408هـ-1987م).

2 (?) الإكليل لأبي محمد الحسن بن أحمد الهمــداني، تحقيق محمد بن علي الأكــوع(2/285)، مطبعة الســنة المحمدية بالقاهرة (1386هـ-1966م).

والصــحيح ماجــاء عن عبدالله بن عبــاس أنه كــان يقـول: نـزلت هـذه الآية[1] في أهل حضـور وعربايا فبعث الله إليهم شعيباً بن مهدم بن ذي مهدم فكذبوه وقتلوه.

قــال الهمــداني: (وقيل إن هــذه الأمة كــانت ما بين اليمامة والبحرين ويبرين)[2].

وقد ذكر الــرازي في تــاريخ صــنعاء رواية أخــرى في تفســير تلك الآيــات عن رجل مبهم ومن غــير أن يســمي النبي[3]، وعلى كل حال فلا يثبت شـيء من ذلـك، وإثبـات نبي باسم معين إلى قوم معينين لا يمكن إثباته بمثل هـذه الآثار.

القبر الرابع: قبر حنظلة بن صفوان:

قال الحامد: (وهنا قبر بحضـرموت منسـوب لحنظلـة، وهو واقع بسـفح الجبل الـذي غـرب بـورعلي فوهة وادي مدر، ومن العجيب أن إلى جانبه قـبراً آخر في مثل طـول هذا الضريح المفـرط، وأهل تلك الناحية ينسـبون القـبرين إلى حنظل وحنظلــة، فيضــيفون إلى اسم حنظلة حنظلاً، ولعل العـوام رأوا أن اسم حنظلة الملحق بتـاء التـأنيث لا يليق إلا بــامرأة فجعلوها زوجــه، واللائق في نظــرهم أن يسمى هو حنظلاً لا حنظلـة، وقد زرت أنا هـذا الضـريح أو

---

1 (?) هي قوله تعالى (وكم قصمنا من قرية كانت ظالمة وأنشأنا بعدها قوماً آخرين. فلما أحسوا بأسنا إذا هم منها يركضــون. لا تركضوا وارجعوا إلى ما أترفتم فيه ومساكنكم لعلكم تسألون. قــالوا يا ويلنا إنا كنا ظــالمين. فما زالت تلك دعــواهم حــتى جعلنـاهم حصـيداً خامـدين). الأنبيـاء الآيـات (11-12-13-14-15). والأثر غير صحيح عن ابن عبـاس؛ لأنه عن طريق الكلـبي عن ابن عباس، وهي طريق واهية، وهناك آثـار أخـرى لا يصـلح شــيء منها لتقوية هــذا الأثــر، وانظرها في الــدر المنثــور للسيوطي، (5/618-619). طبعة دار الفكر.

2 (?) المصدر السابق (2/287).

3 (?) تاريخ مدينة صنعاء للرازي، ص (187-188).

الضريحين مرتين، وهما مكشــوفان ليس عليهما حائط ولا ســقف، وهــذا يــدل على نقص اعتنــاء القــدماء بهــذين القبرين)[1].

ثم ذكر كعادته بعض أقوال الإخباريين ومنها حكاية عن كتـاب " مبتـدأ الخلق " للكسـائي عن كعب الأحبـار، وهي واضــحة الصــنعة، ولا يشرَّف أهل حضــرموت أن يكــون أسـلافهم بتلك الصـورة القبيحة صـورة انـتزاع الغـيرة من رجالهم بحيث كانوا -كما قيل- يتهادون النســاء فيما بينهم، وأنهم انصرفوا إلى الصبيان فانصرف النساء على إثر ذلك إلى السحاق. فهذا كله يدل على بطلان القصة من أصلها، ثم لو فـرض مع التـنزل التـام أن شـيئاً من ذلك صـحيح، فمن أين له أو لغـيره إثبـات أن ذلك النـبي دفن في ذلك الموضع؟! كلام لا يمكن إثباته أبداً.

وفي المقابل هنــاك روايــات أخــرى يتمسك بها قــوم آخرون، فقد أبرز الـرازي في تـاريخ صـنعاء هـذا العنـوان: (ذكر الرواية أن في مسجد صنعاء قبر نبي يســمى حنظلة وأن صنعاء طريق من طرق الغيث)[2]، وتحت هذا العنوان روي عن مطرف بن أيوب أنه يقـول: (في مسـجد صـنعاء قــبر نــبي)، ثم قــال في آخر المبحث: (وســمعت العامة بصـنعاء يقولـون هـذا النـبي المقبـور في مسـجد صـنعاء حنظلة)[3].

فالرواية بذلك غير صـحيحة ولا معتمـدة، وعلى فـرض صــــحتها فإنها مبهمة لاسم النــــبي، والعامة تقــــول إنه (حنظلة) فيعتمد ذلك المـؤرخ الـرازي ويثبتـه، فـالأمر كله أمر عامة وأشباه عامة، أو من له مصلحة من وراء إغــراء العامة.

---

1 (?) تاريخ حضرموت ص(73-74).
2 (?) تاريخ صنعاء للرازي ص(249).
3 (?) المصدر السابق ص(250)

وقد ذكر ابن كثـير في تاريخه رواية أخـرى أن حنظلة هو نـبي أهل حضـور[1]، وحضـور قريبة من صـنعاء، ولكن الرواية كذلك من روايات الإخباريين.

والصحيح أن حنظلة لا يصح أنه نـبي من الأنبيـاء أصـلاً ولكنها روايات تولد بعضها من بعض، وقد سـبق في القـبر الثالث أن نـبي أهل حضـور اسـمه شـعيب، وفي الشـامل في تـاريخ حضـرموت لعلـوي بن طـاهر الحـداد عند كلامه عن بلد قَيل بدوعن قـال: (وفي موضع هنـاك قـبرا حنظل وحنيظلة يزعمون أنهما نبيان والـواجب هو الإيمـان برسل الله إجمـالاً، وإثبـات ما ليس بثـابت شـرعاً خطر كإنكـار الثابت، والورع سبيل المتقين)[2].

القبر الخامس: قبر هادون بن هود:

يقع هذا القبر بقرية هـدون بـوادي دوعن بحضـرموت، والغريب هنا أن قبورية حضرموت اخترعوا الرجل وكـذبوا على الله فجعلـوه نبيـاً من أنبيائـه، ثم حـددوا مكانه في قصة لم أدرِ كيف بلغت بهم الوقاحة أن يرووهـــــــــا، ويعتمدوها، ويبنـوا عليها أحكامـاً، ويؤسسـوا عليها مشـهداً عظيماً، ويقيموا لذلك المشهد زيارة سنوية، وينسبون إليه كرامات وخصائص.

والقصة الهزيلة ذكرها أحمد بن حسن العطاس ونقلها جامع كلامه في "تذكير الناس "، قال: (وصافحت نبي الله هادون مناماً في هذا الشباك الذي عليـه، وبلغنا أنه نـبي مرسل إلى أهل عكرمة[3]، وبلغني أن الشيخ علي بـاراس - توفي سنة(1094ه) - قال: لما مرض نـبي الله هـادون،

---

1 (?) البداية والنهاية (1/227)، وقد ذكر الرازي أن أهل حضور قتلـوا نـبيهم وأنه لم يـذكر اسم ذلك النـبي. انظر تـاريخ مدينة صنعاء، ص (187).

2 (?) الشامل في تاريخ حضرموت ص(192).

3 (?) وهي بلدة قديمة مندثرة في ريدة الديّن بحضرموت.

خرجنا به إلى هدون، أنا والخضر وإلياس، ورابع معنا، ولما وصـلنا الخريبـة، جلسـنا تحت حصـاة[1]قريبـاً من خرابـة، والحصاة معروفة الآن قريباً من دار باصـمد، وفي الخرابة امرأة، جاءت لنا بماء، فـدعا نـبي الله هـادون بـأن يبـارك الله في تلك الخريبـــة، فـــيرون أن بركة الخريبة من تلك الـدعوة، ثم لما مــات حملـوه فـدفنوه بمكانه المشـهور بهدون، وأوصى الشيخ علي باراس بـأن يـدفنوه في محله المعــروف، وقــال لهم: تجــدون عصا خضــراء في محل القبر، أنا دفنتها في ذلك الوقت، لما جئنا بنبي الله هادون إلى دوعن، ولما مــات حفــروا قــبره في ذلك المحــل، فوجدوا تلك العصا، هكذا بلغنا والله أعلم)[2].

ولما كانت هذه القصة عجيبة وغـير معقولة لجـأوا إلى تأييــدها بـــأخرى لا تقل عنها غرابة ولكنها ما دام أنها قد صـدرت عن القطب فـإن كلامه حجة ودليل لا يجـوز رده، قــال جــامع كلامه بعد ذكر تلك الحكايــة: (فقيل لسـيدي رضي الله عنه: إن هـذه من الغـرائب؛ لأن ظهـور الأرواح قبل خروجها إلى الأجسام غير معهود، بخلاف بعد خروجها من الأجساد؟! فقال سـيدي: لا، ليست من الغـرائب، وقد وقعت مرة واقعة كبيرة في حريضة، فلما كان الليـل، أتى إليَّ الحبيب عمر بن عبد الرحمن العطاس، وولده الحبيب حســين، والحــبيب أبو بكر بن عبد الله العطــاس، ورابع معهم صــغير، فتشــاورنا الخمسة في تلك الواقعــة، ثم سألتهم عن الصبي من يكون؟ فقالوا: إن فلاناً يعنون أحد السادة الموجـودين، جـده الرابع أي وثلاثة من أجـداده لم يظهـروا بعد إلى عـالم الأجسـاد، وعلامة الأرواح الـتي لم تخـرج من الأجسـاد، أنها لا ظل لهـا، والأرواح جميعها في

---

1 (?) تطلق الحصاة عند أهل حضرموت كما تطلق على الحصـاة الصغيرة.

2 (?) تذكير الناس ص (227-228).

الصــور كل روح في ثقب، وإذا نــزلت الــروح إلى عــالم الأجسـاد، فلا ترجع إلى ثقبتها الأولى بل ترجع إلى أخـرى)[1].

وبنـاءً على تلك الخـزعبلات شـهر هـدون، وأقيم عليه مبنى تعلوه قبتان، وجعلـوا القـبر طـويلاً طـولاً مفرطـاً لا يقل عن أربعين ذراعـاً وبجـواره مسـجد، وتقـام له زيـارة سنوية، وصارت حوله مقبرة كبيرة[2].

القبر السادس: قبر دانيال بن هادون بن هود:

يقع هذا القبر في منطقة ميفعة، محافظة شبوة، وهذا القـبر المخـترع هو من القبـور المزعومة المكذوبة الـتي ظهرت بالكشف الصـوفي، فقد ذكر المحضـار في ترجمة الفقيه علي بن محمد الحباني أن من كراماته أنه أول من أظهر قبر نبي الله (دانيال بن هادون بن هود عليهم وعلى نبينا أفضل الصلاة والتسليم بأسفل وادي " هـدى " وكـان يكثر من زيارته)[3].

واسـتمر النـاس يعتقدونه قـبراً لهـذا النـبي المزعـوم، ويزورونه كل عام في شـهر رجب، ويدعونه وينـذرون لـه، وقبل حـــوالي أربعين ســـنة رجع بعض أبنـــاء المنطقة المغــتربين من المملكة العربية الســعودية وقد جالســوا العلماء هناك، وعرفوا الحق في هـذه القضـية، وأرادوا أن يزيلوا هذا المنكـر، فـذهبوا إليه وهـدموا البنـاء الـذي على القــبر وما ارتفع منــه، فظهــرت المفاجــأة الــتي كــانوا يتوقعونها هم ولا يتوقعها بقية أبنـــاء المنطقة أبـــداً، وذلك بأن وجـدوا ذلك البنـاء على صـخرة صـماء ليس فيها قـبر أصلاً وإنما أشيد البناء على الصخر، وصورت صورة القــبر كذباً، فظهر لذوي العقول حقيقة الأمر وبقي البعض الآخر

---

1 (?) المصدر السابق ص (228).

2 (?) انظر الشامل في تاريخ حضرموت ص(153).

3 (?) ما جاد به الزمان من أخبار مدينة حبان ص (33).

يؤول وينتحل الأعذار وربما يوهم الناس بأن الله تعالى أخفاه عن عيون الناس... إلخ.

القبر السابع: قبر النبي مولى رخيّم[1]:

ذكر ذلك صاحب " تذكير الناس "، فقال: (ومرة دخلنا معه يعني أحمد بن حسن العطاس إلى عمد , وعبرنا معه إلى النبي مولى رخيّم، ومعنا أناس آخرون، فقال لهم ابتعدوا هناك لا تؤذوا النبي، ثم قام فتوضأ وصلى فوق القبر، ثم نام فوق القبر، فقلت له: كيف تنهاهم وتفعل.؟!. فقال: من أفضل سيد شريف حسيني علوي أو عشرون بهاراً حصى مطروحة فوقه)[2]. وهذه الحكاية فيها أمور لا أدري مِنْ أيها أعجب أمن الزعم الذي لا دليل عليه بوجود ذلك النبي الذي لا يعرف له اسم وإنما سمي باسم الموضع الذي ظهر فيه، أم من استخفاف ذلك السيد بالناس ونهيهم من قربان النبي حتى لا يتأذى بهم، أم من صلاته فوق القبر وهو فقيه يزعمون أنه مجتهد عارف بهذه الأحكام وكان يحمل زاد المعاد لابن القيم معه إذا سافر من شدة إعجابه به، أم من الاستخفاف بالنبي المزعوم حيث ينام فوق قبره، أم من التسويغ البارد لفعله ذلك وهو أنه بنومه ذلك على القبر أحسن من كوم التراب والحصى الموضوعة هناك، أم أعجب من اعتبار هذه الحكاية من نفائس كلام ذلك الرجل الذي يستحق التسجيل والإثبات في المؤلفات وتخليده للأجيال؟!

كلها عجائب ولكن العقول إذا ألغيت، والمنهاج الصحيح إذا فقد فلا عجب عندئذ.

هذه بعض القبور المنسوبة إلى الأنبياء والتي قيل أنها موجودة في اليمن، وقد أفردتها لشهرتها أو لوجود

---

1 (?) رخيّم بالتشديد منطقة بوادي عمد بحضرموت.

2 (?) تذكير الناس ص (163).

تفاصـيل عنهـا، وهنـاك قبـور أخـرى ذكـرت جملة بـدون تفصـيل، من ذلك ما ذكـره محمد بن سـالم بلخـير فيما جمعه من كلام أحمد بن حسن العطـاس قـال: (أخـبرني رجل من (دلى) من علمـاء السـادة أن في حضـرموت خمسة وثلاثين نبيـاً، فقلت لـه: بم عـرفت ذلـك؟ فقـال: وجدناه في كتب تواريخ حضرموت عنـدنا، ثم قـال السـيد المـذكور: منهم سـيدنا نـبي الله هـود، وولـده نـبي الله هادون، ونبي الله صالح بوادي سر بحضرموت، ونـبي الله رخيم بـوادي عمـر، واثـنين بـوادي حموضة واثـنين بشـرج فَيْل ووادي النبي ومولى مطر وحنظل وحنظلة ببور)[1].

وقيل إن قبر نوح . ببلاد نهم، وهـذا من المحـال والله أعلم.

والخلاصة إن تعلق القـوم بـالقبور جعلهم يبـدعون في اخـتراع أنـواع منها بشيء باسم الأنبيـاء، وشـيء باسم الصحابة، وشيء باسم الأولياء، وليس على شيء من ذلك أثـارة من علم، ومع ذلك تجد تعلق النـاس بهـا، وركـونهم إليهـا، واعتمـادهم عليهـا، لا يكـاد يحُـد فإنا لله وإنا إليه راجعون.

وقد اقتصرت على هذه القبـور المنسـوبة إلى الأنبيـاء لأن غيرها لا يمكن حصره، وهنـاك قبـور مجهولة كثـيرة لا يعرف أصحابها أصلاً أعرضت عنها ماعدا قبراً واحـداً أرى أن أذكـره للقصة المصـاحبة لـذكره، فقد ذكر أحمد بن حسن العطـاس كما قـال في " تـذكير النـاس " أنه (كـان ببلد الرحب من وادي عمد، قـبر لا يعـرف صـاحبه، يـزوره الناس، وهو قريب من محل الحراثة والزراعة، فجاء رجل يقلب الطين ويهيئها للزراعـة، فأصـابت المسـحاه جـانب القبر فانهال ترابه، وظهرت عظـام الميت، فجعلها الرجل

---

1 (?) كلام أحمد بن حسن العطاس ص(313) رواية محمد سالم بلخير، ضمن مجموع كلام الحبيب أحمد بن حسن العطاس.

إلى جانب القبر ودفنها، فلما كان الليل رأت امرأة الرجل كأن صاحب القبر يقول لها إن زوجك نبش عظامي ولم يردها كلها حتى إن ولياً من أولياء الله أتى إلى قبري يزورني، فأردت القيام لاستقباله فما قدرت فقولي له يرد كل شيء إلى محله، فانتبهت، وقصت الرؤيا على زوجها فأصبح زوجها إلى المحل، فوجد بعض فقرات الظهر، فدفنها في القبر، وسواه بالتراب، وسأل عمن زار القبر ذلك اليوم فإذا هو السيد محمد بن حسين الحامد، ثم رأته زوجة الرجل في الليلة الثانية وكأنه يقول لها: قولي له: جزاك الله خيراً لما فعلت)[1].

فانظر إلى هذه الرؤيا العجيبة! وهل أراد السيد العطاس بذلك إثبات ولاية صاحب القبر المجهول، أم أراد إثبات ولاية السيد " محمد بن حسين الحامد "؟ الله أعلم.

وهكذا تبرز القبور المجهولة بمثل هذه الحكايات!

وقد وجدت لعلوي بن طاهر الحداد وهو من مراجع قبورية حضرموت كلاماً جميلاً في هذا الموضع لا بأس من إيراده كونهم يجلون هذا الرجل، ويرونه حجة في التاريخ على الأقل، قال في كتابه الشامل عند الحديث على بلدة (بلاد الماء) من وادي (دوعن): (وفوق مجرى وادي مراه عند منعطفه في الجبل غار فسيح مضيء مرتفع السقف يقال له وبره بفتح فسكون وهو من المواضع التي كان يتعبد بها سيدي الجد ويمكث فيها أياماً، وهناك صورة قبر يقال إنه قبر نبي، وهذه المواضع كالتي بوادي فيل وفي ناحية بور وفي وادي عسنب، يوجد لها نظيرها في البلاد الإسلامية كالمغرب ومصر وأكثرها في الشام، ولا توجد أحاديث مروية في ذلك ولا أخبار صحيحة، وأكثر العلماء ينكرون صحة ذلك، وقد ذكر السيد

---

1 (?) تذكير الناس ص(198-199).

الشريف يوسف بن عابد الحسني في رحلته أنه وصل في طريقه إلى قرية فيها شـبك من حديد وقـال أهل هـذه القرية: هذا قبر قديم ولربما قالوا هذا قـبر النـبي خالد بن سـنان الـذي بعث لقومه بعد عيسى بن مـريم على نبينا وعليه الصـلاة والسـلام، ووقعت فيه مراجعة بيـني وبين علماء المكان إلى أن قلت لهم: إنني سـمعت ممن أخـذنا عنهم العلم في مدينة فـاس أن الأنبيـاء عليهم السـلام قبورهم غـير ظـاهرة الأثر إلا قـبر نبينا محمد عليه الصـلاة والسـلام.. إلى آخر ما ذكـره، وللحافظ ابن حجر والسيوطي وابن تيمية في هذه المسألة كلام مشـهور)[1]. يعني أنهم ينكرون مثل هذه القبور.

المطلب الثالث: طريقة القوم في اكتشاف القبـور المعظمة وإظهارها:

لقد عرفنا عن صوفية المسلمين في الأمـاكن والأزمنة المختلفة وولعهم في القبـور وتعلق النـاس بهـا، وقد مر معناسـابقاً أن شـيوخ الطـرق وورثة الأقطـاب ومشـاهير الأوليـاء يتخـذون من قبـور أولئك الشـيوخ منـاطق نفـوذ ومصـادر دخل ومعـابر إلى الجـاه والمكانة عند عامة المسلمين المتعلقين بالأولياء وقبورهم، فمن كـان له ولي معروف أشهر قبره ونسج له من الكرامـات والمنـاقب ما يجـذب الـزوار إليه ويعلق المـؤملين بـه، وهنـاك رجـال طـامحون ليس لهم آبـاء ولا شـيوخ مشـهورون بولاية وقد رأوا ما عليه أبنـاء وخلفـاء الأوليـاء وما صـاروا عليه من الحيـاة الكريمة في نظـرهم والمنزلة العالية عند النـاس فأعملوا عقـولهم للحصـول على ما حصل عليه أولئك ولم تعجزهم الحيلة، بل اتخذوا وسائل كثـيرة للوصـول إلى ما وصل إليه القـوم، ومن تلك الوسـائل اخـتراع مـرائي ومكاشـفات ينشـرونها بين النـاس قـائلين إنهم رأوا في

---

1 (?) الشامل ص (172)

المنـام أو عن طريق الكشف أن في الموضع الفلاني نبيـاً من الأنبياء أو صحابياً أو رجلاً صـالحاً معلومـاً أو مجهـولاً، وبذلك يقام المشهد أو يرفع القـبر، بل تتحـول تلك البقعة القفر إلى مدينة تسمى باسم ذلك الولي المخترع[1].

وصــوفية اليمن في الغــالب مقلــدون نــاقلون عمن سـبقهم من صـوفية الشــام ومصر والمغـرب والعـراق وغيرها من البلـدان، وهـذا التقليد في نـواحي كثـيرة منها هـذا المسـلك في اكتشـاف القبـور وإشـهارها، ولهم فيها طـرق منهـا: الاسـتناد إلى نصـوص شـرعية أو تاريخية قد تكـون أحـاديث موضـوعة أو واهيـة، وقد تكـون آثـاراً عن الصــحابة كــذلك، وقد تكــون إســرائيليات أو من كلام الإخباريين، وقد تكون آيات أو أحاديث صحيحة لكنها لاتدل على مـرادهم وإنما يتعسـفون في الاسـتدلال بها وتنزيلها على ما يريدون كما فعلوا في إثباتهم وإظهارهم لقبر نـبي الله هــود بحضــرموت[2]، وقد يســندون تلك النقــول بالكشف أوالرؤيا[3]. ومثل ذلك فعلوا عندما حـاولوا إثبـات تقدم قبر نبي الله شعيب في جبل شعيب منطقة حظور محافظة صـنعاء وقد تقـدم في هـذا الفصل[4]، وعنـدما لا تكون لديهم نصوص منقولة فإنهم يعتمـدون إعتمـاداً كليـاً على الكشف أو الرؤيا، وإليك بعض الأمثلة:

المثـال الأول: مـاذكره الجنـدي في السـلوك في ترجمة المقــرىء عمر بن أحمد بن الحــذاء قــال: (ومن

---

1 (?) انظــر: دمعة على التوحيد " قبــور الأضــرحة بين الحقيقة والوهم " ص (28).

2 (?) انظـر: كتـاب الكشف المـبين عن حقيقة القبـوريين زيـارة هـود و ما فيها من ضـلالات ومنكـرات(للبـاحث) ص (9-28) فقد أوردت ما احتجــوا به من ذلــك، ورددت عليه رواية ودراية والحمد لله رب العالمين.

3 (?) المصدر السابق ص(32-35).

4 (?) انظر ص (305)

عجيب ما أخبرت به عنه عام قـدمت جبا أنـني لما عـولت على الفقيه علي بن أبي بكر المقدم ذكره بأن يصل معي إلى المقبرة ليريني القبور التي تزار ففعل ذلك ووقف بي على قـبر فقـال: هـذا قـبر رجل يعـرف بالسـروي، كـان درسياً صالحاً، دخل المقرىء عمر بن الحذاء هذه المقبرة فجعل يـزور أهله ومعاريفه والمشـهور من الفقهـاء، وإذبه يسـمع من هـذا القـبر منادياً ينـادي يـامقريء عمر أنت ماتزور إلا أصحاب الجاهات، فالتفت إلى القبر وزاره، ولم يبرح يـزوره كلما دخل المقـبرة قبل كل يـوم أحـد، وأعلم الناس بالخبر فصار القبر مـزوراً إلى عصـرنا)[1]، فبمجـرد سماع هذا النداء صار القبر مزاراً واستمرت زيارته قروناً.

المثال الثاني: ما ذكره الشلي في ترجمة أحمد بن الفقيه المقـدم قـال: (ودفن بـالقرب من مسـجد العـارف بالله الشــيخ عبدالله بن إبــراهيم باقشــير وكــان قــبره معروفـاً ثم دثر حـتى نسي محلـه، ثم جـدد أوائل القـرن العاشر وعمل عليه قبة عظيمة ثم رأى الســــيد الجليل فدعق بن محمد في المنـام بعض العـارفين وهو يقـول له أن قـبر السـيد أحمد هنا وأشـار إلى محل بقـرب المجـدد فجدد السيد فـدعق قـبراً في محل ما أشـار إليه العـارف المذكور وعمل عليه بنياناً)[2]، فالقبر قد نسي ولكن محبة إظهــاره وتعظيمه حملتهم على التخــرص فبنــوا القبة العظيمة على ذلك الخــرص، ثم جــاءت الرؤيا فاعتبروها يقينـاً وجـددوا بنـاءً ثانيـاً وخسـروا خسـارة كبـيرة لاشـك، فماذا يستفاد من ذلك الجهد والغرم؟.

المثال الثالث: ما ذكره الشـرجي في ترجمة محمد بن عبدالله المقيبعي، قـال: (وقـبره بمقـبرة بـاب سـهام منها مشـهور يـزار ويتـبرك بـه، وهو على قـرب من تربة

---

1 (?) السلوك (1/392-393).

2 (?) المشرع (2/84).

الفقيه إبـراهيم الفشـلي المقـدم ذكـره في أول الكتـاب، وأكثر الناس يزورون القبر ولا يعرفون قـبر من هـو، وعند رأس القبر جدار قصـير، رأى بعض الصـالحين في المنـام النبي ﷺ قائماً عند القـبر المـذكور متكئـاً على هـذا الجـدار بذراعه الأيسر مسـتقبلاً للقبلة يــدعو، وقد رأيت جماعة من الناس يفعلون ذلك تمسكاً بهـذا الأثـر، ويجـدون بركة ذلـك، وقد فعلت ذلك مـراراً ووجـدت تـأثيره والحمد لله رب العـالمين)[1]، فـانظر إلى الشـرجي وهو محـدث معـروف كيف صـدق هـذه الرؤيا وعمل بها وأقر عمل النـاس بهـا، والمحـدثون يـردون الحـديث بـأدنى علة ولا يعملـون به فكيف بأحـاديث الرؤيا ولكنه منهج القبورية عندما تمكن من قلبه.

المثال الرابع: ما ذكره العطاس قال: (وسال شعب القـرين بـدوعن بسـيل عظيم؛ فأخذ قبة الحـبيب عمر بن عبدالرحمن البار وجهل قبره؛ ولما أرادوا بنـاء القبـة، جـاء للحـبيب حسن بن صـالح البحر إلى دوعن زائـراً فسـأله الحـبيب يس البـار والحـبيب عبدالله بن عيـدروس عن موضع القبر الذي أخذه السيل فأراهم موضعه، وقـال لهم في القبب، ولا في الكبب[2]#[3].

المثال الخامس: ما ذكره الشرجي في آخر الكتاب تحت عنوان " فصل في الإجمـال " قـال: (ومن ذلك رجل بمقبرة باب النخل يقال له الملبـك، بضم الميم وفتح اللام وتشـديد البـاء الموحـده وآخـره كـاف، ما كـان يعـرف ولا سـمعنا به إلا في هـذا الزمـان، ذكر رجل من عـوام أهل زبيد أنه نبهه عليه إنسـان وهو في المنـام وقـال لـه: إن صـاحب هـذا القـبر من الأوليـاء وإن من لازمه في حاجه

---

1 (?) الطبقات ص (303).

2 (?) الكبب جمع كبه والكبة باللهجة الحضرمية الرأس.

3 (?) تذكير الناس ص (192).

قضيت، وشاع هذا في أهل البلد حتى صار لهم فيه معتقد عظيم يزورونه ويتبركون به، لاسيما العوام والنساء فإنهم يخرجون في ذلك عن الحـد)[1]، لقد قبلـوا هـذا الخـبر من ذلك العـامي وسـلموا به وبنـوا عليه ذلك الإعتقـاد العظيم لأن نفوسهم مهيأة لذلك.

والخلاصة أن القــوم قد بلغــوا إلى درك ســحيق من التفريط بعقولهم والتسليم لكل من قـادهم حـتى العـامي الـذي لاقـدم له في علم ولا ولاية يمكن أن يغـبر مجـرى تفكيرهم وأن يملأ نفوسهم اعتقـاداً بكلام في الغـالب من باب الكذب أو مما لاتقوم بمثله حجة.

المطلب الرابع: المشاهد التي لا قبور فيها:

لقد رأينا في باب سابق كيف حـرص الفـاطميون على توسـيع القبورية فوضـعوا للنـاس قبـوراً نسـبوها إلى أهل البيت كذباً وزوراً، كما حرصوا على تعداد القبور للشـخص الواحد ومن أثر ذلك ظهرت عـدة قبـور للحسـين بن علي .

وقد انتقد ذلك علمـاء السـنة وجعلـوه من الدلالة على وثنية أولئك الناس، وأنه من الوسـائل الـتي وضـعوها لجر النـــاس إلى الشـــرك وزعزعة عقيـــدة التوحيـــد، ولكن الصوفية نحوا ذلك المنحى وعددوا القبور لأوليـائهم، فهـذا - عبــدالقادر الجيلاني رحمه الله - معـــروف أنه ببغـــداد وقبره ومسجده هناك ولكنك قلما تـدخل بلـداً إسـلامياً إلا وتجد فيه قـبراً منسـوباً إلى عبـدالقادر الجيلاني والنـاس يزورونه ويتبركون به ويعبدونه وينذرون له.

وهنا صـوفية اليمن قد سـنوا تلك السـنة فهنـاك قبـورٌ صورية لأناس مقبورين في مواضع أخرى رأيت منها اثنين في ناحية زبيد في قرية الحمى أحـدها منسـوب لإبـراهيم بن أدهم، والآخر منسوب لأويس القرني.

---

1 (?) الطبقات ص (418).

أما عندنا في حضرموت فعادتهم إذا مات أحد كبرائهم في موضع بعيد وضع له عند أهله أو من يحبه من المريدين (نصباً) يسمونه مشهداً للزيارة والتبرك به، يقول أحمد بن حسن العطاس: (ولما توفي الحبيب عمر البار المذكور، شق فراقه على أخيه الحبيب عيدروس فقال له جدي علي بن عبدالله العطاس: إن عادة السلف إذا مات أحد منهم في مكان بعيد يجعلون له مشهداً يتذكرونه به، ويتبركون بزيارته، فأنشأ المشهد المعروف، نجدي القرين)[1]، وقد انتشرت تلك الأنصاب (المشاهد) في أماكن كثيرة من حضرموت لأجل تلك العادة السيئة.

وهنا كلام جميل للعلامة علوي بن طاهر الحداد فقال وهو يتكلم عن قرية الباقحوم وذكر أن عندها علم مشيّد بالنورة وهم يسمونه مشهد الحبيب عبدالله الهدار.. ثم قال: (ولم أرَ من تكلم على حكم مثل هذه الأعلام من فقهاء الشافعية، ومن المقطوع به أنه إن ترتب عليها ما يخل بالإيمان من اعتقاد ضر أو نفع لغير الله تعالى فلا شك في حرمة إقامتها وسوف يتعب نفسه من أراد أن يجد لها أصلاً من كتاب أو سنة أو يجعلها من قسم البدع المطلوبة)[2].

المطلب الخامس: إلباس القبور وكسوتها:

من مظاهر التعظيم للقبور عند القبورية كسوة القبور بالثياب الفاخرة المزركشة المكتوب عليها بعض الآيات القرآنية والأدعية والاستغاثات بأصحاب تلك القبور وتعداد بعض مناقبهم وهي ظاهرة دالة على مدى اعتقادهم بل مغالاتهم في الاعتقاد في تلك القبور وأصحابها وهذه الظاهرة منتشرة في الكثير من تلك القبور على امتداد

1 (?) تذكير الناس ص(216).
2 (?) الشامل في تاريخ حضرموت ص (136).

المقابر اليمنية ومنها ما يبـدل سـنوياً ويكـون ليـوم تبديله مـيزة على سـائر الأيـام كما يحصل مثلاً في يـوم إلبـاس تـــــابوت علي بن محمد الحبشي في مدينة ســـــيئون بحضرموت فله مراسم معروفة حيث تبـدأ بـبروز (منصب المقام) من بيته ومعه الثوب الجديد ليجد الناس بانتظـاره عند الباب ثم يزفونه باللهو والطبـول والأهـازيج المناسـبة المشـتملة على تمجيد صـاحب المقـام والاسـتغاثة به مع ضـرب الطبـول ورفع الرايـات إلى أن يقتحمـوا المقـبرة ويدوســوا على قبــور عامة المســلمين ليصــلوا إلى قبة الحـبيب علي الحبشي فيطوفـون بـالقبر حـاملين الثـوب الجديد، ثم ينزع الثوب القديم ويحل محله الثـوب الجديـد، وأما الثوب القديم فظني أنه يقطع ويعطى عـزائم للـزوار ويعلقونها على أنفسهم وأبنائهم ونسـائهم ومع ظهـور قبح ذلك وإشـعاره بـالغلو المنهي عنه في الصـالحين وتشـبيه قبــورهم بالكعبة وإغــراء الجهلة من العــوام بالتمسح بها والطـــواف والتـــبرك وكلها إما شـــرك وإما من وســـائل الشـــرك مع كل ذلك لا يبقى الأمر مجـــرد عمل يقــوم به النـاس وعند إنكـاره يقـول القـائمون عليه هـذا من فعل الجهـال كما هو شـأنهم في التنصل من هـذه الأمـور عند ظهورها ومحاربتهم بها، أقـول لم يبق الأمر كـذلك بل لقد ظهر من يؤصل لها فقد صدر كـتيب بعنـوان " رفع البـاس ودفع الالتباس عن حكم التـابوت والإلبـاس "[1] وقـال في مقدمتـه: (أما بعـد: فقد ضـمني مجلس مع بعض الإخـوان من طلبة العلم ودار البحث فيه عن بعض عـــــــــادات وترتيبات أسلافنا الصـالحين العلـويين بحضـرموت خاصـة،

---

1 (?) نشرته دار المهاجر للنشر والتوزيع التي لم تضع لها عنواناً كســائر دور النشر وهي من الــدور الــتي أنشـئت لبعث الفكر الصوفي القبـوري ونشـره بين النـاس وقد طبع الكـتيب عـام (1415هـ)

وبغيرها من البلدان الأخرى، وزياراتهم وحضراتهم وما أثير حولها في هذا الزمن من التشكيك في صلاحيتها وأصالتها، وطال النقاش حـول بعضـها، وتركز حـول الاحتفـال الـذي يقام سنوياً بمناسـبة (إلبـاس تـابوت)الإمـام العـارف بالله الحـــــبيب علي بن محمد الحبشي في مدينة ســــيئون بحضرموت والذي استمر العمل به من عام" 1368 هـ "، والاحتفـــــالات المماثلة له في عـــــدن وغيرها من البلاد الأخرى، وبناء على طلب ممن يهمه الأمر فقد سـجلت ما يحضرني في هـذا الموضـوع لعله يفيد من يطلع عليه من شــبابنا المتعطشــين لمعرفة الحقيقة، والحريصــين على سلوك هذه الطريقة.

أما المنتقد لمجــرد النقــد، أو لحاجة في نفسه مبعثها الجهل والحقــــد، فليس لنا معه كلام، وإذا خاطبنا الجاهل نقول له: سلام، فأقول وبالله التوفيق:

إن الحديث في هذا الموضوع يتفرع إلى قسمين:

1) **القسم الأول**: حكم رفع القـــبر و تجصيصه ووضع التابوت عليه والإلباس.

2) **القسم الثــاني:** حكم الاحتفــالات عامـــة، وحكم الاحتفـــال بالإلبـــاس خاصـــة، وما يـــترتب عليه وسأحاول مراعاة الاختصار بقـدر المسـتطاع حـتى يتمكن الشباب من قراءته ويعم به الانتفاع)[1].

وقد احتوى الكتيب مع صغره على الكذب على العلماء والمخادعة للقارئ:

أما الكذب ففي قوله: (اختلف العلماء في جـواز رفع القبـور وتجصيصـها ووضع التـابوت على القـبر، وقد أجـاز ذلك أكـثر العلمـاء وجمهـور الفقهـاء لاسـيما في الأرض

---

[1] (?) رفع البأس ودفع الالتباس عن حكم التابوت والإلباس ص (3-4) تأليف عبدالقادر الجيلاني بن سالم خرد طبع دار المهاجر الطبعة الأولى (1415هـ).

المملوكة والموقوفة وقفـــاً خاصـــاً وليست مســبَّلة ولا موقوفة وقفاً عاماً، ونصوصـهم في ذلك صـريحة واضـحة تزخر بها كتب الفقه والحـــديث بل قـــال بعضـــهم بندبها واستحبابها)[1]، فهذا كذب صريح على العلماء فـأين الـذين صـرحوا بجـواز ذلك وأين الـذين صـرحوا باسـتحبابه من العلماء لا من الصوفية الدجاجلة الجاهلين؟.

وقد سـبق في البـاب التمهيـدي الـرد على ذلك وبيـان شبهات القوم ودحضها.

وأما المغالطة فهي تتمثل في نقله إجمـاع الصـحابة على ذلك أي (رفع القبور وتجصيصها والكتابة عليهـا) وهي مغالطة فقط في قضية الرفع، إذ معلوم أن الصحابة ومن بعدهم من العلماء وإلى اليوم يـرون رفع القبـور إلى أربع أصابع ونحوها وهذا معلوم مقرر، ولكن هـذا المغالط جعل ذلك إجماعاً على الرفع المعروف لدى القبورية المشتملة على البناء المحكم الذي يرتفع أشباراً بل أذرعاً في بعض الأحيان ووضع التركيبات الحجرية أو التـوابيت الخشـبية أو البنـــاء حولها المشـــاهد ونحو ذلـــك، فـــأين ما أجمع عليه الصحابة من الرفع (أربع أصابع) من ذلــك؟، إنها المغالطة والمغالطة فقط واعتقـاد أن النـاس لا يعقلـون، فيجب أن يلقنوا ما يحب الكاتب وطائفته أن يلقنهم إياه. وأما نسـبة الإجماع إلى الصحابة بجواز الكتابة و التجصـيص عليها فهو كـذب صـريح، أتحـدَّاه أن يـأتي به بسـند صـحيح إلى واحد منهم فضلاً عن جميعهم. وأما إلباس التابوت فلم يأت فيه بشيء أصــلاً وإنما أدخله في الاسم وتجنبه في المناقشة، وهذا من الحيل البارعة للمخادعين حيث يتضـمن العنـوان أمـوراً كثـيرة ويبرزها وأنها مقصـودة في البحث ثم يتكلم عما تيسر له الكلام عليه ويتجنب الكلام عن بعض المسائل وبذلك يخرج القارئ بانطباع أن الكـاتب قد بحث

[1] (?) رفع البأس ودفع الالتباس ص (3-4).

المسألة وأشبعها وأقام الأدلة على ما يريد فيخرج مقتنعـاً بما حواه العنوان دون النظر إلى التفاصـيل وهـذا ما فعله الكاتب ولكن حبل الكذب قصير وقد قيض الله لهذه الأمة من يكشف عنها غشاوة الجهل وحيل المغالطين.

المبحث الثالث: الزيارات القبورية

وفيه خمسة مطالب:

المطلب الأول: علة زيـــارة القبـــور عند القبورية وأصلها الفلسفي:

زيـارة القبـور سـنة سـنها رسـول الله بقوله وفعله وتقريـــره، أما قوله فقد قـــال : **$نهيتكم عن زيـــارة القبور ألا فزوروها فإنها تـذكر المـوت#**[1]، فهـذا الحـــديث واضح في الإذن بزيـــارة القبـــور، وبيـــان العلة المقصودة من تلك الزيارة، وقد سبق في الباب التمهيدي بيـــان تلك العلة وأقـــوال العلمـــاء في ذلك الحـــديث، و مشـروعية الزيـارة بصـفتها وعلتها الشـرعية عند جمـاهير المسلمين، ولكن القبوريين لم يرتضوا تلك الصفة ولا تلك العلة واخـترعوا واقتبسـوا لأنفسـهم علة جديـدة لزيـارة القبور وهي: الاستمداد منهم والاستشـفاع بهم، ومن تأمل تلك العلة الـتي ذكروها عـرف كيف تسـرَّبت إلى نفـوس المسـلمين العقائد الوثنية الفلسـفية، وكيف قَبِلَتْها ودانت بها كأنها من نصوص الوحي، وقد شـرح أبو حامد الغـزالي ذلك في كتابه " المظنون به على غـير أهله " فقـال: (أما التقـرب لمشـاهد الأنبيـاء والأئمة عليهم الصـلاة والسـلام، فإن المقصود منه الزيارة والاستمداد، من سؤال المغفرة وقضـاء الحـوائج من أرواح الأنبيـاء والأئمة عليهم الصـلاة والسلام، والعبارة عن هذا الإمداد الشـفاعة، وهـذا يحصل من جهـتين: الاسـتمداد من هـذا الجـانب والإمـداد من الجـانب الآخـر، ولزيـارة المشـاهد أثر عظيم في هـذين الركنين، أما الاستمداد فهو بانصراف همة صـاحب الحاجة باسـتيلاء ذكر الشـفيع والمـزور على الخـاطر حـتى تصـير

1 (?) تقدم تخريجه ص (39).

كلية همته مستغرقة في ذلـك، ويقبل بكليته على ذكـره و خطوره بباله، وهذه الحالة سبب منه لروح ذلك الشفيع أو المزور، حتى تمده تلك الروح الطيبة بما يستمد منه، ومن أقبل في الــدنيا بهمته وكليته على إنســان في دار الــدنيا فإن ذلك الإنسان يحس بإقبـال ذلك المقبل عليه ويخـبره بذلك فمن لم يكن في هذا العـالم فهو أولى بالتنبيـه، وهو مهيأ لــذلك التنبيه، فــإن اطلاع من هو خــارج عن أحــوال العـــالم إلى بعض أحـــوال العـــالم ممكن، كما يطلع في المنـــام على أحـــوال من هو في الآخـــرة أهو مثـــابٌ أو معـاقب، فـإن النوم صـنو المـوت وأخـوه، فبسـبب النـوم صـــرنا مستعدين لمعرفة أحــوال لم نكن مســتعدين في حالة اليقظة لهــا، فكــذلك من وصل إلى الــدار الآخــرة، ومات موتـاً حقيقيـاً كـان بـالإطلاع على هـذا العـالم أولى وأحرى، فأما كلية أحوال هذا العالم في جميع الأوقـات لم تكن مندرجة في ســلك معـــرفتهم، كما لم تكن أحـــوال الماضين حاضرة في معرفتنا في منامنا عند الرؤيا، ولآحاد المعارف معينات ومخصصـات منها همة صـاحب الحاجـة، وهي اسـتيلاء صـاحب تلك الـروح العزيـزة على صـاحب الحاجة، وكما تؤثر مشاهدة صورة الحي في حضور ذكره، وخطورة نفسه بالبال، فكـذلك تـؤثر مشـاهدة ذلك الميت ومشـــاهدة تربته الــتي هي حجــاب قالبــه، فــإن أثر ذلك الميت في النفس عند غيبة قالبه ومشـــهده ليس كـــأثره في حال حضوره ومشـاهدة قالبه ومشـهده، ومن ظن أنه قـــادر على أ ن يحضر في نفس ذلك الميت عنـــده غيبـــة مشهدة كما يحضر عند مشاهدة مشهده، فذلك ظن خطأ، فإن للمشـاهدة أثراً بينـاً ليس للغيبة مثلـه، ومن اسـتعان في الغيبة بذلك الميت لم تكن هذه الاستعانة أيضاً جزافـاً ولا تخلو من أثــر، كما قــال النــبي : $**من صــلى عليَّ**

مرة صليت عليه عشراً#[1]، **$ومن أجـاب المـؤذن حلت له شـفاعتي#**[2]، **$ومن زار قـبري حلت له شفاعتي#**[3]**،** فالتقرب بقالبه الـذي هو أخص الخـواص له وسيلة تامة متقاضية للشفاعة والتقرب بولده الذي هو بضـــعة منه ولو بعد توالد وتناســـل، والتقـــرب بمشـــهده ومسجده وبلدته وعصاه وسوطه ونعله وعضادته والتقرب بعادته وسيرته والتقرب بكل ما له منها مناسبة إليه تقرب مــوجب للقــرب إليه مقتضٍ لشــفاعته، فإنه لا فــرق عند الأنبيـــاء في كـــونهم في دار الـــدنيا وفي كـــونهم في دار الآخرة لا في طريق المعرفة، فـإن آلة المعرفة في الـدنيا الحـواس الظـاهرة وفي العقـبى آلة يعـرف بها الغيب إما في كسوة مثال، وإما على سـبيل التصـريح، وأما الأحـوال الأخر في التقـرب والقـرب والشـفاعة فلا تتغـير، والـركن الأعظم في هذا الباب الإمـداد والاهتمـام من جهة الممـد، وإن لم يشعر صاحب الوسـيلة بـذلك المـدد، فإنه لو وضع شعر رسول لله ﷺ أو عضادته أو سوطه على قبر عـاص أو

---

1 (?) رواه الطبراني في الأوسط برقم (2692)ـ (3/324) قـال الهيثمي في مجمع الزوائد (10/166): (رواه الطـــــبراني في الأوسط ورجاله ثقات) قلت: رواه النسـائي إلا أنه قـال (صـلى الله عليه بها عشراً).

2 (?)رواه الطبراني بلفظ (وجبت له شفاعة محمدﷺ يوم القيامة) كما في مجمع الزوائد (1/338) وقال: وفيه صدقة بن عبد الله السمين ضـعفه أحمد والبخـاري ومسـلم وغـيرهم ووثقه دحيم وأبو حاتم وأحمد بن صالح المصري.

3 (?) رواه البزار كما في كشف الأسـتار بـاب زيـارة قـبر سـيدنا رســول (2/57) ﷺ طبع مؤسسة الرســالة ط الثانية (1404هـ-1984م) بتحقيق حـبيب الـرحمن الأعظمي وقـال عبد الله بن إبــرهيم لم يتــابع على هــذا، وقــال الهيثمي في مجمع الزوائد ومنبع الفوائد (4/5): رواه الـــبراز وفيه عبد الله بن إبـــراهيم الغفاري وهو ضعيف.

مذنب نجا ذلك المذنب ببركات تلك الذخيرة من العــذاب، وإن كان في دار إنسان أو بلدة لا يصيب تلك الــدار وأهلها وتلك البلـــدة وســـكانها ببركاتها بلاء , وإن لم يشـــعر بها صاحب الدار وساكن البلدة، فإن اهتمـام النـبي وهو في العقـبى مصـروف إلى ما هو به منسـوب، ودفع المكـاره والأمــراض والعقوبــات مفوضة من جهة الله تعــالى إلى الملائكة، وكل ملك حريص على إسـعاف ما حـرص النـبي صلوات الله عليه بهمته إليه عن غيره، كما كـان في حـال حياته، فإن تقــرب الملائكة بروحه المقدسة بعد موته أزيد من تقربه به في حال حياته.)[1].

هــذه هي علة الزيــارة، الشــفاعة والاســتمداد على طريقة فلسفية تنبعث من العقل وتقبلها النفوس وتنسـاق لها الجــوارح، و قبورية اليمن وهم تلامــذة الغــزالي على كتبه بل مقدِّســوه ومقدِّسو كتبه حـــتى بـــالغوا في ذلك فجعلــوا لكل من انتسخ جــزءاً معينــاً من الإحيـاء الجنــة، وبالمقابل قالوا: (من لم يقرأ الإحيـاء فليس عنـده حيـاء)، وهــذا تقــديس ليس بعــده تقــديس للإحيــاء ومؤلفه، وهو يسري على جميع كتبه ولأجل ذلك اقتبســوا تلك العلة من الغــزالي ودانــوا بها ونشروها في أتبــاعهم، ففي كــتيب بعنوان" بــذل المجهـود في خدمة ضـريح سـيدنا نـبي الله هود " لعبد الرحمن بن محمد العيدروس طبع عام (1328 هـ) وهم يوزعونه هذه الأيام مصوراً ويبيعونه في مكتبــات صوفية حضرموت، في هذا الكتيب ساق العيدروس جـزءاً كبيراً من كلام الغـزالي السـابق مقـراً له بعد أن قـدم له بقوله: (وقد تقــرر أن زيـارة ضرائح الأنبيـاء عليهم الصـلاة والسلام سنة ثابتة لكل أحد، وإن تــوقفت على ســفر وإن طـــال، كيف وهي من أعظم القربـــات وأجل الطاعـــات

---

1 (?) المظنــون به على غــير أهله ص (356-3357) لأبي حامد محمد بن محمد الغزالي

وأجزل الرغبـات، ويتفـاوت طلبها بتفـاوت فضـيلة الأنبيـاء المـزورين عليهم الصـلاة والسـلام والأئمة رضي الله عز وجل عنهم، **فإن المقصود من الزيارة الاستمداد..** إلخ) [1]، وقد أتى بـأكثر كلام الغـزالي دون عـزوٍ إليه وهو آكد في تبـني ذلك القـول. ثم نقل عن الإمـام فخر الـدين الـرازي كلامـاً يشـبه كلام الغـزالي من بعض الوجـوه، بل ربما يكــون أوضح خصوصــاً أنه صــرح فيه بــأن ذلك هو السبب الأصلي في مشـروعية الزيـارة وإليك نص كلامـه: (وذكر الإمـــام فخر الـــدين الـــرازي - رحمه الله - أن الإنســـان إذا ذهب إلى قـــبر إنســـان آخر من الأنبيـــاء أو الأوليـاء أو الشـهداء أو الصـلحاء، وكـان ذلك الزائِـر قـوي النفس، كامل الجوهر، شديد التـأثر، ووقف هنـاك سـاعة، وتـــأثرت نفسه من تلك التربـــة، حصل لنفسه تعلق بتلك التربة وحينئذ يتلاقى مع نفس ذلك الميت على تلك التربة كتلاقي مرآتين صقيلتين وضعتا بحيث ينعكس الشـعاع من كل واحـدة منهن إلى الأخـرى، فكلما حصل في نفسه من المعارف البرهانية والعلوم الكسبية والأخلاق الفاضـلة من الخشوع لله تعالى والرضـاء بقضـائه ينعكس منه نـور إلى روح ذلك الميت، وكلما حصل في نفس الميت من العلوم المشرقة والآثار القوية الكاملة فإنه ينعكس منها نــور إلى روح ذلك الإنســان، **وبهـذا الطريق** تصـير تلك الزيـارة سـبباً لحصـول المنفعة الكـبرى، والبهجة العظمى لـروح الزائِر ولروح المزور، **قال: فهذا هو السبب الأصـلي في مشروعية الزيارة**، ولا يبعد أن يحصل فيها أسـرار أخرى أدق وأخفى مما ذكرناه، وتمام العلم بالحقائق ليس

[1] (?) بذل المجهود في خدمة ضـريح نـبي الله هـود ص(20-22) تـــأليف عبد الـــرحمن بن محمد العيـــدروس، طبع بالمطبعة الفيضية حيدر آباد (1328هـ).

إلا عند الله .)[1]، وهناك إشارات إلى ذلك في كلام أحمد بن حسن العطـــاس في تـــذكير النـــاس يرجع إليه من أراده[2].

والخلاصة: أن علة زيـارة القبـور عند القـوم للاسـتمداد، واعتقاد أنهم بحضورهم بين يدي الأولياء والصالحين تفيض عليهم أسرارهم و أنوارهم وبركاتهم وكراماتهم، ولذا فهم يحرصون على هذه الزيارات ويسافرون إليها إلى الأماكن البعيـدة، و لو كـان الغـرض هي الزيـارة الشـرعية لعلتها الشـرعية لاكتفـوا بزيـارة مقـابر بلـدانهم أو ما تيسر لهم دون تكلف، وقد كان أهل حضرموت يزورون القبــور على تلك الطريقة، سـواء قـبر نـبي الله هـود حسب زعمهم أو غـيره، حـتى إذا كـان القـرن التاسع غيَّرت تلك الطريقة التي يسمونها طريقة الفقهاء إلى الطريقة الصـوفية الـتي الغـرض منها ليس فقط السـلام والـترحم ولكن التوسل والاستمداد والتبرك بالمزور، والـذي فعل ذلك هو عبدالله العيـدروس المولـود (811 هــ) و المتـوفى سـنة (865 هـــ)كما يقـــول عبد اللاه[3] بن حسن بلفقيه في كتابه " الفرائد في تقييد الأوابد " حيث توقف العيـــدروس لمـــدة ثلاث عشرة سنة لأجل الحصول على الإذن بـذلك ثم جـاء الإذن الرباني[4]، فانظر كيف غير سنة الزيارة من الزيـارة السنية إلى الزيـارة البدعيـة، ولم يكتفـوا بنسـبة ذلك إلى أنفسهم بل نسبوها إلى الله، تعالى الله عما يأفكون.

المطلب الثاني: ظاهرة الزيارات القبورية:

بناءً على العلة التي وضعها القبوريـون لزيـارة القبـور، فقد كثرت تلك الزيارات كثرةً يستحيل إحصاؤها وحصرها، فمن زيارات مستمرة طول الأسبوع والشهر والسنة، إلى

---

1 (?) بذل المجهود ص (22-23).
2 (?) تذكير الناس ص (196-197).
3 (?) هكذا يكتب وينطق وهو عُرف عند بعض أهل حضرموت.
4 (?) انظر الفرائد ص(8 -9)

زيـارات أسـبوعية يخصص لها يـوم الجمعة أو غـيره، إلى زيارات حولية في تاريخ معين من السـنة إما لاعتبـار يـوم ميلاد المـزور أو يــوم وفاته أو لكونه قد أسسـها هو على ذلك في حياته، حيث يختار لها يوماً ذا مناسبة عظيمة عند القوم كيوم الثاني عشر من ربيع الأول يوم ميلاد الرسول ، أو السابع والعشرين من رجب يـوم الإسـراء والمعـراج بزعمهم، أو آخر جمعة منه، أو يوم النصف من شعبان لما فيها من فضائل حسب اعتقاد القوم، أو لتحري يوم زيـارة الحسـين بن علي عند الشـيعة في كـربلاء، فـإن أعظم زياراته أو من أعظمها زيـارة النصف من شـعبان، أو يـوم عاشوراء وهي كذلك يوم زيارة عظيمة للحسين .

وقد كنت عزمت على حصر وتتبع تلك الزيارات زمانــاً ومكانــاً مع اسم الــولي صـاحب الزيـارة ثم رأيت أن في ذلك تطـويلاً لا فائـدة منـه، فالزيـارات موجـودة مشـاهدة أكثرها ما يزال كما هو لم يتغير أو يُـزل والكل مسـلّم بـه، ومن إضـاعة الـوقت والجهد إثبـات مـالا نـزاع فيـه، وإنما يحــرص البــاحث على إثبــات ما ينــازع فيه الخصــم، لــذا فسـأكتفي بالإشـارة إلى أن تلك الزيـارات موجـودة على امتداد اليمن من أقصاه إلى أقصاه، سيما البلاد الشافعية، فما من محافظة إلا وفيها عـــدد من تلك الزيـــارات، وهي تتفق في معظم أمورها وتختلف في بعضــــها، وســــيأتي تفصيل ما يحصل فيها في المطلب الثـالث إن شـاء اللـه، والمهم هنا هو التنويه بهذه الزيارات والإشــارة إلى كثرتها واستمرارها، بل إن القـوم هـذه الأيـام يسـعون لتجديد ما انـــدثر منها، ففي كتـــاب يُعد من آخر ما نشـــره صـــوفية حضرموت وهو " الدليل القويم في ذكر شيء من عـادات تـريم " والغـرض منه كما يقـول مؤلفـه: (ودونته للحفـاظ على تلك القيم الدينية لينتفع بها الجميع وليرسخ في

الأذهــان على ممر الأزمــان)[1]، وخَتَمَــهُ بعــادة النزهة و المنادر في آخر بحثه، ثم قال: (وهكـذا إلى أن يحين وقت صـلاة العصـر، فيصـلون العصر في جماعة وينفضـون من المجلس عائـــدين من مواقع النزهة لـــذلك المنـــدر في طــريقهم إلى أحيــائهم ببلــدهم الغَنَّاء " تــريم " مســقط رأســهم، فيجمعــون ما عنــدهم من أدوات ومن فــرش، ويحملونها على الإبل والحمـــير، ويـــركب كبـــار السن والأطفـال، ويعـودون إلى حيهم بـالخليف وعيديـد، مـارين بمســـيال التربة وهم يترزحون فيما يســـمى بالخابّـــة، وأمـامهم البقـارة ينعشـون، والنسـاء على حافة الشـوارع ومن شـــرفات ونوافذ الـــبيوت يحجـــرن و يعيِّطن[2]، والجمــاهير محتشــدة تتفــرج وتشــارك في تلك الأفــراح يغمرها الفرح والسرور، ويعتبر هذا المندر عيدٌ كبرى ويوم سعيد، يسجل بماء الذهب وموسم عظيم جداً جداً، نسـأل الله تعــالى أن يحفظ لنا هــذا الــتراث القيم، ويقيض من يقــوم بأحيائه وبإعــادة طابعه على ما كــان وزيــادة، وأن يجمع الله الشــمل ويهلك ويــدمر من ضــيّع أو من أمــات وفوّت علينا هــذه العــادات الحســنة، وأن يوفق الله آباءنا وشيوخنا و مقادمتنا وقياداتنا السياسـية للحث على إحيـاء هذه العـادات وهـذا الـتراث الخالـد، وأن يكـون في عـون الجميع ويأخذ بأيـــديهم ويعينهم ويعـــاونهم على الحـــرص والســـعي لإحيـــاء ما انـــدرس من تلك الـــذكريات والله الموفق والمعين، وبهذا يكون الختام لـذكر نـزر يسـير من

---

1 (?) الدليل القويم في ذكر شيءٍ من عادات تــريم تــأليف حامد بن محمد بن شهاب طبع مكتبة تريم الحديثة - تــريم ط الأولى (1422-2002)ص (8).

2 (?) المــراد بـالحجير والتعييط مايسـمى بـالزغردة وهي صـوت تــردده المــرأه بلســانها في فمها عند الفــرح. انظــر: المعجم الوسيط (1/394).

بعض عـادات تـريم الـذي تضـمنته صـفحات هـذا الـدليل القويم، سائلاً المولى الكريم أن يكون جمعي لهذا الـدليل خالصـاً لوجه الله العلي العظيم لينتفع به الجميـع، و تـريم غنية عن الشهرة وحرصاً مني على إثبات ما جاء في هـذا الـــدليل ولغـــرض التـــبرك وحصـــول المـــدد جمعت هـــذه السطور تطبيقاً لقول القائل: " ما كُتب قـرَّ وما حُفظ فـرَّ " والله خير شهيد وهو حسبنا ونعم الوكيل... إلخ)[1].

وهـذه العـادات مع ما فيها من تجميع للنسـاء و حجـير وتعييط منهن أمــام الرجــال ونظــرهن إلى أولئك الــذين ينعشون أي يرقصون برؤوسـهم كالنسـاء، هـذا كله يقـول عنه المؤلف أنه يســجل بمـــاء الـــذهب ويـــدعو الله أن يحفظه، ثم يدعو بـالهلاك والتـدمير على من ضـيع وأمـات ذلك الـتراث وتلك القيم - ولعل القـارئ يعجب من ذلـك، فأقول: لا تعجب فإن هذا الأمر رتّبه سلفهم وجعلوه عادة، وما كان كذلك فلا اعتراض مهما اشتمل عليه من انحراف وفساد فإنها (من عـادات رجـال الهـدى القـادات الملحقة بالعبـادات لقيامها على أسس العلم والمتابعـات)[2]، هكـذا يقول عمر بن حفيظ في تقريظـه لهـذا الكتـاب، وقبله قد قـــال أحمد بن حسن العطـــاس: (وهكـــذا الســـلف في عـــاداتهم فإنها ملحقة بالعبـــادات عنـــدهم)[3]، وهـــذا كلام خطير أن يجعل تـرتيب وعـادة إنسـان مهما كـان، ملحقـاً بالعبـادات ﴿ أم **لهم شركاء شـرعوا لهم من الـدين ما لم يأذن به الله ﴾[4].**

---

1 (?) الدليل القويم ص (222-223).

2 (?) المصدرالسابق ص (235).

3 (?) الرحلة الدوعنية لعلوي بن طاهر الحـداد مخطـوط ضـمن مجموع كلام الحبيب أحمد بن حسن العطاس ورحلته إلى مكة ودوعن. ص(8).

4 (?) الشورى (21).

وبخصـوص هـذه الزيـارات الحولية يقـول المؤلف عند كلامه عن زيارة أحمد بن عيسى: (وتجدر الإشارة بالزيارة السنوية العامة لسـيدنا المهـاجر إلى الله أحمد بن عيسى ويحضـــرها جمع كبـــير من النـــاس من تـــريم وســـيئون وغيرهما، في يوم يتفق عليه من أيام شـهر محـرم، آملين إعادة تلك الزيـارة حسب المعتـاد وبالله التوفيـق)[5]، فهو يأمل أن تعـــود تلك الزيـــارة، إذن من يحلم بانتهـــاء تلك المظـاهر البدعية والشـركية دون عمل ودعـوة وبيـان لما فيها من المخالفة للسنة والوقوع في البـدع والخطر على العقيدة واستمرار الفساد من يحلم بذلك فهو واهم.

المطلب الثالث: شعائر الزيارات القبورية:

مـادام أن لكل عمل هـدفاً يُقصد من ورائه فلاشك أن القائم على ذلك العمل سيجتهد أن يكـون العمل مشـتملاً على كل ما يحقق الهدف المقصود منه، ولاشك أن مرتبي الزيارات القبورية ولاسيما الحولية منهـا، قد وضـعوا جملة أهـداف لتلك الزيـارات، من تلك الأهـداف: إظهـار شـرف المـزور، وإظهـار شـرف القـائمين على مقامه، والكسب المادي من وراء تلك الزيارة، واغتنام الزيـــارة لتعميق نهج القائمين على تلك الزيـارات، وغرسه في نفـوس العـوام، هـذه أهـداف عامة عائـدة إلى القـائمين على الزيـارات، وهناك أهداف خاصة بـالزوار، **منها:** الحصـول على بركة المزور ومدده كما مر في علة الزيارة، و**منها:** المشاركة في السـوق التجـاري الـذي يقـام بتلك المناسـبة، و**منها** الفُرجة والمشاركة في الملاهي التي هي من أبرز سـمات الزيارات.

ولأجل إظهـــار شـــرف المـــزور تـــراهم في بعض تلك الزيارات يُلبسون تابوته الثيـاب الجديـدة، وينصـبون عليها الأعلام الخاصة بـــه، فـــإذا أقبل الـــزوار أقبلـــوا ولهم زجل

[5] (?) الدليل القويم ص(16-17).

عظيم، وأصـوات عالية بـأنواع الأراجـيز والـتي تكـون في الغـالب تمجيـداً له وطلبـاً منه واسـتغاثة بـه، ومنها تلك العبـارة الـتي ربما تكـون عامة في معظم الزيـارات على الأقل في حضرموت وهي:

يا ولي الله جئنا إليك وطرحنا الذنب بين يديك

وحينـاً يـأتون بطبـولهم ومزامـيرهم ولهـوهم حـتى يدخلون إلى داخل القبة، ويطوف بعضـهم بـالتوابيت الـتي على القبور، وخذ وصفاً لواحد من تلك المشـاهد بقلم من لا يتهم عند القوم في عقيدته ولا في أمانته وهو علوي بن طاهر الحداد، يقـول - وهو يصف زيـارة الشـيخ سـعيد بن عيسى العمودي -: (... ثم يرتحلون إلى قيـدون وقد خـرج أكثر أهل البلد ولاسـيما النسـاء والأطفـال فيقومـون على جانبي الساقية، وفيها تمر الطريق ينظـرون إلى الـواردين حـــتى إذا كـــان آخر العشـــية جـــاء أهل الخابّة يلعبـــون ويرقصـون على طاسة يضـربونها وأناشـيد خشـنة تشـابه حركـاتهم، وهم يخبـون أي يسـرعون في مشـيهم ولـذلك سـموه " الخآبّـة " " بالمد والتشـديد " وأهلها من سـكان الهجرين، ويدخل العبيد ضحوة يوم الجمعة في زفتهم وقد أحـاط بهم الغوغـاء، فَيصَِـلُون قبة الشـيخ سـعيد و الإمـام يخطب فتمتلئ جـــوانب المســـجد بضـــجيج مزامـــيرهم ونقرهم[1] وطبولهم ولغطهم برطانتهم وضـربهم التـوابيت فلا يســمع خطبة الخطيب ولا قــراءة الإمــام إلا من دنى، وتمتلئ شـــوارع الســـوق بالنســـاء والرجـــال في زحـــام يتضاغطون يموج بعضهم في بعض ويصـدر عن ذلك أمـور يندى لها الجبين وتضحك لها الشياطين)[2].

---

1 (?) في القـاموس: النقر هو صـويت تـزعج به الفـرس ولعل المؤلف يريد به الأصوات المزعجة.

2 (?) الشامل في تاريخ حضرموت تأليف علوي بن طاهر الحداد طبع بســـنغافورة (1359-1940) بمطبعة أحمد المعـــروف،

وإليك وصــفاً آخر لزيــارة شــهيرة أخــرى هي زيــارة "الحــول" لعلي الحبشي صــاحب ســيئون فإنها ما تــزال ماثلة إلى اليــوم لم تنقص بل تتطــور، وقد كــان الحــزب الاشــتراكي في آخر أيامه يشــارك فيها بإرســال الجنــود لحفظ النظام، قال صاحب الـدليل القـويم: (ثم نـأتي إلى المراســيم الــتي يتم بها حــول الحــبيب علي بن محمد الحبشي بمدينة ســيئون، فتبــدأ تلاوة القــرآن من العاشر من شهر ربيع الثـاني في قبة الحـبيب علي، ما بين وقـتي الظهر والعصر وتنتهي بــــأداء صــــلاة العصر بمســــجد الرياض[1]، ثم تستأنف الجلسة بالقبة بين العشـائين بتلاوة القــرآن، وتختم الجلسة بإنشــاد قصــيدة للشــيخ بكــران باجمّال قالها مديحة في الحبيب علي، وهكـذا في كل ليلة تختم الجلسة بالنشيدة للشـيخ بكـران أو غـيره، وبعد ذلك يــوهب المعلم ثــواب القــراءة إلى روح الحــبيب علي ثم يرتب القائم بالمقام الفاتحة، وبعد قراءتها يقف عند بوابة القبة في الجهة الشـمالية ويقـوم معه البعض من السـادة آل الحبشي وغيرهم وينشدون الموخذ[2] " الله الله يا الله لنا بالقبول " ويضربون الدفوف أثناء الموخذ وبعد الانتهــاء من ذلك يــؤذن لصــلاة العشــاء وبعد الصــلاة ينصــرفون، وهكذا تستمر هذه الجلسات بالقبة المـذكورة وتضـاف لها جلسة قبيل الفجر وتنتهي بصــــلاة الصــــبح في مســــجد الرياض.

ويتوافد الكثير من الناس إلى مدينة ســيئون ويمكثــون بها عدة أيام لغرض حضور الجلسات بالقبة وحضور جلسة

سنغافورةص (216).

1 (?) مســجد الريــاض اسم المســجد الــذي بنــاه علي الحبشي بسيئون.

2 (?) الموخذ: نوع من السماع الصوفي يحتوي على إنشاد بعض القصائد مع استخدام الدفوف في حال المشي.

الحول، وخلال أقامتهم بسـيئون يتبـادلون الزيـارات لبعض الحبايب والأعيان لالتماس البركة وطلب الإجازة والإلباس والإطعام، وتعتبر تلك الأيام أيـام فـرح وابتهـاج بلقـاء أهل العلم والخير والصلاح بعضهم بعضاً.

وفي اليـــوم الثـــامن عشر من الشـــهر في الفـــترة الصـباحية يعقد اجتمـاع كبـير بمناسـبة التلبيسة للتـابوت الذي على ضـريح الحـبيب علي فيتم التجمع أولاً في بيت الحبيب القائم بالمقام، وتحتوي الجلسة على السـماع من قبل آل باصالح وغيرهم من المنشدين، ويدار البخور أثنـاء الجلسة ثم يُـرتب الفاتحة القـائم بالمقـام، ويـدعو الله، وينصـرف الحاضـرون ويتجمعـون تحت الـبيت، ويتحـرك المـوكب الكبـير تتقدمه فرقة آل باصـالح، و يليهم القـائم بالمقام والسادة الأعيان الذين حضـروا لغـرض المشـاركة في التلبيســــة، ثم تليهم مجموعة تحمل التلبيســــة، في شـكل مثـال خـاص بهـا، يـرددون ألحـان وأراجـيز أثنـاء مشيهم، وتأتي خلف هذه المجموعة فرقة الشبواني[1] من رجال الحافة، ويسـتمر ذلك الـركب مواصـلاً السـير حـتى يصـلون إلى قبة الحـبيب علي فينشـدون الموخذ المعتـاد "الله الله يا الله لنا بـــالقبول " ثم ينشد المنشد بقصـــيدة للحبيب علي، وبعد ذلك يتكلم القـائم بالمقـام ويشـرح ما يتعلق باللبـاس، وما يقـوم به الحاضـرون وما جـاءوا من أجله بحسن نية والتمـاس البركة وتعظيمـاً للعلم ولرجـال العلم وما يســــــــتحقه أهل العلم، ويختم كلمته بتلقين

---

1 (?) الشبواني: وهي رقصة الحرب والسـلم بقسـميها، مسـيرة العــدة، والرقصة عقب الشــعر، وتقــام هــذه الرقصة في كل منـــاطق حضـــرموت انظـــر: (الأوضـــاع الاجتماعية والثقافية والاقتصـادية والسياسـية في حضـرموت ص (46) تـأليف عبد الله سعيد سـليمان الجعيـدي، دار الثقافة العربيةجامعة عـدن، ط الأولى (1918 هـ - 1945م).

الحاضـــرين بالجلالة وبالفاتحة والابتهـــال بالـــدعاء، ثم يخرجــون من القبة بالســماع والشــبواني و المــرازح[1] عائـــدين إلى بيت المقـــام وعلى ملامح الجميع الفـــرح والســرور، وجلسة ما بين العشــائين لتلك الليلة تحتــوي على ختم القرآن من سورة الضحى إلى سورة النـاس ثم الوهبة والنشــيدة المعتـــادة وقـــراءة الترجمة الخاصة بالحبيب محمد بن علي الذي توفي بتاريخ (18 ربيع الثاني سنة 1368ه)، وتعتبر هـذه الجلسة حـولاً سـنوياً للحـبيب محمد بن علي، وذكـرى تاريخية لما قـام به من عمل وما رتبه لحول والده نفعنا الله بهما آمين.

وفي يــوم عشــرين من الشــهر نفسه يتم الاحتفــال الكبـير الـذي يضم الجمـوع الغفـيرة الـتي تفد من معظم مــدن وقــرى حضــرموت وغيرها من البلــدان الأخــرى، لحضور جلسة الحول المشـهودة، ويكفي الحـبيب علي ما قاله فيه شـيخه الحــبيب أبو بكــر بن عبدالله العطــاس: (ســتكون يا علي مغنــاطيس القلــوب)، وتحتــوي جلسة الحـول على تجمع النـاس والتفـافهم داخل القبة وخارجها من جميع الجهات، وتبـدأ الجلسة بإشـارة القـائم بالمقـام على المعلم فيلهج ويقول: (فـاعلم أنه لاإله إلا الله فيتبعه الحاضرون مـرددين معه كلمة التوحيد وبعد ذلك يبـدأ ختم القرآن من الضـحى إلى سـورة النـاس، وبعد الانتهـاء من الختم يقــوم المعلم بالوهبة إلى روح صــاحب المناســبة وأصوله وفروعهم، ثم يقـرأ الـدعاء الخـاص بختم القـرآن، وبعد ذلك يأتون بالموخذ الـذي مطلعـه: يا الله ارحم علي الحبشي وحقق متابة... إلخ، ثم الإنشاد بالقصيدة:

---

[1] (?) وهي القيـام بحركـات وخطـوات بـالرجلين بصـورة إيقاعية الى الأمـام والخلف أو بـالقفز الجمـاعي في مـواقعهم، انظر: (الفكر والمجتمع في حضرموت) تأليف: كرامة مبارك بـامؤمن ص (295) ط الأولى.

لكم بشــــرى الإجابة والقبـــول من المـــولى بواسطة الرسول.

وبعدها تقرأ الترجمة الـتي جمعها ابنه الحـبيب محمـد، ويـدار خلال الجلسة البخـور والمـاء، وبعد قـراءة الترجمة يقـــوم القـــائم بالمقـــام بكلمة الوعظ والتـــذكير ويعطي المناســـبة حقها ويختم كلمته بتلقين الحاضـــرين الجلالة والفاتحـــة، ثم يــرتب الفاتحة الختامية للجلســة، ثم يبتهل بالدعاء و بعد ذلك يصلون صلاة العصـر، وبعد أداء الصـلاة ينصـــرف الجميع مـــؤملين القبـــول والعيـــادة في عافية وسلامة، سنيناً عديدة وأعواماً مديدة؛ وتبقى جلسة أخرى مهمة جـداً وتعتـبر مكملة للحـول تسـمى بالروحة فتنعقد تلك الجلسة بالقبة بين العشـائين من مسـاء اليـوم نفسه فيأتي الحبيب القائم بالمقام ويصحبه ركبه العظيم بعد أن صلوا المغرب بمسجد الرياض، تتقدمهم فرقة آل باصــالح والجموع محتشـدة داخل القبة وخارجهـا، وقد أدوا فريضة المغرب مترقبين وصول ذلك الموكب ليأخذ كل مكانه، ثم تبـدأ الجلسة من قِبل آل باصـالح وغـيرهم من المسمِّعِين الذين يشير عليهم القـائم بالمقـام، وهكـذا تسـتمر جلسة الروحة إلى أن يحين وقت صــلاة العشــاء فيصــلون وبعد الصلاة تقام المـرازح يشـاركهم القـائم بالمقـام أفـراحهم بمشاركته الفعلية بينهم وتنتهي بوصوله إلى بيته العامر.

ومما نشير إليه استضافة الكثير من الوفـود الـتي تـرد من المكلا والشـحر وغيرها إلى بيت القـائم بالمقـام خلال أيام الحول، فيمكثون عنـده ببيته لمـدة أيـام، وفي مسـاء ليلة الحادي والعشرين من الشهر يوجه المتصـدر الـدعوة للكثـير من المناصب والأعيـان وغـيرهم إلى بيته لحضـور حفل الحول الختـامي، ويحتـوي ذلك الحفل على الحـديث المتبادل من قبل المدعوين ويتخلل ذلك السـماع من قبل آل باصالح وغيرهم من المسمِّعِين ثم تقدم وجبة العشـاء،

وبعد تناول الطعام تستأنف الجلسة و يدار الشاي ويتبادل الحاضرون القصص الترفيهية والتسـميع من آل باصـالح و يتم عليه الــزفين المعــروف، وتســتمر الجلسة إلى وقت متــأخر من الليــل، وتختم الجلسة بتــدوير البخــور على الحاضـرين ويـرتب الفاتحة ويـدعو اللـه، ويـودع ضـيوفه وزواره الكــرام وبــذلك يحصل الختــام، أعــاد الله على الجميع تلك المناسبة سنيناً عديـدة وأعوامـاً مديـدة ببركة الحـبيب الأعظم حبيبنا محمد وآله وأصـحابه خـير الأمم، وخيرة العرب والعجم، ومن سار على ذلك القدم.)[1].

ويــرى الشــيخ علي بن أحمد باصــبرين أن مايُفْعل من ذلك يــراد به تعظيم ذلك الــولي كما أن الحجـاج يرفعـون أصواتهم بالتلبية تعظيماً لله تعالى. قال - رحمه الله - في الحادية والعشــرين من المنــاهي الشــرعية: (لا يتقــرب ويعظم بالصـلاة و النسك - عين الـذبح - لغـيره تعـالى ولا ينسب الإحيــــاء والإماتة إلا إلى الله العلي الأعلى الملك الكبير الأكبر، فالـذبح لغـيره المسـمى بـالعقيرة عنـد أهل إقليم دوعن وتوابعه من أعظم البليــات الــتي ابتلــوا بها وذلك حـرام بالإجمـاع لأمـور **منهـا:** قطع عصـبة البهيمة مــتى وصــلت إلى تحت مكــان المعظم لتعــذيب ذلك الحيوان، و**منها:** كـون العـاقر كالإله الأعظم وذلك حـرام حيث والأصل تقــرب إليه بما شـــرع الله التقــرب إليه بخصوصه، و**منها:** كون العاقر يأتي بــالعقيرة بجمع حافل ولربما اختلط فيه النسـاء بالرجـال أو نظـرن إليهم بزامل هو عند الجهلة لتعظيم المعقورله بمنزلة تلبية وفد الله تعالى بالحج والعمرة، وهذا من أعظم المنكـرات، وأعظم منها ســكوت أهل العلم عنهم فيما لو فــرض ســكوتهم فضلاً عن رضى عاقل بذلك)[2].

---

1 (?) الدليل القويم ص(34-40).

2 (?) المهمات الدينية في بعض المـرتكب من المنـاهي الربانية

فهذه بعض الشعائر العائد أثرها على صاحب المقام أو على القائم على ذلك المقـام مما يتعلق بتعظيمه وإظهـار شـرفه، وأما الكسب المـادي فيتمثل في النـذور والـذبائح الــتي يــأتي بها الــزوار وهي من أصــناف متنوعة ما بين حبوب ونقود وأغنام وأبقار وسمن وعسل وغير ذلك، وأما ما يتعلق بما يعــود على الــزوار أنفســهم فهو اســتمداد البركات والشفاء من الأمراض والعاهات والاستسـقاء عند القحط واسترضاء الـولي فيما لو صـدر منهم ما يتوهمـون أنه أغضبه.

وقد صور علوي بن طاهر الحـداد ذلك تصـويراً حسـناً فقــال: (قيــدون هي مثابة أهل بــوادي الدَّيِّن والمشــاجر والبلعبيد وما والاهم، ولاســـيما في فصل الخـــرف وهو موسم نزول الأمطار وهو إحـدى وتسـعون يومـاً أولها من دخول نجم النعـام الموافق لأول يـوم في جـولي أو لثانية على الخلاف الآتي شـرحه، تـأتي هـذه القبائل يتلو بعضـها بعضـاً زائـرة للشـيخ سـعيد تطلب الغيث لبلادها والعـادة أنهم يصلون إلى رأس الجبل المشرف على قيدون عشية الخميس فإذا أشرفوا عليها هللوا يقولون: عموم! عمـوم! يا شيخ سعيد! يا شـيخ سـعيد! ثم يـنزلون العقبة يزملـون بالزاي المعجمة أي يرتجزون، قـال في شـرح القـاموس: والزمل محركة الرجز وسـمعت ثقيفـاً و هـذيلاً يـتزاملون أي يـــتراجزون أه، ويقـــال له الزمل والزامـــل، ولهم في زملهم أشـعار رصـينة يصـفون فيها سـيرهم وبُعد شـقتهم وأنهم جاءوا إليك أيها الشيخ سعيد يبتغون السـيل والغيث فبلادهم مسنتة وعار عليك إذا رجعنا بلاكرامة.

وأشعارهم تـدور حـول هـذا المعـنى، وكل طائفة منهم

ص (9) تـأليف الشـيخ علي بن أحمد با صـبرين تحقيق أكـرم مبـارك عصـبان، مصـفوف بـالكمبيوتر عن مخطوطة بمكتبة الأحقاف.

تحرص أن يكـون معها شـاعر ينظم لها الزوامل فيـذهبون إلى ضريح الشيخ سعيد ويـدورون بتابوتـه، وبما عنـده من التــوابيت وهم يزملــون، ومنهم من يــأتي بآنية الســمن ويســمونها " صــمرة "، واحــدها صــمار فيصــبونها على التابوت، وقد يثب أحدهم إلى أعلاه ليتمكن من صبه، وأما ما يــأتون به من النــذور من غنم أو نقد أو حبـوب فــإنهم يسـلمونها للخطيب أي القـائم من قبيلة آل باراسـين وهم خطباء مسجد الجامع، وإليهم تسـاق النـذور ويـذهب منهم رسل يبعثهم القــائم المــذكور إلى البــوادي فيجمعــون له حصة من العشـور أي الزكـاة و ما لـديهم من نـذور، فـإذا قضوا الزيارة دخلـوا إلى المسـجد وهم يزملـون، وطلعـوا منارته فإذا علوها صاحوا بقولهم: عموم! عمـوم! يا شـيخ سـعيد! ولا يزالــون على هـذا الديـدن طـول ليلة الجمعة ويومها قلما يرقدون أو يسـتريحون، ويعـودون إلى بلادهم يــوم الســبت والخطيب القــائم المــذكور يضــيفهم ليلة ورودهم.

وإذا مرت لهم سنين ولم يغـاثوا أو توهمـوا أن الشـيخ سعيد عاتب عليهم فإنهم يأتون بعقـيرة والمـراد بها بقـرة أو جمل يـأتون بها يزفونها بـزاملهم حـتى إذا وصـلوا إلى البـاب الموصل إلى ضـريح الشـيخ عقروها ونحروها وهم يصيحون باسم الشيخ سعيد قائلين: يا شيخ سعيد! بحرك! مع نحرها أو ذبحها ويعنون بقولهم: بحـرك! نطلب بحـرك، وبحرك معناه عنـدهم بحر برهانه، والبرهـان هو التصـرف والتأثير والكرامات، ثم يتركونها فيتكـالب عليها من ضـري بأكلها فيجرونها إلى بعض الـــدور ويوصـــدون البـــاب ثم يعملون فيها شفارهم بسرعة يبادر بعضهم بعضاً مع ضجة وتهديد و هرير ثم يخرجون ركضاً منهم المسرور؛ لأنه أخذ منها قطعة جزلــة، ومنهم المتــبرم والغاضب والمحــروم، والنصيب الأكبر لبعض كبراء أهل البلد، وإذا كثر طبخـوه و

جففوه وكنزوه للأيام المقبلة، وقد يـأتي القبائل بعـدة من العقــائر، وهم يقولــون العقــير بفتحــتين على التخفيف والمـراد بها تلك القـرابين، كما فعل ذلك قبيلة الـزي حين غلبوا مراراً في حربهم مع الحالكة، وقد تقـدمت الإشـارة إليه فإنهم جاءوا بعـدة منها يطلبـون بها النصر من الشـيخ سعيد على أعدائهم وهذه العقائر " القرابين " مما أهل به لغـير الله فهي ميتة حـرام أكلها والانتفـاع بهـا، قـال الله تعـــالى: **وما أهل لغـــير الله به** [1] ونص على ذلك العلماء في كتب الفقه لا يخفى على طالب العلم)[2].

هـذه صـورة مبسـطة عن علل الزيـارات وشـعائرها وبعض مــايجري فيها مما يفسد العقيــدة والأخلاق وينشر الفساد والأمراض الاجتماعية، وكثير من القبورية يزعمون أنهم هداة للخلق ومرشدون للأمة، وهم مع ذلك ســاكتون عن هذه المناكر، لست جازماً أنهم يعدونها مناكر فقد مـرّ في أول هــذا المطلب أنهم يمجِّدونها ويــرون أنها ملحقة بالعبادات، فإن كانوا يرونها منكراً فقد أماتوا شعيرة إنكار المنكر لأجل ما وجـــدوا عليه آبـــاءهم، ولأجل استرضـــاء أتباعهم، وإن كـانوا لا يـرون ذلك منكـراً فهو تغيـير للـدين كما سـيأتي تعليق علـوي بن طـاهر الحـداد على ذلك في المطلب الرابع إن شاء الله.

وأختم هـــــــذا المطلب بكلام نفيس للقاضي العلامة عبدالله بن عـوض بكـير ختم به رسـالته المسـماة " رفع الخمـار عن مثـالب المـزار " فقـال - رحمه الله -: (ومنه يعلم أن جميع الزيارات المعروفة في الجهة مناكر وضلالة بما اشـتملت عليه من الأمـور المخالفة للشـريعة، فكيف يسوغ الحضـور فيها وهي سـبيل من السـبل المشـار إليها فيما رواه الـدارمي من أنه خط خطـاً ثم قـال: **$هـذا**

---

1 (?) المائدة (3).

2 (?) الشامل ص (214-215).

ســـبيل اللـــه، ثم خط خطوطـــاً عن يمينه وعن شماله ثم قال: هـذه سـبل على كل سـبيل منها شـيطان يـدعو إليـه، وقـرأ: ﴿ **وأن هـذا صـرا طي مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السـبل فتفـرق بكم عن سـبيله**[1] ﴾[2] #)فالقـائمون في فعلها نـوابٌ أنـابتهم الشياطين عنهم، فعليك أيها الأخ بالاتباع، ولاتغـتر بمـدعي العلم، المثابرين على مائـدة المـزار، فـإنهم ممن لا خلاق لهم، فقد قـال ﷺ: **$لا تزول قـدما عبـدٍ يـوم القيامة حتى يسأل عن عمره فيما أفنـاه وعن علمه فيم فعل به... #**[3] الحديث.

وأخــرج الشــيخان: **$يجــاء بالرجل يــوم القيامة فيلقى في النــار فتنــدلق أقتابه فيــدور بها كما يـــدور الحمـــار برحـــاه، فيجتمع أهل النـــار عليه فيقولـــون: يا فلان ما شـــأنك، أليس كنت تأمرنا بـــالمعروف، وتنهانا عن المنكر؟ فيقـــول: كنت آمــركم بــالمعروف ولا آتيه وأنهــاكم عن المنكر**

---

1 (?) الأنعام (153).

2 (?) أحرجه أحمد في المســـند(1/435)، وابن أبي عاصم في السنة (1/13)طبع المكتب الإسلامي الطبعة الثانية (1405هـ-1985م)، والدارمي في السنن (1/67)طبع دار الكتب العلمية ببيروت بـدون تـاريخ" بـاب كراهية أخذ الـرأي "، والحـاكم في المستدرك (2/318) كتاب التفسير باب تفسير سورة الأنعـام وقال: (صحيح الإسناد ولم يخرجـاه) وقـال الشـيخ الألبـاني في تخريج السنة: (إسناده حسن).

3 (?) رواه الترمــذي (4/612) كتــاب صــفة القيامة بــاب في القيامة، وقال: هذا حديث حسن صـحيح والـدارمي في سـننه (1/135) (باب من سـره الشـهرة والمعرفـة) وصـححه الشـيخ الألباني في صحيح سنن الترمذي (2/290) رقم (1970) وفي السلسلة الصحيحة رقم (946).

وآتيه#[1].

وأخـــرج الطـــبراني: () **أن أناســـاً من أهل الجنة ينطلقون إلى أناس من أهل النـار فيقولـون: لم دخلتم النــار؟ فوالله ما دخلنا الجنة إلا بما تعلمنا منكم، فيقولـون إنا كنا نقـول ولانفعل#**[2] وورد: **$شرار الناس، شرار العلماء#**[3].

أقـول: وإنما كـان وزر العـالم أقبح، وعذابه أعظم؛لأنه قدوة لغيره، فإذا خاض في المخالفـات ذراعـاً خـاض فيها غـيره باعـاً، فلـذا لما لم يـزل طلبة العلم يتهـافتون على مائدة المزار تهافت الفراش على النار غروا الجهلة بإيراد موارد الهلاك فتراهم مسارعين إليها، مثابرين عليها، حـتى اقتدت العامة بهم، فبـاءوا بـإثمهم وإثم أتبـاعهم، وليحملن أثقـــالهم، وأثقـــالاً مع أثقـــالهم، ولو اجتنبوها واعتزلوها لتقهقرت العامة عنها)[4].

المطلب الرابـــع: الفســـاد الأخلاقي في الزيـــارات وصلته بالعقائد القبورية:

---

1 (?) رواه البخاري (6/331) كتـاب بـدء الخلق بـاب صـفة النـار وأنها مخلوقة ومســـلم (4/2290-2291) كتـــاب الزهد، بـــاب عقوبة من يأمر بالمعروف ولا يفعله وينهى عن المنكر ويفعله.

2 (?) أخرجه الطـــبراني في الكبـــير (22/150) عن الوليد بن عقبة، وقـال: قـال الهيثمي في مجمع الزوائد (1/185): (وفيه أبوبكر الداهري، وهو ضعيف جداً) وضعفه الشيخ الألباني رحمه الله في ضعيف الجامع الصغير طبع المكتب الإسـلامي بـيروت ط الثانية (1399هـ-1979م) رقم(1819)، وضعيف الـترغيب والـترهيب طبع مكتبة المعـارف بالريـاض ط الأولى (1421هـ-2000م) رقم (1396).

3 (?) رواه الـــبزار كما في كشف الأســـتار (1/96) رقم (167) وضعفه الألباني في ضعيف الجامع الصغير (3380).

4 (?) رفع الخمار عن مثالب المزار ص(30-32) للشيخ عبدالله عوض بكير تحقيق فائز سالم بن سعيدان طبع عام (1998م).

الفســـاد الأخلاقي في الزيـــارات القبورية لا شك في وجوده، وليس بالضرورة الزنا واللـواط بالـذات فإنهما قد يحصـلان في بعض الزيـارات وقد لا يحصـلان في البعض الآخر، ولكن اختلاط الرجال والنســاء ونظر كل منهما إلى الآخر في حـــال الغنـــاء والطبـــول والمزامـــير المهيِّجة للشـهوات، كما يحصل أيضـاً القمـار في بعضـها والسـكر والمخـدرات في البعض الآخـر، وأنـواع من الفسـاد قد لا نعرفها، ولذلك فإنهم إذا أرادوا مدح بعض الزيـارات قـالوا إن الفساد فيها قليل أو أقل من غيرها أو نحو ذلك.

يقـــول العلامة ابن عبيدالله وهو يتحـــدث عن زيـــارة المشهد - وهي من أشهر زيارات حضرموت الحولية تقـام في الثـــاني عشر من ربيع الأول - يقــول: (ولا تــزال تلك العادة متبعة إلى اليوم وهذا المولد من أقل الموالد بــدعاً ومفاسد إلا ما قد يقع من اختلاط الرجـال بالنســاء، ولكن لم يشتهر عنه فساد ولا مـانع أن يكـون ذلك ببركة إخلاص مسوِّسه وحسن نيته)[1].

والشـاهد من هـذا النقل قولـه: (وهـذا المولد من أقل الموالد بدعاً ومفاسد إلا ما قد يقع من اختلاط... إلخ)، إنه بمثابة اعتراف أن غير هذه الزيـارة أو هـذا المولد فيها ما هو أعظم من مجـــرد الاختلاط، ولا شك أن ذلك موجـــود، وقد صرح لي بذلك الكثـير من المعايشـين لتلك الزيـارات بكثـــير من ذلك في تهامة ومحافظة تعز ولحج و شـــبوة وحضـــرموت - المكلا والشـــحر وســـيئون و دوعن وبعض البـوادي - والـذي وجدته مكتوبـاً صـريحاً مفصـلاً هو كلام العلامة علــوي بن طــاهر الحــداد، وهو كلام قــوي مـتين، بنـبرة المنتقد المنكر لما يقع في زيـارة الشـيخ سـعيد بن عيسى العمـودي ببلـدة المتكلِّم قيـدون، وأنا عنـدما أنقل هذا المثال فليس غرضي الإساءة إلى أهل قيــدون أو إلى

1 (?) إدام القوت ص (159 - 160).

الشـيخ سـعيد بن عيسى وذريته فالشـيخ سـعيد قطعـاً لا يعلم بما يفعل النـــاس عند قـــبره، وإن كـــان القبورية يزعمون أنه يعلم ذلك ويتحمله عن فاعليه كما سيأتي في كلام الحـداد منكـراً عليهم، وذريته العقلاء لا يقـرون ذلك ومع هــذا كله فبجهد الأخيــار من ذريته وغــيرهم قد زال معظم ذلك الآن حـــتى أنهم أخرجـــوا موقع الســـوق المصاحب للزيارة إلى خارج البلد، وأصبح من يـزور القـبر قليل جــداً من النــاس، وإنما همُّ النــاس الآتين في ذلك الموسم هو التسـوق لا غـير، ولكـني مضـطر لإثبـات هـذا النقل للتـدليل على ما تتضـمنه تلك الزيـارات من فسـاد، وإن كان في غابر الـدهر فـإن الـداعين اليـوم إلى إعادتها جـادون في إعادتها بكل ما فيهـا، وكل ما فيها قـبيح إلا ما شاء الله، وهذا المثـال هو مثـال تقريـبي لبـاقي الزيـارات وإن كان لكل زيارة خصوصيتها.

قال السيد علوي بن طـاهر الحـداد واصـفاً ما يقع في زيارة الشيخ سعيد بن عيسى العمودي من فســاد أخلاقي وعقائـدي: (ويـدخل العبيد ضـحوة يـوم الجمعة في زفتهم وقد أحاط بهم الغوغاء فيصلِون قبة الشيخ سـعيد والإمـام يخطب، فتمتلئ جـــوانب المســـجد بضـــجيج مزامـــيرهم ونقرهم وطبـولهم ولغطهم برطـانتهم وضـربهم التـوابيت، فلا يسمع خطبة الخطيب ولا قـراءة الإمـام إلا من دنى، و تمتلئ شـــوارع الســـوق بالنســـاء والرجـــال في زحـــام يتضاغطون يموج بعضهم في بعض، ويصدر عن ذلك أمـور يندى لها الجبين، وتضحك لها الشياطين، والنساء مزينــات يسـتترن بشـقة وبرقع تبـدو منه المحــاجر، وتــرمى منها النصــال، وتسل الخنــاجر، ويظهر المتبرجــات منهن وهن الأكــثر من أعنــاقهن ونحــورهن وأذرعتهن وأســوقهن ما يسـتجلبن به نظر الرجـال إليهن وتتبع الفسـاق لهن، ويقع مع شدة الزحام وتضاغط الأجسـاد ما لا يعـبر عنـه، وهـذا

المنكر الـــذي يغضب الله على فاعليه إنما حـــدث منذ سبعين سنة أو نحوها، وماكان النساء يـأتين لهـذه الزيـارة ولا يخرجن إلى الأسواق بهـذه الصـفة، وقد قـام في منعه شيخنا الحبيب طاهر بن عمر الحداد فعُـورض من بعضـهم وكاد الأمر يفضي إلى تعب شـــديد، وذوو العقائد الزائغة من الجهلاء والحمقى يعتقدون أن بحر الشيخ سعيد يحمل إثمهم، ويسكت لهم على ذلك، موهماً لهم صحته من يبيع دينه بعرض من الدنيا قليل، ويسعى في بقـاء الحـال على ما هو عليه من اجتمع له الجـــاه ونفـــوذ الكلمة والجهل والبعد عن الدين والجفاء عن الإسلام.

وقد رُفع إلى الحـبيب عبدالله بن علـوي الحـداد خـبر اجتمـــاع نســـاء في محل قـــريب من محل الرجـــال في الواسط قرية من أعمال الشحر، بحيث تسـمع أصـواتهن، فشدد في ذلك، فكيف بمثل ما يقع في هـذه الزيـارة وهو الإختلاط وتضـــاغط تتلاحم فيه الأجســـام، وتتـــدافع فيه الأعضاء، وأكثر المتسمين بالعلم تجبن نفوسهم من إنكــار ذلك خوفـــاً أن يـــرميهم العـــوام والمتظـــاهرون بالتعـــالم والصـــلاح بفســـاد العقيـــدة؛ لأنهم لا يقـــرون بحل الزنا والفسق للزناة و الفساق في زيـارة الشـيخ سـعيد مع أن بحره يسـع، وعنـدهم أن بحـره ينسخ الشـريعة الإسـلامية ويمحو حكم القـرآن ويـرد نهي اللـه، ويحل ما حـرم اللـه، ومن صـدق قـول الله ورسـوله ﷺ وكتابه العزيز في حرمة الزنا والفسق هنالك فهو زائغ العقيدة، فهل سمعت بجهل أغلظ من هذا الجهل؟ وهل كانت الجاهلية التي كان عليها العرب قبل الإسـلام إلا دون هـذه الجاهليـة؛ لأن أولئك لم يكن عندهم دين محفوظ، ولا قـرآن يتلى، وإنما كـانوا في فترة من الرسل بخلاف هؤلاء.

وليعلم كل من وقف على كتابنا هـــذا أن من كـــذب بحرف واحد من القرآن كفر فكيف بمن كـذب بآيـات منه

كثيرة، وقد أخبرنا الله فيه أنه لا يغفر أحد الذنوب إلا الله، قــال الله تعــالى: ﴿ **ومن يغفر الــذنوب إلا الله** ﴾[1]**؟** وأنه لا يحمل أحد ذنب غيره كائناً من كان قال الله تعالى: ﴿ **ولاتزروا وازرة وزر أخرى** ﴾[2]، وقـال تعـالى: ﴿ **وما هم بحـــاملين من خطايـــاهم من شـــيء وإنهم لكــاذبون** ﴾[3]**،** وقــال تعــالى: ﴿ **وإن تــدع مثقلة إلى حملها لا يحمل منه شــيء** ﴾[4]، وقـال تعـالى في أمر الزنـــا: ﴿ **ولا يزنـــون ومن يفعل ذلك يلق أثامـــا. يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه مهانــاً. إلا من تاب وآمن وعمل عملاً صالحاً** ﴾[5] فمن كذَّب بما دلت عليه هذه الآيات ممن له إسـلام صـحيح فقد ارتد وطلُقت منه زوجته وصـار ماله فيئـاً لمصـالح المسـلمين، ومن كـان من صـغره مصـراً على هـذا الاعتقـاد فهو على غير ملة الإسلام وعليه إذا أراد أن يكون مسلماً أن يشـهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، ويؤمن بــالقرآن وما جاء به ﷺ ومن كفر فإن الله غني عن العالمين.

ومنهم من يقـول: بُصْـر الشـيخ سـعيد، يعـني أن الأمر راجع إليه إن أراد أن يغير ذلك الفسق أو يبقيه؛ فردوا إليه الأمر والنهي والشرع والقدرة والتغيير، ومنهم من يقــول: لو ما بغاه الشيخ سعيد ما وقع! وهذه الكلمة كــالتي قبلها تعود إلى الكفر بالله وتكذيب الرسل والشـرائع، ومعارضة أمر الله وحكمه، وقد نعى الله على المشـركين مثل هـذا القــول مع أنهم أرجعــوه إليه ﷻ لتضــمنه تكــذيب الرسل والكتب المنزلة ومحو الــدين، فــإن رسل الله دعتهم إلى

---

1 (?) آل عمران(135).
2 (?) الإسراء (15).
3 (?) العنكبوت (12).
4 (?) فاطر (18).
5 (?) الفرقان (68، 69، 70).

عبـادة الله وحـده وأن لا يحرمـوا شـيئاً لم يحرمه اللـه، فـاحتجوا على الرسل بأنه لو أراد الله لما فعلنا شـيئاً من ذلك فردوا أمر الله وشرعه وما جاءتهم به الرسل بقولهم المـذكور في قوله تعـالى: ﴿ **وقال الـذين أشـركوا لو شـاء الله ما عبـدنا من دونه من شـيء نحن ولا آباؤنا ولا حرمنا من دونه من شـيء كـذلك فعل الـــــذين من قبلهم فهل على الرسل إلا البلاغ المـبين** ﴾[1] يعنـون به أن الله قـادر أن يمنعنا عن هـذا الفعل فلما تركنا عليه كـــــان ذلك دليلاً على أنه يحبه و يرضاه، وهو مثل قول هؤلاء: " بُصْر الشيخ سعيد " أي أن الشيخ سعيد قادر على إزالة الفسق المذكور فتركه له مع قدرته على إزالته دليل على محبته له ورضاه فجعلـوه مع اعتقادهم أنه من الصالحين محباً للزنا والزناة، والفسق و الفسـاق راضـياً بـذلك، وكـان قـول المشـركين أدل على الفهم من قـــولهم؛ لأن أولئك ردوا الأمر و التغيـــير إلى الخالق، وأما هؤلاء فردوه إلى المخلوق سـاء ما يحكمـون وسـاء ما يتوهمـون، وسينكشف لهم الغطـاء يـوم القيامة ويظهر لهم ما لم يحتسـبوا ﴿ **وبـدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون** ﴾[2].

واعلم أنا سمعنا هذه الكلمة منهم مراراً وتكـراراً عند ذكر كل منكر يقع في هـذه البلـدة من السـرقات والظلم وغير ذلك، ونسخوا بقولهم هذا الشـرع ومحـوه، فنسـخوا مشروعية الموعظة والنصـيحة والتعليم والأمر بـالمعروف والنهي عن المنكر والحلال والحـرام والفـرض والمنـدوب وأحكام الحدود والجنايـات بل سـائر أحكـام الشـرع، بل لا حاجة مع قولهم هذا إلى إرسال الرسـل، ولا إنـزال الكتب ولو تنصر الناس أو صاروا يهوداً أو عبدوا الأوثان لمَا وجب

---

1 (?) النحل (35).
2 (?) الزمر (47).

نصـحهم ولا نهيهم بل ولا حاجة لـذلك عنـدهم، ومع أنّ ما ذكرته هنا من ضروريات الدين، فلا بدع أن تـرى من يشك فيه في هذا الزمان الذي عادوا فيه إلى الجاهلية الأولى: ﴿ **وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون**﴾[1]. [2]

ويؤكد مـــاذكره علــــوي بن طـــاهر، ويــــبين أنّ تلك المنكـرات شـائعة منتشـرة في كثـير من تلك المـواطن مـاذكره العلامة عبدالله بن عـوض بكـير في كتابه " رفع الخمـــار عن مثـــالب المـــزار "قـــال - رحمه الله -: وأما الاجتماعـات على الهيئـات المعروفة في الجهة عند بعض القبـــور في أيـــام الســـنة، وهو المســـمى بـــالمزار تـــارة وبالزيارة تارة، فحـرام قطعـاً لما فيه من اختلاط الرجـال بالنســـاء، مع ما يـــترتب عليه من المفاسد والقبـــائح مثل الزنا واللواط ونظر الأجنبيـات ونشـوز الزوجـات، وخـروج النساء متعطرات متزينات، ومخالفة الآبـاء وغـير ذلك من القبـائح الظـاهرة والباطنـة، والمتصـدي لـذلك القـائم فيه ممقوت عند الله وعند خلقه فإنه هو السـبب في ذلك وما يترتب عليه من الشرور، وقد اتخذ ذلك عادة[3] مؤكدة في الجهة لبعض القبـور في كل سـنة، حـتى إنه إذا تـرك في بعض السنوات تعتقد العامة وجود القحط والجذب بسـبب ترك ذلك)[4].

ولعل هــذا يكفي في إثبــات وجــود الفســاد الأخلاقي وبيان حجمه ومظاهرة وهـذا هو الغـرض، إذ بعد تشـخيص المـرض يكـون العلاج إن شـاء اللـه، وقد بـدا واضـحاً من كلام العلامة الحـداد أن ذلك الفسـاد مرتبط بالاعتقـاد في الــولي بأنه هو المتحمل له والرافع لعقوبته، وهــذا مظهر

---

1 (?) الشعراء (227).
2 (?) الشامل ص (216- 217).
3 (?) في الأصل" عبادة "وهو خطأ والصحيح ماأثبت.
4 (?) رفع الخمار، ص(23-25)

آخر من مظـاهر شـرك الربوبية؛ لأن التشـريع والتحليل والتحـريم من حق الله وحـده سـبحانه، وكـذلك مغفـرة الـذنوب والتجـاوز عنها إنما هو من حق رب العـالمين سـبحانه: ﴿ **ومن يغفر الـذنوب إلا الله** ﴾[1] إذن لقد تعانق فساد الأخلاق مع فساد العقائد في هذه الزيارات.

المطلب الخامس: الانحراف العقائدي المترتب على تلك الزيارات:

تلك الزيارات في الأصل مرتبة على عقائد ضالة، فَعِلَّة الزيـارة نفسـها مبنية على عقيـدة شـركية، حيث يعتقد الزائر أنه بزيارته يتلقى المـدد من المـزور، أو يكـون المزور واسـطة بينه وبين الله في إيصـال ذلك المـدد كما كان المشركون الأولون يعتقدون ذلك في أصنامهم، ونقل الله ذلك عنهم في قوله: ﴿ **ويقولون هـؤلاء شـفعاؤنا عند الله** ﴾[2]، وهـذا الكلام ليس كلامي ولكنه كلام الفخر الرازي الذي يعظمه القبورية ويعتمدون عليه وهو أحد من وضّـح علة زيـارة القبـور على الطريقة الفلسـفية الـتي اقتبسها القبورية من الفلاسـفة الوثنـيين، فقد وقف وقفة طويلة عند هـذه الآيـة، وحلل الغـرض من اتخـاذ الأصـنام شفعاء لهم عند الله، وأورد عدة احتمالات لـذلك ثم قـال: (ورابعهـا: أنهم وضـعوا هـذه الأصـنام والأوثـان على صـور أنبيائهم وأكابرهم وزعموا أنهم متى اشـتغلوا بعبـادة هـذه التماثيل فـإن أولئك الأكـابر تكـون شـفعاء لهم عند الله تعالى، ونظيره في هـذا الزمـان اشـتغال كثـير من الخلق بتعظيم قبور الأكابر على اعتقاد أنهم إذا عظمـوا قبـورهم فإنهم يكونون شفعاء لهم عند الله)[3].

---

1 (?) آل عمران (135).

2 (?) يونس (18).

3 (?) سبق كلام الرازي كاملاً في الباب التمهيـدي، انظـر: ص (

وهذا الذي ذكره يتوافق مع العلة التي وضعها القبورية للزيـارة، وكـون القبـوريين يعتقـدون ذلك في أوليـائهم قد صرحوا به، يقـول الشـرجي في ترجمة أبي عبدالله محمد بن عبدالله بن أبي البطل الصـــريفي: (ولأهل عـــدن فيه معتقد عظيم، وله عنـدهم محل جسـيم، وهو فـوق ذلك - رحمه الله تعالى- ونفع به)[1].

وقال في ترجمة إبراهيم الفشلي: (وهو أشهر السـبعة الــذين يعتقد أهل زبيد أن من زارهم سـبعة أيــام متوالية قضـــيت حاجته)[2]، وقـــال في ترجمة علي بن أحمد بن قيــدار القريضي: (وقــبره بمقــبرة مدينة عــدن مشــهور مقصود للزيـارة والتـبرك واسـتنجاح الحـوائج، وأهل عـدن يعتقدونه ويعظمـــون تربته ويـــروون كراماته - رحمه الله تعــالى - ونفع به آمين)[3]، وقد ذكــرت هــذه المواضـــيع للتصـريح فيها بالاعتقـاد وإلا فجميع المعظمين يعتقد فيهم معظموهم تلك العقائد في الغالب.

ومما يدل على ذلك الاعتقاد إتيـانهم بالنـذور لأصـحاب المقامات، ومن ذلك أن هذا الزائر أو من بعث معه بالنذر قد اسـتغاث بــذلك الــولي وجعل له نــذراً إن تحقق ذلك المطلوب، فإذا تحقق ذلك المطلـوب اعتقد أن الــولي هو الذي استجاب له وأعطاه، ومن حقه عليه أن يوفي له بما نذر، فيرسل بذلك النذر وقت زيارته أو حينما يأتي مندوبه لجمع نذور الولي من أهل البوادي والقرى.

يقول الشلي في ترجمة محمد العيــدروس بن عبدالله بن شيخ العيدروس المقبور ببندر سوره في الهند: (وقبره فيها كالشـــمس في رابعة النهــار، وأشــهر من علم على

---

38).

1 (?) الطبقات ص(283).

2 (?) السابق ص (45).

3 (?) السابق ص (231).

رأسه نار، وتأتي إليه الأنذار من جميع الأقطـار، ومن زاره بحسن نية وسـلامة طوية أعطى سـؤاله ونـال مأموله ونواله)[1].

وقال علوي بن طاهر الحداد في أثناء كلامه عن زيـارة الشـيخ سـعيد بن عيسـى: (ومنهم من يـأتي بآنية السـمن ويسـمونها " صـمرة " واحـدها " صـمار " فيصـبونها على التابوت، وقد يثب أحدهم إلى أعلاه ليتمكن من صبه، وأما ما يـأتون به من النـذور من غنم أو نقد أو حبـوب فـإنهم يسـلمونها للخطيب أي القـائم من قبيلة آل باراسـين وهم خطباء مسجد الجامع، وإليهم تساق النذور، ويـذهب منهم رسل يبعثهم القـائم المـذكور إلى البـوادي فيجمعـون له حصة من العشور أي الزكاة وما لديهم من نذور)[2].

وهذه النذور في الغالب لا تكون إلا لتعظيم ذلك الولي واعتقـاد أنه يفعل ما عُلِّقَ عليه النـذر، وذلك هو الشـرك بالله تعالى، وقد نبه أحد علماء تـريم على ذلك فقـال في خاتمة فتـوى حـول النـذر لقبـور بعض الأوليـاء بعد ذكر الأقـوال و الاحـترازات في ذلـك، وما يصح من ذلك ومـالا يصح على مـذهب بعض فقهـاء الشـافعية : (أقـول: وأنت خبير بأن العامي الجاهل الصرف يخفى عليه مثل ملاحظة أن هـذا التصـدق لا ينعقد إلا في القـرب، ومعرفة ما هو قربة و غـير قربـة، فليتنبه لما يجـيئون به للـولي أو قـبره أومشهده وهو ميت فإن الغـالب يقصـدون به تعظيم ذات الـولي أو قـبره أو مشـهده وذلك باطل كما تقـدم والله أعلم بالصواب)[3].

---

1 (?) المشرع (1/186).

2 (?) الشامل ص(215).

3 (?) الفتـاوى النافعة في مسـائل الأحـوال الواقعة ص(249)، تـأليف الشـيخ أبي بكر بن أحمد الخطيب - رحمه الله - طبع شـركة مكتبة ومطبعة مصـطفى البـابي الحلـبي وأولاده بمصر

هذا عندما يطلبون شيئاً أو يتحقق لهم شيء يعتقـدون أنه من جهة الـولي، أما حينما يشـعرون أنهم قصـروا في حقه أو أغضـبوه بشـيء فـإنهم يسـارعون إلى إرضـائه، وخصوصاً عندما تنزل بهم عقوبة كتأخر المطر عنهم أيـام مواسمها أو نحو ذلك، ولهم في استرضاء الولي طريقتهم الخاصة والتي يظهر فيها الشرك عياناً.

ويقول علوي بن طاهر الحداد: (وإذا مـرت لهم سـنين لم يُغاثوا أو توهموا أن الشـيخ سـعيد عـاتب عليهم فـإنهم يأتون بعقيرة والمراد بها بقـرة أو جمل يـأتون بها يزفونها بـزاملهم حـتى إذا وصـلوا إلى البـاب الموصل إلى ضـريح الشيخ عقروها ونحروها وهم يصيحون باسم الشيخ سـعيد قائلين: يا شيخ سـعيد! بحـرك مع نحرها أو ذبحها ويعنـون بقولهم: بحرك! نطلب بحرك، و بحرك: معناه عنـدهم بحر برهانه والبرهــان هو التصــرف والتــأثير والكرامــات! ثم يتركونها فيتكـــالب عليها من ضــــري بأكلها فيجرونها إلى بعض الـدور ويوصـدون البـاب ثم يعملـون فيها شـفارهم بسـرعة يبـادر بعضـهم بعضـاً مع ضـجة وتهديد و هرير ثم يخرجون ركضاً منهم المسرور لأنه أخذ منها قطعة جزلـة، ومنهم المتــبرم والغاضب والمحــروم، والنصــيب الأكــبر لبعض كبراء أهل البلد وإذا كـثر طبخـوه وجففـوه وكـنزوه للأيـام المقبلـة؛ وقد يـأتي القبائل بعـدة من العقـائر وهم يقولـون العقــير بفتحــتين على التخفيف والمــراد بها تلك القـرابين كما فعل ذلك قبيلة الـزي حين غلبـوا مـراراً في حربهم مع الحالكة، وقد تقدمت الإشارة إليه، فإنهم جاءوا بعـــدة منها يطلبـــون بها النصر من الشـــيخ ســـعيد على أعدائهم وهذه العقائر " القـرابين " مما أُهِـلَّ به لغـير الله فهي ميتة حرام أكلها والانتفـاع بها قـال الله تعـالى **وما**

الطبعة الأولى (1379 هـ - 1960 م).

أهلّ به لغـير الله[1]، ونص على ذلك العلمـاء في كتب الفقه لا يخفى على طالب علم[2].

ومما يؤكد اعتقــادهم في الأوليــاء أنهم قــادرون على إعطاء ما طلب منهم ما سبق أن ذكرنــاه عند الكلام على اعتقادهم أن الأولياء يغيثون من اسـتغاث بهم، ومما يخص الزيارات ويحسن إعادته هنا ما ذكــره العطــاس من تهديد ذلك الزائر لعلي بن حسن العطــاس في يــوم زيارته وقد طلب منه مطالب أنه إذا لم يعطه تلك المطـالب فسـوف ينخلع عن الاعتقــاد فيه ويلتحق بصــالح حــبيب وهو شــيخ قبيلة آل علي جابر ببلدة خشامر بين القطن و شبام، هذه القبيلة الــتي وصــلها جيش ابن قملا الــذي أرســله أئمة الــدعوة النجدية للــدعوة إلى الله تعــالى في حضــرموت وجهــاد من يخــالف المنهج القــويم من معتقــدي القبــور ونحوهــا، فتــأثرت تلك القبيلة بــدعوة الشــيخ محمد بن عبــدالوهاب ودانت بها وتخلت عن الاعتقــاد في أصــحاب القبور، كما هو سائد في بقية قبائل ومنــاطق حضـرموت، لــذلك فهــذا الزائر يهــدد الــولي إذا لم يعطه الكرامة في وقتها المناسب فإنه سـيتخلى عن الاعتقـاد فيه كما تخلت تلك القبيلة، ونص أبياته:

زوّار جينا با نــزورك يا علي لي تكـرم القاصد وتـرحب بالغريب

إن شــــيء كرامة با تقع ذا حلها والا رجعنا لا قدا صالح حبيب[3]

وبنفس هـذا التهديد توجه أحد الـزوار من ذرية الشـيخ سعيد بن عيسى العمودي حيث كرر الزيارة أكثر من مـرة لغـرض مجيء السـيل ولكن السـيل لم يـأت أي لم يعطه

---

1 (?) البقرة (173).
2 (?) الشامل ص (215).
3 (?) تذكير الناس ص (219).

الشيخ ابن عيسى لأولئك الزوار، لذلك جاء هذا التهديد:

مــرة قفا مــرة وأنا مخــروس لك ذولا عيالك ما دخل فيهم جنيب

إن شـــــيء كرامة با تقع في حلها والا طلعت الدار زولت الخطيب

وقد سبق كذلك في الموضع السابق، والشاهد أن هذا الزائـر يهـدد الـولي لأنه قصّـر ولم يعطه ما هو قـادر على إعطائه فلذلك فسوف ينتقم منه بـإخراج الخطيب من دار الشيخ سعيد، والخطيب هو سـادن القـبر كما مر من كلام علـــوي الحـــداد وكلمة " زولته " أي أزلته من المكـــان وأبعدته عنه ولا أدري أي الشاعرين أخذ عن الآخر، ففكرة الأبيات واحدة وكأن أحدهما اقتبس من الآخر.

وبهذا نجزم أن للزيـارات القبورية بعلتها المعروفة عند القوم الأثر البالغ في هدم عقيدة التوحيد، وغـرس عقيـدة الشرك في نفوس الناس.

المبحث الأول: أثر القبورية في نشر السحر والكهانة في اليمن

وفيه خمسة مطالب:

المطلب الأول: إثبات أن من الصوفية (القبورية) من يتعاطى علوم السيمياء وأسرار الحروف والأوفاق:

إن التفريق بين السحر و الكرامات لا يكاد يميزه كل أحد بل أنه ليشتبه على أكثر العوام في كثير من الأحوال، وقد يشتبه على بعض أهل العلم حيث يتعجلون في إصدار الحكم قبل الخبرة والدراية التامة بأحوال من تجري الخوارق على يديه، وذلك لأن بعض السحرة قد بلغ مبلغاً كبيراً من الدهاء والمعرفة بحيث يُخفِي أعماله الخبيثة، ويتظاهر بالأعمال الصالحة، فإذا نظر إليه الناظر أحسن به الظن وسلكه في عباد الله الصالحين، ثم إذا ظهر على يديه خارق ظن أن ذلك كرامة له، فمن هنا حرص بعض الساعين إلى الجاه والمكانة والتصدر والتسمي بأسماء الولاية والاتصاف بصفاتها عند الناس أن يتظاهر بالزهد من جهة ويستخدم بعض أنواع السحر من جهة أخرى ليحسب من الأولياء، ولقلة العلم وغلبة الجهل ورواج الخرافة وما يحصل عليه من سمعة ويلتف حوله من مريدين وربما يزكيه بعض الأخيار اغتراراً بحاله، لهذه العوامل مجتمعة فشت أنواع من السحر لدى بعض مدعي التصوف وبعض القبوريين.

يقول ابن خلدون- رحمه الله - في المقدمة: (الفصل التاسع والعشرون " علم أسرار الحروف " وهو المسمى لهذا العهد بالسيمياء نقل وضعه من الطلسمات إليه في اصطلاح أهل التصرف من المتصوفة فاستعمل استعمال العام في الخاص، وحدث هذا العلم في الملة بعد صدر

منهـا، وعند ظهـور الغلاة من المتصـوفة وجنـوحهم إلى كشف حجـاب الحس وظهـور الخـوارق على أيـديهم والتصـرفات في عـالم العناصـر، وتـدوين الكتب والاصـطلاحات، ومـزاعمهم في تـنزل الوجـود عن الواحد وترتيبـه، وزعمـوا أن الكمـال الإسـمائيَّ مظـاهره أرواح الأفلاك والكواكب، وأن طبائع الحـروف وأسـرارها سـاريةٌ في الأسماء، فهي سارية في الأكوان على هذا النظام.

والأكـوان من لـدن الإبـداع الأول تتنقل في أطـواره وتَعربُ عن أسراره، فحـدث لـذلك علم أسـرار الحـروف، وهو من تفاريع علم السيمياء، لا يوقف على موضـوعه ولا تحـاط بالعـدد مسـائله، تعـددت في تـأليف البـونيَّ وابن العربي وغيرهما ممّن اتبع آثارهما، وحاصله عندهم وثمرته تصـرف النفـوس الربانية في عـالم الطبيعية بالأسـماء الحسنى والكلمات الإلهية الناشئة على الحروف المحيطة بالأسرار السارية في الأكوان أسراره، فحـدث لـذلك علم أسـرار الحـروف، وهو من تفـاريع علم السـيمياء لا يوقف على موضوعه ولا تحاط بالقدر مسائله. تعددت فيه تآليف البونيِّ وابن العـربي وغيرهما ممن اتبع آثارهمـا. وحاصـله عندهم وثمرته تصرف النفـوس الربانية في عـالم الطبيعة بالأسماء الحسنى والكلمات الإلهية الناشـئة عن الحـروف المحيطة بالأسرار السارية في الأكوان)[1].

وما قاله ابن خلـدون عليه أدلة كثـيرة، فـإن من مؤسسي التصوف جابر بن حيان[2] الـذي قيل أنه أول من

---

1 (?) مقدمة ابن خلدون ص(664).

2 (?) هو الفيلسـوف الكيمـائي جـابر بن حيـان بن عبد الله الكوفي، تَزْعُم الشيعة أنه منها، وهو من أوائل الذين لقبوا ب" الصوفي"، ووصفه ابن خلدون بأنه كبير السحرة في هذا الأمة، انظر ترجمته في: هدية العـارفين لإسـماعيل باشا مع كشف الظنون (5/249)، والأعلام (2/103-104).

تسمى بالصوفي، ومعاصره أبو هاشم الكوفي الذي قال صاحب طرائق الحقائق فيه أنه " مخترع الصوفية "[1]، كانا يعانيان السحر و الجفر وهو من أنواع السحر أو الكهانة وكذلك علم الكيمياء[2]. وجاء بعدهم الحلاج وقد نسبه إلى السحر كثير من العلماء[3]، والصوفية يعتبرونه من أكابر قدمائهم وأفاضل أوليائهم، وقد سبق إثبات نسبته إليهم وثنائهم عليه[4].

واستمرت علاقة الصوفية بالسحر، يقول الدكتور كامل الشيبي: (وقد دخلت هذه الكتب السرية في التصوف، وقد نقل لنا الأستاذ سعيد محمد حسن أنه: " كان تناول هذه الكتب وشرحها موضع اهتمام المشتغلين بالسحر والطلاسم، وكثيراً ما أسهم الصوفي الكبير محيى الدين بن عربي وحجة الإسلام الغزالي[5] بنصيب كبير في الاشتغال بهذه الكتب ")[6].

وقد صرح الصوفية أنفسهم بأن من علومهم علم الحروف وعلم الأوفاق، فابن سبعين يقول في رسائله: (وهذه السيمياء[7] تنقسم إلى خمسة أقسام: الكاذبة منها

---

1 (?) الصلة بين التصوف والتشيع (1/202) للدكتور كامل مصطفى الشيبي.
2 (?) المصدر السابق (1/200-202).
3 (?) المصدر السابق (1/397-403).
4 (?) انظر: ص (183).
5 (?) نسبت إلى حجة الإسلام الغزالي كتب ورسائل في السحر وجد عليها اسمه، ولكن الدكتور عبد الرحمن بدوي يشكك في صحة نسبتها إليه. انظر: موقف الإسلام من السحر (1/41) أ. حياة سعيد با أخضر، طبع دار المجتمع جدة، الطبعة الأولى (1415هـ - 1995 م) ولكن هناك وفق مشهور باسم وفق الإمام الغزالي، الظاهر أنه صحيح النسبة إليه.
6 (?) الصلة بين التصوف والتشيع (1/200)
7 (?) السيمياء فرع من فروع السحر، انظر: المطلب الرابع من

الذي يذكرها مسلمة المجريطي صاحب رسـائل " إخـوان الصـفا "، والمشـكوك منها الـذي يـزعم ابن مسـرة أنه وصـله، والصـحيح منها الـذي إذا وصف للفقيه سـماه " كرامة " وإذا ذكر للحكيم سـماه " تصـريفاً " وإذا ذكر للمقرب المحقق سماه فتنة)[1].

ويقـول أحمد بن محمد الصـاوي في حاشـيته على " شـرح الخريد البهية ": (سـيدي محمد الخلـوتي أخذ عن الشيخ دمرداش فأحبه وقربه وشغله بالطريق وأخلاه - أي أدخله الخلـوة - مـراراً وظهـرت نجابته، وجَـدَّ واجتهد، واشـتهر وتلقى عنه علم الأوفـاق والحـرف و الزايرجا والرمل فـأتقن ذلـك)[2]، وأحمد الصـاوي شـيخ الطريقة الخلوتية في زمنه، كما أن تلك " العلوم الأوفاق والحـرف والزايرجا والرمل " من علوم السحر والكهانة.

وهناك حقائق أخرى ذكرها الشيخ محمود القاسم كلها تثبت علاقة الصـوفية بالسـحر وعملهم به و اسـتخدامه لإظهار الخوارق التي يقولون للناس إنها كرامات.

ومن أكبر تلك الحقـائق ما ذكـره الشـيخ أحمد البـوني في كتابه " شـمس المعـارف الكـبرى " وهو من أشـهر الكتب الـتي يعتمد عليها من يتعامل بالسـحر في هـذه الأيام والأيام الخالية، حيث ذكر سـنده بعلم الحـرف الـذي هو موضـوع الكتـاب، وقد نقل عن البـوني أسـانيده بعلم أسرار الحروف الذي يمثله شـمس المعـارف وكـانت تلك الأسانيد تدور على أقطاب الصـوفية كما أن البـوني نفسه قد ترجمه النبهاني في جـامع كرامـات الأوليـاء فقـال في

هذا المبحث.

1 (?) الكشف عن حقيقة الصوفية ص(866) تـأليف محمـود عبد الرؤوف القاسم، طبع المكتبة الإسـلامية عمـان الأردن الطبعة الثانية (1413هـ).

2 (?) المصدر السابق ص(867).

ترجمتــه: (أبو العبــاس أحمد بن علي البــوني من كبــار المشايخ ذوي الأنوار والأسـرار، وممن أخذ عنه المرسـي، فمن كراماته أنه كان مجاب الـدعوة تـوفي سـنة (622ه) قاله المناوي)[1].

وواضح من هذه الأسانيد أن رجالها هم رجال التصوف وأقطابه ومن بينهم القطب أبو مدين المغربي الـذي صدَّر التصوف إلى حضرموت.

المطلب الثــاني: إثبــات أن من صــوفية اليمن من يتعاطى تلك الأنواع من العلوم:

عرفنا من المطلب السابق أن الصــوفية المتقــدمين والمنتشـرين في البلاد الإسـلامية سـيما مصر والمغـرب كــانوا يتعــاطون أنواعــاً من الســحر والكهانــة، ويتعلمه المتـأخر منهم عن المتقـدم، كما يتنـاقلون سـائر العلـوم، وبما أن صــوفية اليمن إنما أخــذوا بطــريقهم وســلكوا منهجهم فــإنهم ســاروا على طــريقهم في تعلم الســحر والكهانة واســـتعمالها، وإليك شـــواهد تثبت ذلك عليهم وليس على شـواذ منهم ولكن على أنـاس وصـفوا بالولاية التامة وربما بالقطبية والبدلية.

قال الشيخ عبدالله بن محمد بن سالم بـاكثير الكنـدي في رحلته المسماة " الأشواق القوية إلى مواطن السادة العلوية " وهو يذكر تنقلاته بين تريم وما حولها وأخـذه عن كبار شيوخها وأئمتها: (ثم زرنا العالم الجليل المنور سـيدنا عبدالله بن محمد بن عقيل مطهر - وذكر إجازته لهم في بعض الأذكـار ثم قـال: و أجازنا أيضـاً في الأذكـار والأدعية الـتي في شـمس المعـارف الكـبرى والعمل بما فيها من الفوائد)[2].

---

1 (?) الكشف عن حقيقة الصوفية ص (862-863).

2 (?) الأشـواق القوية إلى مـواطن السـادة العلوية ص(25-26)

ولم يكتفوا بمجرد النقل والرواية بل صنفوا فيها، فهذا أحد رجـال المشـرع الـذي قـال عنه في مقدمة ترجمتـه: (ســــالم بن أحمد بن شـــيخان بن علي بن أبي بكر بن عبــدالرحمن بن عبدالله عبــود بن علي بن محمد مــولى الدويلة ، وهو جد المــذكور قبله نــادرة الأعصــار وغــرة الأمصــــار- ثم ذكر له ترجمة مطولة دليل على الاعتنـــاء والاهتمـام به وتعظيمه هـذا الرجل قـال -: ومن مصـنفاته في غــريب العلــوم" مصــباح السر اللامع بمفتــاح الجفر الجامع " " وغـرر البيـان عن عمر الزمـان "و" المشـروط الأسمى الأسنى في شروط الأسماء الحسـنى " و " العقد المنظوم في بعض ما يحتوي عليه الحــروف من الخــواص والعلــوم " و " إيــوان المقعد الحــرفي وديــوان المشــهد الوصــفي " يتضــمن ما يتعلق بــالوفق المثلث و " مــرهم العطف ودرهم الصــــرف " و" أســـفار الهالك في العمل بوبر بن مالك " و " موائد الفضل الجامعة لباباً في مــوارد الرمل النافعة أحبابـــاً " و " المـــاء السلســـال، الرحيق الأصفى في التعلق بالأسماء الـتي اقتضت ربوبيتها تخليق الموجودات الإمكانية ومالها منزلة وحرفاً "و " حل المغنم في حَل الطلسم " و " البرهــان المعــروف من مــوازين الحـــروف " و " منتهى الطلب في قســـمة الـــرتب على الكواكب السبعة والرأس والـذنب "، و " الجـدول العـذب الأهنى من شرب الأسـماء الحسـنى " و " عقد الحكم في ورد الاسم " و " عقد اللآلئ الفخـــــام في ورد الليـــــالي والأيــام " و " التحصــينات الموانع بالــدعوات الجوامع " و "التحبير في التســـخير " و " وفق الطبق الوفق " وغــــير ذلك أضــربت صــفحاً عن ذكــره لا لعلــة، والاختصــار عن

للعلامة الشيخ عبدالله بن محمد بن سالم باكثير الكنـدي - طبع مكتبة الثقافة الدينية بــور ســعيد - الطبعة الأولى (1421هـــ- 2001 م).

ميدانه عـالي الـذرا صـعب المجـرى بنا ولنا أحـرى وليس على الله بمستنكر أن يجمع العالم في واحد)[1].

لقد حرصت أن أسوق كلام المصنف كما هـو، وفيه من المصــنفات ما هو واضح أنه من علــوم الســحر وما يلحق بها، وفيها ما لم يتضح مع الاحتمال، من الواضح:

1) مصباح السر اللامع بمفتاح الجفر الجامع.
2) العقد المنظـــوم في بعض ما يحتـــوي عليه الحروف من الخواص والعلوم.
3) إيــوان المقعد الحــرفي وديــوان المشــهد الوصفي يتضمن ما يتعلق بالوفق المثلث.
4) مرهم العطف ودرهم الصرف.
5) موائد الفضل الجامعة لباباً في مـوارد الرمل النافعة أحباباً.
6) حل المغنم في حَل الطلسم.
7) البرهان المعروف في موازين الحروف.
8) منتهى الطلب في قســـمة الـــرتب على الكواكب السبعة والرأس والذنب.
9) التحبير في التسخير.
10) وفق الطبق الوفق.

فهـذه عشـرة مصـنفات الـتي تبينتها ورجحت أنها في علوم من علـوم السـحر، وربما بعض مـالم أذكـره هو من نفس القبيل، وكذلك ما أضرب عنه المترجم صفحاً.

وقد وصـفوا البعض منهم ممن بـالغوا في مدحه حـتى قال الشلي: (شيخ بن عبدالله العيدروس الشيخ الإمـام، و الصــديق الهمــام رأس الــرؤوس، وبهجة الجلــوس، ذو المكــارم الــتي أبد الــدهر لا تبلى، والمجد الــذي يعلو ولا يُعلى، و الكشف الظاهر الجلي، والمنصب الشامخ العلي،

---

1 (?) المشرع (2/106).

إمام أهل عصره والمشار إليه في قطره)[1]و في ترجمة هذا الإمام قال: (وكان له معرفة تامة بعلم الحروف والأسماء كثير التصرف ويقول إن والدي علمني ذلك في حياته وأنا صغير) [2]، فهذا إذاً على معرفة تامة ويتصرَف بذلك العلم و الأدهى أن الذي علمه ذلك أبوه، ومَن أبوه؟

إن أباه هو: (السيد الشريف محيى الدين وإمام الأولياء والصالحين، وقطب الأقطاب الواصلي، وشيخ المشايخ وغوث الأكابر، وسيد الجماعة، وسلطان الوجود، السيد عبدالله ابن أبي بكر بن عبد الرحمن السقاف كنيته أبو محمد ولقبه العيدروس)[2] هذا هو أبوه الذي علمه السحر! ولا أستبعد أن يكون أخوه الآخر أبو بكر العدني قد تعلَّم ذلك، شأن أبيه وإخوانه ومن يشابه أبه فما ظلم .[4]

ومن هؤلاء الأولياء الذين يعرفون هذا العلم ويستخدمونه (شيخ بن عبدالله بن الشيخ علي أحد الأولياء الصالحين والمشايخ العارفين مرشد السالكين وقدوة الناسكين)[3].

---

1 (?) المصدر السابق (2/116 - 117).

2 2 المصدر السابق نفس الصفحة.

2 3 شرح العينية ص(195).

4 ومن هذه الأسرة كذلك رجل آخر أحسن ذلك الفن هو أخو عبدالله العيدروس علي بن أبي بكر قال الشلي: (وأدخله أبوه الخلوة وأمره أن يقرأ أسماء الله الحسنى بغير صيام فما تمت سبعة أيام إلا وقد ظهر له بكل اسم روحانياً وسمع قائلاً يقول: **يا أيتها النفس المطمئنة ارجعي إلى ربك راضية مرضية** أنا روح عمك علي بن السقاف ثم خرج من الخلوة، المشرع (2/215).

3 (?) المشرع (2/254-255) الذي في المشرع (شيخ) ولكن الصحيح هو مشيخ لأن الذي يعرف بهذا الاسم هو مشيخ وليس

قال الشلي: (ويقال أنه كان يعرف علم الحـرف علمه إيـاه بعض السـياحين، بعد أن اختـبره بأشـياء يعجز عن احتمالها أكـثر الكـاملين، وكـان يحكم الوفق الثلاثي ويتصرف به، وله كرامات كثـيرة وأنفـاس منـيرة شـهيرة، فكان يأتي بالشيء قبل أوانه، ويحضر بعض الأشـياء الـتي لم توجد إلا في البلاد البعيـدة " حكي " أنه أطعم بعض أصـحابه فاكهة الصـيف أيـام الشـتاء! وأطعم بعضـهم بحضرموت القات المشهور باليمن!!)[1].

فانظر إلى منهج القوم في الكرامـات، هـذا الرجل قد صـرح المـترجم له أنه يعـرف علم الحـرف الـذي هو من أنـواع السـحر وكـان يحكم الوفق الثلاث وهو كـذلك، ومعلوم أن مَنْ هذا شأنه بسـحره وعلمه بتلك الحـروف و الأوفـاق يـأتي بخـوارق كثـيرة مثل ما ذكـره المـترجم من كرامات لهذا الرجل وأكثر، ومع ذلك لا يتردد في أن يجعل ما صـدر منه وهو من جنس أفعـال السـحرة أن يجعله كرامات.

فلو أنه لم يعلم بمعرفته بعلم الحروف والأوفـاق كـان يسـوغ له إحسان الظن واعتبـار ذلك من الكرامـات، لكن بعد معرفته بذلك وإصراره على عدّ ما يصدر منه كرامات يجعلنا ذلك نشك في أكـثر ما ينسب إلى أوليـائهم من كرامـات، ويجعلنا نقيسـها على هـذا الـولي و كراماتـه، خصوصاً هذه الكرامة المباركة جلب القات من اليمن إلى حضرموت!!.

ومن هـؤلاء من أوليـاء تهامة (يوسف بن أبي بكر القليصي) قال الشرجي في ترجمته: (وكان عالمـاً عارفـاً

شـيخاً، ومما يـدل على ذلك أن من اسـمه شـيخ قد تقـدم في حـرف الشـين وهـذا ترجمته في آخر الكتـاب بين آخر حـرف العين والنون..

[1] (?)المشرع (2/215).

وكانت له معرفة تامة بكتب البوني، وكان كثير الاشتغال بالأسماء عارفاً بخواصها، وكانت آثار بركة ذلك عليه ظاهرة)[1].

ومن الذين ظهر لي أنه استخدم السحر وعمل به رجل سماه صاحب تاج الأعراس ووصفه ب (إعجوبة زمانه وفريد عصره وأوانه والمتحدي بولايته لمعاصريه وأقرانه، الحبيب المحبوب والفرد المطلق المجذوب محمد بن أحمد بن عمر بن عبدالرحمن العطاس المعروف بالزنقلي، المقيم والمتوفى بقام دَرْمِغْوَرْ قريباً من بندر بمبي بأرض الهند، كان في أول أمره يتعبد في الغابات، وينفر من الناس كما هو شأن السالك المجد، حتى تكمل رياضته، قال: وكثيراً ما يأتي لزيارته أهل جهتنا المهاجرين من حضرموت إلى الهند العارفين بأنساب السادة آل العطاس، فلا يزيدهم على هذا وربما تجرأ عليه بعض من قبائل الجعدة، بالسؤال وقال له: نحن نعرف أنساب آل عطاس، فيقول الحبيب محمد: أين جنبيتك أين خنجرك؟ فينظر إلى قرابه فإذا هو فارغ فيقول: له الحبيب محمد انظر إلى فوق فإذا هي معلقة برأسها في ورقة من ورق شجرة عنب بفتح وسكون كان الحبيب محمد يجلس للناس تحتها وذلق الجنبية مصوَّب فوق رأس ذلك السائل فيندهش عند ذلك ثم يقول له الحبيب محمد: الزم أدبك انتهى.

قلت: وما ذاك إلا لكرامته على مولاه وثمرة إخلاصه في أقواله وأفعاله لوجه الله - قال-: (ومن كرامات الحبيب محمد المذكور أنه يستخدم الآساد على رؤوس الأشهاد ويركب عليها، ويرسلها لحراسة بعض زائريه فتذهب معهم حتى تبلغهم مأمنهم ولا تضرهم بأدنى شيء ثم ترجع إليه ولا تزال عاكفة حواليه، حتى إنها بقيت

[1] (?)طبقات الخواص ص(368).

تحرس ضـريحه بعد وفاته ولا تتعـرض لـزوّاره بسـوء وهم كذلك، ويأتون لها باللحوم غالباً كالهدية، وكـان يقـول لي: إنه لا يسـتريح إلا بحضـرة الـذكر أو قـراءة المولد النبـوي ومَن جاور عنـده يحثه على الطاعـات وأداء الصـلوات في أوقاتهـا، وإذا علم أنه يتهـاون بها حـالاً يطـرده من القرية بالكلية، وقد قـال لي مـرة في معـرض التبجح: مَنْ الـذي من الأولياء الأحياء بايبـارز عمك -هـذا وأشـار إلى نفسـه- الذي رأسه مثل القروفاني[1] أبـرز لـه، وأما الأمـوات معنا لهم مدفع شرشرة عمر بن عبدالرحمن العطاس - قـال - وكـــان عادته أنه إذا انتهى الســـمر أول الليل يختم ذلك بالـذكر، ثم يـدخل إلى سـرير له في ذلك المكـان فيرقد عليـه، وكـان يحـذرني أشد الحـذر أن يـدخل عليه أحد أو يحرك سريره؛ لأنه إذا رقد فيه لم تسـمع له فيه حركة ولا نفس ولا صوت، حتى يظهر عمود الفجر الصادق فيرتعش عند ذلك وتتحرك جثته في سريره فيهلل ثم يقوم ويبتـدئ في تفقد شؤون المنزل وترتيب أهل الوظـائف والحراثـة، ولم أره يصـلي ظـاهراً على أعين النـاس، فلما أخـبرت أخي صالح يعني صـاحب المنـاقب بـذلك قـال لي: إنه أي الحبيب محمد المذكور من الذين تتجزأ أشخاصهم شـخص منه يعبد الله، وآخر يقوم بخدمته وإصلاح شؤونه ووظائفه العاديـة، وهـذا مقـام معـروف عند الأوليـاء، ثم استشـهد بقول سيدنا عبدالله الحداد:

وسلِّم لأهل الله في كل مشـكل لـديك لـديهم واضح بالأدلة [2]

ثم قـال: وخـرج لموادعـتي إلى بعض الطريق بمقـدار مسافة العدوى، فمرينا براعي غنم فـدعاه الحـبيب محمد وأعطـاه إنـاء من نحـاس وأمـره أن يحلب فيه شـيئاً من

---

1 (?) القَرُو: إناء كبير من الخشب يوضع فيه اللبن وغيره.

2 (?) تاج الأعراس (1/356-362).

اللبن فأتاني بـه، فمـال بنا الحـبيب محمد عن النـاس إلى تحت شجرة هي موجودة عنـدنا في حضـرموت بكـثرة ثم أخذ شيئاً من ورقها ووضعه فوق اللبن ثم أمـرني بقـراءة آية كذا من القرآن الحكيم فقرأتها فجمد ذلك اللبن وصـار سـبيكة من أجـود أنـواع الفضة وقـال لي: (إن أرضـكم حقـيرة المعـاش فـإذا احتجت إلى شـيء من الـدراهم فأعمل هكذا و أجـازني في ذلك من غـير شـرط ولا قيـد، فقبلت منه الإجـازة امتثـالاً لأمـره واسـتودعت منه ورجع إلى منزله، وبقيت أنا انظر إليه وأفكر في الـدنيا وسـرعة زوالها فما غاب عني شخصه حتى حلفت بالله أن لا أفعل ذلك، ولا أعلّمه أحداً خوفاً من الطغيان، فلما أخبرت أخي صالح بذلك قال: إن الدنيا لا تطغينا ولا نطغى معها، فقلت له: إن أردتني أفعل ذلك فعلته وكفرت عن يميني، فقـال: إن الدنيا كلها لا تساوي حنثك في يمينك)[1].

قلت: من خلال النظر إلى تلك الحكاية نجد فيها أموراً:

أولهـا: ما نجـده من المجاهـدة الشـديدة والرياضة الشـاقة الـتي اتبعهـا، وهي أمر مشـترك بين صـوفية المسلمين وصوفية الهنـد، والـذين بواسـطتها يصـلون إلى مرحلة من الروحانية الـتي تنخـرق لهم بسـببها العـادة، ويصـلون إلى فنـون من معرفة الغائبـات والتصـرف في بعض الكائنات بما يشبه السـحر أو به على الحقيقـة، وقد ألمح الشـعراني إلى أن بعض الطـامحين في حصـول الكرامات يتبعون تلك الطريقة للحصول على الخوارق[2].

و**ثانيهـا:** نجد تلك (الكرامـة) الـتي هي في الحقيقة إرهاب فكـري يسـلطه على من يعارضه ولا يعـترض عليه على جهة التحـدي، هـذه في نظـري ليست من صـفات

---

1 (?) تاج الأعراس (1/363 _ 364).

2 (?) الطبقات الكبرى ص (108).

الأوليـاء الـذين يحرصـون على الخمـول والتواضع وإخفـاء كرامـــاتهم إن وجـــدت، وإنما هي بحـــال الســـحرة والمشعوذين أشبه

ومثل ذلك خدمة الأُسُـــود، وقد عـــرف عن أهل الهند أنهم يسـحرون الوحـوش من أسـود وغيرها حـتى تطيعهم وتمتثل أمرهم وتخـدمهم، وما يحصل في السـيرك شـاهد على ذلك.

ثالثها: تحديه الأولياء الأحياء والأموات هل من الولاية والتقـوى و الصـديقية أن يكـون الـولي مخاصـماً لإخوانه الأولياء متحدياً لمبارزتهم وغلبتهم؟.

رابعها: كونه لم يشـاهده يصـلي في الظـاهر حسب زعمـه، لِمَ لم يصـلِّ في الظـاهر؟وعند الصـوفية قاعـدة لتـبرير جـرائم أوليـائهم هي أن ذلك من (الملامتيـة) أي الذين يعـرض نفسه لّلـوم حـتى لا يظهر عمله خوفـاً على نفسه من الرياء والافتتان، وهي قاعدة باطلـة، ولكن هـذا الرجل لا يجري أمره حتى على هذه القاعدة الباطلة؛ لأنه غـير متخـفٍ بولايته بل مظهرها متحـدياً بهـا، يسـتخدمها لإرهاب الناس، فلماذا لا يتخفى بالولاية التي كـانت طريق الأوليـاء حقـاً إخفاؤهـا؟وإنما يخفي الصـلاة الـتي لا يجـوز بحـــال تركها خوفـــاً من الريـــاء أو من غـــيره، بل الرجل المسـلم وولي الله مطـالب بأدائها مع جميع المسـلمين **وأقيمـــوا الصـــلاة وآتـــوا الزكـــاة واركعـــوا مع الراكعين** [1]، فالشاهد يقول إنه لم يـره يصـلي ظـاهراً! فكيف يكون ولياً من لم يُرَ يصـلي لمـدة سـنة على الأقل مدة إقامة ذلك الرجل عنـده؟! وهل يكفي في إعفائه عن ذلك أن من الأوليـاء من يتجـزأ، فجـزءٌ يعبد اللـه، وجـزء يتصرف في إصلاح شؤونه الأخـرى؟! هل هـذا الأمر يعفي من شـاء من الأوليـاء من الصـلاة في الظـاهر؟، إذن هو

---

1 (?) سورة البقرة (43).

ليس بولي أصلاً أو هو ولي من أولياء الشيطان.

والـذي يؤكد الاحتمـال الأخـير ويؤكد زعمي أن الرجل يستخدم السـحر القصة الأخـيرة وهي القـراءة على اللبن حـتى يتحـول إلى سـبيكة فضة مـتى شـاء!، إنّ هـذا من السـحر ولاشك ولا يغرنك أن المقروء آية من القـرآن فـالقوم لايـنزهون القـرآن عن اسـتخدامه في السـحر، وانظر شـمس المعـارف وغـيره تـرى كيف تخلط آيـات القـرآن بالألفـاظ الأعجمية الـتي لا تعـرف معانيهـا، بل بالشرك بشياطين الجن والإنس.

خلاصة الأمر أن هذا ضرب من السحر وإن كان قطب زمانه الحبيب صـالح بن عبدالله العطـاس قد تمـنى لو أن أخاه استعمله.

وفي الهند أيضاً ولي آخر أتقن عدداً من علوم السـحر والكهانة هو عبدالله بن حسـين بن محمد بن علي بن أحمد المعروف كسلفه ببافقيه، قال عنه الشلي: (وكـان - رحمه الله تعـالى - من علو همته أنه لا يسـمع بشـيء إلا وأحب أن يقف على أصـله ومادتـه، ويتطلب أربابه من سـائر الآفـاق حـتى أحكم علم الرمل والهيئة والأسـماء والأوفـاق، واجتهد في علم الكيميـاء غاية الجهـد، وجد في طلبه من تهامة ونجـد، ويقـال أنه ناله وأصـاب غرضه من بعض أهل الرياضة)[1].

ومنهم ولي آخر، قال عنه صاحب المشرع: (محمد بن علي بن هـارون بن حسن بن علي بن الشـيخ جمل الليل أحد خلفاء الله على عباده، وأمنائه على فيوضات إمـداده، أمـده الله بمـواد نعمه الـوافرة، ومنحه نعمـه الباطنة والظاهرة)، هذا الـولي - خليفة الله على عبـاده - ذكر في ترجمته تعلمه علم الأسماء الشريفة والاوفاق واستعماله، بما لا يدع مجالاً للشك، قـال: (وحكي أنه كـان يُحْكِم علمَ

---

1 (?) المشرع (2/171).

الأسماء الشريفة والأوفاق ويتصرف بها، وكان يفتح القفل والضـبة من غـير مفتـاح، و لما مـات السـيد عبدالله بن الطيب بمكة وكـــان ماله في مخــــازن مقفلة ولم يجد الوصي مفاتيحها ففتحها له صـــاحب الترجمـــة، وقـــال عبدالرحمن الجـون كنا بطيبة على سـاكنها أفضل الصـلاة والسـلام فـإذا ضـاع علينا مفتـاح الربـاط أو الخلـوة فتحه السـيد محمد باهـارون باسم الله تعـالى، وإذ جـاء مَنْ به علة أو مرض وقرأ عليه عـوفي من ذلـك، وكل مَنْ أصـابه أذى من أنسي أو جني وأتى إليه يقرأ عليه أو يـدعو له فلا يعـود عليـه، وكل من ضـاع عليه شـيء أخـبره بموضـعه، وجاء إليه بدوي فقال لـه: نـدَّ بعـيري وطلبته في الأمـاكن المعهودة فلم أجده، فقال: هو في وادي كـذا، فـذهب إليه فوجده فيه، وضاع على بعض التجـار حمل سمسم فطلب من السيد أن يدعو له فأخبره بمحله فـذهب إليه فوجـده، وكان كل من خطر بباله شيء بحضرته كاشفه به، كان له شهرة تامة في الحرمين والـديار اليمانيـة، وكـانت ملوكها تعتقده لا سيما صاحب دثينة فإنه لما أتى إليه - كانت بلده كثيرة السرقة - فكان كل من سرق أخبره به السيد فعُدم السراق فيها، وأقام بها وولد له فيها أولاد، وكان له مكارم عظيمة وأيادي جسيمة ومنح كريمة...)[1].

كما قلت سـابقاً كونه يوجد من يسـتعمل السـحر هـذا ليس غريبـاً، ولكن أن يجعل ذلك السـاحر من أوليـاء الله هو الغـريب والـدال على فسـاد منهج القـوم في تعريف وتحديد الكرامـات والأوليـاء، ويشـكك في أكـثر الـذين يصـفونهم بالولاية وينقلـون عنهم كثـيراً من الكرامـات وخصوصـاً الـتي لا تليق بأوليـاء الله حقـاً أو الـتي يحيل العقل وقوعها على يد المستقيم الصالح.

تنبيه:

1 (?) المصدر السابق (2/11-12).

قد صـرح السـيد أحمد بن حسن العطـاس أن عـادة سلفهم العلويين عدم التصرف بشـيء من ذلـك، كما جـاء في تذكير الناس فقال: (وبلغنا أن الحبيب عبـدالرحمن بن عبدالله بلفقيه الذي قال فيه الحبيب عبدالله الحداد: والله ما في الأكوان مثل عبدالرحمن، كان له اطلاع على جملة من العلوم الظـاهرة والباطنـة، وله اطلاع أيضـاً على علم الكيمياء وما أشبهه من العلوم، ولكنه لم يتصـرف بشـيء من ذلك كعـادة سـلفه العلـويين، مع ما عرفه من علـوم العقل والنقل والباطن والظاهر، وسـلفنا لا يميلـون إلى علم الكيمياء، وليس هو طـــــريقهم، ولا يتعـــــاطون إلا الأسباب الظاهرة، ولا يتوغلون فيها، ولما كنت بمكة وقت الصغر والفراغ تعلمت أنا وجماعة شيئاً من علم الأسماء، وعملت بها ليلة فظهر عليّ أربعة نفر من خدمتها، وقـالوا ما حاجتـــك؟ فقلت: لهم لا حاجة لي إليكم، ولم أعمل بها من بعد ذلك، ثم سألني جماعـة، وقـالوا: هل رأيت شـيئاً؟ قلت نعم رأيت كذا وكذا، فقالوا: أما نحن فما رأينا شيئاً.

ويحكى أن الحبيب عبدالله بن عمر بن يحيى أتاه بعض أهل ذلك الشأن، وأعطاه مسرجة وقـال لـه: إذا بـدت لك حاجة فأسرج فيها، فأخـذها منه وأسـرج فيها ليلـة، فحضر حولها أربعة نفر، فسألهم من أنتم؟ قالوا: نحن خدمة هـذا السراج، ما حاجتك؟ قال: إيتوني بكيس ريالات من البحر، فغـابوا سـاعة وأتـوه بها تقطر مـاء ووضـعوها بين يديـه، فنظر إليها ثم أمرهم بردها إلى البحر، فردوها وقـالوا لـه: هل لك حاجة أخـرى، وإلا فـأطفئ الشـمعة فإنها تحـرق أجوافنا، فأطفأها وذهبوا، فلما أصبح جاء إلى خاله الحبيب عبدالله بن حسـين بن طـاهر يصـافحه فقبض يـده عنـه، فقال: لم لا تصافحني؟ قال هـات المسـرجة الـتي معـك، فأتى بها إليه فأمره أن يكسرها فكسرها، زهداً في الـدنيا

وثقة بالله وما عنده)[1].

قلت: أما ما ذكــره من قصة عبــدالرحمن بن عبدالله بلفقيه فـيرده ما جـاء في تـاج الأعـراس حيث قـال- وهو يتحـدث عن عبـدالرحمن بلفقيه المـذكور-: (ثم توجه إلى مكة ولما كان يوم الوقوف بعرفات وقعت قضية حار فيها أهل الموقف كلهم، وقع رصد على النــــار فلم توقد لهم ذلك اليوم نار، فـاجتمع علمـاء مكة مع الشـريف أي أمـير مكة وقـالوا: ما لهـذه القضـية إلا السـيد عبـدالرحمن بن عبدالله بلفقيــه، فقــال لهم: دوِّروا لـــه، فــدوَّروا له في الموقـف، فوجـدوه جالساً تحت شـجرة متظللاً بثوبه من الشــمس، فقــالوا لــه: أجب الشــريف، فقــال وما ذاك؟ فـأخبروه بالواقعـة، فقـال: لهم هـاتوا جريـدتين من جريد النخل فكتب عليهن شــيئاً وأمــرهم أن يتبعوها بالخيــل، وقــال لهم: تنتهي بكم إلى مكــان فيه رجل يكتب "يرصد على النار" خذوا ما بيـده وأمحــوه، فمشت قبلهم وتبعوها حــتى أوصــلتهم إلى مكة فوجــدوا رجلاً يكتب كما وصف لهم فأخــذوا ما معه ومحــوه فانحل العقد في الحــال)[2]، فظهر من الحكاية أن الرجل مشــهور بــذلك ومعــروف، ولذلك دل الشريف عليه واستخدم ذلك ونجح فيه.

وأما الحكاية الثانية - حكاية أحمد بن حسن العطـــاس وتعلمه ما تعلم من علم الأســــماء- فهو دليل أن البعض كـانوا يتورعـون عن ذلـك، وأنا أوقن بـذلك، وما قلت ولن أقــول أن الجميع ســَحَرة أو أنهم يعرفــون تلك العلــوم ويعملون بها.

ومثل ذلك قصة عبدالله بن عمر بن يحـــــيى وخاله عبدالله بن حسين بن طاهر فهاتـان القصـتان تـدلان على أن من القوم من يتورع عن ذلـك، وما سـبق من حكايـات

---

1 (?) تذكير الناس ص (380 - 381).

2 (?) تاج الأعراس (1/340)

أخرى تدل على أن جماعة منهم وممن يعدون من كبارهم وأقطـابهم يمارسـون ذلك ويتصـرفون به حسب تعبـيرهم وما يصــدر عنهم من ذلك يحسب عند أتبــاعهم ومــروِّجي دعاياتهم من الكرامات الخارقة وأدلة على قربهم من الله وإكرامه لهم، مع أن هذا مادام صـادراً عن ذلك النـوع من السـحر إنما هو من عمل الشـيطان و تسـويله، ودليل بُعد عن الله لا قرب منه.

ومما يلتحق بذلك ما هو مشـهور مما يفعله المجـاذيب المنتســبون لابن علــوان مِن طعن أنفســهم بــالحراب والخناجر في عيونهم وأمـاكن أخـرى من أجسـادهم، فـإن ذلك من السحر أو ما يلتحق به، وهم عنـدما يفعلـون ذلك يقولون: (سرك و بحرك يا ابن علوان) أو كما يقولون، أي لتكن هـذه الصـفات في بحـرك أي نتلقاها بحالك أي مما أكرمك الله به من التصريف.

وقد حكم العلامة حسين بن عبـدالرحمن الأهـدل على ذلك بأنه أحوال شيطانية فقـال - وهو يتحـدث عن السـيد أحمد الرفـاعي -: (وتبعه خلق أحسـنوا الاعتقـاد فيه ولهم أحوال عجيبة من أكل الحيات حية، والنزول في النار وهي تضطرم فتطفئ، ويركبون الأسـد، ولهم مواسم يجتمع بها عندهم عالم كثير قلت: الأحوال المذكورة أحوال شيطانية كما ذكـره الحافظ ابن تيمية ثم الـذهبي فـاعلم ذلك والله أعلم)[1].

قلت: فهــذا الحكم ينطبق على أفعــال مجــاذيب ابن علوان لعدم الفارق والله أعلم.

المطلب الثالث: إثبات أن منهم من يستخدم الجن:

اسـتخدام الجن دائر بين السـحر والكهانـة، وقد سـبق الكلام عن السـحر وأشـهر نـوع مسـتخدم منه عند قبورية

[1] (?) تحفة الزمن ص(274) مخطوط ولدي نسخة مصورة منه.

اليمن، هو علم السيمياء أو علم أسرار الحروف و الأوفاق، وسبق كذلك أن منهم من يحسن الرمل وهو من علوم الكهانة، وربما كان هناك أنواع أخرى من تلك العلوم لم يُفْصَح عنها. وأحبُّ أن أضيف هنا أن هناك نوعين آخرين من استخدام الجن على اعتبار أن ذلك من الكرامات.

أما **النوع الأول:** فهو الاستخدام المباشر للجن واعتبار ذلك من كرامات المستخدم لهم، وعندي عليه حكايتان لشخص واحد ذكرهما صاحب تاج الأعراس.

أما الأولى: فذكرها أثناء كلامه عن مساعي آل العطاس في الصلح بين القبائل قال: (فلما وصل الركب قبيل المغرب إلى محلة تلك القبيلة تشاور رجالها أن يغلقوا أبوابهم في وجه الركب العطاسي، فحاول السادة قرع الأبواب والنداء بأسماء كبرائهم فلم يجبهم أحد فغضب رجال الركب بأجمعهم لهذا الجفاء، ونادى الحبيب أحمد بن حسن بأعلى صوته متحمساً: (أين سالم بن محسن وجنه) وكان حاضراً في مقدمة رجال الركب فعند ذلك التبس الحبيب بحال مهيب وأخذ يحرك يده يميناً وشمالاً فانطلق مزنقب[1] في داخل تلك الديار على أهلها بالصيحات المفجعة التي كادت تجن منها نساؤهم وصبيانهم فخرج رجالهم في الحال إلى محطة الركب، وقدموا لهم العدايل - العرابين - فيما سبق منهم، وما لحق من الخطأ على مقام العطاس، وبات الكل على خير سمر، وعادت المياه إلى مجاريها)[2].

والقصة الثانية: ما وقع لذلك الرجل نفسه بمكة مع أميرها الشريف عون، قال العطاس: (ومنها ما وقع للحبيب سالم المذكور مع أمير مكة الشريف عون وكان

---

1 (?) مزنقب اسم الجني خادم ذلك الحبيب.

2 (?) تاج الأعراس (2/56).

مشهوراً بالبطش من غير تفكير في القضايا، فحينما دخل الحــبيب ســالم إلى مكة لأداء حجة الإســلام قيل لــه: إن الشــريف عــون قد منع دعــوى الســيادة والمخاطبة بلقب ســيد بتاتــاً وأنه يعــاقب من بقي مصــراً على ذلــك، فقــال الحــبيب ســالم: إنما جئنا إلى هــذه البلاد لنــؤدي ركنــاً من أركــان الإســلام ونــزور شــفيع الأنــام ونــزداد شــرفاً إلى شــرفنا، وأنه لا مســوغ لي في تــرك لقــبي الــذي وضــعه علماء المسلمين على أهل بيت نبيهم كما أني لا حاجة لي بالشــريف عــون، فانتشر كلام الحــبيب ســالم بين النــاس وسرعان ما بلغ الشريف عــون فاســتدعى الحــبيب ســالم وقال له: أنت القائل كذا وكذا، قــال: نعم، قــال بــرهن لي الآن على أنك من أولاد فاطمة عليها الســــــــلام فنخس الحــبيب ســالم الجــدار، وقــال: صب المــاء يا مــزنقب من هاهنا، فما تم كلمته حتى ثجا الماء بقوة وأخذ يفترش في جــوانب المجلس أي غرفة اســتقبال النــاس ويطفى على الفرش الملكية الثمينة، والشريف يقول: الأمان الأمان، يا سيد سالم أنت ســيد أنت حــبيب، فضــرب الحــبيب ســالم الجـــدار ثانيـــاً وقـــال: يكفي وخـــرج من عند الشـــريف والشــريف مبهــوت مما رآه، فــدخل على الشــريف بعض أعوانه في ذلك الحين وقال له: إن هــذا من عمل الســحر ثم دخل عليه أحد علمـــــاء مكة في حاجة له فـــــأخبره الشريف بما وقع وما قيل، فقام العــالم ونظر إلى الخــدم يغرفــون المــاء وينشــرون الفــرش المبلولة في الشــمس، فقال للشريف: يا مولانا هــذه كرامة من الله لهــذا الســيد فإن الســحر لا جــرم له وإنما هي خيــالات تــتراءى للنــاس كما وصـــــفه الله بـــــذلك في كتابه العزيز في قوله: ﴿ **ســحروا أعين النــاس** ﴾[1] وفي الآية الأخــرى: ﴿ **يخيل**

---

[1] (?) الأعراف (116).

إليه من سحرهم أنها تسعى ﴾[1] أي والحال أنها واقفة واستشهد له بمجيء الذي عنده علم من الكتاب بعرش بلقيس فانبسط الشريف بجواب هذا العالم)[2].

فانظر إلى ما هو مغروس في فطر الناس من استنكار ذلك وعدّه من أعمال الشياطين، وقارنْه بما جاء به ذلك العالم من التأويل واعتبار أن ذلك كرامة باعتبار أن السحر ليس له حقيقة وإنما هو خيال وخداع، وهذا خلاف ما عليه أهل التحقيق من أن الساحر قادر على أن يعمل أشياء لها حقيقة ووجود في الخارج، وأما اعتبار المصنف ذلك من قبيل ما حصل لجلساء سليمان من نقل عرش بلقيس فإنه مع الفارق الكبير جداً، كما أنه ما كان ليسلّم لولا أن الله ذكره في القرآن وهو الخبر الذي لا يُكَذّب.

والنوع الثاني: استخدام الجن لخدمة أضرحة الأولياء، وهذا النوع من أخطر مكائد الشيطان للمتعلقين بالقبور والأولياء، كما أنه كان من أعظم مكائده لعباد الأصنام حيث كان يتلبس بالأصنام ويخاطب عبّادها ويخبرهم ببعض الأمور ويجيبهم على بعض أسئلتهم، وربما حقق لهم بعض ما يطلبونه منها، وفي هذا السياق نفسه نجد أن الشيطان كاد المتعلقين بالقبور وبالذات الذين يدعون أصحابها فنجد أولئك الشياطين يأتون إلى أولئك المستغيثين في صور الأولياء الذين استغاثوا بهم فيوقنون حينها أن الذي أغاثهم واستجاب دعاءهم هو الولي بينما هو أحد خدام ضريحه.

واسمع إلى هذه الحكاية التي يرويها أحمد بن حسن العطاس قال صاحب التذكير: (وقال ؒ: سافر الحبيب طالب بن حسين بن عمر بن عبدالرحمن العطاس، وهو

---

1 (?) طه (66).

2 (?) تاج الأعراس (2/56-57).

أصغر أولاد الحبيب حسين بن عمر إلى صنعاء اليمن، فصرعت في ذلك الوقت بنت للإمام بسبب الجان، فأحضروا أهل العزائم والطلاسم، وبذلوا وسعهم فنطق الجني على لسانها، وقال: لا أخرج من هذه البنت إلا إن جاء حبيبي طالب بن حسين العطاس، فقالوا: وأين حبيبك هذا؟ فقال: هو مقبل عليكم في هذه القافلة التي تجيء من حضرموت إلى صنعاء بعد يومين أو ثلاث.

فأمر الإمام فرساناً من عنده يخرجون لتلقي القافلة، والاستخبار عن الحبيب طالب بن حسين، فلما بلغوا إلى القافلة وجدوه فيها فقالوا له: نحن رسل الإمام إليك لتحضر إلى بيته سريعاً، فقال لهم وما الخبر؟ فأخبروه به، لئلا ينزعج فركب معهم، ولما وصل إلى صنعاء استقبلوه بالإكرام، وطلب منه الإمام معالجة البنت وأدخلوه إلى المنزل المعد لها فحين بدا وجه الحبيب طالب من الباب نطق الجني، وقال مرحباً بحبيبي طالب بن حسين بن عمر بن عبدالرحمن، فأخذ يوبخه، ويقول له: لاحياك الله تعمد إلى هذه الشريفة وتؤذيها وتؤذي أهلها، فقال له: لا تعجل عليَّ واستخبرني أولاً عن بلادك حريضة وأهلها فإني خرجت منها بعد سفرك بأيام، فقال له: هات ما عندك فقال له: بعد مسيرك وقعت الرحمة وسالت الأودية، وشربت حريضة، وفلانة توفيت، وأخبره بأخبار كثيرة، فقال له ومن أنت، فقال أنا من أخدام عمك سالم بن عمر مولى حميشة وأنا من التسعة النفر الذين حضروا المكسر في جربك الفلاني لما اهتريت وقلت: يا سالم بن عمر يا ذخري، وربدنا المكسر حقك، قال له: مرادنا خروجك حالاً من هذه البنت، واعطنا العهد والميثاق على أنك لا تعود، فقال: أما إذا جئت أنت فلا عذر لي عن الخروج، وعاهده على أن لا يعود أبداً، وخرج منها، فقامت البنت كأنما نشطت من عقال، وأكرمه

الإمام إكراماً عظيمـاً، وأعطـاه أربعمائة أو خمسـمائة من الأشـرفيات، وأعطــاه جببــاً من أكســية الحرير و طاسة شراب، فيها كتابات نفيسـة، وهي موجـودة عند ذريته إلى الآن)[1].

وفي هذه الحكاية دلالتان:

الأولى: أن الجن المســخرين لبعض من زعم الولاية أو لبعض الأسر تخـدمهم بما يحقق لهم الشـهرة والجـاه، وعلى ذلك فكثير مما يذكر من كرامـات لبعضـهم مثل أن فلاناً أصيب بمرض ثم جاء فلان فضربه أو تفل عليه فقام كأنما نشط من عقال وأن فلانــاً جُنَّ أو تلبست به الجن... إلخ و معظم ذلك من هـــذا القبيل فلا كرامـــة ولا ولاية ولكنها كهانة وتسخير للجن بواسطة السحر أو نحوه.

الدلالة الثانية: أن ما يشاهده ويحس به المسـتغيث بالأولياء والصالحين من حضـور أولئك المسـتغاث بهم إنما هم شــياطين تصــوروا بصــورهم وأدوا عنهم تلك الخدمة ليعلقــوا النــاس بأولئك الأوليــاء، وهــذا واضح من ســياق الحكاية فالرجل (اهـترا) أي دعا ذلك الـولي وهو مكـروب حيث كسر جربه ويخشى أن يتسع الكسر فاســتغاث بمن يعتقد فيه فحضر عنـــده تسعة نفر لـــرد الكسر وإصـــلاح الجـرب، ولـذلك فسـوف يـزداد اعتقـاداً في ذلك الـولي وســوف ينقل ذلك ويشـيعة بين النــاس وتنتشر له بــذلك دعاية كبيرة، و سيترسخ بذلك اعتقاد النــاس فيه بأنه ينفع من استغاث به، وهذا هو الشرك الـذي لا يخـالف فيه أحد من المتقدمين أو المتأخرين ويشهد لهذا الاستنتاج شواهد أخرى:

الشـاهد الأول: ما حـدثني به أحد أحفـاد الفقيه علي بن محمد المـــــالكي صـــــاحب الحوطة من مديرية ميفعة محافظة شبوة والمعـروف اختصـاراً (بالفقيه علي) قـال:

---

1 (?) تذكير الناس ص (152-1153).

كان هناك جماعات من العبيد أو الأخدام كانوا يعتقدون في الفقيه عليّ ويزورونه في مواعيد محددة وربما تأخروا بعض السنين، فإذا حصل ذلك وجاءوا في السنة التي بعدها هم ونساؤهم فإنهم عند دخولهم إلى الضريح يتلبس الجن بنسائهم فيُصرعن حتى يأتي أحد ذرية الشيخ المذكور أياً كان منهم فيضرب النساء قائلاً: (نقضى يا فقيه علي) وعند ذلك يفقن ويتخلى عنهن الجن دون أي علاج آخر أو قراءة.

وواضح من هذه الحكاية أن أولئك الجن موكلون بذلك الضريح من أجل ترسيخ الاعتقاد فيه بين الناس الذي قد تهيأت نفوسهم له.

الشاهد الثاني: ما حدثني به كذلك أحد أحفاد الشيخ أبي بكر بن سالم صاحب عينات قال: كان أبي إذا مرض يهتري بجده أبي بكر بن سالم، وفي أحد أمراضه تأخر الشفاء رغم اهترائه المتكرر، فاهترى بشخص آخر فبينما هو كذلك إذ سمع جدلاً بين شخصين لا يراهما، يقول أحدهما: أنا أتولاه، ويقول الآخر: بل أنا أتولاه، أنا أحق به فهو من ذرية مخدومي أبي بكر بن سالم).

إن هذه الحكاية صحيحة إن شاء الله حدثني بها ابن ذلك الرجل الذي كان مريضاً وهو ثقة معروف بالاستقامة وجرى له ما جرى ودلالتها واضحة في التأكيد على ما قلته سابقاً من وجود خدام لأضرحة الأولياء، ولو تتبعنا لوجدنا الكثير والكثير من مثل هذه الشواهد ولكن نكتفي بهذا إذ به يحصل الغرض.

المطلب الرابع: إثبات أن علوم السيمياء وأسرار الحروف والأوفاق من علوم السحر:

تقدم في المطلب السابق استخدام قبورية اليمن لعلوم السيمياء و أسرار الحروف والأوفاق وأنهم شاركوا في التنجيم والتسخير واستخدام الجن، وفي هذا المطلب

نثبت إن شـــاء الله أن تلك العلـــوم من علـــوم الســـحر وبعضها من الكهانة، ثم نردف ذلك ببيـان الحكم الشـرعي لها.

أما علم أسرار الحروف وعلم الأوفـاق فإنهما يرجعـان إلى شيء واحد وهو علم الأوفـاق، إذ عرّفـوا الوفق بأنـه: (علم يتوصل به إلى توفيق الأعـداد والحـروف، واسـتوائها في الأقطـار والأضـلاع وعـدم التكـرار غالبـاً)[1]، قـالوا: (ومصطلح الأوفاق يطلق على اللفظية والحرفية والعددية والغرض منها هو العددي والحرفي، أما اللفظي فلا يطلق عليه اسم الوفق إلا على طريق المجازية)[2].

وقد عرّف الأنطاكي علم الحروف فقال: (علم الحرف علم باحث عن خواص الحروف إفراداً وتركيباً، وموضوعه الحـــروف الهجائية ومادته الأوفـــاق، والـــتراكيب وصـــورة تقسـميها كمّـاً وكيفـاً وتـأليف الأقسـام والعـزائم وما ينتج منها، وفاعله المتصرف، وغايته التصرف على وجه يحصل به المطلـــوب إيقاعـــاً وانتزاعـــاً، ومرتبته بعد الروحانيـــات والفلك والنجامة)[3].

وقد صرَّح بأن هذا العلم من علوم السـحر العلامة ابن خلدون، والإمام الصنعاني حيث قـال - بعد أن نقل تعريف الأنطاكي -: وهذا شأن الأسحار والابتداع، لا شأن الطريقة النبوية والاتباع، ومعلوم أنها طريقة سـحرية إذ المطلـــوب بها أمـــور دنيوية محضة من جـــاه عند العبـــاد، وجلب رزق من أيديهم، وإلقاء المهابة في قلوبهم وغـير ذلـك، ولا يتم

---

1 (?) انظر: : موقف الإسلام من السحر (1/274).

2 (?) المصدر السابق (1/274).

3 (?) تذكرة داود الأنطـاكي بواسـطة رسـالة شـريفة فيما يتعلق بالأعداد والحروف والأوفاق و كم بقي من عمر الـــدنيا ص(21-22) للإمام الصـنعاني، تحقيق مجاهد بن حسن الوصـابي، طبع مكتبة دار القدس صنعاء الطبعة الأولى (1412هـ- 1992م).

إلا بالرواتب بألفاظ غـير مـأثورة بل غـير لغويـة، فـإن من ألفاظ الـرواتب ما ذكر البـوني في (اللمعة النورانيـة) في دعـوات الثلث الأخـير من ليلة الثلاثـاء أن تقـول: " هو هو هو هو ولا لا لا لا أو آه آه آه آه آه أو ها ها ها ها ها " وكل دعـاء فيها فإنه يلاحظ فيه أحـوال الكـوكب الـتي سـاعة النداء ساعته، وكل ذلك الدعاء خطاب للنجـوم، وإن رأيت فيه ألفاظاً من أسماء الله فليس المراد به الـرب تعـالى، وإنما هو على طريقة الذين يـــدعونهم الحكمـــاء وهم المشركون عبـاد الأفلاك، فإنه قـال البـوني في " لمعته " في سـياق سـاعة عطـارد: وهي الثالثة من يـوم الأحد ثم ذكر خاتم عطارد وأنه عند الحكمـاء وأن شـكله على هـذه الصورة ومعدنه الزئبق، و حجاره الزمرُّد الأخضر، وبخوره العنبر، ومداده اللازورد انتهى.

وله في كل كوكب من السبعة مثل هذا خـاتم وشـكل، وبخـور ومـداد، وكل مـؤمن يعلم يقينـاً أن هـذا ليس من الشـــرع المحمـــدي، وأنه من طـــرق الكهانة والســـحر والخطـاب للكـوكب وأنه الفعـال، فـإذا لم يكن هـذا من المحرمات فأي شـيء الحـرام؟!!)[1] وأما ابن خلـدون فقد تقدم كلامه في أول هذا المبحث.

ومما يؤكد أن علم الحـروف والأوفـاق من السـحر ما جـاء في كتـاب " سر العـالمين"المنسـوب لحجة الإسـلام الغزالي حيث قـال: (أما السـحر فهو عمل وكلام تـداولوه بينهم في أوقــات معلومــة وطوالع معروفة و طلســمات مضروبة، فإذا أردت أن تولد طلسماً يصلح لما تريـد، فخذ من كل ثلاثة أحرف حرفـاً، فـإذا اجتمعت لك في التـأليف ثلاثة أحرف من تسعة فهو طلسم يصلح لما تريـد، فـانظر في الإسـطرلاب عند سـاعة التـأليف، فهو يصـلح لما دلت عليه الدقيقة من الساعة، ومثال: أ ب ت ث فتأخذ الجيم،

[1] (?) المصدر السابق ص(22-23).

والثاء أليق عوضاً عن الجيم، ج ح خ خذ الصـاد، ص ط ظ خذ العين، فيصير عقربـاً، لتـدوير الحـروف، فضع صـورتها على خـــاتم والقمر في العقـــرب تكف خاميتها عنك أذى النسـاء، تـرمي الخـاتم في المـاء فينفع سـقياه الملسـوع وتلقي به ســــواء بين من أردت، وتـــــرش من مائه على سطح المبغض أو طريقه أو داره فإنه ستضرر منه سنة...

" ذِكْرُ كلمات تفـرق بها بين جماعة فاسـدة تخـافهم " تأخذ أفرداً من شعير حزام، وتقول عليه أربع مـرات: " ها طاش ماطاش هطاشـنة، وألقينا بينهم العـداوة والبغضـاء إلى يـوم القيامـة "، وترميه من حيث لا يشـعرون، وتنظر ما يصنع الله... وكثير مثل هـذا، وقد حصـرناها وشـرحناها في كتاب " عين الحياة " وهو صغير الحجم كثير الفوائد.

ومما قال: " واعلم أن هذه الصناعة " صـناعة الإكسير " هي صـــناعة ربانية لا يقـــدر عليها إلا الأبـــدال والرجـــال والأبطال الذين كشف الله الرين عن عيون قلوبهم، وهذه لا تصح إلا للطـــائع... ونحن نـــذكر خواصـــاً دالة مظهـــرة لبدائعها وصناعتها مذكورة في كتاب " عين الحياة ")[1].

وللتأكد أكـــثر خذ هـــذه الشـــذرة من عقد " شـــمس المعـارف الكـبرى " عمـدة القـوم الـذي يروونه بالسـند ويجيز فيه أكابر مريديهم قال:

(باب رياضة " قل أوحي " المشهورة)

اعلم أيها الأخ إذا أردت ذلـــــك، صم ثلاثة أيـــــام أولها الثلاثـاء ثم الأربعـاء والخميس، وهو صـيامك عن غـير ذي روح، وأن تتبخر بحصى لبـــان و جـــاوي ليلاً ونهـــاراً، وأنت تقرأ السـورة الشـريفة في مـدة ثلاثة أيـام ألف مـرة في تلك المــــدة المـــذكورة... واجتهد أن يكــــون ختمك من قراءتها ليلة الجمعة الثلث الأوسط من الليـــل، فإنه يحضر لك خادمهـــا، وهو رجل قصــــير طويل اليــــدين، فيجلس

[1] (?) بواسطة الكشف عن حقيقة الصوفية ص(859-863).

قدامك، ويقول لك: " السلام عليك "، فثبِّت جنانك، فإن عليه هيبة عظيمة... والعزيمة والدعوة هي السورة الشريفة بتمامها وكذا البخور. واعلم أيها الواصل أنها من الأسرار المختصة وأنها من كتب الأنبياء والأولياء وأسرارهم، وهي هذه تقول: " بسم الله الرحمن الرحيم قل أوحي إلي... "، اللهم إني أسألك يا منزل الوحي من فوق سموات... ، " إلا من ارتضى من رسول... وأحصى كل شيء عدداً " اللهم إني أسألك بحق المساجد لله وبحق عبادك الصالحين... يا خدام هذه الدعوة الروحانيين... أقسمت عليكم بهذه الدعوة والأسماء والسورة بحق أرقوش، كلهوش، بططهوش، كمطهلوش، بهوش، قانوش، أقسمت عليك ياروقيائيل الملك الموكل بفلك الشمس)[1]، فهذه هي حقيقة علم الحروف والأوفاق ويدخل فيها التسخير.

يظهر مما مثل به لهذه العلوم أن فيها استعانة بالشياطين ووضع آيات الله تعالى في غير مواضعها، والضرر الكبير بعقيدة الساحر وعقيدة من يأتيه ومن يتعامل معه، وحتى أختصر الطريق فإني أنقل كلام نخبة من العلماء يقررون حكم تعاطي السحر وينقلون الإجماع على تحريم تعلم السحر والعمل به وإتيان السحرة.

يقول ابن قدامة في المغني: (تعلم السحر وتعليمه حرام، لا نعلم فيه خلافاً بين أهل العلم، قال أصحابنا: ويكفر الساحر بتعلمه وفعله سواء اعتقد تحريمه أو إباحته)[2].

وقال النووي: (عمل السحر حرام وهو من الكبائر بالإجماع).

---

1 (?) شمس المعارف ص (122-123-124) بواسطة الكشف عن حقيقة الصوفية ص(861).

2 (?)المغني (9/34) المغني لموفق الدين بن قدامة.

وقال الذهبي: (الكبيرة الثالثة: **السحر؛** لأن الساحر لابد و أن يكفر، قال الله تعالى **﴿ولكن الشياطين كفروا﴾**[1]، وما للشيطان الملعون غرض في تعليمه الإنسان السحر إلا ليشرك به، قال الله تعالى عن هاروت وماروت: **﴿ وما يعلمان من أحدٍ حتى يقولا إنما نحن فتنة فلا تكفر فيتعلمون منهما ما يفرقون به بين المرء وزوجه﴾** إلى أن قال: **﴿ ولقد علموا لمن اشتراه ماله في الآخرة من خلاق﴾**[2]... الآيات، فترى خلقاً كثيراً من الضلّال يدخلون في السحر ويظنون أنه حرام فقط وما يشعرون أنه الكفر، فيدخلون في تعلم السيمياء وعملهاوهي محض السحر، وفي عقد المرء عن زوجته وهو سحر، وفي محبة الزوج لامرأته وفي بغضها وبغضه و أشباه ذلك بكلمات مجهولة أكثرها شرك وضلال)[3].

وفي كلام الذهبي فائدة كبيرة هي: التنصيص على أن السيمياء من السحر الذي ذلك حكمه.

وقال الحافظ ابن حجر: (وقد استُدل بهذه الآية على أن السحر كفر ومتعلمه كافر، وهو واضح في بعض أنواعه التي قدمتها وهو التعبد للشياطين أو الكواكب، أما النوع الآخر الذي هو من باب الشعوذة فلا يكفر به من تعلمه أصلاً)[4].

المطلب الخامس: تعريف الرمل وأنه من علوم الكهانة وبيان حكمه في الشرع.

---

1 (?) البقرة (102).
2 (?) البقرة (102).
3 (?) الكبائر ص (45) للحافظ محمد أحمد الذهبي، مؤسسة علوم القرآن دمشق الطبعة الأولى (1404هـ- 1984م).
4 (?) الفتح (10/424).

تعريف الرمل:

(هو علم يعرف به الاستدلال على أحوال المسألة حين السـؤال بأشـكال الرمل وهي اثنا عشر شـكلاً على عـدد البروج)[1]، وقد أدخله بعضـهم في علـوم التنجيم[2] وعـده بعضهم من أنواع الكهانة[3] ولا تناقض فهو مرتبط بـالاثنين وقد عد التنجيم من الكهانة.

وإذا عرفت ذلك فالكهانة محرمة بل من أكبر الكبـائر، قال العلامة ابن حجر المكي: (الكبيرة الرابعة، والخامسة، والسادسـة، والسـابعة، والثامنـة، والتاسـعة، والعشـرون، والثلاثون، والحادية والثانية، والثالثـة، والرابعة والخامسـة، والثلاثـــون بعد الثلاثمائة: الكهانة والعرافة والطـــيرة والطرق والتنجيم و العيافة وإتيـان الكـاهن وإتيـان عـراف وإتيان طارق وإتيان منجم وإتيـان ذي طـيرة ليتطـير له أو ذي عيافة ليخط له - وبعد أن سرد الآيـات والأحـاديث في ذلك قال-: **(تنبيه)**: عد هذه المـذكورات هـو- وإن لم أره كذلك- صريح هذه الأحاديث في أكثرها وقياسـاً في البقية وهو ظاهر؛ لأن الملحظ في الكل واحد، والكاهن هو الذي يخبر عن بعض المضمرات فيصيب بعضـها ويخطئ أكثرها ويـزعم أن الجن تخـبره بـذلك، وفسر بعضـهم الكهانة بما يرجع لذلك فقـال: هي تعـاطي الإخبـار عن المغيبـات في مستقبل الزمان، وادعاء علم الغيب وزعم أن الجن تخبره بذلك، والعرّاف بفتح المهملة وتشـديد الـراء قيل الكـاهن، ويرده الحـديث السـابق: عرافـاً أو كاهنـاً، وقيل السـاحر، وقـال البغـوي: هو الـذي يدّعي معرفة الأمـور بمقـدمات

---

1 (?) كشف الظنون (1/912) لحاجي خليفة.

2 (?) انظـر: التنجيم والمنجمـون وحكم الإسـلام فيهم ص (30) تــأليف عبدالمجيد بن ســالم المشــعبي، طبع مكتبة الصــديق بالطائف، ومكتبة ابن القيم بالمنورة، الطبعة الأولى (1414هـ-1994م).

3 (?) موقف الإسلام من السحر (1/216-226).

يسـتدل بها على مواقعها كالمسـروق من الـذي سـرقه، ومعرفة مكـــان الضـــالة ونحو ذلـــك، ومنهم من يسمِّي المنجم كاهنـاً، قـال أبو داود: والطـرق، أي بفتح فسـكون الزجر أي زجر الطير ليتيمن أو يتشاءم بطيرانه فإن طـار إلى جهة اليمين تيمن أو إلى جهة الشـمال تشاءم، وقـال ابن فارس: الضرب بالحصى وهو نوع من التكهين.

والمنهي عنه من علم النجـــوم هو ما يدّعيه أهلها من معرفة الحـــوادث الآتية في مســـتقبل الزمـــان كمجيء المطر ووقـوع الثلج وهبـوب الـريح وتغـير الأسـعار ونحو ذلك، يزعمون أنهم يدركون ذلك بسـير الكـواكب لاقترانها وافتراقها وظهورها في بعض الأزمـان، وهـذا علم اسـتأثر الله به لا يعلمه أحد غـــيره، فمن ادعى علمه بـــذلك فهو فاسق بل ربما يؤدي به ذلك إلى الكفر، أما من يقول: إن الاقتران والافتراق الذي هو كـذا جعله الله علامة بمقتضى ما اطـردت به عادته الإلهية على وقـوع كـذا وقد يتخلف فإنه لا إثم عليه بـذلك، وكـذا الإخبـار عما يـدرك بطريق المشاهدة من علم النجوم الـذي يعـرف بها الـزوال وجهة القبلة وكم مضى وكم بقي من الـوقت فإنه لا إثم فيه بل هو فرض كفاية، وفي حـديث الصـحيحين عن زيد بن خالد الجهني قال: **$صلى لنا رسول الله صلاة الصـبح في إثر سـماء - أي مطر - كـانت من الليل فلما انصـرف أقبل على النـاس فقـال: أتـدرون مـاذا قال ربكم؟ قالوا الله ورسوله أعلم، قـال: قـال: أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر، فأما من قـال مُطرنا بفضل الله ورحمته فذلك مؤمن بي كـافر بـالكوكب. وأما من قـال مطرنا بنـوء كـذا - أي وقت النجم الفلاني- فـذلك كـافر بي مـؤمن بالكوكب#**[1].

---

[1] (?) البخاري (1/290) كتاب صفة الصلاة باب يستقبل الإمـام

قال العلماء: من قال ذلك مريداً أن النوء هو المحـدث والموجد فهو كافر أو أنه علامة على نــزول المطر ومنزِّله هو الله وحده لم يكفر، ويكره له قول ذلك؛لأنه من ألفاظ الكفرة.

وروى الشيخان $أن أناساً سألوا النـبي عن الكـاهن أو الكهان فقال: **" ليسوا بشيء، فقـالوا: يا رسـول الله إنهم يحــدِّثون أحيانــاً بشــيء أو بالشــيء فيكون حقاً، قال رســول الله : $تلك الكلمة من الــوحي يخطفها الجــني فيقرها - أي يلقيها في أذن وليه - فيخلط معها مائة كذبة#.**

وللبخـاري **$إن الملائكـة تـنزل في العنـان وهو السحاب فتذكر الأمر قُضي في السماء فيسـترق الشـيطان السـمع فيسـمعه فيوجه إلى الكهـان فيكـــذبون معها مائة كذبة من عند أنفسهم#**[1][2].

وفي خصوص الرمل يقول الإمـام النـووي - رحمه الله - في شرح مسلم: (قوله " **ومنا رجال يخطون قـال: كـان نبي من الأنبيـاء عليهم السـلام يخط فمن وافق خطه فذاك "** اختلف العلماء في معناه فالصحيح أن معناه من وافق خطه فهو مبـاح لـه، ولكن لا طريق لنا إلى العلم اليقيني بالموافقة فلا يباح، والمقصود أنه حرام؛ لأنه لا يبـاح إلا بيقين الموافقـة، وليس لنا يقين بهـا، وإنما

الناس إذا سلم، مسلم (2/59-60) مع النـووي، كتـاب الإيمـان باب بيان كفر من قال مطرنا بالنوء.

1 (?) البخاري (4/1804) كتاب التفسير بـاب حـتى إذا فُـزع عن قلوبهم، ومسلم (4/1750) كتاب السـلام بـاب تحـريم الكهانة وإتيان الكهـان، واللفظ الأخـير للبخـاري (3/1175) كتـاب بـدء الخلق باب ذكر الملائكة.

2 (?) الزواجر عن اقتراف الكبائر (2/109-110).

قال النبي فمن وافق خطه فذاك ولم يقل: هو حرام بغير تعليق على الموافقة لئلا يتوهم متوهم أن هذا النهي يدخل فيه ذاك النبي الذي كان يخط، فحافظ النبي على حرمة ذاك النبي مع بيان الحكم في حقنا، فالمعنى أن ذلك النبي لا منع في حقه وكذا لو علمتم موافقته ولكن لا علم لكم بها.

وقال الخطابي: هذا الحديث يحتمل النهي عن هذا الخط إذ كان علماً لنبوة ذاك النبي وقد انقطعت فنهينا عن تعاطي ذلك.

وقال القاضي عياض: " المختار أن معناه أن من وافق خطه فذاك الذي يجدون إصابته فيما يقول لا أنه أباح ذلك لفاعله، قال: ويحتمل أن هذا نسخ في شرعنا فحصل من مجموع كلام العلماء فيه الاتفاق على النهي عنه الآن)[1].

وبعد هذا التصوير البسيط لتلك الأنواع من علوم السحر والكهانة التي يتعاطاها القبورية أو بعضهم وبيان حكمها من أقوال أئمة أهل العلم وهي كلها محرمة كيف يسوغ تعلمها أو تعليمها أو العمل بها أو إقرار العاملين بها؟ خصوصاً أن لها آثاراً مدمرة في المجتمعات، وإذا كان ذلك غير سائغ فكيف يُجْعل العالم بها والمتعاطي لها ولياً، وما يظهره من خوارق بواسطتها كرامات، إن هذا لشيء عجاب!.

استخدام الجن:

وأما استخدام الجن بالصورة التي مرت فإنما هي غالباً تقع بواسطة تلك العلوم، فتلك العلوم عمدتها تسخير الجن، وبهذا تعرف حكم من يدّعي أنه يسخِّر الجن في مصالحه، أو لما يشاء من أغراض سواءً في علاج بعض الأمراض أو إخراج السحر والجن من المصروعين والمسحورين أو كشف بعض المغيبات، أو

1 (?) شرح مسلم (5/23).

يســتعين بهم على إثبــات قدرته ويتحــدى بهم من ينازعه ويخوف بهم من لا يقدِّره ولا يحترمه.

وفي خصـوص هـذا الموضـوع يقـول الـدكتور عمر بن ســليمان الأشــقر - حفظه الله - في كتابــه"عــالم الجن والشـياطين ": (هـؤلاء الـذين يزعمـون الولاية - والحقيقة أن الشياطين تخدمهم -لابدَّ أن يتقربوا إلى الشــياطين بما تحبه من الكفر والشرك كي يقضوا بعض أغراضه.

ويذكر ابن تيمية - مجموع الفتاوى 19/35 -" أن كثيراً من هؤلاء يكتبون كلام الله بالنجاسة، وقد يقلبـون حـروف كلام الله ، إما حـروف الفاتحـة، وإما حـروف قل هو الله أحد، وإما غيرهما، ويذكر أنهم قد يكتبـون كلام الله بالـدم أو بغيره من النجاسات، وقد يكتبون غـير ذلك مما يرضـاه الشيطان أو يتكلمون بذلك، فإذا قالوا أو كتبـوا ما ترضـاه الشياطين أعانتهم على بعض أغراضهم إما تغوير مـاء من المياه، وإما أن يحمل في الهـــواء إلى بعض الأمكنة وإما أن يأتيه بمـــال من أمـــوال بعض النـــاس، كما تســـرقه الشــياطين من أمــوال الخــائنين ومن لم يــذكر اسم الله عليه وتأتي به، وإما غير ذلك ")[1].

وأختم هــــذا المطلب بكلام جميل حافل بـــــالتحقيق والتـدقيق مؤَيَّدٍ بالأدلة من الكتـاب والســنة يلقي الضــوء على كثــــير مما مر في هــــذا المطلب وما ســـبقه من مطالب، ويتناول مع موضـوع هـذا المطلب موضـوعاً آخر طالما لهج به القبورية ووصــفوا أجلَّة أوليــائهم بـــه، وهو التقاؤهم برجال الغيب.

قال: ابن أبي العز[2]- رحمه الله -: (وقد تنازع العلمـاء

---

1 (?) عــالم الجن والشــياطين ص (96-97)، للــدكتور عمر سـليمان الأشـقر، طبع مكتبة الفلاح بـالكويت الطبعة الرابعة (1404هـ- 1984م).

2 (?) هو الإمــام العلامة صــدر الــدين أبو الحسن علي بن علاء

في حقيقة السـحر وأنواعـه، والأكـثرون يقولـون: إنه قد يؤثر في مـوت المسـحور ومرضه من غـير وصـول شـيء ظاهر إليه، وزعم بعضهم أنه مجرد تخييل.

واتفقـــوا كلهم على أن ما كــــان من جنس دعــــوة الكــواكب السـبعة، أو غيرها أو خطابهـا، أو السـجود لها والتقرب إليها بما يناسـبها من اللبـاس والخـواتم والبخـور ونحو ذلــك، فإنه كفــر، وهو من أعظم أبــواب الشــرك، فيجب غلقه، بل سده وهو من جنس فعل قوم إبـراهيم ، ولهذا قـال ما حكى الله عنه بقولـه: **فنظر نظرة في النجوم. فقال إني سـقيم** [1] وقـال تعـالى: **فلما جن عليه الليل رأى كوكبـــاً** [2] الآيـــــات إلى قوله تعـالى: **الـذين آمنـوا ولم يلبسـوا إيمـانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتـــدون** [3] واتفقـــوا كلهم أيضــاً على أن كل رقية وتعـزيم أو قسـم فيه شـرك بالله فإنه لا يجوز التكلم به، وكذلك الكلام الذي لا يعرف معناه فلا يتكلم به وإن أطاعته به الجن وغـــيرهم، لإمكــــان أن يكون فيه شرك لا يعرف، ولهذا قـال النـبي : **$لا بـأس بــالرقى ما لم تكن شــركاً#** [4] ولا يجــوز الاســتعاذة

الــدين بن أبي العز الدمشــقي الحنفي، ولد ســنة (731 هــ) وتــوفي ســنة (792 هــ)، له عــدد من المؤلفــات النافعة من أشهرها شـرح الطحاوية الـذي يعد أفضل شـروحها وأنقاها من الانحراف والبـدع. انظر ترجمتـه: كشف الظنـون ص (1143)، وهدية العـــارفين (1/726)، ومقدمة شــــرح الطحاوية طبع مؤسسة الرســالة (1/63 -104)، تحقيق الــدكتور عبدالله الــتركي وشــعيب الأرنــاؤوط طبع مؤسسة الرســالة بــيروت، الطبعة الأولى(1408هـ- 1987م).

1 (?) الصافات (88 - 89).

2 (?) الأنعام (76).

3 (?) الأنعام (82).

4 (?) مسلم (4/1727) كتاب السلام باب لا بأس بـالرقى ما لم

بالجن، فقد ذم الله الكافرين على ذلك، فقال تعالى: ﴿ **وأنه كان رجال من الإنس يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقاً** ﴾[1] قالوا: كان الإنسي إذا نزل بالوادي يقول أعوذ بعظيم هذا الوادي من سفهائه، فيبيت في أمن وجوار حتى يصبح ﴿ **فزادوهم رهقا** ﴾ يعني: الإنس للجن، باستعاذتهم بهم، رهقاً أي إثماً وطغياناً وجراءةً وشراً، وذلك، أنهم قالوا: قد سُدنا الجن والأنس، فالجن تعاظم في أنفسها، وتزداد كفراً إذا عاملتها الإنس بهذه المعاملة، وقد قال تعالى: ﴿ **ويوم يحشرهم جميعاً ثم يقول للملائكة أهؤلاء إياكم كانوا يعبدون، قالوا سبحانك أنت ولينا من دونهم بل كانوا يعبدون الجن أكثرهم بهم مؤمنون** ﴾[2] فهؤلاء الذين يزعمون أنهم يدعون الملائكة ويخاطبونهم بهذه العزائم، وأنها تنزل عليهم ضالون، وإنما تنزل عليهم الشياطين، وقد قال تعالى: ﴿ **ويوم يحشرهم جميعاً يا معشر الجن قد استكثرتم من الإنس وقال أولياؤهم من الأنس ربنا استمتع بعضنا ببعض وبلغنا أجلنا الذي أجلت لنا قال النار مثواكم خالدين فيها إلا ما شاء الله إن ربك حكيم عليم** ﴾[3] فاستمتاع الإنسيّ بالجني في قضاء حوائجه، وامتثال أوامره، وإخباره بشيء من المغيبات ونحو ذلك، واستمتاع الجن بالإنس تعظيمه إياه، واستعانته به، واستغاثته وخضوعه له.

ونوع منهم يتكلم بالأحوال الشيطانية، والكشوف ومخاطبة رجال الغيب وأن لهم خوارق تقتضي أنهم أولياء

يكن فيه شرك.

1 (?) الجن (6).

2 (?) سبأ (40 - 41).

3 (?) الأنعام (128).

اللـــــه، وكــــان من هـــؤلاء من يعين المشـــركين على المسلمين! ويقول: إن الرسول أمره بقتال المسلمين مع المشــركين، لكــون المســلمين قد عصــوا!! وهــؤلاء في الحقيقة إخوان المشركين.

والناس من أهل العلم فيهم على ثلاثة أحــزاب: حــزب يكــذبون بوجــود رجــال الغيب، ولكن قد عــاينهم النــاس، وثبت عمن عــاينهم أو حدثه الثقــات بما رأوه، وهــؤلاء إذا رأوهم، وتيقنوا وجودهم، خضعوا لهم.

وحزب عرفوهم، ورجعـوا إلى القـدر، واعتقـدوا أن ثم في الباطن طريقاً إلى الله غير طريقة الأنبياء.

وحــزب ما أمكنهم أن يجعلـوا وليـاً خارجـاً عن دائـرة الرســول، فقــالوا يكــون الرســول هو ممــداً للطــائفتين، فهؤلاء معظمون للرسول جاهلون بدينه وشرعه.

والحــق: أن هــؤلاء من أتبــاع الشــياطين، وأن رجــال الغيب هم الجن ويســمون رجــالاً، كما قــال تعــالى: ﴿**وأنه كــان رجــال من الإنس يعـوذون برجــال من الجن فزادوهم رهقــاً**﴾. وإلا فــالإنس يؤنســون أي يُشــهدون ويُرون، وإنما يحتجب الإنسي أحياناً لا يكون دائماً محتجباً عن أبصــــار الإنس، ومن ظن أنهم من الإنس فمن غلطه وجهله، وسبب الضلال فيهم وافتراق هذه الأحــزاب الثلاثة عدم الفرقان بين أولياء الشيطان وأولياء الرحمن.

ويقول بعض الناس: الفقراء يسلِّم إليهم حـالهم، وهـذا كلام باطــل، بل الــواجب عــرض أفعــالهم وأحــوالهم على الشــريعة المحمديــة، فما وافقها قبــل، وما خالفها رد، كما قال النــبي ﷺ: $**من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد#**[1] **وفي رواية $من أحــدث في أمرنا هــذا ما**

---

[1] (?) رواه البخــاري (2/959) كتــاب العلاج بــاب إذا اصــطلحوا على صــلح جــور فالصــلح مــردود، ومســلم (3/1343) كتــاب الأقضية باب نقض الأحكام ورد محدثات الأمور.

ليس منه فهو رد#[1].

فلا طريقة إلا طريقة الرسـول ولا حقيقة إلا حقيقتـه، ولا شريعة إلا شريعته، ولا عقيدة إلا عقيدته، ولا يصل أحد من الخلق بعـده إلى الله وإلى رضـوانه وجنته وكرامته إلا بمتابعته باطناً وظاهراً)[2].

1 (?) مسلم الموضع السابق.

2 (?) شرح العقيدة الطحاوية (2/764-768)

المبحث الثاني: نشر الخرافة في الأمة

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: تعريف الخرافة

في اللغة:

قـال ابن الأثـير: (وفي حـديث عائشـة: " **قـال: لها حدثيني، قالت: ما أحدثك حديث خرافة**[1] " خرافة: اسم رجل من عذرة استهوته الجن؛ فكان يحدث بما رأى، فكذبوه وقالوا حديث خرافة، وأجْـرَوهُ على كل ما يكذبونه من الأحـاديث، وعلى كل ما يسـتملح ويتعجب منه ويـروى عن النبي أنه قال: **$خرافة حق#** والله أعلم)[2].

وقـال ابن منظـور: (والخرافة الحـديث المسـتملح من الكذب، وقالوا: حديث خرافة، ذكر ابن الكلبي في قـولهم خرافة أن خرافة من بـني عـذرة أو من جهينة اختطفته الجن ثم رجع إلى قومه فكـان يحـدث بأحـاديث مما رأى يعجب منها النـاس فكـذبوه فجـرى على ألسن النـاس، ورُويَ عن النبي أنه قال: **$وخرافة حق#** وفي حـديث عائشة رضي الله عنها، قال لها: حدثيني قالت: ما أحـدثك حـديث خرافـة، والـراء فيه مخففه ولا تدخله الألف واللام لأنه معرفة إلا أن يريد به الخرافات الموضوعة من حديث الليل أجـروه على كل ما يكذبونه من الأحـاديث وعلى كل

---

1 (?) الحـديث رواه أحمد في مسـنده (6/157) وأبو يعلى (7/419)، من حـديث مجالد بن سـعيد عن عـامر الشـعبي عن مسروق عن عائشة والحـديث ضـعيف لوجـود مجالد بن سـعيد قـال عنه في التقـريب: (ليس بـالقوي) وقد ضـعفه الشـيخ الألباني في سلسلته الضـعيفة (4/202) حـديث رقم (1712)، وضعفه كذلك حسين أسد محقق مسند أبي يعلى (7/420).

2 (?) النهاية في غريب الحديث (2/25).

ما يستملح ويتعجب منه)[3]، فهو إذن في اللغة ما يستملح من الكذب ويتعجب منه.

---

3 (?) لسان العرب (9/65-66).

في الاصطلاح:

النــاس يقرنــون الخرافة بالبــدع فيقولــون " البــدع والخرافات " و " هذا من خرافات الصوفية "

ويقصدون به بـدعهم ومحـدثاتهم، والصـحيح التفريـق، فالبدع هي" المحدثات في الدين " وأما الخرافـات فهي " ما يشـيعه القبوريـون وغـيرهم من المبتدعة من المنـاقب والكرامـات المخترعة الـتي لا أصل لهـا، ولا يثبت وقوعها بســند شــرعي أو دليل مــادي، فتردها العقــول وتمجها الأذواق السليمة ".

المطلب الثاني: الخرافـات الناشـئة عن الانحـراف في مفهوم الولاية:

لقد حــدد الله تعــالى مفهــوم الولاية وحقيقة الــولي بسهولة بعيداً عن التكلف، فقال سبحانه وتعالى: **ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولاهم يحزنون. الــذين آمنــوا وكــانوا يتقــون. لهم البشــرى في الحيــاة الدنيا وفي الآخرة لا تبـديل لكلمـات الله ذلك هو الفوز العظيم** [(1)]، فـولي الله هو المـؤمن المتقي لـه، ليس له سيما غير الإيمان والتقــوى، فكلما تحقق بهما زاد ولاية وقربــاً من الله تعـالى، ولا يشـترط ظهـور الخـوارق على يديه ولا صدور الشطح ولا التبجح عنـه، ولا أن يكـون من نسب معين أو من أتبــاع طريقة معينــة؛ بل نســبه الإســلام ومتبوعه محمد وكفى، يســلك للهداية ســبلها ويــدخل الولاية من أبوابهــا، ويــترقى فيها كلما ازداد بعد الفرائض بالنوافل، وبعد الإيمان باليقين والإحسـان، يقـول الله تعالى: **والذين جاهـدوا فينا لنهـدينهم سـبلنا وإن الله لمع المحسنين**[(2)]، ويقـول الرسـول : **$إن الله تعــالى قــال: مَن عــادى لي وليــاً فقد آذنته**

---

1 (?) يونس (62-64)

2 (?) سورة العنكبوت (69).

بالحرب، وما تقـرب إليَّ عبـدي بشـيء أحب إلي مما افترضته عليه، وما يـزال عبـدي يتقـرب إلي بالنوافل حتى أحبه؛ فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها، وإن سـألني لأعطينه ولئن استعاذني لأعيذنه، وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن نفس المؤمن يكره المـوت وأنا أكــره مســاء ته#[1]، فجعل المــدخل فعل الفــرائض، والمصعد الذي يرتقي به في درجات القرب فعل النوافل، ورتب على ذلك الحفظ التـــــام والرعاية الكاملة والمعية الشاملة، هذا هو الـولي الـذي جـاء الـوحي بصـفته وحـدد طريق وصوله إلى تلك الولاية.

والصــوفية القبورية المنحرفة لم تــرضَ ذاك الســبيل ولم تسلك ذلك المنهج؛ بل اتخذت للوصول سبلاً مبتدعة؛ إما بالمجاهدات التي تشبه مجاهدات البراهمة والبــوذيين، أو بدعوى الوهب الـذي لا يسـتند إلى سـبب من الأسـباب المعروفــة، أو بمنحة من الــولي الأكــبر والقطب الأعظم الـذي أوكل إليه تصـريف هـذا الكـون فقـالوا: " إن نظـرة واحدة منه تنقل المريد إلى مواطن الرجــال "[2]، وحينـــاً يمنحون الولاية للمجانين أو الفسقة المجرمين، قد يتعجل بعض القــراء فيتعجب أو يغضب من هــذا الكلام ولكن لو أنه صــبر حـتى أقص عليه بعضــاً من أخبـار القـوم لـزال تعجبه وذهب غضبه إن شاء الله.

طريقة عرض الخرافات الناشئة عن الانحراف في مفهوم الولاية:

الخرافات في هذا البـاب كثـيرة جـداً لا يمكن حصـرها

---

1 (?) البخاري (5/2385) كتاب الرقاق بـاب التواضع من حـديث أبي هريرة.

2 (?) انظر: تذكير الناس ص(260).

وضــبطها، ولكن مــادام الغــرض هو إعطــاء أدلة على ما ذكرته في المقدمة فســــوف أبّـــــوب ما أورده من تلك الخرافــات؛ حــتى يســهل اســتيعابها و يتيسر لي حسن عرضها.

نشأة الولاية وتكوينها:

ابتداء الولاية منذ الحمل بالولي وقبل خروجه إلى هذه الحياة، بـل والـولي ما يـزال في صـلب الوالد قبل أن يقذفه في رحم أمه بل قبل أن يــتزوج بها، جــاء في شــرح العينيبة في ترجمة علوي بن الفقيه المقدم: (ولما أبطأ عن التزوج، نطق ذريته من ظهره: نحن في ظهركــتزوج وإلا خرجنا من ظهــرك، وكــان لا تحمل له امــرأة إلا نطق حملها: أنا ابنٌ صالح أو عبدٌ صالح)[1].

الجنين يفصل النزاع الدائر بين أبويه حول تسميته:

جـاء في الجـزء اللطيـف: (وأخـبرني بعض الثقـات أن الشيخ عبدالله بن أبي بكر تنـازع هو وزوجته عائشة بنت الشيخ عمر المحضـار رضي الله عنها في تسـمية ولـدهما الشـيخ أبي بكـر، وهو يقـول نسـميه أبـابكر وهي تقـول نسميه عمر، وهو إذ ذاك حمل في بطنهـا، فلم يلبث قليلاً إلا وجـاءهم الشـيخ سـعد بن علي مـدحج فقـال لهمـا: إن الولد الــذي في بطنك يا عائشة أتــاني الآن إلى المســجد وقال: إن اسمي أبوبكر)[2].

ويقــرأ في اللــوح المحفــوظ حين ولادة أمه به:

وقــال علي بن محمد الحبشــي: (وقــالوا: إن ســيدنا أبوبكر العيدروس العدني لما تعسَّـرت به أمه في الــولادة

---

1 (?) شرح العينية ص (173).

2 (?) الجزء اللطيف تأليف أبي بكر العيدروس ضمن المجموعة العيدروسية ص (9).

قال أبوه سيدنا عبدالله بن أبي بكر: هذا ولدي ما با يخرج حتى يقـرأ اللـوح المحفـوظ بـاقي معه أسـطر با يتمها وبا يخرج)[1].

وليّـان يتنازعـان في بطن أمهما أيهما يخـرج أولاً ثم يقع الصلح على أن الذي يتـأخر يكـون له الظهور في المستقبل:

في كتـاب " الجـواهر في منـاقب الشـيخ أبي بكر بن سـالم تـاج الأكـابر " قـال: (وفي مجموعة العلامة الكبـير المحقق الحـــبيب علي بن محمد الحبشي جمع الســـيد الفاضل محمد بن عمر مولى خيله قال " إن الشيخ أبابكر وأخـــاه عقيلاً تكلما في بطن أمهما الشـــريفة طلحة بنت عقيل بن أحمد بن أبي بكر السكران، فقـال الشـيخ لأخيه ما معنـاه: إن أردت الخـروج قبلي فـاخرج والظهـور في المستقبل سيكون لي وإلا فأخرج قبلك ولك ذلك، فاختـار أخوه الخروج وارتضى به وكان الظهـور لصـاحب الترجمة نفع الله بهم ")[2].

وولي يؤذِّن في بطن أمه:

في التعليق على الموضوع السابق من الجـواهر قـال: (وفي كتاب أنيس السالكين جاء فيـه: أنَّ صـدر الـدين بن الشيخ بهاء الدين كانوا يسمعونه يؤذِّن في بطن أمه وقت الأذان انتهى)[3].

وولي آخر يعطس في بطن أمه ويحمد الله:

قـال صـاحب تـاج الأعـراس: (وقـال الإمـام المحقق والبحاثـه المـدقق الحـبيب علي بن حسن العطـاس في

---

1 (?) كنوز السعادة الأبدية ص (227).

2 (?) الجـواهر في منـاقب الشـيخ أبي بكر تـاج الأكـابر تـأليف عبدالله بن أحمد الهدار(1/31) طبع دار الفكر الحديث القاهرة (1311- 1971)، وانظر: تاج الأعراس (1/38).

3 (?) الجواهر (1/31).

السِفْر الأول من كتابه" القرطاس في مناقب العطـاس": ولقّب بالعطـاس لأن ذلك كـان كرامة له فإنه عطس في بطن أمه فحمد الله وســـمع ذلك منه وهو في بطن أمه وهي أعني العطسة لا تزال في ذريته تسـمع منهم آن بعد آن في كل زمان على تعـاقب الأحيـان حـتى لايندرس أثر تلك الكرامة، وأول من عطس في بطن أمه هو ســـيدنا عقيل بن سالم شـقيق الشـيخ أبي بكر بن سـالم صـاحب عينات فصـارت باقية في عقبه غـير أنه لم يشـتهر بها من أولاد ســيدنا عقيل إلا ســيدنا عمر بن عبــدالرحمن فإنها صارت علماً

عليه وعلى أولاده بل وأولاد أخيه عقيل بن عبد الـرحمن و عبدالله بن عبـدالرحمن، وأما بقية أولاد سـيدنا عقيل بن سالم فإنه يقال لهم آل عقيل بن سـالم، فائـدة: اسم العطاس إذا قلبته صار الساطع فافهم)[1].

إنشاء الأولياء وتلقيهم الولاية والعلم:

قلت في المقدمة أن الصوفية قد انحرفوا في مفهـوم الولايـــة، وتـــرتب على ذلك الانحـــراف عـــدد كبـــير من الانحرافـــــات، من ذلك الحصـــــول على الهداية والولاية والعلم، وهذه أمثلة تبين بعض تلك الانحرافات.

الأقطاب تصنع الأبدال:

قـــــال الشـــــرجي في ترجمة علي بن المرتضى الحضرمي: (يرُوى أنه خرج يوماً من مدينة زبيد إلى ناحية البحر ومعه فقير من فقرائه، فمـروا في طـريقهم بشـيء من زرع الـذرة، فقـال الشـيخ للفقـير: خذ معك شـيئاً من هـذا القصـب، ففعل الفقـير وبقي متعجبـاً في نفسه من ذلك، حتى بلغا محلة لعبيد يقال لهم السناكم، بفتح السين المهملة وقبل الألف نون وبعـده كـاف مكسـورة، يـأكلون الميتـات ويشـربون المسـكرات، ولا يعرفـون الصـلوات،

1 (?) تاج الأعراس (1/38-39).

ولاشيئاً من الشرائع، فوجـدهم الشـيخ يشـربون ويلعبـون وفيهم شـيخ طويل يضـرب لهم في طبـل، فقـال الشـيخ للفقير: ادع لي هذا الذي يضرب بالطبل فدعاه فلما وصل إلى الشـيخ قـال للفقـير: أضـربه بالقصب الـذي معـك، فضربه حتى استوفى منه حد السـكر، ثم قـال له الشـيخ: امش معنا، فمشـوا حـتى بلغـوا البحـر، فـأمره الشـيخ أن يغتسل ويغسل ثيابـه، ففعل ثم علمه كيفية الوضـوء والصلاة ثم صلى بهم الشيخ صلاة الظهر، فلما فرغوا قام الشيخ وفرش سجادته على البحر، وقال له: تقـدم، فقـام ووضع قدميه على السجادة ومشى على الماء حـتى غـاب عن العين، فالتفت الفقيه إلى الشيخ وقال: وامصيبتاه لي معك كـذا وكـذا سـنة ماحصل لي شـيء من الأمـر، وهـذا حصل له هذا المقام في ساعة واحدة، فقال له الشـيخ: يا ولدي إيش كنت أنا هذا فعل الله تعالى، قيل لي فلان من الأبـدال تـوفي في الأرض الحبشـة، فـأقم فلانـاً مقامـه، فامتثلت أمره)[1].

فـانظر إلى هـذا الـولي الـذي جـاءه الأمر من رب العالمين ينصب لأهل أفريقيا بدلاً مكان البـدل الـذي كـان لديهم، وكأن الأمر تخصصات إدارية، لكل جهة مسؤول هو يـولي ويعـزل فيهـا، ثم انظر كيف كـان الاختيـار لـذلك الجاهل المغـرق في الجهل الـذي لا يعـرف من طاعة ربه شـيئاً ولا يتـورع عن شـيء من معصيته كيف تحـول في ساعة واحدة إلى بدل! والبـدل عنـدهم له منزلة خطـيرة، ثم كيف أعطى تلك الكرامة؟ ولا أدري أهي كرامة للـولي الأول أم الثاني؟ فسبحان الله عما يفترون!.

طرق أخذ بعضهم للعلم:

طائر يصب العلم في فم الولي فيصبح فقيهاً عالماً إماماً عارفاً جامعاً بين الشريعة والحقيقة:

1 (?) الطبقات ص(222).

قــال الشــرجي في ترجمة محمد بن حســين البجلي: (يــروى أنه كــان في بدايته يقــرأ على الفقيه إبــراهيم بن زكريا مقدم الذكر، فاتفق أنه مرض فلم ينتظــره أصــحابه الذين زاملوه في القراءة فلما عوفي ذهب إلى بلد شيخه هو وأخوه الفقيه علي، كان صَــحِبَه ليســتمع منه القــراءة، فلما حمي عليهما النهار عدلا إلى ظل شجرة، فنام الفقيه محمد فجاء طــائر، فجعل فمه في فمــه، وجعل يصب فيه شــيئاً له رائحة طيبــة، وأخــوه ينظر إليــه، فلما اســتيقظ الفقيه قال لأخيه: ارجع بنــا، فرجعا إلى بلــدهما فــاتفق أن مــرض الفقيه محمد بعد ذلــك، فوصل إليه شــيخه الفقيه إبراهيم يزوره في جماعة من الدرسة، وألقى عليه الفقيه إبراهيم عدة مسائل، فأجاب عنها جواباً شافياً، فقــال لــه: يافقيه محمد هــذا علم أعيطته ليس هــذا من القــراءة، ثم فتح الله عليه بعد ذلك بمعرفة تامة في دقـــائق العلـــوم، وكان له في الحقائق مصنف سماه اللباب)[1].

ويتكــرر المشــهد ويــأتي الطــائر الأخضر ليصب العلم في فم ولي آخر وزيـــادة على ذلك تنفلق الصـــخرة ليظهر منها كف أبي بكر الصديق ليصافحه وينصبه شيخاً:

وقــال الشــرجي كــذلك في ترجمة أحمد بن علــوان: (كان أبــوه كاتبــاً يخــدم الملــوك ونشأ هو على طريقة أبيه من الاشــتغال بالكتابــة، وقــرأ في النحو واللغة وغــير ذلك من فنون الأدب، ثم قصد إلى بــاب الســلطان ليخــدم معه مكان أبيه، فبينما هو في الطريق إذا وقع على كتفه طــائر أخضر ومد منقــاره إلى فمه، ففتح الشــيخ فــاه فصب فيه الطائر شيئاً فابتلعه، ثم رجع من فوره، ولــزم الخلــوة من حينــه، واعتكف أربعين يومــاً، ثم خــرج وقعد على صــخرة عظيمة يــذكر الله تعــالى، فــانفلقت الصــخرة عن كــف، وسمع قائلاً يقول له: صافح هــذا الكف فقــال: ولمن هــو؟

---

1 (?) الطبقات ص (267-268).

فقيل له: كف أبي بكر الصديق ، فصافحه وسمع قائلاً يقول له قد نصبتك شيخاً. وإلى ذلك أشار في بعض كلامه يخاطب أصحابه حيث قال: وشيخكم أبوبكر الصديق ، ثم ألقى الله تعالى له القبول والمحبة في قلوب العالم، وتبعه خلق كثير من الناس، وظهرت كراماته وتواترت مكاشفاته، وكان له كلام حسن في الوعظ على طريق ابن الجوزي، حتى كان يقال له: جوزي اليمن، وجمع من كلامه في ذلك كتباً كثيرة، وله في التصوف فصول كثيرة أيضاً يتكلم فيها على لغات شتى.

سئل بعض أصحابه عن معرفة الشيخ لتلك اللغات وهو عربي، وأهل بلده لايعرفون غير العربية، ولم يعلم له خروج عن بلده، فقال: كان روح الشيخ مهبطاً لأولياء الله تعالى، ولهم لغات كثيرة يتكلمون بها على لسان الشيخ، فكان ينطق بها كما يقولون، والدليل على ذلك أنه كان يكتب كلامه ثم يستعرضه، فما لم يدركه من ذلك غسله، وكان متى علم أن في الحاضرين من لايفهم كلامه قال: ياقائماً في الماء وهو عطشان)[1].

وولي ثالث يخرج إليه الولي الميت يقرؤه القرآن:

قال صاحب تذكير الناس: (وقال سيدي علي بن محمد الحبشي مخاطباً لسيدي أحمد صلينا مرة خلف الحبيب أحمد بن محمد المحضار صلاة الصبح، فلما قضى الصلاة التفت إلينا، وقال قراءتي برزخية هل أعجبتكم؟ قلنا: ما أحسنها قراءة، فقال: إني لما كنت أتعلم القرآن ضربني المعلم ذات يوم ضرباً مؤلماً فهربت منه، وجئت إلى قبر الشيخ يوسف بن أحمد بحر النور؛ فلما دخلت عنده ظهر لي الشيخ من قبره، وعليه حلة من ذهب، وقال: أنا أقرئك القرآن، تعال إلى عندي كل يوم فكنت آتيه فيخرج من قبره يقرئني، وكنت إذا جن علي الليل، وأنا عنده

---

1 (?) الطبقات ص(69).

يطلع قدامي حامل المصباح إلى بيتي، فقال سيدي أحمد لسيدي علي: وأنا سمعت هذا منه)[1].

تجزؤ الولي وتضخم جسمه وسريانه في الكون وتحول أعضائه إلى نور ورؤية الآيات مكتوبة عليها وسماعها وهي تذكر الله تعالى:

قدمنا في مطلب سابق قول صالح بن عبدالله العطاس بأن الولي يتجزأ؛ فيكون جزء منه يعبد الله وجزء آخر يتصرف في أمور معاشه، وذلك عند ذكر الولي الذي لم ير يصلي أبداً، وفي المشرع في ترجمة حسين بن أحمد بن عبدالرحمن اشتهر والده ببا بريك، قال الشلي: (وشهد له غير واحد أنه كان يتجزأ، منهم الشيخ عبدالرحمن بن علي قال: رأيته في مسجد العيدروس ورأيته في مسجد سرجيس، ورجعت إلى مسجد العيدروس فرأيته، ورجعت إلى مسجد سرجيس فوجدته فسألت أهل المسجدين فقالوا ما غاب عنا، وكذا حكى عن السيد الجليل محمد بن علوي الملقب سطيله)[2]، فانظر إلى هذا التأكيد والاستدلال على تجزؤ الأولياء وهو أمر مستحيل عقلاً ولم يأت ما يثبته شرعاً.

وقال الشرجي في ترجمة الشيخ عبدالله باعباد: (وكان الشيخ عبدالله نفع الله به قد تطرقه في بعض خلواته حالة حتى يعلوه نور عظيم، وقد يغيب شخصه في ذلك النور، وربما عظم جسمه حتى يملأ البيت)[3].

وقال علي بن محمد الحبشي: (ولما جاء الحبيب عبدالله بن عمر بن يحيى إلى قرسي وفيها الحبيب أحمد بن عبدالله بافقيه وأولاده شيخ ومحمد، وكلهم رجال فحضرت صلاة فقدموا فيها الحبيب عبدالله بن عمر إماماً

---

1 (?) تذكير الناس ص(128)..

2 (?) المشرع (2/88).

3 (?) الطبقات ص(178).

وكان الحبيب علـوي بن هاشم جالسـاً في ناحية لم يصل معهم فقـال الحـبيب محمد في نفسه كيف هـذه الولاية وفيها خـرق الشـريعة؟ وكيف تكـون ولاية بلا صـلاة؟ فكاشـفه والـده الحـبيب أحمد وقـال له يامحمـد: فقـال: مرحباً فقال لـه: ارفع رأسك فرفع رأسه فـإذا تسع صـور على صورة الحبيب علوي يصلين في الهـواء فقـال له هل تضر صـورة واحدة جالسه لاتصـلي وتسع يصـلين؟ ويـذكر عنه أنه رؤيَ في نحو عشر بلـدان وفعل في كل بلد ضيافة في وقت واحد.

والتجزيء لا يكون إلا للرجال، أخبرني محمد محروس، وكان من الرجال، قال: إن عمر مشـغان كـان يـتردد على عقيل بن حسن الجفـري وأنه مـرة جـاء سـأل عنه وسـار على سـته ديـار أو سـبعه فوجـده فيهن كلهن، ولا هو في الظاهر متهوم بهذا الأمر كله، ولكنه له تعلق بـالحبيب أبي بكر والحبيب حسن)[1].

وولي آخر يسمع ذكر الله من قلبه وجميع جوارحه:

قـال الشـلي في ترجمة عبـدالرحمن السـقاف: (ولما ضـعف آخر عمـره عن تلك المجاهـدات اتخذ قارئـاً يقـرأ القرآن عنده وهو يسمعه، وربما قرأه معه مدارسة، وكان مع ذلك لا يـدخل وقت الصـلاة إلاّ وهو في المسـجد، متطهراً متنظراً للجماعـة، وإذا قـام للصـلاة قـام لها كأنه شـاب، وربما اقتصر على الفـرض، وحكى أن تلميـذه عبـدالرحيم بن علي الخطيب وقع في نفسه شـيء في ذلك فكاشـفه الشيخ، وقـال لـه: إن إسـماعيل بن محمد الحضرمي صلى الفرض وقـام ليصـلي النفل فنـودي صل الفرض ونم عـرض[2]، وكـانت أعماله قلبية وأكـثر طاعاته مخفيـة، وكـان لايفـتر قلبه ولسـانه عن ذكر الله بالليل

1 (?) كنوز السعادة ص(55-56).
2 (?) كذا في الأصل.

والنهار، وكان يسمع لقلبه رجيف بالذكر والاستغفار، وكان جمع من المشايخ الكبار يسـمعون جميع أعضـائه وشـعره وبشره يـذكر اللـه، واعـترض بعض فقرائه عليه مخـاطرة في مخالطته للعـــوام فســـمع قلبه في حـــال خوضه في الحديث معهم يذكر الله فتاب عما خطر بباله)[1].

وقبل هذا كان يذكر في ترجمة السقاف أيضاً أن أخاه العارف بالله[2] قـال: (وقعت بيـني وبين أخي عبـدالرحمن خصـومة في نخل السـوم، فقلت في نفسي بمـاذا يفتخر علي يصوم وأصـوم ويصـلي وأصـلي وأبونا واحد وضـيفي أكثر من ضيفه، فرأيت في منامي شخصاً يقـول لي: قلت كـذا وكـذا قلت: نعم، قـال فسر معي فـأتى بي إلى أخي عبدالرحمن فوجـدنا جسـده نـوراً وعلى أعضـائه مكتـوب بالنور صورة الإخلاص ولا إله إلا الله محمدٌ رسول الله ثم قال لي: إذا وصلت إلى هذا المقام فتكلم فـأذعنت له من يومئذٍ)[3].

ومن الرتب التي يدعونها لأوليائهم:

ماجـاء في تـذكير النـاس قـال: (وجـرى ذكر سـيدي الحبيب الإمام الحسن بن صالح البحر، في مجلس حضرة سيدي الحبيب علي بن محمد الحبشـي، وسـيدي الحـبيب أحمد بن حسن العطاس، فقال سيدي الحبيب علي: رأيت الأخ علي بن سـالم بن الشـيخ أبي بكر بن سـالم، فقـال لي: إن فـوق العـرش رتبـة، يتراءاها أهل العـرش كمـا يتراءى النجوم أهل الدنيا، فسألت لمن هذه الرتبة؟ فقيل لي: هذه رتبة حسن بن صالح البحر)[4].

الأقطاب الجهال:

---

1 (?) المشرع (2/144).
2 (?) كذا في المشرع.
3 (?) المشرع (2/143).
4 (?) تذكير الناس ص(219-220).

أما ولاية الله تعـــالى فليس من شــــرطها التبحر في العلم وأن يُعرف كل ولي لله بالعلم ويعد من أهلـه، ولكن شـــــيخ الطريقة أو الجماعة والمرشد لها لابد له من ذلك لحـــــديث عبدالله بن عمــــرو بن العـــــاص : **$إنَّ الله لايقبض العلم انتزاعــاً ينتزعه من العبــاد، ولكن يقبض العلم بقبض العلمــاء، حـــتى إذا لم يُبـــقِ عالماً اتخذ الناس رؤوساً جهـالاً فسـئلوا فـأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا#**[1]، فواضح من الحــديث أن المتصدر للناس على جهل أنه يَضِـل ويُضِـل، وهكـذا وضع الصوفية قاعدة نظرية جيده فقـال: " من تصـوف قبل أن يتفقه تزنـدق "، ولكن هـذا لم يطبقـوه فجعلـوا كثـيراً من الجهلاء والعوام مرشدين ومشايخ طريق، هذا واقعهم.

وأنا أقــول: فعلاً إن ذلك قد حصــل، وكثــير من أولئك الجهال المتصدرين قد تزندقوا وخرجوا عن حدود الشــرع، ولم يبق بأيدي معظمهم إلا التأويل لكلامهم وأفعالهم التي لو صدرت من إنسان غير مشهور لحكم الكل أنه زنديق.

يقول الشرجي في ترجمة جوهر بن عبدالله الصوفي: (كان عبداً عتيقاً لبعض التجار، وكان يتعاطى التجــارة في مدينة عدن، وهو مع ذلك يحب الصـوفية والفقـراء و يكـثر المجالسة لهم، فلما حضرت الشـيخ سـعد الحـداد الوفـاة وكان له رباط وأصـحاب، فقـال له أصـحابه: ياسـيدي من يكـون الشـيخ بعـدك؟ قـال: الـذي يقع على رأسه الطـير الأخضر في اليوم الثالث من وفاتي، فلما كـان ذلك اليـوم اجتمع الفقـراء وحضـرهم جماعة من الفقهـاء وجمع كثـير من عامة الناس، وكان الشيخ جوهر من جملة من حضــر، وإذا بالطائر الذي وصـفه الشـيخ جـاء وحط في طاقة من

---

1 (?) البخـــاري كتـــاب العلم بـــاب كيف يقبض العلم (1/50)، ومســـلم كتــاب العلم بــاب رفع العلم وقبضه وظهــور الجهل والفتن في آخر الزمان (4/2058).

الربـاط، فعند ذلك استشـرف للمشـيخة أكـابر أصـحاب الشيخ سعد، فجاء وحط على رأس الشـيخ جـوهر من بين سـائر الحاضـرين، فقـام إليه الفقـراء ليقعـدوه موضع المشيخة فبكى وقـال: أين أنا من هـذا وأنا رجل عـامي لا أصلح لـذلك، فقـالوا له قد أقامك الحق في هـذا المقـام فسيعلمك ما تجهل ويتـولى عنايتـك، فقـال: إن كـان ولابد فأمهلوني ثلاثة أيام أسعى في رد حقوق الناس، فأمهلوه، ثم قعد بعد ذلك في منصب المشـيخة، وكـان جـوهراً كاسـمه، وظهـرت له الكرامـات، ولاح عليه للخـيرات إمارات)[1].

وآخـرون منهم ينقلـون الفتـوى مباشـرة عن رب العالمين:

قال في تـذكير النـاس: (وسـئل الشـيخ أحمد الرملي عن مسألة وهو راكب على بغلة فـأطرق وطأطأ رأسه إلى الأرض، والتفت يمنة ويسـره، ثم رفع رأسه وأجاب السائل، فسأله السائل عما صنع، فقال له: إنك لما سـألتني لم يكن لي علم بها فتصفحت كتب المشرق والمغـرب فلم أظفر بها ثم نظـرت اللـوح المحفـوظ فلم أجـدها ثم أخبرني قلبي عن ربي أو قال نزل بها ملك)[2]

الأولياء المجانين:

المجنون غير مكلف ولا يحكم عليه بعدالة ولا بفسوق، كما أنه لا يوصف بولاية ولا بشـقاوة؛ لأن منـاط التكليف العقل وهو غير موجود، وإنما تكون المراتب تبعاً للأعمـال والاعتقادات والمقاصـد، وكل ذلك في حق المجنـون غـير متـوفرة، ولكن الصـوفية لأن ولايتهم ليست دائمـاً متعلقة بأشخاص الأولياء، وإنما بما يجري على أيديهم أو ألسـنتهم

---

1 (?) الطبقات ص(120 -121).
2 (?) تذكير الناس ص(25).

مما قد يكون من إلقاء الشيطان ينظرون لما يجــري على يد المجنون الذي قد ركبه الشيطان وتوصل من خلاله إلى مآرب كثيرة من إضلال الناس، ينظرون إلى ذلك المجنون على أنه ولي من أولياء الله أو قطب أو بدل.

يقــول الشــرجي في ترجمة الشــيخ الصــديق الملقب بربش: (كـان رجلاً مجـذوباً لايـزال مقيـداً لما تغـير عقله وبطش بالناس، وكـان كثـير الكشـف، قل أن يأتيه أحد إلا ويكاشـفه بحالـه، وبما جـاء بسـببه، فكـان لأهل زبيد فيه معتقد عظيم)[1]، وفي ترجمة أبي بكرالسلاسلي قال عنه: (كـان قد تنسك في بدايته وصـحب الصـوفية، وكـان كثـير المجاهــدة، فحصــلت جذبة خــرج بها عن حسه، فكــان يمشي عرياناً في الشوارع، ولا يتســتر بشــيء وإن ألبسه أحد ثوباً طرحه، وكانت هذه حاله حتى توفي ســنة خمس وســبعين وســبعمائة، ولأهل البلد فيه معتقد عظيم حيــاً وميتاً نفع الله به آمين)[2].

الأولياء المتظاهرون بالفسق وترك الفرائض:

من أولئك الــذين أظهــروا أمــوراً غــير لائقة "عمر بن مدافع الصوفي" قال الجنـدي في ترجمة والـده: (ثم عمر كان يخالط الأمراء والكبراء، وكان محبوباً عند أبيه وحصل له منه نصـيب وافر بحيث أنه ما همّ أحد بالإسـاءة إليه إلا وبلى ببلاء ظــاهر، وكــان من المــترفين يلبس الثيــاب الفاخرة، ويذكر عنه أمور غير لائقة بالشــرع، فحملت ذلك على ماجـاء في الآثــار " من ســبقت له العناية لم تضـره الجناية "، ذكر بعض الثقـات أن المظفر لما كـثر سـماعه مــــاهو عليه من الخلطة همّ أن يغــــير عليه شــــيئاً من المسامحات فـرأى الشـيخ في المنـام قـائلاً يقـول لـه: يا يوسف إن غيرت على عمر غيرنا عليك، ولم يزل محترمـاً

---

1 (?) الطبقات ص(418).

2 (?) الطبقات ص(417-418).

له حتى توفي سنة ثمانين وستمائة)[1].

ومنهم ريحـان بن عبدالله العـدني قـال الشـرجي في ترجمته: (كان عبداً حبشـياً عتيقـاً لبعض أهل عـدن وكـان صاحب كرامات خارقة ومكاشفات صادقة وكـانت طريقته التخـــريب، يظهر الوله وربما يكشف عورتـــه، وذكر بعض كرامات إلى أن قال وقـال الإمـام اليـافعي أيضا: سـمعت بعض الفقهـاء الكبـار من أهل عـدن يقـول: رأيت الشـيخ ريحاناً يفعل بعض الأشياء المنكرة فقلت في نفسي انظر هذا الفاعل التارك الذي يقـال إنه صـالح يقـدم على هـذه المنكرات، قال: فلما كان الليل احترق بيتي)[2].

قلت: هـذا هو البرهـان والـدليل على صـدق الأوليـاء وصــلاحهم، من اعــترض عليهم نــزلت به كارثة فعند ذلك يسلم لهم حـالهم، وهـذا والله عكس الحقيقـة؛ إذ أن ذلك إنما هو تأكيد لولاية الشيطان لهم ودفاعه عنهم وإخضـاعه خصومهم بتلك الكوارث ينزلها بمنتقديهم.

ومن أولئك عيسى بن طلحة الهتــــــار، قـــــال عنه الشــرجي: (ويحكى عن الشــيخ المــذكور أنه كــان يجتمع بالنساء وله معهن محادثـات وأخبـار كثـيرة والله أعلم بما يصح منهـــا، ويـــروى أنه لما حضــرته الوفـــاة نهى أولاده وأصـحابه عن مثل ذلك وقـال لهم: إنكم لاتطيقـون ذلـك، وكان قد ذ كر قبل ذلك كرامة من كراماته المتعلقة بـذلك فقـــال: ومن كراماته أنه كـــانت امـــرأة مغنية مشـــهورة بالفجور، جاءت إلى الشيخ يومـاً تـزوره وتتـبرك بـه، فلما وقع عليها نظر الشيخ نفع الله بـه، تـابت إلى الله ورجعت عما كانت عليه، فزوجها الشيخ بعض الفقــراء، وعمل لهم وليمة، وجمع عليها الفقـراء وكـانت عصـيدة لم يجعل لهم عليها شيئاً من الإدام كما جرت العادة، وكان قاعداً ينتظر

---

1 (?) السلوك (2/140 - 141).

2 (?) الطبقات ص (135 - 136).

من يصـل، وكـان للمـرأة صـاحب من أمـراء الدولـة، فلما علم بـــذلك أرسل لهم بزجـــاجتين من الخمـــر، وقـــال للرســـول: قل لهم يجعلـــون هـــذا إدامـــاً على طريق الاستهزاء، فلما وصل الرسول إلى الشـيخ قـال له: هـات ياولدي أبطـأت علينا وأخذ الزجـاجتين فصب من إحـداهما سمناً لم ير مثله، ومن الأخرى جلاباً لم ير مثلـه، ثم قـال للرسول: اقعد كُل مع الفقراء، فقعد وأكل شيئاً لم يطعم أحسن منه، فلما رجع إلى الأمـير أعلمه بـذلك، فجـاء إلى الشيخ واعتذر منـه، وقبل يديه ورجليـه، فعفا عنه الشـيخ، ويقال: أنه تحكم على يده هو ورسوله، وأن الرسول تـرك خدمة الأمير ولزم صحبة الشيخ، وكان من جملة الفقـراء) [1].

ومن أصـحاب المخالفة الظـاهرة الـتي لا تأويل لها إلا عند الباطنيـة، ماجـاء في تـاريخ النـور السـافر في ترجمة عبدالرحمن بن عمر باهرمز قال العيدروس: (وحكي أنه " نفع الله به " كـان عنـدما يـرد عليه الحـال يطلب النسـاء الحسان من ذوات الجمـال، فيغـنين بين يديـه، ويرقصـن، فكـان هـذا دأبه في أكـثر الأوقـات، وكـان الفقيه عمر أبـا مخرمه على طريقة الفقهاء، فسـمع بـذلك فقصد الإنكـار على الشـيخ، ومنعه من ذلك، فسـافر من بلـده إليه بهـذه النية، فلما وصل إلى أثنـاء الطريق بـدا له أن يرجع فرجع إلى بلـده، ثم سـمع عنه أيضـاً أمثـال هـذه الأشـياء الـتي ظاهرها مخالفة الشرع، فما أمكنه الصـبر عن ذلك فسـار إليه ثانياً، ودخل عليه، فلما وقع بصره على الشيخ كاشـفه وقـال لـه: عمر عـاد وقتك ماجـاء، فرجع كـذلك إلى بلـده وامتثل ولم يحصل منه إنكار على الشيخ لما سـبق له من الفتح على يديــه، ثم ســار إليه ثالثــاً، فلما دخل عليه أمر الشـيخ " نفع الله به " بعض النسـاء الحسـان ممن كـانت

1 (?) الطبقات ص(250 - 251)

تــرقص عنــده أن تعتنقــه، فما هو إلا أن فعل به ذلك خر مغشــياً عليــه، فلما أفــاق تلمذ للشــيخ وحكمه في ذلك الــوقت، وفتح الله عليه ببركة الشــيخ وصــار من كبــار العـارفين المـربين، وقيل إن الفقيه لما طلب التحكيم من الشـيخ قـال لـه: صل ركعـتين إلى الشـرق، فامتثـل، فلما أحرم رأى الكعبة تجاه وجهه)[1].

فـانظر هـذا الـولي القطب، فـإن حاله لا ينفع فيه إلا غنــاء النســاء الأجــانب الحســان ورقصــهن؛ بل إن ذلك الـرقص والغنـاء يكـون سـبباً لإدخـال الرجـال في دائـرة الولاية كما تــرى، وأعظم من ذلك الــذي يعتــبر كفــراً لا فسقاً أمره لذلك الرجل بالصلاة إلى عكس القبلة!؟ فـأي ولاية هذه التي تكون من كراماتها الكفر بالله تعالى؟

قـال العطـاس في ترجمة أحمد بن عبدالله العطـاس وهو يعدد إخوانـه: (فمنهم علـوى ابن عبدالله ذو الأشـعار الرايقه والجـــذبات الصـــادقة والكرامـــات الخارقة - ثم أسـهب في وصـفه إلى أن قـال -: ومن كرامته في حياته ما اشـتهر عنه بمكة المحمية حينما كـان مجـاوراً بهـا، أن الشيخ العلامة محمد البسـيوني كـان يحب الحـبيب علـوي المـذكور، ويـتردد عليه إلى ربـاط السـادة بسـوق الليـل، فـدخل يومـاً على الحـبيب علـوي، وهو جـالس في خلوته وحده حين ورود الحال عليه، فقام الحـبيب علـوي، وأقفل بـاب الخلوة، ثم تنـاول كأسـاً من الطاقة فيهـا خمر وهو يهـدر كالجمل الهـايج وقـال للشـيخ اشـرب هـذا بوجه السرعة واخرج من عندي، فخـاف الشـيخ على نفسه من الحالة الـتي رأى الحـبيب عليها وأخذ الكـأس وصـبه بين صدره وثيابه، وأظهر للحبيب علوي أنـه قد شـربه، وخـرج مرعوباً فلما وصل إلى بيته خلع ثيابه وأمر جاريته بغسـلها وأخبر أهله بما كان من أمـره مع الحـبيب علـوي وأمـرهم

1 (?) النور السافر ص (59).

بكتم ذلك فأخذت الجارية في غسل الثياب، وبقيت لمعة صغيرة في القميص لم يخرجها الصابون فجعلت الجارية تمصها بفمها حتى ذهب أثرها، وكان من عادة هذه الجارية أنها تتدارس القرآن في أوقات الفراغ مع أهل الشيخ وبناته، ففتح الله عليها من ذلك اليوم في تفسير القرآن بالعلم اللَّدنِّي فأخذت تفسر لهم معاني الآيات تفسيراً بليغاً سهلاً، فتعجب من ذلك أهل الشيخ وسألوها عن سبب هذا الفتح، فلم تعرفه، فأخبروا الشيخ بما صار إليه أمر الجارية فاختفى يوماً في منزل من البيت وأمر أهله أن يتدارسوا القرآن معها كعادتهم فشرعت تفسر لهم ذلك فلم يطق الشيخ صبراً لما سمعه من التفسير الذي لم يطرق سمعه من عالم، ولا رآه في كتاب، وخرج إليهم وجعل يسأل الجارية عن أول يوم وجدت فيه انشراح صدرها، فقالت له: في اليوم الذي وقعت لك فيه الواقعة مع السيد المجذوب، فتفطن الشيخ لذلك، وقال لها هل ذقت شيئاً من آثار الخمر الذي أساب الثياب؟ فقالت: لا، ولكنها بقيت لمعة في القميص لم يخرجها الصابون فمصصتها بفمي حتى زالت فأخذ الشيخ من الأسف مالا مزيد عليه، وعاد إلى الرباط يسأل عن الحبيب علوي فقيل له: إنه قد سافر إلى حضرموت، فاعترضته المنية بجده، فزاد أسفه وعرف أنها خمر من عالم الأمر، وأن الحبيب علوي من نقباء نوبة ذلك العصر الذين تواصوا بالحق وتواصوا بالصبر، انتهى)[1].

ومن ذلك ما ذكره علي الحبشي في كنوز السعادة حيث قال عن الحبيب أحمد الهدار الذي يقال له " المحجوب " والذي قبته بالقرب من مسجد بازرعة بالمكلا: (وذكروا أن الحبيب أحمد المذكور كان إذا رأى امرأة في الطريق قبصها في ثديها، والحكمة في ذلك أنه

---

[1] (?) تاج الأعراس (2/327 - 329)

يخرج شهوة الزنا منها، فقال بعض السادة لزوجته: إن خليتي عمي أحمد يقبص ثديك فعلت بك وفعلت، فلما كان في بعض الأيام أقبلت تلك المرأة تسير وزوجها يمشي في تلك الطريق، فإذا الحبيب أحمد واصل إليها فأسرعت المشي وخبَّت خوفاً من الحبيب أحمد ومن زوجها، فخَّب الحبيب أحمد وراءها وقال لها مالك عذر من قبصة عمك أحمد وإن خبيتي، فلحقها وقبصها في ثديها وزوجها ينظر، وقال لها: تأتين بسبعة أولاد كلهم يركبون الخيل على رغم أنف زوجك، فقال زوجها: إن كان هكذا فلا بأس، فولدت الأولاد السبعة وركبوا الخيل كما ذكر الحبيب)[1].

ومثل ذلك وأشنع ما ذكره أحمد بن حسن العطاس قال: (وكان بمكة عند باب السلام واحد من المجاذيب وإذا خرج أحد من الناس ذكراً كان أو أنثى قبض على فرجه، ومن قبض على فرجه ذلك المجذوب لم يعص الله أبداً)[2].

ومن أولئك الأولياء عندهم زين بن أحمد بن سميط، قال ابن عبيد الله: (فمن ذلك أن لآل الشحر اعتقاداً فيه حتى أنهم ببساطتهم يمكنون نساءهم من مصافحته، فدخل عليه الشيخ أبوبكر بن سعيد الزبيدي، وعنده فتاة جميلة فعلقتها نفسه وتبعها هواه، فتوسل إليه أن يخطبها له، فقال له: مايمنعك عنها بخلك! فقال له: اطلب ماتريد، فخرج ثم عاد، وقال: إن أهلها يطلبون ثلاثمائة ريال فنجع بها طيبة نفسه، فوعده أن يجيء إلى ذلك المكان من آخر ليلته، وعقد له بعجوز قد تغضن وجهها وانتثرت أسنانها وانطبق عليها قول البحتري:

---

1 (?) كنوز السعادة الأبدية ص(237).

2 (?) رواية محمد عوض بافضل ضمن مجموع كلام الحبيب أحمد بن حسن العطاس ص (72) مخطوط.

والسِّـــنُّ قد بَيَّنَتْ فنـــاءَكِ في شـــدق على الماضِغَيْنِ منخسفُ

ودفع لتلك العجوز عشرة ريـالات، وهـرب هو بالبـاقي إلى شبام[1].

قلت: انظر إلى جهل أولئك النـاس وغفلتهم وسـيطرة الخرافة على عقـولهم حـتى أصـبحوا يعتقـدون الولاية في مثل هذا الرجل ويمكنونه من الخلوة بنسائهم!.

وأختم هذه الفقرة بنقل من كتـاب مـواهب القـدوس، ولا أعلق عليه ولكني أدع التعليق عليه للقارئ فلربما فهم منه أفضل من فهمي، قـــال العلامة بحـــرق عن القطب العيــدروس: (وكـان سـهر سـيدي قــدس الله روحه من أعظم الكرامـات الخارقة للعـادة عند الأطبـاء والحكمـاء، فإنه ضـخم الصـورة مـواظب على الأغذية الحـارة الرطبة كثير الشرب بحيث يتـدعى بالمـاء وهو في مجلس طعامه مرتين فأكثر، والحكماء تقول " من شرب كثيراً نام كثـيراً "، وذلك مشـاهد بالتجربــة، وما ذاك إلا لملكة حصـلت له حـتى صـار التطبع طباعـاً، والتكلف هـوى مطاعـاً، وكـان سـيدي قـــدس الله روحه يـــروض العـــوام من الفقـــراء والغلمـــان ليحفظهم عن المعاصي بالســهر فيوهمهم أنه يريد الأنس بهم، ويجعل لكل من واظب منهم معه على سهر الليل كله مرتباً يعطيه إيـاه في صـبيحة كل ليلة في مقابلة سهره، ويزيد من يخشى عليه الانهماك

في المحرمـات في المـرتب فـتراهم ملازمين للسـهر ليلاً والنوم نهاراً، حتى تمضي على أحدهم مـدة سـنين ولا علم له بما الناس فيه رغبة في تحصيل ذلك المرتب، وقد حفظه الله ببركته من حيث لا شـــــعور له بـــــذلك من الفــواحش بالليل ومن الغيبة وغيرها بالنهــار، فلله درّه ما ألطفه في سياســـته، وما أظرفه في تربيتـــه، وما أرأفه

---

1 (?) إدام القوت ص(201).

بعباد الله، وما أرحمه بخلق الله، وكثيراً ماكان يقـول: إني إذا رأيت المــؤمن قد وفقه الله لأداء الفــرائض واجتنــاب الكبائر أرحت خاطري منه، لأنه قد صار مع الركب يمشي على قدميه، وإنما أشغل خاطري واصـرف عنـايتي وابـذل جهدي في خلاص من رأيته منهمكاً في العصيان واقعاً في حبائل الشيطان.

قلت: ولا يخفى أن هــذا مقــام عظيم وقد وصف الله نبيه الكريم بقوله تعـالى: ﴿ **عزيز عليه ما عنتم** ﴾ [1] أي عنتكم وهي المشـــقة ﴿ **حـــريص عليكم بـــالمؤمنين رؤوف رحيم** ﴾[2].

قال ﷺ: **$لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خــير لك من حمر النعم#**[3] متفق عليه.

ويــروى عن الشــيخ الكبــير العــارف بالله " عمر بن ميمون " صاحب أحور أنه كان من أصحاب الفقيه القطب الرباني" إسماعيل بن محمد الحضرمي ثم اليمني" قـدس الله أرواحهم، لما توطن أحــور كتب إليه الفقيه إسـماعيل يقـول: كيف آثـرت سـكنى أحــور على تهامة؟ فأجابه: إن أكـثر أهل تهامة مشاة على أقـدامهم، وإني وجـدت أحـور بلــداً ســاقطاً لكــثرة الزنا فيها والربا والخمر وغيرها من الفـواحش فـأرجو أن ينقذ الله أحـداً منهم من النـار على يدي، فرد عليه الفقيه إسماعيل: هنيئـاً لك قد ظفـرت بما لم يظفر به، فهدى الله به خلقـاً كثـيراً ومن أجل ما انتفع به الشــيخ القطب الفــرد " شــهاب الــدين بن أبي الجعد"

---

1 (?) التوبة (128).

2 (?) التوبة (128)..

3 (?) رواه البخاري (3/1077)كتـاب الجهـاد والسـير بـاب دعـاء النبي ﷺ إلى الإسلام والنبوة وأن لا يتخذ بعضهم بعضاً أرباباً من دون اللــه. ومســلم (4/1872) كتــاب فضــائل الصــحابة بــاب فضائل علي بن أبي طالب ﷺ.

قـدس الله أرواحهم ولهم مقاصد صـالحة يرشـدهم الله إليها ويكــون هو المتــولي لهم فيها لقوله تعــالى: **وهو يتولى الصالحين**[1].

فيجب تســليم أحــوالهم، وتطلّب التــأويلات الحســنة والمحامل الجميلة، وقد قال الفقيه العالم الربـاني الشـيخ محـيى الـدين النـووي قـدس الله روحه بعد أن حث على ذلك: لايحرِّم التأويل أي لما يصدر من المشــايخ إلا شقي، قلت: ولقد كنت استشكل أشياء تصدر من سـيدي الشـيخ قدس الله روحه تقصر عنها عقول أمثالنا القاصرة، وكنت بتوفيق الله أعرضـها على أربـاب البصـائر، و ما منهم أحد إلا ويأمرني بالتسليم ويشهد عندي بعلو مقام سيدي، وأنه على هـــدى من العليم، ومنها إني عرضت على ســـيدنا وشيخنا الفقيه العالم العـارف بالله الجليل الربـاني محمد بن أحمد باجرفيل الـــدوعني رحمه الله تصـــرفات مالية يباشرها سـيدي في قبضـها وصـرفها في ظـاهر الأمر في غـير مصـارفها، فقـال لي: أنا أشـهد إنه أمـير المؤمـنين المالك للتولية والعـزل، والحل والعقد والتصـرفات كلهـا، وأشهد أنه أفضل أهل الأرض ظاهراً وباطناً، فقلت له: أما البـاطن فبصـائرنا عنه قاصـرة و أما الظـاهر فما وجهـه؟ فقال: وجهه أن أهل الـبيت أفضل من سـائر النـاس، وآل باعلوي أفضل من سائر أهل الـبيت باتبـاعهم السـنة وبما استقر لهم من العبادة والزهـادة والكـرم وحسن الأخلاق، والشيخ أبو بكر أفضل آل باعلوي بالاتفاق فهو أفضل أهل زمانه. وتـــوفي الفقيه محمد باجرفيل المـــذكور في ربيع الأول سـنة(903 هــ) ثلاث بعد التسـعمائة بغيل أبي وزير أعمال الشحر وجرفيل بجيم ثم فاء.

قلت: وأما سيدي قدس الله روحه فكـان يقـول ليزيل الإشكال عن خواص أصحابه: إذا كان صـاحب المـال يجب

---

[1] (?) الأعراف (196).

عليه بذله لسلامة أبدان المضـطرين إليه ولو وجب عليهم غرم العوض، فبذل المال من أي جهة كان لسـلامة أديـان الهـالكين الـواقعين في حبائل الشـيطان أوجب، ولو لـزم الباذل غرم بدله، والرجـاء من الله أن يـبريء ذمة الفاعل ذلك بمنه وكرمـه، ولايخفى أن هـذا مسـلك دقيـق، وإنما الأعمال بالنيات التي لايطلع عليها إلا عالم الخفيـات، يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصـــــدور، واعترضت مـــــرة بخــاطرة[1] ولســاني على ســيدي قــدس الله روحه في إلباسه غلمانه ثياب المخيطة بالـذهب، فأجـابني بأنا قلـدنا من يبيح ذلك من العلماء، ثم رأيت في النوم كأن النــبي أقبل من مكــان في مــوكب عظيم والطبــول والنقــوط تضــرب بين يديه فقيل لي: إنما فعله ليعلم أمته بجــواز ذلك، فلما ولى رأيته في صـورة سـيدي الشـيخ أبى بكر راكباً على بغلته، وسمعت قائلاً يقـول: يجب على القطب الـوارث للمقـام المحمـدي أن يعمل بكل مسـئلة قـال بها عالم من علماء أمة محمد ولو مرة واحــدة لئلاّ يقع ذلك العــالم في الحــرج، فعلمت بــذلك وبتصــور النــبي في صورة سيدي الشيخ أن سيدي هو القطب الوارث للمقـام المحمدي)[2].

الدعاوى الكاذبة:

يقـــــول الرســــول : **$إن الله يحب العبد التقي الغني الخفي#**[3]، ويقــول : **$رب أشــعث مــدفوع بالأبواب، لو أقسم على الله لأبــره#**[4]، وعلى ذلك

---

1 (?) كذا ولعله (بخاطري ولساني).

2 (?) مواهب القدوس في مناقب ابن العيـدروس للعلامة محمد بن عمر بحرق الحضرمي، ضمن المجموعة العيدروسية نشرها طاهر ابن محمد العيدروس ص(13 - 14).

3 (?) مسلم (4/2277) كتاب الزهد والرقائق.

4 (?) مسلم (4/2024) كتاب البر والصـلة بـاب فضل الضـعفاء

كـان الصـالحون يحرصـون غاية الحـرص على إخفـاء ما يمكن إخفاؤه من أعمالهم، وكانوا يخفـون أكـثر ما يتـوهم أنه من الكرامات، وللصـالحين في إخفـاء الكرامـات كلام طويل.

والصــوفية كثــيراً ما يمــدحون بعض الأوليــاء بحب الخمول وكراهة التظاهر بالولاية وإظهار الكرامـات، ولكن يبدو أن هذه الكلام نظري فقط عند كثـير من الصـوفية؛إذ كثيراً ما ترى التنافس العظيم بين أوليائهم والتحــدي لمن انتقدهم أو أنكر عليهم، والتباهي بإظهار الخـوارق الـتي لا يصــلها غــيرهم، أو الــزعم بما وصــلوا إليه من مقامــات لأنفسـهم أو لبعضـهم البعض، وهـذا بـاب كبـير لا أسـتطيع الإحاطة به وإنما أذكر نبذاً منه.

اسـتخدم الشـيطان حـتى غـرس له نخلاً: قـال الشلي في ترجمة محمد بن حسن المعلم المشهور بأسد اللـه: (ومما اشـتهر عند النـاس أن الشـيطان تعـرض لـه بالأذى الفاحش فأمسكه صـاحب الترجمة واسـتخدمه في أموره حتى إنه غرس نخلاً وجعله يسوق المـاء فيه، وهـذا النخل معروف عند أهل الجهة)[1].

وآخر يقول إنه هو الله**:**

ومنها ماذكره الشـلي أيضـاً في ترجمة الفقيه المقـدم بعد ما ذكر ما يــرد عليه من الــواردات والتجليــات قــال: (وحكي أنه قيل له وهو في تلك الـواردات كل نفس ذائقة المــوت، فقــال: ليس لي نفس! فقيل لــه: كل من عليها فـان، فقـال: ما أنا عليهـا! فقيل لـه: كل شـيء هالك إلا وجهه، قال: أنا من نور وجهه!!، وسمع أعرابياً يقــول: هل محمد بن علي هو الله؟ فقـال: أنا الله وخر مغشـياً عليه،

والخاملين.

1 (?) المشرع (1/178).

وقال: مالي حاجة إلى محمد ومحمداه)[1].

وهـذه الـدعاوى الـتي تقشـعر منها الأبـدان قد حـاولوا تأويلها بأسـاليب شـتى، ولكن لو كـانت في حالة سـكر أو جنون فلم لا يعترفون بذلك؟وأنه كان مجنوناً من الخمـرة الربانية! ثم يسـترون عليه ما يـدور منه حـال غيـاب حسه وذهــاب عقلــه، والواقع أنهم لا يعتقــدون ذلــك، ولكنهم يعتقـدون أن ذلك من أعظم مناقبه وأشـهر كراماتـه؛ لأنه يتكلم بلسان الحق الـذي أذن له بإظهـار ذلـك، ومن يقـرأ تراجمه في الغرر أو المشرع أو الجـواهر أو شـرح العينية أو غيرها يجد فيه من المبالغة في المدح بما لا يُقبل حـتى في الأنبياء، ولم يدّعوه صلوات الله وسلامه عليهم.

بل قد صرحوا بأنه خاتم الأوليـاء، قـال الشـلي: (وصح لمحبيه أن ينشدوا فيه:

والمقفى ما بعده من ولي فهو لاشك خاتم الأولياء

وخـاتم الأوليـاء في اصـطلاحهم: من بلغ مقـام الوراثة المحمدية، وهو مقام القطبية الكـبرى كما يقـال لمن ملك الروم قيصر والفرس كسرى)[2].

وقد مر معنا تعريفهم للقطب الأكـبر وما نحلوه له من صفات الربوبية، فكيف وهو يحمل تلك الصفات لا يحق له أن يتبجح بمثل هـذه الـدعاوى؟ إلا أن طريقة القـوم أنهم عند من يقبل ويسـلم يقصـون هذه القصص على أنهـا حقائق وعند من يعترض يحاولون تأويلها والله أعلم.

وثالث يقول:

إنه يسحق الدنيا ويسحق الآخـرة ثم يـرمي بهما حـتى لايبقى إلا اللـه، وأنه يـذكر الله حـتى تقف الحـروف، وأنه أسرى به ليلة أسرى بالنبي ، وإليك ذلك كله بقلم الشلي حيث قال في ترجمة محمد بن علي مولى الدويلة: (وتـرد

---

1 (?) المشرع (2/9).
2 (?) المشرع (2/3).

عليه أحوال آثار بركتها عليه بادية، وإذا ورد عليه حال تكلم على مسائل في الشريعة والحقيقة وخاض من العلوم في بحار عميقة، وسأله ولده عن ذلك فقال: ما تقول إلا وقد أفنينا الدنيا والآخرة، أول ما تبدو لنا الدنيا نسحقها، ثم تظهر الآخرة فنسحقها، ثم ننبذهما جميعاً حتى لا يبقى غير الله فحينئذ يقع الوجد، وأنشد:

ولما حضرنا للسرور بمجلس — أضاءت لنا من عالم الغيب أنوار

وطافت علينا للعوارف خمرة — يطوف بها في حضرة القدس خمار

فلما شربناها بأفواه كشفنا — أضاءت لنا منها شموس وأقمار

تخاطب أرباب القلوب بلطفها — وتبدو لنا وقت المسرة أسرار

رفعناحجاب الأنس بالأنس عنوة — وجاءت إلينا بالبشائر أخبار

وغبنا بها عنا ونلنا مرادنا — ولم يبق منا بعد ذلك آثار

وخاطبنا في سكرنا عند صحونا — كريم قديم فائض الجود جبار

وكاشفنا حتى رأيناه جهرة — بأبصار فهم لا تواريه أستار

وكان إذا طرقه الحال يضطرب جسده ويلين حتى أن بعضهم وضع إصبعه في جسده فانخسف محل إصبعه، وورد عليه حال مكث به سبعة أيام حتى تقيأ دماً أسوداً، قال ولده العارف بالله الشيخ عبدالرحمن السقاف: لو لم يتقيأ لقتله ذلك الحال، وتواجد يوماً بحضرة عمه الشيخ

الإمــام عبدالله بن علــوي حــتى غشي عليــه، ثم أقيمت الصلاة فصلى معهم، فلما فرغـوا قـال العـارف بالله علي بن سلم لعمه عبدالله: صلى ابن أخيك بلا وضــوء لأنه زال عقلـه، فـأخبره عمه بقـول الفقيه علي بن سـلم، فقـال: وعزة الحق إني توضأت وشربت من الكــوثر ونفض لحيته فتقـاطر منها المـاء، ثم قـال: يا فقيه نـزل علينا شـيء لو نزل على الجبال لدكت، ثم أنشأ يقول:

الحب حـــبي والحبيب حبيبي — **والسبق سـبقى قبل كل مجيب**
نوديت فـأجبت المنادي مسرعاً — **وغطست في بحر الهـوى وغـدى بي**
لي تســـعة وثلاثة مع تسعة — **والعقد لي وحدي وعلا نصيبي**
ما تعلمـوا أني المقدم في الملا — **ليلة سرى باليثربي سري بي)**[1].

ومن الدعاوى المتعلقة بدخول الجنة وهم في الدنيا:

ما جـاء في العقـود العسـجدية قـال: (فكـان الشـيخ القطب الكبير سـيدي عبـدالرحمن السـقاف يقـول لبعض جلســائه: اِروحــوا رجلي فإنها كــانت في الجنــة، وكــذلك سـيدي وشـيخي أبو بكر العطـاس يقـول: وكـان سـيدي القطب الغــــوث الفقيه المقـــــدم محمد بن علي يطوف بالجنة فلم أر فلاناً في الجنة، وما يدخل فقيري النــار، أما الجنة فهو من أهلها يعني في اللوح المحفوظ)[2].

---

1 (?) المشرع (1/200 - 201).

2 (?) العقود العسجدية ص(238) بواسطة أوهـام العـوام جمعه أحد طلبة العلم لم يذكر اسمه، مخطوط.

وهنا ننقل قصة باخريصة، قال: عبدالرحمن الخطيب صاحب الجوهر الشفاف: (روى المشايخ رضي الله عنهم أن فقيراً من فقراء شيخ شيوخنا الشيخ محمد بن علي واسمه أبو خريصة سافر إلى أرض بعيدة ومكث مرابطاً فيها حتى انقطع خبره، ثم بعد ذلك جاء إنسان إلى شيخ شيوخنا وقال له: إن أبا خريصة مات فأطرق الشيخ ساعة، ثم رفع رأسه وقال: أبو خريصة مامات، فقيل: كيف تقول هذا وقد جاء الخبر بموته؟ فقال الشيخ نظرت إلى قصور الجنة قصراً قصراً فما رأيت أبا خريصة فيها، ولايدخل فقيري النار، ثم بعد ذلك بمدة قدم أبو خريصة بنفسه من ذلك السفر سالماً غانماً معافىً بحمد الله تعالى وعونه، ثم بركات الشيخ محمد بن علي)[1].

وقال الحبشي في كنوز السعادة الأبدية: (وكان الشيخ عمر المحضار يكبس رجلَيْ والده الشيخ عبدالرحمن السقاف فرأى فيهما صفرة، فقال له: ما هذا؟ فقال له: إن أباك كان هذه الساعة يطوف في الجنة، وإن هذه الصفرة من زعفرانها، وأخاف ياولدي أن يكون هذااستدراجاً)[2].

ومازلنا مع الحبشي في دعاواه، فهاهو يحكي خرافة أخرى يقول: (قال الحبيب أبوبكر العطاس: صلينا نحن والحبيب محمد المشهور في مسجد باعلوي، فقال لي: يا أبا بكر بانتنسم بانزور السماء " مثل ما تقول بانروح النخل " قال: فطلعنا من سحاب إلى سحاب، إلى أن وصلنا إلى السماء ورجعنا وصلينا المغرب في باعلوي)[3].

وأما هذا الولي فأمره أعجب إنه يختار دخول النار

---

1 (?) الجوهر الشفاف (1/96 - 97)

2 (?) كنوز السعادة ص(393)ويشهد له مافي شرح العينية ص(185) فهو غريب جداً من هذا.

3 (?) كنوز السعادة ص(388 - 389)..

ليخرج منها أهل تريم، قال في شرح العينية: (قال السيد الشيخ الكبيرمحمد بن حسن المعلم: أشهد أن الشيخ محمد بن علي مولى الدويلة، وقف بين يدي الله تعالى بعد وفاته، وخوطب بهذا الخطاب ثلاث مرات **يا أيها الإنسان ما غرك بربك الكريم** [1] فلم يرد جواباً، والملائكة محيطة به، وإذا النداء من قبل الحق سبحانه وتعالى يقول لملائكته: اذهبوا به حيث شاء فإنه محبوب، فقال: اذهبوا بي إلى النار، فلما وصلها رمي بنفسه فيها، وجعل يسير فيها ذاهباً ومقبلاً، ويخرج منها كل من رآه فيها من أهل تريم حتى أخرجهم الجميع، إلا اثنين أو ثلاثة، كلما أخرجهم عادوا إليها، فبقي يشفع لهم)[2].

ويقول أيضاً: (قد ذكرنا الله باللسان والقلب، ثم تفنى الحروف، ثم تفنى اللسان فيبقى في القلب شمعة من نور متصلة بالله تعالى)[3].

وقصة الإسراء والمعراج قد أغرم بها القوم وادعاها جماعة منهم، قال أحمد بن زين الحبشي في ترجمة الفقيه المقدم: (وكان من جملة ماكتب به إلى الشيخ سعد أنه قال: عرج بي إلى سدرة المنتهى سبع مرات وفي رواية سبعة وعشرين مرة في ليلة واحدة وفي رواية سبعين مرة)[4].

وليس الإسراء خاص بالأولياء بل حتى مواشيهم تعرج إلى السماء، فَأَتَان الفقيه محمد بن علي قالوا إنها: (تعرف طرق السماء كما تعرف طرق الأرض)[5].

وأخيراً خذ هذه الدعوى مع تأويلها وتبريرها وبيان ما

---

1 (?) سورة الانفطار(6).

2 (?) شرح العينية ص(180).

3 (?) المصدر السابق ص (181).

4 (?) المصدر السابق ص (158).

5 (?) الجوهر الشفاف ص(95).

يلبسـون به من صـرف لهـذه المعـاني عن ظواهرها قـال صاحب تاج الأعراس: (قال المـترجم وحين انتهى صـاحب المنـاقب رضـوان الله عليه من دور التخلية واسـتمر في طور التحلية حصل معه في أواخر إقامته بمكة جذب قوي في الظـاهر غـير أنه لم يخرجه عن بسـاط الشـريعة؛ لأنه من أهل الرســـوخ والتمكين، بل هو من أهل عين اليقين كما شـهدت له بـذلك الفحـول وتناقلته عنهم وعنه الأئمة العـدول، أخـبرني الشـيخ الثقة عبـدالقادر بن عمر بايزيد يعني الآتي ذكـره في البـاب السادس قـال: كنت مجـاوراً بمكة المحمية أيام إقامة الحبيب صـالح بها يعـني صـاحب المناقب رضوان الله عليه، وكان يسـاورني بما يقع له في سلوكه، فقال لي مرة: إني خـرجت إلى المسـجد الحـرام في بعض الليـالي وطفت بالكعبة فحصل لي الإسـراء إلى السـماء إلى آخر ما قـال الشـيخ عبـدالقادر المـذكور في محادثة بينهما طويلة لاتخـــرج عن هــذا الموضــوع، وهــذا الإسراء هو حال معـروف عند الأوليـاء وأمر مـألوف لـدى أهل القـرب والاصـطفاء، تعرفه أرواحهم المباشـرة لهـذه الحكمة، وتتحدث به أشـباحهم عند الإذن لهم في التحـدث بالنعمة، قلت: ولعل ذلك حين ورد عليه الحـــــال، وجذبته عناية ذي الجلال، إلى مـــواطن القـــرب والكمـــال، حيث تنتهي الأعمـــال وتخلع النعـــال، وهنـــاك تخلع على ذلك الواصل خلعـة معـنى الحـديث لا يـزال عبـدي يتقـرب إلى بالنوافل:

رتب تسقط الأماني حسرى دونها ما وراءهن وراء

فإياك ثم إيـاك أيها القـارئ والانزعـاج وتحريك الـرأس والاشمئزاز، فلكل فن مصطلح ولكل قــوم منهج ومســرح ولكل بحر ساحل ومجدح، وبالمثـال يتضح الإشـكال، فـإن لفظة الكلام يكــون المــراد منها في عبــارة الفقهــاء: ما أبطل الصـلاة من حـرف مفهم أو حـرفين وإن لم يفهمـا،

وفي عبـــارة النحـــويين: ما جمع قيـــوداً أربعة كما هي معروفة لديهم، وفي عبارة علماء التوحيـد: هو نفس الفن كله يسمى علم الكلام وهلم جراً، بينما لفظه عندهم واحد باتفاق الجميع، فمن هو المخالف منهم ياترى! وهنا يحسن الاستشهاد للمتسرعين بمثل الحريري حيث يقول: (سائل الركبـان قبل المنتجـع)، قلت: ومعنـاه أنك إذا رأيت قومـاً سفراً فإياك أن تأخذ فراشك وتهرول وراءهم بل اســألهم أولاً من هم وأين يريـدون لتكـون على بصـيرة من أمـرك وذا خبرة في سيرك، وها أنا أرشـدك إلى ما نقله صـاحب الفتوحـــات المكية في اصـــطلاح رئيس الصـــوفية إن لم تكتف بهـذا، فـإن اكتفيت به فـأقول لـك: إن الإسـراء في اصــطلاح القــوم يكــون بمجــرد الــروح لا الجسد كما هو معـروف عنـدهم ويتـداول بينهم، ولعلك تقـول هنـا، كيف تفارق الروح الجسد ولايموت صاحبها؟ فخذ الجواب دفعة واحــدة قــال: العلامة المحقق الســيد الشــريف علي بن محمد الجرجـــاني في كتابه التعريفـــات ما نصه: الـــروح الإنساني هو اللطيفة العالمة المدركة من الإنسان الراكبة على الــروح الحيــواني نــازل من عــالم الأمــر، تعجز عن إدراك كنهـه العقـول، وتلك الـروح قد تكـون مجـردة، وقد تكون منطبقة في البدن، بخلاف الروح الحيواني الـتي هي جسم لطيف منبعه تجويف القلب الجســـــــماني وينتشر بواسطة العروق الضوارب إلى سائر أجزاء البـدن أي فإنه ملازم للجسد لا ينفك عنه إلا بـالموت المعـبر عنه بزهـوق الــروح انتهى. المــراد من كلام الجرجــاني، واعلم أني قد تثبت قبلك في هذا المقام الذي تزل فيه الأقدام وتتصـادم دونه فرسان الأقلام بين إقدام وإحجام، فحين وصلت عند هـــذه الجملة تـــرددت في إثباتها فأرســـلت إلى ســـيدي الحبيب العلامة ترجمان الشـيبان المشـير إليَّ بالاقتطـاف من تلك الأغصـــان، ومن إليه المرجع في هـــذا الشـــأن،

الحبيب علوي بن محمد الحـداد استـفتيه في ذلـك، فكتب إليَّ الحـبيب علـوي المـذكور بما نصه حرفيـاً: الحمد لله والسـلام على سـيدي الحـبيب العلامة علي بن الحسـين ورحمة الله وبركاته أكتب هذا وأنا مزكـوم وشبه محمـوم، وصـلني تعـريفكم الـذي تقولـون فيه أن معكم تـردداً في إثبات تلك الجملة التي أشار فيها الحبيب إلى الإسراء بـه، وقد ظهر لي أن هذا الإسـراء الـذي وقع له إنما هو بروحه ولا مانع من ذلك إذا كان بالروح، وقد وقع للحبيب عبدالله الحـداد ما يشـبه هـذا أظنه في مسـجد الشـيخ سـعيد بن عيسى العمودي بقيدون، وقـال سـيد العـارف بالله محمد مـولى الدويلة " ليلة سرى بـاليثربي سرى بي " فـالأولى، إبقاء الكلمة على ماهي مـادام أنها لم تصـادم قاعـدة من القواعد الشـرعية، وهـذه أمـور معروفة عند أهلها ولايسع أهل حسن الظن إلا التسليم لهم، وقد سأل سائل الحبيب عبدالله الحــداد عن عبــارة في غنية الشـــيخ عبـــدالقادر الجيلاني توهم الجهة فقــــال: الحــــبيب عبدالله إن في القـــرآن مـــاهو أعظم من ذلك انتهى. وليس يخفى على ســـيدي أن أهل الحجـــاب والإنكـــار وأهل ســـوء الظن والاســـــتكبار لا ينفعهم دليل وحســــبنا الله ونعم الوكيل فلندعهم وشأنهم وما أقامهم الله فيه، قال الإمـام مالـك: أو كلما جاءنا لكع غيرنا ســـنة انتهى، فالله يجعلنا من أهل التسليم والقلب، السليم ولايحرمنا مما تفضل به على من أحبهم وصفّى مشربهم، وأنت يافقيه أهدى من أن تُهــدى، وأعلم من أن تُعلم، قال سيدي الحبيب علي بن سـالم بن الشيخ أبي بكر بن سالم في كتابه فيض الله العلي: كلامنا هـذا إنما هو مع أهل مشـاهد الجمـال المتجلي عليهم بـه، وأما أهل الجلال فليس لنا معهم كلام انتهى. والمحنة على المتعرضين أن يكون معهم في بعض الأحـوال سـلاح أهل الظـاهر فيجعلونه على القـوم سـلاحهم البـاتر، قـال

سـيدي الحـبيب محمد بن عيـدروس الحبشي من قصـيدة في هذا المعنى:

* وأما الشريعة حد سيف باتر *

انتهى، وعسى الله أن يرفع عنا الســواتر، حــتى نبصر ما أبصره أهل البصائر، والسلام من الفقير إلى الله علوي بن محمد الحداد، انتهى كلام الحداد الخبير بالرمز والمراد من كلام الآباء والأجداد ولله المراد فيما أراد)[1].

فانظر إلى القوم يمشّون ما هَذَا به أولياؤهم بالترغيب حيناً، وبالترهيب حيناً آخر، وبالتأويل البعيد حيناً ثالثــاً، وقد ظهر أنهم يشعرون بغرابة الأمر واستبعاد تصديقه، ولكنهم يحتجون على إثبات القضية بـأن فلانـاً قد قـال بمثلها وهو من الأقطـاب، ولا يمكن أن يقـول بغـير الصـواب، والأصل أن هـذه الأمـور مسـتحيلات عقلاً فـإن ثبت ما يؤيـدها من الشــرع قــدم الشــرع على العقل وإن لم يثبت إلا دعاوى قلنا لأربــاب تلك الــدعاوى: **قل هــاتوا برهــانكم إن كنتم صادقين** [2]، وتمثلنا بقول الشاعر:

والدعاوى إن لم تقيموا علي ها بينات أبناؤها أدعياء

قول على الله بغير برهان، مع إنزال المرض بمن يغضب عليه:

وفي ترجمة عمر المحضـار من المشـرع ذكر أنه قـال لابن أخيه الشـــيخ عبدالله العيـــدروس: (إن رجلاً يغضب لغضبه جبار السماوات وأشار إلى نفسه، وكــان إذا غضب على أحد أصابه الجذام وغيره من الأسقام بعد ثلاثة أيــام، فقيل له: أما تخشى أن ينالك بهـذا شـيء؟ فقـال: إني لم أدع على أحد، ولكني إذا غضبت على أحد وقع في بـاطني نار لاتنطفيء إلا بعد مايصيبه ذلك المرض أو يتوب)[3].

المطلب الثالث: الانحرافـات الناشـئة عن الانحـراف

---

1 (?) تاج الأعراس (1/47 - 51).

2 (?) سورة النمل آية (64).

3 (?) المشرع (2/242 - 243).

في مفهوم الكرامة:

إن الانحـراف في مفهـوم الكرامة تـابع للانحـراف في مفهـوم الولايـة، فحينما غلا القـوم في الـولي، وأعطـوه خصائص من خصائص الإلهية؛ نسبوا إليه من الكرامات ما لا تكـون إلا من رب العـالمين، حـتى الرسل الكـرام لم يدعوها لأنفسهم.

هذا جانب وجانب آخر هو الإساءة إلى الولي من حيث إرادة الإحسـان إليـه، حيث تنسب إلى بعضـهم كرامـات يسـتحي المـرء من ذكرهـا؛ إلا لإثبـات ذلك وتعرية ذلك المنهج الذي أدى إلى هذا المستوى من السـخافة، كما أن هناك كرامات هي إدانات لمن نسبت إليهم، ومن هنا فـإن العقلاء من القـوم قد تنبهـوا لـذلك وضـجوا من إغـراق قومهم في هذا الباب.

من تلك الكرامات رد الشمس أو إيقافها:

قال الشرجي في ترجمة إسـماعيل الحضـرمي: (ومن ذلك ما يحكى أنه قصد مدينة زبيد في بعض الأيـــــــام، فقاربت الشـمس الغـروب وهو بعيد عن المدينـة، فخشي أن تغلـق الأبـواب دونه، فأشـار إلى الشـمس أن تقف فـوقفت حـتى بلغ مقصـده، وهـذه الكرامة مشـهورة بين الناس مستفيضة)[1].

وقريباً منها وقع لأهل تريم، فقد جاء في تذكير النـاس قـال: (وحكى سـيدي أنه دخل بعض الأوليـاء السـياحين إلى تـريم مع غـروب الشـمس فحبس الشـمس عن الغـروب ليصـلي العصر فأشرفت عليه امـرأة من بيتها وكاشفته وقالت له: فك الشمس علينا لنفطر)[2].

التّألي على الله:

التألي على الله سبحانه وتعالى معناه: أن يقـول العبد

---

1 (?) الطبقات ص (97).

2 (?) تذكير الناس ص (255).

على الله سبحانه و تعالى قولاً جازماً بأنه سيفعل، أو سينزل أو سيغفر لفلان أولا يغفر لفلان، وقد ثبت في ذلك حديث صحيح زجر عن هذا التألي، فعن جندب أن رسول الله حدث: **$أن رجلاً قال: والله لا يغفر الله لفلان، وإن الله تعالى قال: من ذا الذي يتألى عليّ أن لا أغفر لفلان، فإني قد غفرت لفلان وأحبطت عملك#**[1]. ومن أسس عقيدة أهل السنة والجماعة ألا يقطعوا لأحد بجنة أو بنار، كما جاء ذلك في عقيدة الإمام الطحاوي - رحمه الله - حيث قال: (نرجو للمحسنين من المؤمنين أن يعفو عنهم ويدخلهم الجنة برحمته، ولا نأمن عليهم ولا نشهد لهم بالجنة...)[2].

ولكن القوم رفعوا أنفسهم فوق ذلك واستغلوا التولية والعزل التي يزعمون أنها أعطيت لهم، فهبوا يجزمون أن فلاناً نجى من فتنة القبر، وفلاناً لا يدخل النار، ومن فعل كذا فأنا ضمين له بالجنة، وأكثر ذلك لربط الناس بهم وحثهم على تعظيمهم وتقديسهم.

فقيره لا يدخل النار:

ذكر الشلي في ترجمة الفقيه المقدم من جملة خصائصه وكراماته قال: (ومنها أن خادمه باخريصة سافر سفراً طويلاً فبلغ أهله أنه قد مات، فتعبوا وأتوا إلى الأستاذ فأطرق ساعة، وقال: لم يمت باخريصة فقيل له: قد جاء الخبر بموته؛ فقال: إني أطلعت على الجنة فلم أجده فيها؛ ولم يدخل فقيري النار، ثم جاء الخبر بحياته

---

1 (?) رواه مسلم (4/2023) كتاب البر والصلة والآداب باب تحريم الكبر.

2 (?) العقيدة الطحاوية ص (19) بتعليق سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز طبع الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد بالرياض.

وقدم هو بعد مدة)[1].

وهـذا عنـدما يسـأل في قـبره عن ربه يقـول (شـيخي عبدالله بـاعلوي) فيعفى من السـؤال ويقال له مرحباً بك وبشيخك:

جـاء في المشـرع ترجمة عبدالله بن علـوي بن الفقيه المقـدم: (ومنها أن رجلاً أنشد أبياتـاً تتعلق بـالبعث والحساب فتواجد صاحب الترجمة وخر مغشياً عليه، فلما أفاق قـال للرجل: أعد الأبيـات، فقـال الرجل: بشـرط أن تضـمن لي الجنـة، فقـال: ليس ذلك إليَّ، لكن أطلب ما شئت من المال، فقال الرجل: ما أريد إلا الجنة، فقال: إن حصل لنا شـيء ماكرهنـا، ودعا له بالجنـة، فحسـنت حالة الرجـل، وانتقل إلى رحمة الله وشيّعه صـاحب الترجمة وحضر دفنه وجلس عند قـبره سـاعة، فتغـير وجهـه؛ ثم ضـحك واستبشر فسـئل عن ذلـك، فقـال: إن الرجل لما سـألاه الملكـان عن ربه فقـال شـيخي عبدالله بـاعلوي: فتعبت لذلك فسألاه أيضاً فأجاب بـذلك، فقـالا مرحبـاً بك وبشـيخك عبدالله بـاعلوي، قـال بعضـهم: هكـذا ينبغي أن يكون الشيخ يحفظ مريده حتى بعد موته)[2].

رؤيا بـأن من قـرأ على فلان دخل الجنة وتمسك الناس بذلك وقرءوا عليه من أجلها:

قـال الشـرجي في ترجمة محمد بن عمر بن أبي بكر بن أحمد بن عمر الزوكي: (رأى النبي في المنـام يقـول له: من قرأ عليك دخل الجنة، وقد أخذ عنه غـير واحد من العلماء تمسكاً بهذا المنام)[3].

وذاك يضمن لمن حصـّل إحيـاء علـوم الـدين وجزّأه الجنة:

---

1 (?) المشرع (2/9).
2 (?) المشرع (2/188).
3 (?) الطبقات ص (328).

قـال الشـلي: (ولما بلغـني أن سـيدي الشـيخ عبدالله العيـدروس قـال: من حصل كتـاب إحيـاء علـوم الـدين وجعله في أربعين مجلـــداً ضـــمنت له على الله بالجنـــة، فحصلته كذلك بهذه النية ولله الحمد)[1].

وآخر يقول من رآني دخل الجنة:

قـال الشـلي في ترجمة عمر بن عبدالله العيـدروس: (وكـان السـيد الجليل المعـروف بصـائم الـدهر القـديمي الحسـيني القائـل من رآني دخل الجنـة، يعظم صـاحب الترجمة)[2].

أما هذا فمن قَبّلَ قدمه دخل الجنة:

قال الشرجي في ترجمة إسـماعيل الحضـرمي: (ومن ذلك أنه كان قد اشتهر بين الناس أن من قبّل قدم الفقيه إسماعيل دخل الجنـة. وحكى الفقيه إبـراهيم العلـوي عن الفقيه أحمد بن أبي الخير عن والده الفقيه أبي الخير، أنه سـأل الفقيه إسـماعيل عن ذلك فقـال: قـدم علينا بقرية الضِـحيّ رجل من أهل الخـير، فلما صـلينا الجمعة صـعد المنـبر وقـال: يا أيها النـاس رأيت النـبي في المنـام وسمعته يقول من قبّل قـدم الفقيه إسـماعيل الحضـرمي دخل الجنة، قـال الفقيه أحمد بن أبي الخـير، وكـان يقـال للرجل المـذكور ابن الـزعب من أهل حصـى، وهـؤلاء بنو الزعب قوم أهل ولاية وصلاح، وسيأتي ذكـرهم في حـرف العين إن شاء الله تعالى.

ويـروى عن الفقيه أحمد بن سـليمان الحكمي المفـتي بمدينة زبيد أنه قال: لما سمعت حديث تقبيل قــدم الفقيه إســـماعيل وقع في نفسي من ذلك شـــيء، ثم اتفق أني قصــدت الفقيه إلى منزله بزبيد لقصد الســلام والزيــارة، فلما دخلت عليه قال: مرحباً بك جئت تقبل قدمي، ثم مد

---

1 (?) المشرع (2/149).

2 (?) المشرع (2/246).

رجليه فقبلتهما قــال الإمــام اليــافعي: وكــان الجلة من العلماء يقبلون قدمه)[1].

وهذا يستجاب الدعاء عند تواجده:

قال الشـلي في ترجمة محمد بن الشـيخ عبـدالرحمن السقاف: (وكـان والـده يحبه ويثـني عليه وكـان يقـول إن الدعاء يستجاب عند تواجد ولدي محمد، فكان النــاس عند ذلك يسألون الله ويدعونه فينالون ما يطلبون)[2].

كرامات ممجوجة لاتستساغ:

منها قلب الغائط إلى ذهب:

جـاء في كنـوز السـعادة الأبديـة: (كـان الحـبيب أحمد الهدار هذا المتأخر عظيم جم، وكـان له تلميذ في الشـحر من السادة آل البيض وكان صاحب ثـروة فتقاصـرت عليه الأشياء فقال: ما معي لهذه الشدة إلا شـيخي، فتوجه إليه فلما وصل وادي عينــات أطلع عليه الحـبيب أحمد فتلقــاه إلى الــوادي، فلما أقبل على الســيد جــاء إليه ليصــافحه فقال له: جئت إلينا بغيت من القِـزة الخامّـة، قف هنا أولاً وأعطني رداءك فأعطاه السيد رداءه، فغاب الحبيب خلف حصاه وتخلى في ذلك الرداء وطواه ومافيـه، ثم جـاء إلى السيد ورتب له الفاتحة وقال لـه: هـاك الـرداء ولاتفكه إلا في الشحر، فلما وصل السيد إلىالشـحر فكه فوجد ما فيه قد تحول ذهباً خالصـاً، فـانظر إلى هـذه الكرامة العظيمة من هذا الحبيب أراد أن يريه قدر الدنيا وخستها وأنها خراءٌ وقذر)[3].

وفي تذكير الناس قال: (بلغنا أن السيد حاتم الأهـدل كـان

---

1 (?) الطبقات ص (98-99).

2 (?) المشرع (1/113).

3 (?) كنوز السعادة ص(236)

حريصـــــــاً على مجلس الإخـــــوان في الله ويشق عليه فراقهم، وكان له مملوك أمره أن يجلس بالباب، فإذا أراد أحد من إخوانه قضـــاء الحاجة والخلاء نظر إلى ذلك العبد فينتقل الحدث إليه فيروح العبد إلى الخلاء وينـوب عنـه)[1]، وفي نفس الكتاب قال: (ووقع للحبيب هادون بن هــود بن علي بن حسن العطاس أنه لما زار المدينة المشرفة بات ليلة بـــالحرم فتحـــركت عليه بطنه وذهب ليخـــرج فوجد الأبواب مقفلة فراح إلى ناحية في أخريـات الحـرم ووضع الخارج في ثوبه، فلما كان الصباح ذهب إلى خارج المدينة ليرميه فإذا هو ذهب يتلألأ)[2].

المطلب الرابع: آثار انتشار الخرافة:

لقد تـرك الاستسـلام للخرافة وإسـاغتها وتقبلها لـدى الأمة آثاره المدمرة في نفوس الناس، وظهرت تلك الآثار على ملامح حياتهم في شتى مناحيها، ففي العقائد ضـعف الاعتماد على الله حينما ربيت الأمة على أن الله قد فوض أمورها إلى الأوليـاء فهم يحيـون ويميتـون وهم يشـفون ويمرضون ويرزقون ويسلبون، بل هم يجمعون من شـاءوا ويفرقـــون بين من أرادوا، فبهـــذا أصـــبح الاتجـــاه إليهم والاعتماد عليهم، فإليهم يتوجه بالدعاء والاسـتغاثة، وإليهم يهـرع بالنـذور والـذبائح، وفي أعتـاب أضـرحتهم يـرتمي المضرور والبائس، وحـتى في أحلك الظـروف الـتي كـان مشركو الجاهلية يتخلون فيها عن معبوداتهم ويلجأون إلى الله كما صـوّر الله حـالهم بقولـه: ﴿ **وإذا مسـكم الضر في البحر ضل من تــدعون إلا أيــاه فلما نجــاكم إلى الــبر أعرضــتم** ﴾[3] الآيــة. وقــال ســبحانه: ﴿ **وإذا غشــيهم مــوج كالظلل دعــوا الله مخلصــين له**

---

1 (?) تذكير الناس ص(48).

2 (?) المصدر السابق ص(48).

3 (?) الإسراء (67).

الــدين فلما نجــاهم إلى الــبر فمنهم مقتصد ﴾[1]

وقال سبحانه: ﴿ **هو الذي يسيركم في البر والبحــر، حتى إذا كنتم في الفلك وجـرين بهم بـريح طيبة وفرحــوا بها جاءتها ريح عاصف وجـاءهم المــوج من كل مكـان وظنـوا أنهم أحيــط بهم دعوا الله مخلصـين له الـدين لئن أنجيتنا من هـذه لنكـونن من الشاكرين** ﴾[2].

وعوام المسلمين بل وبعض المحسوبين على العلم لم يصــلوا وللأسف إلى ذلك الإدراك، فــإذا نــزلت الشـــدة الشــديدة والكارثة العظيمة هــرع كل منهم يــدعو شــيخه ويستغيث به وينذر له من دون اللــه، وعظم خــوفهم منهم حتى إن الإنسان ليخاف أن يغضب الــولي أكـثر مما يخاف أن يغضب الله، وأوضح دليل على ذلك قضـية الحلف بالله والحلف بالأوليــاء؛ فــإن النــاس في تلك الأعصــار الــتي ترسـخت فيها الخرافة كـان الواحد منهم يكـون له اليمين على أخيه فيعــــرض عليه أن يحلف بالله فلا يقبل إلا أن يحلف بمعظِّمهم، وبالفعل فإنه يجـترئ على الحلف باللــه كاذبــاً ولا يجـترئ على الحلف كاذبــاً بــالولي، وقد خرجــوا ذلك تخريجاً مقبولاً لديهم قالوا: إن بحر الله تعالى واسع، وأما بحر الــولي فهو ضــيق، أي أن عفو الله وحلمه واسع فلا يعجل بالعقوبــة، وأما الــولي فهو شــديد الغــيرة على مقامه ومكانته فمن تجــــرأ عليه وحلف به كاذبـــاً عاجله بالعقوبــة، وحســبك ما في هــذا من التنقص لجنــاب الله تعالى وإفراغ القلوب من خوفه.

وكما انعكس أثر الخرافة على النفـــوس فإنه كــذلك انعكس على العقول، فسيطر عليها الأوهام، واستســلمت لما يلقى إليهــا، ولم يبق مجـال للتأمل والتفكـير والإبـداع،

---

1 (?) لقمان (32).

2 (?) يونس (22).

كما انعكس الأثر على الحالة الاجتماعية فتمـــيز فئـــات بالجـاه والمنصب والمـيزات السياسـية والاقتصـادية على حساب فئات أخرى.

كما أثرت الخرافة حـتى على النـواحي السياسـية فلم تعد الأمة تفكر في الأمر بــــالمعروف والنهي عن المنكر وإيقاف الحاكم المنحرف عند حده؛ لأن أصـحاب السـلطة الروحية في نظر العـــوام أدرى بالمصـــالح والمفاسد ولو كان هذا الحاكم غير صـالح لأزالـوه بالبرهـان وما يملكـون من القـــوى الخارقـــة، والحـــال أن القـــوتين الروحية والسياسـية في كثـير من الأحيـان تكونـان متحـدتين ضد الأمة[1].

---

1 (?) ومن أصـدق ما يعـبر عن هـذه الحالة ماجـاء في قصـيدة الشاعر الواعي المجرب المغترب عن البلاد البعيد عن آثار تلك الخرافــات (صـــلاح أحمد الأحمـــدي) وهي وإن كـــانت باللغة الدارجة إلا أنها بديعة وقوية ومعبرة، فلذا آثرت أن أنقلها كاملة هنا كما جاءت في كتاب"إثبات مـاليس مثبـوت من تـاريخ يـافع في حضـرموت"تـأليف عبـدالخالق البطـاطي الطبعة الأولى (1409 هـ- 1989 م) ص (101- 102) يقول رحمه الله:

ياحي ياقيوم يـامطلق من السـاق القيودأبـديت بك وأدعـوك ياجيد وغيرك مايجودقال القعيطي طول ليلي ما تهنيت الرقودأسألك غفرانك إذا بيت وحـدي في اللحودشـيبة في التسـعين متوجه إلى دار الخلـودلاهم من دنيا ولا من عشق منسـوع الجعـودولا على قاصر ولا السـلطان يطلبـني نقودعسى يقع مسـكني في الجنة وعالحوض الورودسلطان بن سلطان بن سلطان عالفرة يذودسـاكن في الدكن بلد عثمـان سـلطان الهنودأخبـار بلغت ماتسر القلب من أرض النجودولكنـــني اتـــأثرت من خفض الشـــرف بعد الصـعودراحت مع الصـاحب بلا قيمة ولاعسـكر يقودراحت جهة لحقـاف لحمـة فـاس سـرحت با لـبرودآه على لوطـان يـاغبني علي مثـوى الجـدود=وشـيدوا فيها الكنـائس و الـبراكس للجنودلكننا معـذور واحد عـود مـامني وقـود ==كم صـحت كم نـاديت قد بينت به قبل الوجـودوين ابن مطلق وين

وهكذا تجد التأثير في النواحي المختلفة، حتى لقد مل وسئم من ذلك المفكرون، حتى من المنتمين إلى الأسر المستفيدة من ذلك، فهذا ابن عبيدالله السقاف له في ذلك صولات وجولات في كثير من كتبه وقصائده[1].

وهذا حسن بن علوي بن شهاب قد صرح بأعلى صوته شاكياً ومندداً بتلك الحال داعياً إلى إصلاحها[2]، وغيرهما كثير بين مقلٍ ومكثر.

ربعه وين بن سالم عبود أين الدول أين آل عبدالله و همدان الأسودذي يرعضون السيل محري يطلعونه في سنودأين القعيطي أين يافع لي تطرح في الربودوين التميمي والمناهل وين بن عبد السودداللي لهم عادات بالجودات من عاد أو ثودأين الجعيدي اين كنده لي تعزووا بن كنودأين الشنافر أين نهد اللي يزرون الشدودوين باصرة وبن صالح محمد بو عمودوالعوبثاني هم وياسيبان شرحان الحدودهم حضروا البيعة وهم كانوا على البيعة شهود =أين الذي قالوا حميناها بأسوار الجدودوالخمر في لسواق باتبسط به أفراخ اليهود وبايعادون المدارس والمساجد والسجوديامر جوفي ياحياة الذل يامر الكبودوتبرجت مرات في لسواق حلوات الخدودوإلا إلى مكة ونزعوى لفيصل بن سعوديامر جوفي ياحياة الذل يامر الكبودوجاور الكعبة وزور المصطفى فخر الوجودابن الإمام العادل المنصف على رغم الحسودعليه صلى الله دائم عد حنات الرعود

1 (?) ديوان ابن عبيد الله ص (405) وما بعدها قسم التركيات و ص(438) ومابعدها القصائد الإمامية للسيد عبدالرحمن بن عبيد الله السقاف. وغير هذين الموضعين من الديوان.

2 (?) انظر: مقال الشيخ علي سالم بكير عن هذا الرجل وكتاب (نحلة الوطن) في مجلة الحكمة اليمانية العدد (137) إبريل(1987 م)

المبحث الثالث: التمايز الطبقي مظاهره ووسائل تكريسه

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: عدالة الإسلام وتسويته بين الناس:

إن من أعظم المبادئ التي جاء بها الإسلام العـدل بين النـاس والتأكيد على المسـاواة بينهم من حيث الأنسـاب، فهم كما قال النبي : **$لا فضل لعـربي على أعجمي ولا لأبيض على أسـود إلا بـالتقوى#**[1]، وحـذر من الفخر بالأنسـاب فقـال: **$لينتهين أقـوام يفتخـرون بآبـــائهم الـــذين مـــاتوا، إنما هم فحم جهنم أو ليكـونن أهـون على الله من الجعل الـذي يدهـده الخـرء بأنفــه، إن الله أذهب عنكم عبيّة الجاهلية وفخرها بالآبـــاء إنما هو مـــؤمن تقي أو فـــاجر شـقي، النـاس بنو آدم وآدم خلق من تـراب#**[2]، وأبـــان الحكمة في جعلهم شـــعوباً وقبائل وأنها لمجـــرد التعـــرف فيما بينهم وجعل علة التكـــريم والتفاضل بينهم هي التقوى قـال تعـالى: **يا أيها الناس إنا خلقنـاكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير**[3] ومع ذلك أكد على أخـوَّتهم ووجـوب العـدل بينهم فقـال:

---

1 (?) رواه الامام أحمد: (5/411).

2 (?) رواه أحمـد، كتـاب الأدب بـاب في التفـاخر بالأحسـاب (2/361 - 524)، و الترمذي، كتـاب التفسـير، تفسـير سـورة الحجـــرات (5/389) من حـــديث ابن عمر رضي الله عنهما وصححه الشيخ الألباني في غاية المرام تخـريج أحـاديث الحلال والحرام (154) طبع المكتب الإسلامي الطبعة الرابعة (1414 هـ - 1994 م).

3 (?) سورة الحجرات (13).

إنما المؤمنــون إخــوة فأصــلحوا بين أخــويكم واتقوا الله لعلكم ترحمـون[1] وأكد وحـدتهم فقـال: **وإن هـذه أمتكم أمة واحـدة**[2] وأبـان النـبي أن المـيزة في الآخـرة بالأعمـال لا بالأنسـاب فقـال: $**ومن بطـأ به عمله لم يسـرع به نسـبه**#[3] وأنـذر فاطمة فمن دونها من قرابته بأن مجرد قرابتهم له لا تغنيهم يــوم القيامة فقال: $**يا فاطمة بنت محمد أنقـذي نفسك من النار فإني لا أملك لكم من الله شــيئا**#[4] وإذا كـان هنـاك فضل بالنسب، وهـذا الفضل قد حـدد وفصـل، وجب على الأمة الاعـــــــــــتراف به وأداؤه كما ينبغي، كالخصائص التي خص بها أهل البيت من حبهم واحترامهم والصــلاة عليهم وحقهم في الفيء والخمس ومنع الزكــاة عليهم، هذه الأمور معروفة وقد أقرها المسلمون وعملــوا بها أو على الأقل أثبتوها في كتب العقائد والأحكــــــــام وطالبوا الأمة بأدائها، ولم تتكون بسبب ذلك طبقة متميزة مترفعة على الناس بحكم نسبها في القــرون الفاضـلة ولا في ســائر القــرون، خلا في نطــاق نفــوذ الشــيعة؛ فإنها الفرقة الوحيــدة الــتي جعلت قضــيتها الأولى تميــيز آل الرسول عن سائر المسـلمين، وأسـبغت عليهم أوصـافاً وقضت لهم بأحكــام ومنحتهم مزايا ما أنــزل الله بها من

---

1 (?) سورة الحجرات (10).

2 (?) سورة المؤمنون(52).

3 (?) رواه مسـلم (2699)، وأحمد (2/252)(407)، وأبو داود(3643)، انظر: جامع العلـوم والحكم (2/284)للإمـام الحافظ ابن رجب تحقيق شــعيب الأرنــاوؤط وإبــراهيم بــاجس طبع مؤسسة الرســالة بــيروت الطبعة الرابعة (1413 هــ - 1993 م).

4 (?) انظر مختصر صــحيح مســلم للحافظ المنــذري ص (36) تحقيق الألباني المكتب الإســلامي الطبعة السادسة (1407هـ-1987م).

سلطان وما ادعاها آل البيت من العلماء الأفاضل في عهد الصحابة والتابعين قبل بروز نحلة التشيع الغالي، وكذلك الترفع على الناس بالعلم أو بالصلاح، فما هي طبقة أبناء العشرة المبشرين بالجنة بين سائر المسلمين وهم أفضل أمة محمد بشهادة الرسول لا بشهادة دجاجلة الصوفية أو رجال الغيب الذين هم شياطين من شياطين الجن أو الخضر المزعوم أو المرائي الموهومة أو الكاذبة هل عرفت بين المسلمين طبقة مترفعة عنهم هي طبقة أبناء العشرة؟ كلا والله ما حصل بل كانوا يزوجون الناس ويتزوجون منهم، وكذلك طبقة العلماء والفقهاء هل ظهرت هذه الطبقة في غير نطاق الصوفية والقبورية أو الشيعة الغالية؟ الجواب: لا.

المطلب بالثاني: إثبات وجود طبقات مترفعة على المجتمع باسم النسب والعلم والولاية

قد أخبر النبي بأن عدداً من أمور الجاهلية ستعود إلى الأمة وتستمر فيها من الفخر بالأنساب والطعن في الأنساب، فعن أبي هريرة قال: قال رسول الله : **$أربع في أمتي من أمر الجاهلية، لايتركونهن: الفخر بالأحساب، والطعن في الأنساب، والاستسقاء بالنجوم، والنياحة#**[1] وعادت تلك الأمور كلها إلى الظهور ومنها التفاخر بالأحساب والطعن في الأنساب.

ومعقول أن يتفاخر مِلِك مستكبر بآبائه وأجداده، وأن يتعاظم تاجر جاهل بماله، وأن يتباهى قبيلي متعصب بنسبه وحسبه، لكن من أغرب الأمور أن يتباهى صالح بصلاحه أو عالم بعلمه أو مدع أنه من آل الرسول ، وهو

---

1 (?) رواه مسلم (5/235) مع النووي، كتاب الجنائز، باب تحريم النياحة.

يعرف طريقهم ثم يتعالى على النـاس بـذلك!، لكنّ قومـاً من اللائذين بهذا النسب والمستفيدين منه هم الذين سنوا سنة التفاخر والتعـالي وادعـاء أحقية الملك والخلافة بهـذا النسـب، وهم الـذين ضـخموا قضية أهل الـبيت وأحقيتهم بالإمامة حتى جعلوا ذلك أصل عقيدتهم، ومن قـرأ أصـول الإثني عشرية والإسماعيلية عرف ذلك، وعنـدنا في اليمن طائفتان تـدعيان ذلـك، وتسـخران كل جهودهما لتبنيه هما أئمة الزيدية الهادوية الـذين ركـزوا على الخلافة الظـاهرة وجعلوها محور عقائدهم وأحكامهم وبسببها كفَّروا وضلَّلوا وفسقوا واستحلوا أمـوال مخـالفيهم واشـتد غضـبهم على فرقة المطرِّفية وهي في الأصل منهم؛ حينما خــالفت في مبـدأ التفاضل بالنسب ,وأجـازت الإمامة في غـير قـريش فانتدب لهم معاصرهم الإمام عبدالله بن حمزة ووضع تلك القاعدة الظالمة التي يقول فيها:

أما الذي عند جدودي فيه فيقطعون لِسَنه من فيه

ويؤتمون ضحوة بنيه إذ صار حق الغير يدعيه[1]

وبنــاءً على ذلك قــام بإبــادة فرقة المطرِّفية إبادة كاملة، حـتى لقد هـدم مسـاجدهم وقـراهم وقتل مقاتليهم وسـبى ذراريهم ولاذنب لهم إلا أنهم خـــالفوا في ذلك الأصل[2]، ومن عجيب ما فعل أنه كتب على جدار أو باب مسجده:

أقسـمت قسـمة حـالف بـر وَفيٍّ لايـدخلنك ما حييت مطرفي

وقد وُضِـعَتْ في ذلك أحـاديث وقُعِّدِتْ قواعد ليس لها أصل.

وفي بلاد الشـافعية وخصوصـاً في حضـرموت قـامت

---

1 (?) هجر العلم ومعاقلة في اليمن (1/547).

2 (?) انظر: تيارات معتزلة اليمن في القـرن السـادس الهجـري ص(182- 192) علي محمد زيد.

خلافة باطنة إمامها القطب وسلاحها البرهان ووسليتها لبسط نفوذها تفريق الأمة وتقسيمهم إلى طبقات، لكل طبقة وظيفتها التي تتكامل مع بقية الطبقات الأخرى في قيام تلك الخلافة الباطنة وترسيخها وحمايتها ومدها بكل ما تحتاجه من دعم معنوي وعسكري واقتصادي، وحتى السلطات السياسية جندت لخدمة هذه الخلافة، وإليك الأدلة على ذلك من كتب القوم أنفسهم.

قال ابن عبيد الله في رسالته " نسيم حاجر ": (إن العلويين الحضرميين ومن لفّ لفهم إلى هذا الحين إن لم يكونوا على مذهب الإمامية فإنهم على أخيه، إذ طالما سمعنا ممن لا يحصر عداً أو لا يضبط كثرة منهم من يقول: إنها لما زويت عنهم الخلافة الظاهرة عوِّضوا بالخلافة الباطنة، فصارت إلى علي ثم إلى ابنه ثم علي زين العابدين ثم إلى الباقر ثم إلى الصادق، وهكذا في الأفضل ثم الأفضل من ذرياتهم، ألا ترى أنهم يقولون بقطبانية هؤلاء، وما القطبانية إلا الإمامة بنفسها، واذكر في الكتاب ما اتفقوا عليه من قطبانية الفقيه المقدم، ما يزعم له بعضهم من الخلافة الراشدة، و**تأمل** ماجاء في الحكاية (337) من الجوهر الشفاف وما علق به عليها مؤلفه، فإنها صريحة في أن الشيخ السقاف ليس بحنبلي ولا شافعي ولا مالكي ولا حنفي، وإن تلك هي صفة القطب الذي يولي من يشاء ويعزل من أراد، لارادَّ لحكمه ولا معقب لأمره، وماجاء في النور السافر، وتناقله من بعده الشيخ محمد بن أحمد باجرفيل من الاعتذار عن تصرفات الإمام أبي بكر بن عبدالله العيدروس (العدني) وحاصله: أن العلامة بحرق سأله عن تصرفات مالية يباشرها الإمام العدني يقبضها ويصرفها بغير مصارفها في ظاهر الأمر، فقال له: أنا أشهد أنه أمير المؤمنين المالك للتولية والعزل والحل والعقد والتصرفات كلها. انتهى،

وذكر هو وغيره أن الشيخ علي بن أبي بكر كان يشهد للعدني بالقطبية وهي الخلافة التامة الباطنية ليس غير، ولاننس ما جاء في عقد الجواهر والدرر للشلي أن الشيخ علي بامحسون كان ناظراً على مسجد سرجيس "بتريم"، فطلب الإذن للتصرف فيما يتعلق بالمسجد من السيد عبدالله بن الشيخ العيدروس الأوسط وقال له: إذا تحقق أنك صاحب الوقت، فأذن له بعد إلحاح، وما أكثر ما يتمثل به أعيانهم من قوله:

ملوك على التحقيق ليس لغيرهم من الملك إلا رسمه وعقابه

وممن تمثل به سيدي الإمام أحمد بن محمد المحضار في قصة طويلة ملخصها أنه حج في سنة وبمعيَّته السادة الأجِلاء: عبدالرحمن بن علي بن عمر السقاف المتوفى "بسيئون" سنة (1292ه) ومحمد بن علي بن علوي بن عبدالله السقاف المتوفى وهو ساجد بمسجد الشيخ عمر المحضار " بتريم " سنة (1301ه) وصديقي السيد شيخ بن محمد الحبشي المتوفى"بسيئون " سنة (1348 هـ) فاجتمعوا بأحد الأمراء من الأشراف إما في " المخا " وإما في " أبي عريش "، فالعهد بالرواية بعيد، ولما أخبروه عن أمراء بلادهم بعد أن أحفاهم السؤال، قالوا له: إن أحدهم (وهو القعيطي) من حمير، والثاني (وهو الكثيري) من همدان، اقتحمتهم عينه، ولا مهم على خضوعهم لمن سواهم، فقال له المحضار: إنما هم خدام لنا، والأمر أمرنا، وتمثل بالبيت، والقصة مبسوطة بالبضائع، فتراهم لاينظرون إلى غيرهم من الأمراء إلا ما ينظره الفقيه إلى ولاة الضرورة من نفوذ أحكامهم بقدرها خشية الاضطراب.

ومنهم من يرى أنه لا يقوم سلطان من غيرهم إلا كان عليه نظر من القطب صاحب الوقت، فيصير كالنائب عنه

ليس إلا وهو موجود في كلامهم بكثرة، ورأيت بخط شــيخ مشايخنا السـيد عبد الـرحمن بن علي السـابق الـذكر عن أبيه ما معناه: إن هؤلاء الأمراء لايعدون إلا باغين ظالمين، وما أدري أقال ذلك من تلقاء نفسه أم كان نـاقلاً عن أحد من الأئمة؟ فإن العهد بالإطلاع عليه قد تقادم، وسواء كان من مقوله أومنقوله فإن له اتصالاً بالقصة التي جرت لهم مع ذلك الشريف)[1].

وكـــذلك يقـــول صـــالح بن علي الحامد في تـــاريخ حضـــرموت: (ولما لـــدى العلـــويين في تلك العهـــود من الفضل والعلم يضـــاف إلى ذلك مـــاهم عليه من النسك والصلاح والقيام بوظيفة الـدعوة والإرشـاد وإخمـاد الفتن، كـــان لهم من الـــود والإجلال لـــدى جميع الطبقـــات في الشـعب الحضـرمي والثقة ما خـوّل لهم قيـادة الشـعب وإدارة دفة الثقافة والتعليم فيه، وكـــوّن لهم بحضـــرموت سـلطة دينية جعلت لهم بين السـكان المكـان المرمـوق والكلمة النافذة.

ويعلم باســـتقراء أخبـــار ذلك العصر أن الزعامة في العلـــويين بعد الإمـــام الفقيه المقـــدم بقيت في أبنائه يتداولونها، ثم إنها انحصرت بعد الإمام السـقاف المتـوفى سـنة (819ه) في ذريته خاصـة. قـال الطيب أبو مخرمة في تاريخه في ترجمة الإمام السـقاف ما نصـه: (ولأولاده ونسله إلى الآن الميزة والرئاسة على آل أبي علوي) أه.

وقد شهدت الـدلائل والآثـار على أن العلـويين في تلك الأزمنة أداروا دفة الحياة الثقافية والإصلاحية بكل إخلاص، وسـاروا بـالبلاد سـيراً مرضـياً في تواضع لا تشوبه أنانيـة، وفي نزاهة تامة وذلك ما جعلهم يرغبـــون عن الإمـــارة، ويتنحوّن بكل قواهم عن كراسي الحكم، تـاركين ذلك عن رضى واختيار لغيرهم، حتى قال البرزنجي: ما في آل أبي

---

1 (?) نسيم حاجر ص(8-10).

علوي إلا أنهم بلدهم لغيرهم، وهم وإن ابتعـدوا عن الحكم ورغبوا عن الولايات اعتباراً لأنها من حظوظ الدنيا أو لغير ذلـك، فإنها لاتقـوم إلا على تأييـدهم، ولا ترسخ قوائمها إلا على إرادتهم غالباً منذ نزلـوا بحضـرموت، ولـذلك لما ذكر الشـيخ الشـوّاف في منظومته الدارجة السـيد علـوي بن عبيدالله بن أحمد بن عيسى أشار على ما ذكرنا إذ قال:

والشيخ علوي الأول هو ذاك ذي قد دوّل

والأرض منها زوّل من كان جاهل بالله

وكلمـات دوّل الأرض وزوّل لها مـدلولاتها في الإشـارة إلى التأثير في إقامة دولة وإزالة غيرها.

ومع ذلك فهم لا يزالـون يراعونها عن كثب أشد الرعايـة، ويتـابعون تطوراتها وتغيراتها في حيطةٍ وحـذر، باذلين في كل ذلك إرشاد وتقديم جهد المستطاع)[1].

وقـال أحمد بن حسن العطـاس: (وأهل البيت يستحقون الخلافة جميعهم بالنيابة عن متبوعهم الأعظم ، وإنما لا تظهر بكمالها إلا في فـرد واحـد، إذا جـاءت نوبته المطلقة فحينئذ تحن إليه الأرواح وتعكف عليه الأشـباح، بمعرفة خفية وشؤون جلية)[2].

هـذه هي مكانة صـوفية حضـرموت وبالـذات آل أبي علـوي عند أنفسـهم ومن يـدين لهم بـالولاء والاتبـاع، وقد سخروا الخرافة أسوأ تسخير لتثبيت ذلك فأظهروا للنـاس أن كل قيام دولة أو سـقوطها إنما هو بـإرادتهم وكل نصر أو هزيمة لقبيلة فإنه مرتبط بسـلطتهم أو سـلطة أقطـاب الصوفية الآخرين " المنطوين فيهم " يقول صالح بن علي الحامد: (ولم تتبدل الدولة " بتريم " حتى شاء اللـه، وذلك بعد أن رضي العلويـون، ورأوا في ذلك المصـلحة العامـة)

---

1 (?) تاريخ حضرموت ص(641 - 642)

2 (?) تذكير الناس ص(366).

.[1]

وتلك السلطة الظاهرة عند أئمة الزيدية قد أذاقت الأمة صنوفاً من القهر والاستعباد والسخرة ضج منها الأحرار وسجلها المؤرخون وحملت المخلصين على العمل على محاربتها محاربة لا هوادة فيها، ذو الفكري بفكره وذو السياسة بسياسته وذو مال بماله حتى هيأ الله الانعتاق منها[2].

وفي بقية المناطق كانت المعاناة أطول وأشمل غير أن وقعها لم يكن بذلك الظاهر المزعج كما هو شأن سلطة الأئمة خصوصاً أن التمهيد لها والتربية عليها وإقناع الناس أن هذا هو واجبهم وأنه في مصلحتهم حيث سينالون بذلك بركة الأولياء وستفيض عليهم أسرارهم وإمدادهم أن ذلك قد خفف المعاناة وأطال أمر الاستسلام لها.

وفي المطلب التالي ما يلقي الضوء على تلك السلطة وأساليب الاستفادة من سائر طبقات المجتمع.

المطلب الثالث: مظاهر التمايز الطبقي:

(2) وقد ترسّخ ذلك التمايز وظهر بعدة مظاهر:

المظهر الأول: تقسيم المجتمع إلى طبقات متفاوتة لكل طبقة ميزاتها وحدودها، وعليها مهام وحقوق يجب أن تلتزم بها، مع أن للطبقة العليا الاستفادة من كل ما هو من حقوق الطبقات الدنيا ولا عكس.

الطبقة العليا (السادة): وهي ذات أرفع وأوسع امتيازاً وهم ذرية أحمد بن عيسى المهاجر إلى الله الذي ينتهي نسبه إلى الحسين بن علي ويسمون في

---

1 (?) تاريخ حضرموت ص(641).

2 (?) انظر على سبيل المثال: كتاب ابن الأمير وعصره، وكتيب الإمامة وخطرها على وحدة اليمن للأستاذ الزبيري.

حضـــرموت ب(آل بـــاعلوي) وهم فيما بينهم يتفاضـــلون كذلك كما سيأتي رغم أنهم ينتمون إلى رجل واحد.

الطبقة الثانية: **المشايخ** وهي مرتبة اصـطلاحية لا تقــوم على نسب معين إذ تنتمي فئة المشــايخ إلى عــدة قبائل، منهم من تنتسب إلى آل الـــبيت، ومنهم إلى بقية بطـــون قـــريش ومنهم إلى غيرهمـــا من ســـائر القبائل العربية، فميزتهم لا على سبيل النسب ولكن على مقياس التصـوف فـأكبر أجـدادهم إغراقـاً في التصـوف أرفعهم منزلة وأكثر أجدادهم " انطـواءً في أهل الـبيت " أي تبعية لهم أرفعهم كذلك، مع ما يضاف إلى ذلك من صـفة الفقه في الـدين الـتي تحـرص هـذه الطبقة أن يكـون منها من يتصف بها وخصوصاً في السابق.

والطبقة الثالثة: **القبائل** حاملة السلاح وهي الـتي بقيت متمسـكة بأنسـابها متعصـبة لها متماسـكة فيما بينها معتمدة على قوتها وحميتها.

الطبقة الرابعة: وهم القبائل العربية الـتي انـدمجت في المجتمع وانشـــغلت بـــالحرف المختلفة من زراعة وصـناعة وتجـارة وما يلتحق بـذلك، وهـؤلاء قد يتفـاوتون أيضاً فيما بينهم بحسب مهنهم، وهذا التقـديم والتـأخير قد يختلف من منطقة إلى أخرى، ويسمون القرار أو الحرثان أو المساكين بحسب اصطلاح المناطق المختلفة.

والطبقة الخامسة: هم **" الصــبيان "** أي الخــدم و"العبيد" أي الموالي الـذين كـانوا مماليك وقد يفـرق بين هاتين الفئتين فتصبحان طبقتين يقدم الصـبيان على العبيد في بعض المنـــاطق، ويقـــدم العبيد على الصـــبيان في مناطق أخرى[1]، وفي بقية مناطق اليمن تفاوت وإنما قد

---

1 (?) انظر الفكر والمجتمع في حضرموت (58 - 66). والأوضاع الاجتماعية والاقتصادية والثقافية والسياسية في حضرموت ص (25-40).

يكـون علة هـذا التقسـيم بشـكل أقل وقد تكـون درجـات سلم التفرقة أقصر.

والذي يظهر أن أساس هذه التفرقة وهذا التفاضل هو التسـلط الـروحي الـذي فرضه شـيوخ الطرق الصـوفية يضـــاف إليه النسب الهاشـــمي الـــذي يفـــاخر به أولئك الشيوخ، وقد لعبت الخرافة دوراً بارزاً في هذا التمــايز إذ قد بنى شيوخ التصـوف لأنفسـهم تلك المنـازل وأشـادوها بما يبثـون في المجتمع من تلك الخرافـات والـتي هيـأوا المجتمع للقبـول بها وتصـديقها والعمل بما تـدعو إليـه، وهكذا تكونت وتطـورت عـبر الأيـام فمن جمع بين شـرف النسب العرقي والنسب الروحي فهو القمة في الشـرف، وكلما كان غالياً في التصـوف كثـير الشـطح والمجازفـات والتبجح كـــان أرفع وأســـمى، والـــدليل على ذلك أن آل بـــاعلوي في حضـــرموت كلهم من ذرية رجل واحد وكلهم قد اعتنقـــوا التصـــوف ودانـــوا به، بل إن معظمهم إن لم يكونـــوا جميعهم يرجعـــون إلى الصـــوفي الكبـــير " الفقيه المقدم محمد بن علي بـاعلوي " ومع ذلك يتفـاوتون فيما بينهم، ويرى بعضهم لأنفسهم ميزة على غيرهم لانتسابهم لمن كان أكثر تصوفاً بل أكثر سطحاً ودعاوى، فهـذا واحد من آل حامد من ذرية الشـــيخ أبي بكر بن ســـالم الـــذين يعـدون أرفع السـادة الحضـارم منزلة يقـول في أبيـات له مفتخراً بنفسه وجماعته:

حامدي حامدي ما نا كاف ولا خرد (2)

حامد وترباة رخية ند عشرة يهد

يقــول هو من آل الحامد وليس من آل الكــاف ولا من آل خرد، فآل حامد أشرف وأرفع قــدراً من تلك القبيلـتين رغم أن الجميع من آل باعلوي.

وقوله تربـــاه رخية أي من ســـكان وادي رخية حيث

تحولت تلك القبيلة من السادة إلى القَبَلِيَّة وحملت السلاح فلـذا فإنه " ند عشـرة " أي مقابل عشـرة في الحـرب و الضراب، وهي المعنية بقوله "يهد " أي يقاتل.

وفي المقابل يقــول أحد المنتمين إلى إحــدى القبائل التي تعد من المستوى الأقل عندهم:

(1) لاجئت بامــاري صــحابي ماشي معي بــيرق وقبه

نحنا على دين الصحابة والكافر إلا في الهربه

يقــول إذا جئت لأفــاخر أصــحابي من القبائل المتعالية ليس معي حجة أقــدمها؛لأن مــيزان التقــدم هو البــيرق والقبة شــعار الســلطة الصــوفية، فكل ولي معــترف به مسلّم له بالولاية والتقــدم، فشــعار الفضل والتقــديم أن يكــون على قــبره قبة ولخليفته ومنصب مقامه بــيرق[1] وقوله في الهربة أي في (أوروبا).

وبهذا يتضح أن للقبورية أثراً كبيراً في هذا التمايز وأنه بقــدر الإغــراق في القبورية تكــون الرفعة والمنزلة؛ ولأن الصوفية من عادتها أن تجعل موضع شيخ طريقتها مقدساً وتسبغ على خلفائه القداسة المقتضية للتســلط؛ ولأن تلك الســلطة بحاجة لــدعم معنــوي ودعم ســلاح ودعم مــادي وأتباع تظهر بهم مكانة المتبوع فقد جاءت بقية الطبقات.

فطبقة المشــــايخ وهم الطبقة المثقفة الوحيــــدة في الغالب بعد السادة فــإن مهمتها الــدعم المعنــوي من نشر لفضــــائل أوليــــاء الســــادة وتــــرويج لخرافــــاتهم وتعظيم لمقاماتهم بين بقية النــاس، وكلما كــان الواحد منهم أكـثر تقليــداً وفنــاءً فيهم كلما كــان مقامه أرفع وثنــاؤهم عليه

---

[1] (?) يقــول صــاحب تــاريخ العــرب: والغــالب أن مؤسس كل طريقة كــان يصــبح إمــام مــذهب صــوفي، ويكتسب شــيئاً من الصفات الإلهية ويصبح مقره بعد موته مقــام تقــديس واحــترام انظر: الصلة بين التصوف والتشيع (1/474).

أكـثر؛ ولـذا فـإنهم يمدحونه بأنه "منطوٍ في أهل الـبيت " كما قـــالوا في الشــيخ عبدالله بن أحمد باســـودان، أو " خزانة آل باعلوي " كما قالوا في الشيخ ســعيد بن عيسى العمودي وهكذا، وطبقة المشايخ قد حصـلت هي الأخــرى على امتيازات متقاربة بقدر شهرة جدودها وســعة ولايتهم وسطوع برهانهم.

وأما القبائل فإنها القــوة الضــاربة في المجتمــع، وقد تعمد الســادة بدرجة أساســية وربما بعض المشـايخ إبقـاء هــذه الشـــريحة جاهلة غــير متعلمة ليســهل التحكم فيها وتسـخيرها في مصــالح أولئك الأســياد، فما من قبيلة من قبائل اليمن الشافعي إلاّ ولها اعتقاد في ولي من الأوليـاء وتـدين بالتبعية لخلفائه وتعطي العهـود والمواثيق لكل من يتقلد المنصـبة من خلفـاء ذلك الـولي، وهـذا أمر متواتر لا ينكره أحد وقد نص عليه في بعض كتب التـاريخ والـتراجم وغيرهــا، ولدى تلك القبائل اعتقــادات جازمة أنه مــتى ما أغضبت القبيلة خليفة الولي أو خفرت ذمة أحد من أفــراد ذريته أنها معرضة للعقوبة من ذلك الـــولي، ولـــذلك فإنها تبادر بالاعتذار للأحياء والأمـوات وتقـدم العقـاير للأضـرحة كما مر شرحه في فصل سابق.

وقد يحرك مناصب السادة والمشـايخ مجـاميع القبائل ويزجون بهم في حــروبٍ يكـون المسـتفيد الوحيد منها هو ذلك المنصب وأصـحابه، وكم تـراق من دمـاء وتـذهب من أنفس في سبيل ذلك، وقد تسلط قبيلة على قبيلة أخــرى يحركها المنصب؛ لإن إحدى القبيلـتين خـرجت عن الطاعة أو خفـرت الذمـة، كما أنهم قد يسـتخدمون تلك القبائل أو البعض منها في تطويع بقية الشرائح المنزوعة الســــلاح المستضعفة فيما إذا قصرت في أداء ما عليها من إتــاوات مالية لمقامات المناصب والأوليـاء أو للحكـام من السـادة

أو المشايخ، وهكذا فيما لو قصر أحد أولئك المستضـعفين فيما هو متعـــارف عليه من الســـخرة والخدمة بل وبعض العـــادات الـــتي تتجلى فيها إهانة للمســـاكين والعظمة والكبرياء للمتعالين[1].

وخذ مثـالاً على تلك السـلطة بـذكر بعض الأسر ذات السـلطة ومن يتبعها من القبائل، قـال الشـاطري: (ومن أبرز العـائلات الـتي تحدرت منها المناصب آل الشـيخ أبي بكر بن ســالم ولهم وجاهة عظيمة لــدى القبائل اليافعية والمهرة والمناهيل وغيرهم، وآل العطاس ووجاهتهم أكـثر لدى قبائل الجعدة و نهد، وآل العيـدروس ووجـاهتهم لـدى القبائل الشـنفرية والتميميـة، وهـذه أسر علوية شـهيرة، وللمشايخ العموديين وجاهة عظيمة لدى قبائل دوعن، كما أن لآل أبي وزير وجاهة لـــدى قبائل الســـاحل، ولآل أبي عباد وجاهة لدى بعض القبائل البدوية، وهـذه أسر شـهيرة من المشايخ تحدرت فيها مناصب معروفة.

وهنـــاك أسر أخـــرى علوية وغـــير علوية لها منصـــبها ووجاهتها ألتمس العذر لعـدم الإطالة بـذكرها؛ لأن المقـام يقتضي ذلك، كما أني من أجله لم يمكني التفصيل بتعــداد أسـماء القبائل المتعلقة لنفـوذ المناسـب، والمهم إعطـاء

---

1 (?) وللإنصاف فـإن السـادة و المشايخ كثـيراً ما يتـدخلون في حـال نشـوب الحـرب بين القبائل ويوقفـون الحـرب ويعقـدون هدنة بينهم لا يجـرؤ أحد منهم في الغـالب على نقضـها وبـذلك يصـدون شـروراً كثـيرة ويحولـون دون وقـوع المزيد من إراقة الـدماء. ولكن اللافت للنظر أنهم = =لا يسـعون لحل القضـايا حلاً جذرياً وإنما يوقفون الحرب القائمة فقط لتعـود بعد الهدنة إلى ما كانت عليه أو أكـثر، وهم كـذلك لم يحـاولوا إخـراج تلك القبائل من جهلها أبـــداً ولم يقضـــوا على أســـباب تلك الفتن والحروب ولست أستطيع الجزم إن كـان لهم في ذلك أهـداف ومصـالح أم أن الوضع غـير قابل لها، مع أن تـراجم الكثـير من أقطابهم توحي بقدرتهم الفائقة على ذلك لو أرادوا.

صــــــورة عامة عنها طبق الواقع إذ ذاك، ولكثــــــير من المناصب خدم وحشم وخيول ومماليك، وعلم وطبـول قل أن تفارقهم)[1].

وأما طبقة الحرثان " المزارعون " والتجــار فإنها تمثل البعد الاقتصادي، فإنه من المعـروف أن أربـاب المقامـات وخصوصـاً المقامـات الشـهيرة كمقـام منصب آل الشـيخ أبي بكر في عينـــات، ومناصب آل العطـــاس في حريضة وعمد ومنصب مقام الشيخ سعيد بن عيسى العمودي في "بضة "، وغيرها من المقامـــات فإنه قد فــــرض لها على كثير من الحرثان والذين يسمون " فقراء " فقـراء الشـيخ أبى بكر أو فقـراء الشـيخ سـعيد نصـيب معلـوم من زكـاة أمــوالهم يوردونه إلى تلك المقامــات، هــذا بالإضــافة إلى النذور والصدقات التي تشترك فيها جميع الطبقــات وربما طلبــوا منهم طلبـات محــدده في مناسـبات معينة وهم لا يســـتطيعون بحــــالٍ رفض الطلب؛ لأنهم يخـــافون من بطشـهم أحيانـاً بتسـليط بعض القبائل عليهم، أو لخـوفهم من الأولياء أن يغضبوا عليهم وينتقموا منهم.

وأما طبقة الصـــبيان والعبيد فإنها للخدمة في شــــتى شـؤون المناصـب والمقامـات في كثـير من الأحيـان دون مقابل، ولا يستطيعون أن يرفضوا ذلك كما هو الشأن في الطبقة السابقة بل أشد، وتلك الطبقات المتسلطة لا تجد أي حــرج من الاسـتهزاء والازدراء بالطبقـات الـدنيا وذمها وإظهــار حقارتهــا، بل إذا أرادوا أن يمثلــوا لــدناءة الأصل ولـؤم الطبع فـإنهم يمثلـون بهم دون أي تحــرج، ولو على مسامعهم، وكمثال على ذلك استمع إلى هـذه الحكاية من عبدالرحمن بن عبيدالله السقاف مفتي حضــرموت يرويها عن علي بن حسن العطاس صاحب المشـهد والموصـوف بالقطبية والعلم والأدب.

---

[1] (?) أدوار التاريخ الحضرمي ص (290 - 291).

يقول ابن عبيدالله واصفاً شعر الحبيب علي بن حسن العطاس: (وله ديـوان عـذب كأنه اللؤلؤ الـرطب وهو يمر في منظومـه ومنثـوره مع خـاطره لا يتكلف ولا يتنطع ولا يدع شيئاً بباله إلا نفث به لسانه وعسل به قلمه، من ذلك أن جماعة من قـرار شـبام أتـوا عنـده فـأكرمهم وأسـبغ قراهم ومعهم جمّال من آل مهري سـأل عنه الحـبيب عند حضور العشاء فقالوا له: إنه عند المراكيب فـأخِرْ عشـاءه حـتى تفـرغ، قـال: لا يمكن أن نأكل إلا ويـده مع أيـدينا، واتفق أن الحبيب دخل شباماً بعد أمة من الزمـان واجتمع بكل أولئك في الجامع، ولم يقل له أحد تفضل إلى منزلي وأَبَوْا بلسان الحال أن يضـيفوه، فاضـطر إلى الخـروج من شبام قريب المغـرب فلاقـاه ابن مهـري وعـزم عليه وألح وذبح له منيحة ولده، فأنشأ الحبيب قصيدة يقول فيها:

علي بن حسن حوط الحيـــوار وامسى مـــزار
وامسيت ياجحي جنة بعد ماكنت نار
يـــالقروى القـــار يـــاعرق الحج يالحمـــار حب
القبيلي وقيراط القبيلي هار
وإن جئت صر القبيلي مالطف في الصرار[1]

الشاهد من الأبيات قوله: (يالقروى القار ياعرق الحدج يالحمــار) فهــذا سب واضح فقــول "القــار" أي المر وهو كناية عن الخبث فقد وصــــفة بـــــالخبث وكنّى عن ذلك بالمرارة الـتي شـبهها بعـرق الحدج " أي الحنظل " الـذي يضـرب به المثل في عـدم الاستسـاغة، وأفحش من ذلك وأظهر جعله هــذه الطبقة حمــيراً ولا يخفى ما في هــذا الوصف من الفحش والبــذاءة، ووصف أفــراد الطبقــات الضعيفة ب " الحمار " عادة مسـتمرة إلى اليـوم من قبل الثلاث الطبقــات المتســلطة إلا القليل ممن عصــمه الله بالعلم والخوف من الله تعالى.

---

1 (?) إدام القوت ص(160).

المظهر الثاني: اعتبار الكفـاءة بالأنسـاب، فالطبقة العليا لا تزوج الطبقة السـفلى مع إعطـاء العليا الحق في الـتزوج ممن هي دونهـا، وهـذا مخـالف لأصل العـدل والمسـاواة في الإسـلام الـذي جعل التفاضل والتكـريم بالدين لا بالنسب، وهو مخالف كذلك لأصل الكفـاءة الـتي اعتبرها النبي ﷺ حين قال: **$إذا أتاكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه؛ إلا تفعلـوا تكن فتنة في الأرض وفسـاد عـريض#**[1] **وفي رواية كبـير#**[2]، وهـذا المظهر مازال قائماً إلى اليوم إلا ما شاء الله.

ومن الأدلة على أن هذا الأسلوب مقصـود، وله أهدافه الـتي هي ليست مجـرد الجهل والعصـبية، ماحـدث بين الحضارم العلويين والإرشاديين في جنوب شرق أسـيا من خصام بل صـراع وصل إلى حد القتـال وإراقة الـدماء وما ترتب على ذلك من آثار كبيرة، وكان السبب في ذلك كله هو إفتاء الشـيخ أحمد السوركتي شـيخ الإرشـاديين بجـواز زواج العلوية من غـير العلـوي، فثـارت ثـائرة العلـويين وأقاموا الدنيا وأقعدوها من أجل ذلـك، وأُلِّفَت ردود كثـيرة من كتب ومقالات صحفية وخطب ومحاضرات وغير ذلـك، وقد ظهر من مجموع تلك الردود أن هذه الفتـوى خطـيرة غاية الخطـورة على الـترتيب الاجتمـاعي المسـتقر في حضـرموت، وهـدم له وإفقـاد العلـويين مـيزة ظلـوا محتفظين بها قروناً طويلة.

---

1 (?) رواه الترمذي (3/385) كتاب النكاح - باب ما جاء إذا جاء من ترضون دينه فزوجـوه، وابن ماجـة (1/632) كتـاب النكـاح باب الإكفاء، والحـاكم (2/164-165) كتـاب النكـاح. والخطيب في تاريخ بغداد (11/61) وحسنه الشـيخ الألبـاني في الإرواء (6/266-268).

2 (?) أخـرج هـذه اللفظة الـبيهقي في سـنه (7/82) وانظر التخريج كاملاً في: إرواء الغليل (6/266-268).

و لا أريد الإسـهاب في هـذا الموضـوع فمن أحب الاطلاع عليه فلـيرجع إلى كتب ورسـائل الطـرفين ومن أشهرها رسالة " صورة الجواب " للشيخ أحمد السوركتي و"فصل الخطاب " للشيخ أحمد العاقب زمبل السـوركتي وأبـرز مناصـريه، وكتـاب " القـول الفصل فيما لقـريش وسائر العرب من الفضل " للسيد علوي بن طاهر الحداد، وديوان ابن شـهاب فله قصـائد في الموضـوع تمثل وجهة نظر العلـويين، وفتـوى السـيد عمر بن سـالم العطـاس بتحريم زواج العلوية بغير العلوي ومجلة المنار[3] الصـادرة بالقـاهرة ففيه مقـال ضـافٍ للشـيخ محمد رشـيد رضـا، وكتب التاريخ المعاصرة لتلك الحقبة والتالية لها.

أقـول إن مجمل ما دار في تلك المعـارك وما تـرتب عليها ليؤكـد مـدى اعتمـاد العلـويين على هـذا الأصل واهتمامهم به لما يترتب عليه من ميزة اجتماعية لهم.

المظهر الثـالث: التمـيز بلقب " سـيد " الـذي كان مختصـاً بـالعلويين لا يشـاركهم فيه غـيرهم حـتى من المشـايخ الـذين هم أرفع الطبقـات بعـدهم، وقد تنـاولت معـاركهم المشـار إليها سـابقاً هـذه المـيزة، وقد جد الإرشـاديون في تعميم هـذا اللقب على كل رجل من أي طبقة كـانت، وذلك بعد أن فقد معنـاه اللغـوي، فلجـأوا للعرف السائد لدى المعاصرين من العرب في شتى البلاد العربية من إطلاق سـيد على الرجل وسـيده على المـرأة المتزوجة، وقد نجحوا إلى حد كبير في تعميم هـذا اللقب، والأسـوأ من اختصاصـهم بلقب سـيد اختصـاص رجـالهم بوصف " الشـريف " ونسـائهم بوصف " الشـريفة " والمبالغة في ذلـك، حـتى أن بعض الألفـاظ أو التصـرفات ليدل ظاهرها على اختصـاص الشـرف بهم وأنه لا شـريف

---

3 (?) الجزء (15) العدد غرة شعبان (1323 - 3 سبتمبر 1905 م).

سواهم، من ذلك أن يقف الرجل في بعض المنـاطق على المجلس الذي يضم عـدداً كبـيراً من النـاس فيقـول: (حد شريف في المجلس) أي: هل يوجد شريف في المجلس؟ فـــإن وجد أحد منهم قيل لـــه: نعم هو ذاك، وإن لم يوجد قيل له: لا، فانظر كيف يترتب على هذا السؤال وجــوابهم نفي الشرف عن جميع الحاضرين.

المظهر الرابع والخــامس: تمـــيز العلـــويين دون ســواهم بتقبيل الأيـدي ولبـاس العمـائم بشـكل خـاص لا يشركهم فيه غيرهم، يقول صاحب تذكير النـاس: (وسـئل سيدي عن تقبيل أيـدي الأشـراف هل هو سـنة أم بدعـة؟ فقال رضي الله عنه: لمّا خرج السادة العلويــون إلى جهة حضـرموت مـيزهم أهل الجهة بعلامـتين العمامـة، وتقبيل اليـــــد، فالتقبيل بقي إلى الآن، والعمامة شـــــاركهم فيها غيرهم، وكان سيدي إذا قابل أحداً من المشتهرين بـالعلم والفضل أول مقابلة يقبل ما بين عينيه ويقول: هذه خاصة للعلم ثم يصافحه، وكان لا يـدع أحـداً يقبل بـاطن كفه بل يعاتب كل من أراد ذلـك، ويقــول: ما الفــرق بين بــاطن الكف وظاهرهـا؟ أما يكفي ظاهرها عن باطنهـا، ولا يــدع أحـداً يصـافحه قبل صـلاة الصـبح ويقـول المصـافحة بعد الصلاة أولى)[1].

المطلب الرابع: نماذج من الخرافات التي استخدمها القبورية لتعميق سلطتهم واستعلائهم:

النموذج الأول: ما ذكره الشرجي في ترجمة الفقيه إسماعيل الحضرمي: (أن من قَبَّل قدمه دخل الجنة)[2].

النموذج الثاني: ما ذكره الشرجي كذلك في ترجمة عبدالله بن عمر الناشري قال: (وبلغ في آخر عمره مبلغاً

---

1 (?) تذكير الناس ص(106-107).

2 (?) طبقات الخواص ص(98-99).

عظيماً من الصلاح حتى كان يقال: (أن من قَبَّل بين عينيه دخل الجنة)[1].

النموذج الثالث: ما ذكره الشـرجي في ترجمة علي بن أبي بكر بن شـداد قـال: (ومن كراماته أنه كـان يقـال: (من مشى خلفه أربعين خطوة غفر له)[2].

النمـــوذج الرابع: ما ذكــــره الشــــرجي في ترجمة الفقيه أبي بكر بن محمد بن عمـــران قـــال: (وكـــانت له كرامــات ظــاهرة، منها أن بعض النــاس رأى النــبي ﷺ في المنام يقول له: من قبل قدم الفقيه أبي بكر دخل الجنـة)[3].

النمـوذج الخـامس: ما ذكـره الشــرجي في ترجمة عيسى بن حجــاج العــامري قــال: (ويــروى أنه دخل عليه بعض الفقهاء فرأى جماعة من أصحابه يقبلون يده ورأسه عند الــدخول وعند الخــروج، فقــال لــه: يا شــيخ ما هــذا التقبيل الذي ليس بسنة؟ فقال له: يـا فقيه العبد المـؤمن ريحانة الله في أرضه ولا بأس بشم الريحان عند الــدخول وعند الخروج)[4].

النموذج السادس: ما ذكـره صـاحب تـذكير النـاس قال: (وجـاء في القـراءة على سـيدي في منـاقب الشـيخ سعيد بن عيسى العمودي أنه قال: من صافحني أو صافح من صافحني، فهو في الجنـة، فقـال سـيدي أحمـد: الحمد لله، قد صافحناه مراراً، فقــال الحاضــرون: ونحن نريد أن نصافحك، فقام الحاضرون فصافحوه، قال سيدي: وجاءت إليَّ شريفة من الصالحات من دوعن، وقالت: دعـني أقبل رأسك فإني رأيت رسول ﷺ يقول: من أراد الخير والبركـة،

---

1 (?) المصدر السابق ص(186).
2 (?) المصدر السابق ص(231).
3 (?) المصدر السابق ص(385).
4 (?) المصدر السابق ص(251-252).

فليقبل رأس السـيد أحمد بن حسن العطـاس، فلم يـرض ذلك، ثم جاء رجل آخر من الصالحين المحبين لأهل الـبيت وقص مثل الرؤيا الســـابقة، وطلب من ســـيدي تحقيق الرؤيا فتركه سـيدي، وما أراد من تقبيل رأسه الشـريف)[1].

النمـوذج السـابع: قـال صـاحب تـذكير النـاس وهو يحكي كلام أحمد بن حسن العطـــاس فيما يتعلق بتقبيل الأيــدي: (وقــال: إني إذا دخلت على أحد من الصــالحين يعـني من أهل الـبرزخ، أبـدأ أولاً بتقبيل قدمـه، ثم تقبيل ركبتيه، ثم يده ثم رأسه ووجهه، وحضر عند سيدي جماعة من الســادة أهل تـريم، ومنهم الحـبيب محمد بن ســالم الســـري، فطلب الحـــبيب محمد المـــذكور من ســـيدي المصافحة كما صـافحه النـبي والتشـبيك كعـادة السـلف الصــالحين، فصــافحه وشــابكه بيــده، ثم طلب منه جميع الحاضرين المصافحة فصافحهم جميعهم)[2].

فهذه سـبعة نمـاذج كلها تـدل على تعبيد النـاس لهـذه الطبقة المتعالية واعتبـــــار أن تقبيل أيـــــديهم وأرجلهم ورؤوسـهم أمر مطلـوب من قبل الله تعـالى موعـود عليه بالجنة ومغفـرة الـذنوب، وقد أخذ النـاس بهـذا وتـداولوه وتزاحموا عليهم يقبلون رؤوسهم وأيديهم وأرجلهم، بل إن العادة في كثير من القرى والبوادي قديماً أن عوام الناس من شيوخ قبائل فمن دونهم كـانوا إذا دخلـوا مجلسـاً فيه أحد من السادة جثـوا على ركبهم وزحفـوا كـذلك من عند الباب إلى عند ذلك الرجل ثم قبلوه.

---

1 (?) تذكير الناس ص(107).

2 (?) المصدر السابق ص(107).

المبحث الرابع: انتشار الجهل والأمية في الأمة

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: حال اليمن قبل انتشار التصوف من الناحية العلمية:

لقد كانت العلوم الشرعية شائعة سائدة منتشــرة قبل ورود الصــوفية وانتشــارها في القــرن الســابع في جميع البلاد اليمنية زيدية وشـــافعية، ولكن بعد ورود التصـــوف وانتشاره بـدأ العلم ينحسر في البلاد الـتي سـيطر عليهـا، فيما عـــدا فــترات متفرقة تكــون الدولة فيها قوية محبة للعلم والعلمـاء فـيزدهر العلم إلى جـانب التصـوف، ولكن لكل منهمـا كيانه المتمـيز بل ربما حصل الصـراع العـنيف بينهما كما حصل في زبيد أيـام الدولة الرسـولية، ولتصـور حالة العلم فيما قبل انتشـــار التصـــوف يمكن مراجعة طبقات فقهاء اليمن للجعدي، فقد ذكر أعـداداً كبـيرة من العلمـــاء من ســـائر مخـــاليف اليمن، ومن قـــرأ الطبقة الســـابعة من طبقاته[1] علم ذلـــك، فقد أورد أعـــداداً من العلمــاء من زبيد وســائر بلاد تهامة ومن إب والجند ولحج وعــدن وأبين و شــبوة وحضــرموت و ظفــار وســائر بلاد اليمن الشـــافعي، وقد ذكر مؤرخو حضـــرموت أن العلم اندثر في أوائل القرن السـادس حـتى رحل الشـيح سـالم بافضل لطلب العلم إلى أمـــاكن عديـــدة منها العـــراق، وغيره، وأطال الغيبة حـتى ظن أهله أنه قد مـات، ثم عـاد بأحمــال من الكتب فعكف على نشر العلم حــتى (حصّــل العلم على يديه خلق، حـتى أنه ربما بلغ في تـريم ثلاثمائة مفتي في عصر واحد)[2].

---

1 (?) انظرها في الطبقات ص(154).

2 (?) انظر الجــوهر الشــفاف (1/62-63)، وتــاريخ حضــرموت

ومع أن هذا الكلام فيه مبالغة ظاهرة، إلا أنه يدل على كــثرة العلم وتــوفره في البلاد، ويشــهد لانتشــار العلم وظهوره في حضرموت ما ذكره الشلي في ترجمة الفقيه المقــدم حيث قــال: (وكــان أهل حضــرموت مشــتغلين بــالعلوم الفقهية وجمع الأحــاديث النبويــة، ولم يكن فيهم من يعــرف طريق الصــوفية ولا من يكشف اصــطلاحاتهم الســنية فـأظهر الأســتاذ " الفقيه المقــدم " علومها ونشر في تلك النواحي أعلامها)[1].

فظهر من مجمــوع هــذه النقــول ومما أورده الجعــدي في الطبقة المشــار إليها كــثرة العلم والعلمــاء وســعة انتشــار العلم في جميع مخــاليف اليمن، وأن تلك العلــوم تشمل علوم القرآن والحديث والفقه والعقيدة وغيرها من العلــوم النافعــة، ولكن ما مصــير تلك العلــوم بعد ورود التصوف؟ هذا ما سنعرفه في المطلب الثاني.

المطلب الثــاني: أثر انتشــار التصــوف في انحســار العلوم الشرعية:

التصــوف يعتمد على ما يســمى بــالعلوم الباطنة أو علــوم " البــاطن " والعلــوم اللّدنية الــتي ســبيلها الكشف والذوق والمَرائي، قلت: بل والدعاوى الكاذبة.

وهذه السبل لا يمكن أن يحصل بها علم الشرع قطعاً، إذ منهج تلقي العلم الــذي ســار عليه الصــحابة والتــابعون ومن تبعهم إلى يوم النــاس هــذا هو التعلم والجلــوس إلى العلمــاء والرحلة إليهم والأخذ عنهم بمختلف طــرق الأخذ المبينة في مواضــعها، وقد ثبت عن رســول الله ما يــدل على ذلك حيث قـــال: **$إنما العلم بـــالتعلم والحلم**

للحامد ص (472-ـ 473) وقد مات الشيخ ســالم بافضل رحمه الله سنة (581 هـ).

[1] (?) المشرع (2/5).

بـالتحلم ومن يتحر الخـير يعطه ومن يتـوق الشر يوقه#[1].

فلما تمكن التصـوف في اليمن وانتشر، عـزف النـاس أو كثـير منهم عن الطـرق الصـحيحة واعتمـدوا على تلك الطـرق الواهيـة الـتي هي مقتبسه من وحي الشـيطان لا من وحي الـرحمن، فتـأثر بـذلك العلم الشـرعي ونضب معينـه، ولا يعـني هـذا أن العلم انتهى من اليمن ولا أنه ليس ممن ينتسب إلى التصـوف عـالم أو فقيه فهـذا موجـود، ولكنه ضـعيف جـداً، أما بعض العلـوم كالحـديث والتفسـير وعلـوم العقيـدة فقد كـادت تنتهي في بعض المناطق، ولم يسجل من هو عـالم بهـا، مع إقامة الـدليل على ذلك من وجود مؤلفات جليلة في ذلك العلم أو تخرج محدثين أو مفسرين على يد ذلك الشيخ.

وأما كثـيراً مما نقـرأه من تـراجم أقطـاب الصـوفية وأوليائهم من أنه مفسر محدث فقيه فمعظم ذلك دعـاوى لا دليل عليها في الواقـع، وإلاّ فـأين مؤلفـاتهم فيما يزعمون أنهم علماء فيه من تلك الفنـون، وخصوصـاً كبـار الأقطـاب والأوليـاء الـذين تُسـبغ عليهم صـفات من قرأها حسب أن مؤلفات ذلك القطب تفوق في عددها مؤلفـات السـيوطي وفي إتقانها مؤلفـات ابن حجر وفي تنوعها مؤلفات ابن الجوزي، فأولئك لم يثبت لأحدهم كتاب محرر محقق اعتمـده النـاس ودانـوا به، ولم يـذكروا في كتب مؤرخي العلماء ولا في طبقات الفقهـاء إلا ما نـدر ولا في طبقات المحـدثين ولا المفسـرين، بل لا يكـادون يـذكرون في كتب غـير اليمنـيين من المـؤرخين، رغم تقـدم تـاريخ وفاة بعضهم.

وعلى كل حـال فقد اعـترف بعض مـؤرخيهم بجناية

---

[1] (?) رواه الخطيب في تاريخ بغـداد (9/127) وحسـنه الألبـاني في السلسلة الصحيحة (1/605).

التصوف على العلم وأثره في إضعافه، قال السيد صالح الحامد في تاريخه: (ومع ما أثره التصوف على العلويين بالخصوص بحضرموت من حيث الاجتهاد في النسك والعبادة وما أثره على الحياة العلمية والأدبية من أثر فعال صرف مجرى النشاط الدراسي للعلم عن مجراه السابق من المبالغة في التماس الفقه والحديث، وتلقفه عن الشيوخ والمحدثين والفقهاء، إلى تلقي التصوف والانقياد والتحكيم للشيوخ الصوفية، والتزام تعليمات ذلك ورسومه، أجل إنه مع ذلك فهو يراعي الأسباب المعاشية ويتخذ في فهم التوكل السبيل الوسط القائم بين الإفراط والتفريط، وبقدر ما فترت الوجهة العلمية شيئاً ما في ميدان الحديث والفقه والفنون العربية في الظاهر حينئذ في أبناء حضرموت، ازداد نشاطهم في مسرح التصوف، و إكبابهم على النسك والعبادة والمجاهدة)[1].

ثم ذكر تصوف القوم وما نالوا به من محبة الله وما فتح به عليهم من أذواق و تجليات ثم قال: (وبالجملة، فبمقدار ما نقصت العلوم الأخرى كالحديث وفنون العربية والأدب والشعر من إكباب وجدٍّ من جانب المتنورين والخواص بحضرموت في تلك العهود، زاد ذلك في ناحية التصوف و الزهادة والاجتهاد في العبادة، أي أنهم بقدر ما فقدوا من كسب العلوم الظاهرة وفنون الأدب، قد حظوا بما منحوه من أذواق التصوف ومشاربه القربية، فكان لهم بذلك خير عوض)[2].

وهكذا المؤرخ المعاصر السيد محمد بن أحمد الشاطري مع ثنائه على أهله وأهل بلده بالعلم والثقافة وتضخيم ذلك جداً، نجده لا يستطيع إخفاء ما لحق بالعلم من نقص بسبب التصوف الذي هيمن على حياة الناس

---

1 (?) تاريخ حضرموت ص (718).

2 (?) المصدر السابق ص (718).

فها هو يقــــول: (إلا أنه مع الأسف نجد في كل جيل لاحق نقص في المستوى عن الجيل السـابق من ناحية الغـزارة العلمية، وكمـال الاسـتقامة، وإن كـان قد يوجد فيه أفـراد ممتــازون لا يــدانيهم أحد من متوســطي الأجيــال الــتي سـبقت، وبلغ الحـال بجمهـور الأجيـال المتـأخرة، وحـتى عصــرنا هــذا نقص الــوعي العلمي والصــوفي إلى درجة جعلت الفــرق فاضــحاً وواضــحاً بينهم وبين جمهــور من ســبقهم، فشــاهدنا كثــيراً منهم يشــتغلون بســرد كتب التصــوف في المجــامع ويتصــوفون تصــوفاً معكوســاً، يسـتغنون بهـذا عن الاشـتغال بـالعلوم الشـرعية والعربية والعقلية والكونيــة، فتقلص ظل العلم والثقافة والعبــادة والتصوف الحقيقي بهـذا الإقليم الـذي هو بأشد حاجة إلى نهضة علمية خلقية تجمع بين محاسن القديم والحديث.

فنحن لا نجـازف وإنما نقـرر الحقيقة إذا قلنا أن رجـال العلم والثقافة كثـيرون في هـذا الـدور ويعـدون بـالآلاف وأكثرهم يتخصصون في العلـوم الـتي أشـرنا إليهـا؛ إلا أن روح الصـوفية الفلسـفية الـتي تـأثروا بها جعلت أكـثريتهم الساحقة ينكرون ذواتهم ولا يهتمـون بالمظـاهر ولا بكـثرة التأليف رغماً عن غـزارتهم العلميـة، وعمق معـرفتهم، ولا بتنميق العبــــائر وبهرجة الألفــــاظ، ونجد كتب التــــواريخ مشحونة بتراجم العديد منهم ومثلهم في علمهم بعلـومهم والــتزامهم بالمبــادئ الإســلامية، وملازمتهم للطاعــات وتهذيب النفوس مثل الغني الخبير في فنه بحيث لم يترك فيه زيادة رحمهم الله)[1].

ولم يكن الأمر مجرد انشـغال بعلم البـاطن والتصـوف عن علوم الشريعة والعقيدة؛ ولكنه وصل الأمر إلى الحط من علوم الشـريعة وتفضـيل علـوم البـاطن عليهـا، وإليك بعض النماذج من ذلك:

---

1 (?) أدوار التاريخ الحضرمي ص (255-256).

النمـــــوذج الأول: ما أورده الشـــــلي في ترجمة عبدالرحمن السقاف قـال: (وكـان يقـول لهم اجتهـدوا في الأعمال القلبية فإن الأوقية من أعمال الباطن تعـدل بهـاراً من عمل الظــاهر، وذكر في بعض الأيــام في درسه فضل الفقه فعـزم ولـده عمر أن يفـني عمـره في الفقه ويـترك غيره من العلـوم فلما انقضى المجلس نـاداه وقـال لـه: يا عمر اجتهد في أعمال القلوب إن الفقهـاء معهم قبس ومع الصـوفية جـذوة وأوقية من عمل البـاطن تعـدل بهـاراً من عمل الظاهر)[1].

النمــوذج الثــاني: ما ذكـــره الشـــرجي في ترجمة سفيان الأبيني قال: (كان فقيهاً عالماً فاضلاً عارفاً، اشتغل في بدايته بالعلم اشتغالا كلياً، فسمع ذات يوم قـائلاً يقـول له: إن أردتنا فأترك القولين والوجهين فـترك ذلك واشـتغل بالله تعالى حتى ظهرت عليه علامات القبول)[2].

النموذج الثـالث: ما قاله أحمد بن حسن العطـاس: (" أهل الـــبيت " طـــريقتهم العمل ولهم من العلم إلا ما يرشـــدهم إلى العمل ويحفظه لهم وأما بـــاقي الأشـــياء يتلقونها من حضـــرة الفيض ويأخـــذون العلـــوم المطلقة والمقيدة من حضرة التقوى المشـار إليها في قوله تعـالى ﴿ **واتقوا الله ويعلمكم الله**﴾[3] #[4].

المطلب الثالث: تجهيل الأمة:

مر بنا في المطلب الثـاني كيف أثر انتشـار التصـوف في انحسار العلم بشكل عام حتى لدى الطوائف الساعية إلى التصـــدر والعلـــو، وإذا كـــان الأمر كـــذلك فليس من المستغرب أن ينعدم العلم لدى غـيرهم من الطبقـات؛ بل

---

1 (?) المشرع (2/142).
2 (?) الطبقات ص(146).
3 (?) البقرة (282).
4 (?) الرحلة المكية ص(9).

هـذا هو الواقع الـذي لا ينكـره أحـد، ولقد جـأر بالشـكوى الكثير من الغيورين حتى من السـادة والمشايخ أنفسـهم، غـــير أن ذلك لم يجدِ ولم يغـــير من الواقع شـــيئاً إلا في الفترة القريبة التي يسميها البعض عصر النهضة الحديثة.

وقد سبقت الإشارة إلى الشـكوى المُـرة الـتي أطلقها صاحب نحلة الوطن، أما علوي بن طاهر الحـداد فقد بـالغ في نسـبة الجهل إلى بـوادي حضـرموت حـتى شـكك في إسلامهم ونقل عن عبدالله بن علوي الحـداد ما يشـهد لما يقــول، حيث قــال وهو يتكلم عن أســباب إنشــاء ربــاط قيــدون: (يحيط بقيــدون من الجــانب الغــربي والجــانب الغربي الجنوبي أهل بوادٍ في مسافة أيام يكـثرون الـتردد إليها، فـإذا كـان فيها معهد علمي كـان معينـاً على ثبـاتهم على اسم الإسـلام، والانتسـاب إليـه، وإن كـانوا خلـوا من عقائده وأعماله وقد استبدلوا الجبت والطـاغوت بأحكامه؛ وإنما بقوا على هذا الانتساب لعدم من يستجرهم إلى دين ســواه، ولو وجد لم يكن عنـــدهم ما يمنعهم من اتباعه لا من معرفة ولا تربيـــة، ولا مخالطة لأهله ولا ثبـــات على شـيء من عقائـده وأركانه؛ فـإنهم قد اسـتدبروه جملة إلا أفراداً لا يبـنى على مثلهم حكم، وعلى هـذا أكـثر البـوادي بجهات حضرموت الباقية، حـتى لقد قـال الحـبيب عبدالله بن علـــوي الحـــداد: إنا لانقطع بإســـلام أهل بـــوادي حضرموت، ولا نجد منهم ما يدل على إسلامهم إلا محبتهم للصالحين. أ هــ. وكلامه يفهم أن أهل زمانه منهم كـانوا يحبون الصالحين لما هم عليه من الدين، وتلك محبة دينية لاشك فيها، ولكن أكثر أهل البوادي اليوم لا يعقلــون لمثل هذه المحبة معنى، وإنما يعظمون من اشـتهر عنـدهم بأنه يكــــرم[1] ويلـــــوح[2]، فالحامل على تعظيمهم الرغبة في

---

1 (?)أي أن له كرامات يمد بها من يشاء.

2 (?)يلـــوح في لهجتهم أي يضر ويـــؤذي من لم يعتقـــده أو من

الكرامـة، والرهبة من اللوحـة، سـمعت سـيدي وشـيخي وعمي الحـبيب العـارف بالله العـالم العامل الزاهد صـالح بن عبدالله الحداد يقـول: جـاء جماعة من البادية للزيـارة، وجـــاءوا إلى العـــرض عشـــية وأخذ الأخ محمد يعلمهم " مراده به شـيخنا الحـبيب محمد بن طـاهر " فلما ذكر لهم البعث، قال أحد شبانهم: من التقت عليه الصروف ما عاد يثـور أي لا يعـود فيقـوم، ومـراده بالصـروف جمع صـرف وهي الأحجار الرقاق التي تسد بها اللحود، قـال: فقـال له شيوخه: هه! اسكت ما أحد يكذِّب بكلام الصالحين، فكـان عمي إذا حدث بهذه القضية يقول ما معنـاه: انظر فما هنا رب ولا نـــبي ولا قـــرآن، وإنما غاية ردهم: ما أحد يكـــذب بكلام الصالحين، فبواد قد عادت إلى مثل هذه الجاهلية ما أحقها بدعوة دينية يصرخ بها صاحب علمٍ يهزهم[1] هزاً ولا يكـون ذلك إلا بكـثرة الـدعاة إلى الله ولن يوجـدوا بغـير تعليم)[2].

وكفى بهذا النص تصـويراً للجهل الـذي خيم على البلاد رغم الدعاوى الكبـيرة بوجـود علمـاء أعلام ودعـاة عظـام ومرشدين كبار؛ بل أقطـاب و أغـواث أقـامهم الله تعـالى لحفظ الكـون وأهلـه، فـأين كل أولئك عن هـذه البـوادي وهـؤلاء العـوام لينقـذوهم من هـذا الجهل البـالغ والضـلال البعيد؟ إن المتأمل للنص تظهر حقيقة مُـرّة هي أن هنـاك انحرافـــاً في منهج الـــدعوة والإرشـــاد والتعليم، فحب الصالحين الـذي جعله عبدالله الحـداد دليلاً على إسـلامهم بل هو الـــدليل الوحيد على ذلك في نظـــره لم يـــأت من فراغ؛ بل هو ناشئ عن تعليم وتعبئة وتربية والـذي علمهم ذلك كان بمقدوره أن يعلمهم محبة الله ورسوله ويعلمهم

يؤذيه.

1 (?) هكذا قرأناها لأنها غير واضحة في الأصل المنقول منه.

2 (?) الشامل في تاريخ حضرموت ص(218).

ولو بعض واجباتهم، فلما تعلموا محبة الصالحين ولم يتعلموا ذلك دل على أنّ من يأتيهم ويطوف بهم ويلتقي بهم في الملتقيات والزيارات من الوعاظ والمرشدين إنما كانوا يذكرونهم بمحبة الصالحين ويسردون على مسامعهم حكاياتهم ويعددون كراماتهم، مما أورثهم محبتهم والتعلق بهم والخوف من مخالفتهم أو إسخاطهم، ومن أوضح الأدلة على أنهم قد ربّوا على ذلك خوفهم الشديد من الأولياء مع عدم خوفهم من الله تعالى والتجاؤهم إليهم ونذرهم لهم عند الأزمات والشدائد مع عدم التجائهم إلى الله أو النذر له، كل ذلك يدل على سوء التربية والانحراف في التعلم، وإن دعاة ومرشدي تلك الأزمان بدل أن يعبّدوا الناس لرب العالمين عبَّدوهم لآبائهم وأجدادهم.

وحقيقة أخرى يجب أن تقال وهي: أن ما ذكرناه آنفاً ليس هو الوصف الوحيد للجميع بل إن هناك أفراداً من العلماء و الصلحاء كانوا سالمين من ذلك الانحراف فهم يسوؤهم انتشار الجهل، ويودون تعليم الأمة بعض أمور دينها وخصوصاً العبادات؛ ولكننا نجد أن بعض أولئك أيضاً يفرقون بين الناس، فأبناء السادة والمشايخ ومن يلتحق بهم يفتح لهم باب التعليم كاملاً ويحثون عليه ويدفعون إليه دفعاً؛ بينما أبناء الطبقات الأخرى يرون أن يقتصر على تلقينهم ما يحتاجون إليه من أمر العبادات مع منعهم من القراءة والكتابة حتى لا يلجوا باب العلم ويترقوا في سلمه؛ لأن ذلك مضر بهم ومضر بالأمة حسب زعمهم.

وإليك وثيقة مهمة تثبت ما أقول وتجلّي حقيقة تفكير القوم ومنهجهم في التعليم، وهي عبارة عن رسالة أرسلها أحد العلماء الغيورين والحريصين على تبصير الأمة بأمور دينها مما يتعلق بالعبادة فقط، ومع رغبة السيد المذكور في تعليم الناس على اختلاف طبقاتهم؛ إلا أنه لم

ينسَ التأكيد على أن يكــون ذلك التعليم عبــارة عن تلقين فقط دون تمكينهم من الاعتمــاد على أنفســهم والســماح لهم بالانطلاق في ميادين العلم الواسـعة، والرسـالة نقلها بنصـها محمد بن هاشم في تـاريخ الدولة الكثيريـة، قـال - رحمه الله -: (وإليك مكتوباً عثرنا عليه كتبه بيـده الحـبيب أحمد بن عمر بن سـميط العلـوي إلى السـادة العلـويين بالجهة الشرقية ننقله هنا بنصه تبركاً وإفادة للقراء بمثـال من تلك المســاعي الطــاهرة، قــال: (بسم الله الــرحمن الـــرحيم وبه الثقة، يخص ســـادتي الحبائب الأجلاء الأعلام الحـبيب عبدالله بن الحسـين بن طـاهر، والحـبيب عبدالله بن أبي بكر عيديد وكافة الســـــادة من آل أبي علـــــوي حفظهم الله وأدام النفع بهم لنا ولســـــائر المســـــلمين. السلام عليكم ورحمة الله وبركاتــه، نعلمكم أنه وصل خط للفقـير من السـلطان عمر بن عبدالله بن علي بن مقيص الأحمـدي، وعـرف بالشـأن الـذي تصـدى للقيـام به فالله يبارك له ولنا ولجميع المسلمين في ذلك، ويسخر له على ذلك أعواناً و بطـائن من أهل العلم والفضل والصـلاح، إذا نسى ذكــروه، وإن ذكر أعــانوه، ويشــرح صــدره لقبــول نصحهم وإرشادهم في عافية للجميع. وإن رأيتم يا سادتي أن ترشدوه وتعولوا عليه في أن يقيم عُلمــة خاصة لتعليم مهمات الدين التي يلــزم الكل تعلمها ولو بالرحلة ولو إلى الصـــين، ويحمل الكل من جهــال طبقــات النـــاس على دخولها من شريف وقبيلي وحراف وسـاني وسـائل سـواء كانوا ذكوراً أو إناثاً، ويكون ذلك تلقيناً من غير حضـور قلم ولا دواة لما فيهما من المضـــرة لبعض النـــاس ممن يقل خوفه من الله كما تفيـدون ذلـك، وُيجعل لـذلك ما يُـرغِب أهل الفاقة والحاجة في دخولها للتعلم، كما لا يخفــاكم أن ذلك من أهم المهمات ومن أقوى داعي لحصول النفحات، ورسّخوها في الجهة، المشـار إلى ذلك بحـديث إن لـربكم

في أيام دهركم نفحات ألا فتعرضوا لها. وهذا إن شاء الله من التعــرض، ولا تــرون علينا فالحاضر يــرى ما لا يــرى الغائب:

ومن عجب إهـداء تمر لخيــبر وتعليم زيد بعض علم الفرائض

والسـلام وصـلى الله على سـيدنا محمد وآله وصـحبه وسلم

من المستمد: أحمد بن عمر بن زيد بن سميط)[1].

---

1 (?) تــاريخ الدولة الكثيرية ص(162) تــأليف محمد بن هاشم الجــزء الأول طبع على نفقة الخاصة الســلطانية ســنة (1367 هـ- 1948 م).

المبحث الأول: أسلوب الاحتواء والاختراق

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: محاولة احتواء المخالف:

إن رواد القبورية في الأمة الإسـلامية هم الباطنية الشيعة، ومن جاء بعدهم من الصـوفية، إنما هم تلاميـذهم وأتباعهم والنـاقلون لعقائـدهم وأسـاليب دعـوتهم وطـرق تثـبيت دولتهم، مع شـيء من التطـوير الـذي يتناسب مع وضـعهم بين أهل السـنة، ولا يخفى على من قـرأ التـاريخ براعة الباطنية في احتواء المخالف، والتأثير عليه بالطرق والأسـاليب الملتوية الكثـيرة، وسـنرى في هـذا المطلب صـورة منهـا، وهكـذا تلاميـذهم الصـوفية اسـتخدموا تلك الطـرق والأسـاليب مع مخـالفيهم هنا في اليمن، وإليك بعض الأدلة على ذلك:

سبق عند الحديث عن الإسـماعيلية بيـان طـرقهم في الدعوة، وكيفية الوصـول إلى إقنـاع المـدعو، والـترقي به درجة درجة حـتى يصل إلى القناعة التامة بما هم عليـه، وهناك صورة واضحة في طريقة الاحتـواء وتحويل الخصم إلى أن يصبح من أقوى المناصرين لهم، وهي احتواء علي بن محمد الصليحي الذي كان أبوه قاضـياً من علمـاء أهل السـنة خصـوم الإسـماعيلية، وكيف اسـتطاع داعية الإسماعيلية احتـواء ابنـه علي حـتى كـان هو الـذي أسس دولة الإسـماعيلية الفاطمية في اليمن، قـال الخـزرجي: (أجمع علمـاء التـاريخ ورواة الأخبـار من أهل اليمن أن القاضـي محمد بن علي الصـليحي والد الأمير علي بن محمد الصليحي كان فقيهـاً عالمـاً سـنيّ المـذهب، وكـان قاضـياً في بلـده حسن السـيرة مرضي الطريقـة، وكـان أهله وجماعته يطيعونه ولا يخرجـون عن أمـره، وكـان

الداعي عـامر بن عبدالله الـزواحي يلـوذ بـه، ويـركب إليه كثيراً؛ لرياسته وسؤدده وصلاحه وعلمه، فرأى يومـاً ولـده عليـــاً فلاحت له فيه مخايل النجابـــة، وكـــان يومئذ دون البلـوغ، وكـان الـداعي عـامر بن عبدالله الـزواحي كلما وصل إلى القاضي يتحدث مع ولـده علي المـذكور، ويخلو به، ويطلعه على ما عنده حتى استماله، وغـرس في قلبه ولبِّه ما غرس من علومه وأدبه ومحبة مذهبـــه، وقيـــل: كـــانت عند الـــداعي عـــامر بن عبدالله الـــزواحي حلية الصليحي في كتاب " الصور "، وهي من الذخائر القديمة، فأوقفه منه على مســتقبل حاله وشـــرف مآلــه، وأطلعه على ما أطلعه عليه ســـــراً من أبيه القاضي محمد وأهله جميعــاً، ثم مــات الــداعي عــامر بن عبدالله الــزواحي، فأوصى له بجميع كتبه، وأعطاه مالاً جزيلاً قد كـان جمعه من أهل مذهبه، وقد كـــان رسخ في ذهن الصـــليحي ما رسـخ، فعكف على الـدرس، وكـان ذكيـاً فلم يبلغ الحلم حتى تضلع في معارفه التي بلغ بها، وبالجد السـعيد تـدرك غاية الأمل البعيد، فكـــان فقيهـــاً في مـــذهب الإماميـــة، متبصراً في علم التأويـل، ثم صـار يحج بالنـاس دليلًا على طريق السـراة، ولم يـزل كـذلك نحـواً من خمس عشـرة سـنة، وكـان النـاس يقولـون لـه: بلغنا أنك سـتملك اليمن بأســره، فكــره ذلــك، ونكــره على من يقوله مع كونه قد شاع على ألسنة الخاصة والعامة، فلما كان في سنة تسع وعشرين وأربعمائة ثـــار في رأس مســـار وهو أعلى جبل في تلك الناحية)[1].

تلك صورة من صور الاحتواء الإسـماعيلي للمخـالفين، وفي تاريخ الصوفية الكثير من تلك الصــور، من ذلك قصة الصـوفي عبـدالرحمن بن عمر بـاهرمز مع الفقيه عمر بن

---

1 (?) العسـجد المسـبوك ص (56)، وانظـر: قـرة العيـون ص (173-174).

عبدالله بامخرمـة، فقد كـان الصـوفي بـاهرمز له طريقة قبيحة في تصـوفه، وهو أنه عنـدما يـرد عليه الحـال - كما يقولـون - يجمع النسـاء الحسـان متزينـات بأحسن الزينة فيغـنين ويرقصن حـتى يـذهب ما بـه، وهـذا أمر منكر لا إشكال فيه، وقد سمع عمر بامخرمة بذلك فأنكره، وعـزم على الذهاب إليه للإنكـار عليـه، فرحل أول مـرة، ثم رجع من الطريــق، ثم عــزم وصـمم حـتى دخل عليه فلما رآه الشيخ كاشفه بنيته وعزمه وقال له: (عـاد وقتك ما جـاء)، فرجع إلى بلاده، ثم عـــاد الثالثـــة، وعند دخوله عليه أمر بعض النساء الحسان اللاتي يرقصن عنده أن تعتنقه، قـال العيدروس: (فما هو إلا أن فعل به ذلك خر مغشـياً عليـه، فلما أفاق تلمذ للشيخ، وحكمه في ذلك الوقت، وفتح الله عليه ببركة الشــيخ، وصــار من كبــار العــارفين المــربين، وقيـل: إن الفقيه لما طلب التحكيم من الشـيخ قـال: لـه: صلِّ ركعتين إلى المشرق، فامتثل، فلما أحرم رأى الكعبة تجاه وجهه)[1].

المطلب الثاني: محاولة اختراق صـفوف المخـالفين وبث الفتنة في أوساطهم:

إن البدع في الغـالب تكـون مخالفة للفطـرة، مناقضة لأدلة الشــرع وأصــوله، يرفضــها العقل الســليم الــذي لم يتلوث بأمراض الشبهات؛ ولهذا لم يبق أمـام دعـاة البـدع إلا الكيد والمكر وأســـــاليب اللف والـــــدوران لمقاومة الخصـــــــــوم والتغلب عليهم، و قبورية اليمن من أولئك المبتدعة، لم يدعوا أسلوباً من أساليبهم إلا اتبعــوه، و من ذلك أســلوب الــدس والمكيــدة وبث الفتنة في صــفوف المخالفين، وإليك بعض الأمثلة على ذلك:.

المثـال الأول: ما فعله والي الدولة الصـليحية على الجند من بث الفتنة بين فقهائها حـــتى يســـلم هو وأهل

---

1 (?) النور السافر ص(59).

نحلته من انصـــرافهم لمقـــاومتهم والعمل على إزالـــة دولتهم، قـــال الجنـــدي في ترجمة الفقيه الإمـــام زيد ابن عبدالله اليفاعي: (وكانت مدرسة الفقيه عن يمين المنـبر، وربما اتكأ وقت التدريس على المنبر، وكان أصحابه فــوق ثلاثمائة متفقــه، في غــالب الأيــام يقــوم بإعــالتهم قوتــاً وكسوة، وكانوا يملأون ما بين الباب والمنـبر كـثرة، وكـان الفقيه أبو بكر شـيخه يقـرئُ في الزاوية الـتي تحت جـدار بئر زمزم[1]، وكان أصحابه في غالب الأحوال نحو خمسين طالباً، هكذا ذكر بعض معلقي أخبارهم، ولم يــزل ذلك من شـــأنهم حـــتى تمت الحيلة من المفضل[2] في التفريق بينهم، وذلك أنه مـات ميت من أهل الجنـد، فخـرج الإمـام زيد والإمـــام أبو بكر بن جعفر في أصـــحابهما يقـــبرون، وعليهم الثيــاب الــبيض لبس الحــواريين، والمفضل يومئذ بقصر الجند فحـانت منه نظـرة إلى المقـبرة، فـرأى فيها جمعــاً عظيمــاً مبيضــين، فسـأل عن ذلـك، فقيـل: قُـبرانُ ميتٍ، غالب من حضره من الفقهاء، فعرض بذهنه ما فعله ابن المصوع[3] مع أخيه حيث قتلـه، وقـال: هـؤلاء يكفروننا ولا نـأمن خـروجهم علينا مع القلـة، فكيف مع الكـثرة؟ ثم قــال لحاضــري مجلســه: انظــروا كيف تفرقــون بينهم، وتـدخلون البغضـاء عليهم بالوجه اللطيف، فجعلـوا يولّـون القضاء بعض أصحاب الإمام زيد أيامـاً، ويعزلونـه، ويولّـون مكانه من أصـحاب الإمـام أبي بكر بن جعفـر، ثم يولّـون إمامة الجـامع كـذلك، ثم النظر في أمر المسـجد كـذلك حتى ظهر السباب بين الحزبين، وكاد يكون بين الإمـامين،

---

1 (?) بئر في مسجد الجند يسمى بذلك.

2 (?) المفضل والي الصليحين على الجند.

3 (?) ابن المصـوع أحد فقهـاء أهل السـنة ثـار في جماعة على أخي المفضل أحد أمراء الصليحين فقتلوه واسـتولوا مـدة على قصره ثم أمسك بهم.

فعلم الإمام زيد ذلك، فارتحل مهاجراً إلى مكة)[1].

فانظر كيف لجأ هذا الباطني الإسـماعيلي إلى الـدس بين هــؤلاء الفقهــاء الطيــبين! وكيف اســتطاع بخبثه و طيبتهم أن يفرقهم، وأن يملأ صدورهم حقداً على بعضـهم البعض حتى قضى على دعوتهم!.

المثال الثاني: ما ذكره الأستاذ صلاح البكـري في " تـاريخ الإرشـاد بإندونيسـيا " من عمل القبورية أصـحاب الرابطة العلوية لزرع الفتنة بين أصحاب الإرشاد- لـولا أن سلم الله - وقُضيَ على الفتنة قبل استفحالها.

قال الأستاذ البكري تحت عنوان " **أول مـؤامرة ضد جمعية الإرشاد** ": (من الأحداث الخطيرة الـتي قـام بها دعاة العنصـرية، تلك المـؤامرة ضد حيـاة جمعية الإرشـاد الإسلامية، فقد اتصل بعض آل باعلوي وأنصـارهم بـرئيس الجمعية الشـيخ سـالم بالوعـل، وسـيطروا على عواطفه بأوهـام فارغـة، وهيمنـوا على أفكـاره حـتى صـار كالآلـة الصــماء في أيــديهم، ولا غرابــة، فهو أمي ســاذج أو كما يقول الحضارم: "على تَوّه"، واقـترحوا عليه إبـدال اسم " جمعية الإرشــاد" بالجمعية الكثيريــة؛ ليــدخل في الإدارة أعضـاء من قبيلته آل كثـير؛ ليفـوزوا بالأكثرية عند اجتمـاع الإدارة، وأزمع الشــيخ بالوعل على ذلــك، ثم أعلن لجميع الإرشاديين في العاصمة وفي خارجها ليجتمعوا في جاكرتا (بتافيا)، وأقبل الإرشاديون أفراداً وجماعات من العاصــمة ومن خارجهــا، فشك البــوليس الهولندي في هــذا التجمع الـذي لم يسـبق له مثيـل، فاتصـلوا بنقيب العـرب الشـيخ عمر منقوش، يستفسـرون منه الأمر حـتى اطمـأنوا، ولما رأى الشيخ بالوعل قدوم الإرشاديين أعلن تأجيل الاجتماع إلى أجل غير مسـمى. ولكن وفـود الإرشـاد قـررت إقامة الاجتمــاع كما نُشر في الصــحف، وفعلاً اجتمعــوا في دار

---

1 (?) السلوك (1/263).

الجمعية وأحضروا كاتب عدل ومحامياً، وتقرر في هذا الاجتماع فصل الرئيس الشيخ سالم بالوعل من الإدارة ومن الإرشاد، وتكونت إدارة جديدة للإرشاد من كبار الشخصيات وهم:

الشيخ غالب بن سعيد بن تبيع رئيساً

الشيخ محمد عبيد عبود كاتباً

الشيخ عبدالله بن عبدالقادر بن هرهرة أميناً للصندوق

الشيخ سالم عمر بالفاس مستشاراً

كان ذلك عام 1920م.

بذلك سلمت جمعية الإرشاد من المكيدة التي دبرها المرجفون والرجعيون ودعاة العنصرية ومن على شاكلتهم من الأغبياء والمخدوعين.

أما الشيخ بالوعل فقد اعتبر فصله من إدارة الإرشاد ومن عضويتها إهانة شنيعة؛ لذلك رفع دعوى ضد جمعية الإرشاد هي والأعضاء الجدد الذين أدخلهم في العضوية قبيل حضور الوفود، وذهب بهم إلى دار الجمعية فوجدها تحت حراسة البوليس، فعاد إلى منزله بزملائه الأعضاء، وهناك قرروا إبطال قرار الفصل وحل جمعية الإرشاد، ثم رفع دعوى ضد الإدارة الجديدة بأنها غير شرعية، ولكن أراد الله لجمعية الإرشاد أن تزدهر ويتألق نجمها في إندونيسيا، ثم أسدل الستار على الدعوتين إلى الأبد)[1].

---

[1] (?) تاريخ الإرشاد في إندونيسيا ص(22ـ 23) تأليف صلاح عبد القادر البكري، الإدارة المركزية لجمعية الإرشاد الإسلامي، جاكرتا - إندونوسيا ط الأولى (1992 م).

المبحث الثاني: الإرهاب الفكري من أقوى أسلحة القبورية

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: تربية المجتمع على التسليم المطلق لأوليائهم وأقطابهم:

وهذه سمة أخرى من سمات الباطنية أن يربوا المجتمع بشكل عام على التسليم لهم وعدم معارضتهم، وأن المعارضة سبيل إلى الحرمان، وما أفلح من اعترض، والفوز والقبول في التسليم للقادة والأئمة والأولياء؛ وذلك أن علومهم الباطنة المزعومة لا يمكن إقامة الحجة عليها، فلا كتاب ولا سنة ولا إجماع ولا عقل يمكن أن يدل عليها، فما بقي إلا أن يسلّم السامع، وأن يلغي عقله حتى لا يحرم، وكذلك تصرفاتهم المخالفة للشرع والعقل لا يمكن تبريرها إلا بذلك، ولو ذهبتُ أبحث عن الأمثلة، وأحصرها لضاقت عنها مساحة هذا المطلب، ولكن أضرب أمثلة قليلة تدل على أمثالها وأشكالها:

المثال الأول: في كتاب " السعادة الأبدية في الأنفاس العلية الحبشية "التي ألقاها صاحبها (علي الحبشي) في مجالسه التي كان يعقدها؛ لتعليم الناس وإرشادهم؛ ولتدريس وتربية طلابه، وتلقاها وجمعها أحد طلابه وهو (محسن بن عبدالله بن الحبيب الإمام محسن بن علوي السقاف)، وردت هذه الحكاية، قال: (وأورد الشيخ عبد العزيز الدباغ كلاماً في حسن الظن وكونه نافعاً، وإن لم يكن المعتقَد فيه متصفاً بذلك، فقال: كان رجل تاجر وله مال كثير، فاشتاقت نفسه إلى ما مع الرجال أهل الكمال، وعزم أن يتجرد إلى الله، وينقطع إليه، وكان في البلد رجل مشهورٌ بالصلاح وتربية

المريدين، وهو في الباطن على خلاف ذلك، فكان إذا رجع إلى خلوته يـأتون إليه نـاس من أصـحابه على طريقتـه، فيلهـون ويسـكرون، فبـاع الرجل التـاجر جميع ما معه وصـيره نقـداً، ثم سـار إليه ومعه ذلك المـال؛ ليتحكم له ويوصـله إلى اللـه، فصـادف وقت خلوتـه، فلما دق البـاب أشـرفت جاريـة، فقـالت: من بالبـاب؟ فقـال: عبـدالعال، وكـان واحد من أصـحابه أهل الملاهي اسـمه عبـدالعال، فلما أخـبرت الشـيخ باسـمه ظن أنه صـاحبه، فقـال لهـا: افتحي له الباب، فطلع الرجل، فوجد الجـواري والشـراب وآلات اللهو عنـده، فما التفت إلى شـيء قط بل جثا بين يـدي الشـيخ، فخجـل لما رآه غـير صـاحبه، وهو يظهر الصـلاح، فقـال لـه: يا سـيدي، أنا رجل أريد الطريق إلى الله، وأريد أن تسلّكني، وتـدلني على اللـه، وهـذا ما معي من المال، فلما وضعه بين يديه تقاصر ا لخجل، فقال: إن الوظـائف جميعها مشـغولة إلا عمل في حديقة لنا بعيـدة، خذ المكتل و المسـحاة، وسر إليهـا، واشـتغل فيها إلى أن يفتح الله عليك، فامتثل أمره، ولم يغير حسن ظنه فيه ما شاهده عنده، وحين وصل إلى الحديقة، ابتـدأ في العمـل، ومات أحد الأبدال في تلك الليلة، فـاجتمعوا هم والقطب، فقالوا: من يصلح بدلـه؟ فقـالوا: فلان، يعنـون ذلك الرجل الذي في الحديقة؛ بسبب حسن ظنه، فدعوا منـه، وقـالوا لـه: خذ هيل بلا كيـل، واتصل بربـه، فـاطلع على حالة شـيخه، فقـال: أنا قد أدركت مطلـوبي، وهو يصـطلح هو وربه)[1].

هـذه هي التربية الـتي يربـون بها أتبـاعهم، وينشـئون عليها أجيالهم، فهل سيكون لدى خريج هـذه المـدارس أي غيرة أو نخوة تدفعه لإنكار منكراتهم، والاعـتراض على أي شـيء يقـدمون عليه من أقـوال أو أفعـال مهما بلغت في

---

[1] (?) كنوز السعادة ص(374 - 375).

القبح والسوء؟! وليس هذا هو المثال الوحيد، ولكن الأمثلة على ذلك كثيرة جداً.

المثال الثاني: ما ذكره الشلي، وهو يتحدث عن كرامات الأولياء ووجوب التسليم لهم فيها، وإن ظهر منهم أي مخالفة، فإنهم لاشك أن لهم في الباطن ما يسوِّغ ذلك، قال: (وأنا أورد قصة، فيها أبلغ زجر و آكد ردع من الإنكار على أولياء الله تعالى وأتمّ حث على اعتقادهم والتأدب معهم وحسن الظن بهم ما أمكن، وهي ما حكاه إمام الشافعية في زمنه " أبو سعيد عبدالله بن أبي عصرون " قال: دخلت بغداد في طلب العلم، فرافقت ابن السقاء بالنظامية، وكنا نزور الصالحين، وكان ببغداد رجل يقال له الغوث يظهر إذا شاء، فقصدنا زيارته، ومعنا الشيخ عبدالقادر الجيلاني، وهو يومئذ شاب، فقال ابن السقاء: لأسأله مسألة لا يدري جوابها، وقلت: لأسأله مسألة، وأنظر ما يقول، وقال الشيخ عبدالقادر: معاذ الله أن أسأله شيئاً وأنا بين يديه أنتظر بركته، فدخلنا عليه، فلم نره إلا بعد ساعة، فنظر إلى ابن السقاء مغضَباً، وقال: ويحك يا ابن السقاء تسألني مسألة لا أدري جوابها، وهي كذا وجوابها كذا، إني لأرى نار الكفر تتلهب فيك، ثم نظر إليّ وقال: يا عبدالله تسألني؛ لتنظر ما أقول فيها وهي كذا وجوابها كذا، لتخران[1] عليك الدنيا إلى شحمة أذنيك بإساءة أدبك، ثم نظر إلى الشيخ عبدالقادر، وأدناه منه، وأكرمه، وقال له: يا عبد القادر، لقد أرضيت الله ورسوله بأدبك كأني أراك ببغداد، وقد صعدت الكرسي متكلماً على الملأ، وقلت: قدمي هذه على رقبة كل ولي، وكأني أرى الأولياء في وقتك، وقد حنوا رقابهم؛ إجلالاً لك، ثم غاب عنا، فلم نره بعد. قال: فأما الشيخ عبدالقادر فقد ظهرت أمارات قربه من الله،

---

1 (?) كذا في الأصل.

وأجمع عليه الخاص والعام، وقال: قـدمي هـذه على رقبة كل ولي، فأجابه في تلك السـاعة أوليـاء الـدنيا، قـال جماعـة: و أوليـاء الجن، وطأطـأوا رؤوسـهم وخضـعوا إلا رجلاً بأصبهان فسُلِب حاله، وممن طأطأ رأسه أبو النجيب السـهروردي، وأحمد الرفـاعي، وأبو مـدين، والشـيخ عبـدالرحيم القنـاوي، قـال ابن أبي عصـرون: وأما ابن السقاء فإنه اشتغل بالعلوم حتى فاق أهل زمانه، واشـتهر بقطع من يناظره في جميع العلوم، وكان ذا لسان فصيح، وسـمت مليح، فأدنـاه الخليفـة، وبعثه رسـولاً إلى ملك الـروم، فـأعجب بـه، وجمع له القسيسـين، ونـاظرهم، فأفحمهم، وعظُم عند الملك، فأراد فتنته فتراءت لـه بنت الملك، فافتتن بهـا، فسـأله أن يزوجها له، فقـال: لا إلا أن تتنصر، فتنصر والعياذ باللـه، وتزوجهـا، ثم مـرض، فـألقوه بالسوق يسأل القوت، فمر عليه من يعرفه، فقـال لـه: ما هـذا؟ فقـال: فتنة حلّت بي بسـببها ما تـرى، فقـال: هل تحفظ القرآن؟ قـال: لا إلا قوله تعـالى: ﴿ رُبَما يـودُّ الـذين كفروا لو كانوا مسلمين ﴾[1]، ثم جـاز عليه وهو في الـنزع، فقلبه إلى القبلـة، فاسـتدار عنهـا، فعـاد فاسـتدار عنهـا، فخرجت روحه لغير القبلة، وكان يذكر كلام الغوث، ويعلم أنه أصـيب بسـببه. قـال ابن أبي عصـرون: وأما أنا فجئت إلى دمشـق، فأحضرني السـلطان نـور الـدين الشـهيد، وأكرهني على ولاية الأوقاف، فوليتهـا، وأقبَلت علي الـدنيا إقبالاً كثيراً، فقد صدق الغوث فينا كلنا انتهى.

فهذه الحكاية التي كادت تتواتر في المعنى بكثرة ناقليها وعدالتهم فيها أبلغ زجر عن الإنكار على أولياء الله تعالى خوفاً أن يقع المنكر فيما وقع فيه ابن السقاء نعوذ بالله من ذلك)[2].

---

1 (?) سورة الحجر (2).

2 (?) المشرع (1/167).

قلت: هــذه من خرافــات القــوم ولا يرهبنا وصفه لها بأنها كادت أن تتـواتر، فـأين أسـانيده بـذلك؟ ثم لو فـرض تواترها، فلا تعدو أن تكون من أخبار الكهنة الذين يخـبرون ببعض المغيبـات، ويصـدقون في بعضـها؛ لأن الـولي الحق ليس من شأنه أن يظهر مـتى شـاء، ويختفي عن الأبصـار متى شاء، وليس من شأنه أن يبشّر عبدالقادر بـذلك العلو والاسـتكبار الـذي يجعله يتحـدى الأوليـاء ويقـول: (قـدمي على رقبة كل ولي)، ولكن الرجل قد بلغ بعض ما يريد من إقناع قرّائه بالتسليم للأولياء وعـدم الاعـتراض عليهم؛ لما يـــترتب على التســـليم من الفـــوز والفلاح، وعلى الاعتراض من الطرد والحرمان.

المثـال الثـالث: ما نقله الشــرجي عن أبي بكر بن أحمد بن دعســين في ترجمته أنـــه: (كـــان يقـــول: أقل درجــات الإيمــان أن تســلم للأوليــاء أحــوالهم وأقــوالهم وأفعالهم، فإن لم تعرف معناها، ولا اهتـديت إليـه، فاحمل جميع أمورهم على أحسن الأشياء وأعدلها، وما صح عنهم فسمع وطاعة وحب وكرامة)[1].

قلت: هذه أقل درجات الإيمان فما أعلاها يا ترى؟.

المثال الرابع: ما ذكره صاحب تذكير النـاس، قـال: (وقال سيدي أحمـد: وقد أمدّ الله الـوقت للشـيخ عمر أبا مخرمة من بعد العصر إلى المغـــرب ثلاثين ألف ســـنة، فاستشـكل بعضـهم هـذا، فقـال له سـيدي: أما في بالك حديث يوم القيامة طوله خمسـون ألف سـنة، وأنه يكـون على المـؤمن كـأخف صـلاة صـلاها في الـدنيا وهـذا منه، فقيل له: وكيف صارت تلك المـدة ليـالي أو أيامـاً أو غـير ذلك، فقال: هـذا علم تصـديق وإيمـان، ما هو علم ها تـوه أشوفه)[2]. فقولـه: (هـذا علم تصـديق وإيمـان ما هو علم

---

1 (?) الطبقات ص(390).

2 (?) تذكير الناس ص(125).

هــاتوه أشــوفه)، واضح جــداً أنه ليس من علم الــدليل والحجة الـتي يصح أن يطـالب بها السـامع، وإنما هو علم تصديق وإيمان لا اعتراض وانتقاد، وقوله: (هاتوه أشـوفه) يعني أرني إياه حتى أنظر إليه.

المثال الخامس: من قواعدهم المسـلّمة وكلمـاتهم الدارجة المنتشرة، قول عبدالله بن علوي الحداد:

وسلِّم لأهل الله في كل مُشْكِلٍ لديك، لــديهم واضحٌ بالأدلةِ[1]

وقول الآخر:

وإذا لم تر الهلال فسلِّم لأناسٍ رأوه بالأبصار

هـذه خمسة أمثلة تـدل كلها على ما عنوَنَّا له في هـذا المطلب، وهو تربية الأمة على الرضــــوخ والاستســــلام وإلغاء العقـول وتجـاوز القواعد والأصـول الشـرعية؛ لأجل أن يمشي ما يريده القوم، ويسلم لهم ما يأتون من أقوال وأفعـــال دون حاجة إلى أدلة شــــرعية أو عقليــــة، وقد اقتصـرتُ على هـذه الأمثلة الخمسة مع وجـود الكثـير من الأمثلة في تراث صوفية اليمن، أما صـوفية البلاد الأخـرى فلا أخال قواعـدها في هـذا الموضـوع خافية على المتـابع لتواريخهم.

المطلب الثــاني: اســـتخدام الخرافة[2] والشــــعوذة[3] والاستعانة بالجن لإرهاب المخالف:

---

1 (?)الـدر المنظـوم لـذوي العقـول والفهـوم لعبدالله بن علـوي الحداد ص(41)، طبع مطبعة المدني بالقاهرة سنة (1388هـ-1968 م).

2 (?) تقدم تعريف الخرافة في الباب الثاني ص (459)

3 (?)الشعوذة: خفة في اليد وأخذ كالسحر، يرى الشيء بغـير ما عليه أصــله في رأي العين، وهو مُشــعْوِذ، ومشــعوَذ. انظــر: القاموس المحيط ص(427).

لقد سعى الصوفية والباطنية لترسيخ وتعميق القدرات الخارقة للأئمة والأوليـــاء، حـــتى لقد بـــالغوا في ذلـــك، فوصــفوهم بعلم الغيب وتصــريف الكــون والقــدرة على إظهار الخوارق التي لم يُظهر مثلها الأنبياء، وأنهم قادرون على أن يتجـزءوا بأجسـادهم، وأن يكـون الواحد منهم في عـدة أمـاكن في آن واحـد، وكل ذلك قد مـر، حـتى أصـبح حكم الناس على صلاح الشخص هو إظهاره تلك الخــوارق مع ادعاء الولاية، وعندما ترسَّخ ذلك في أذهـان المجتمـع، وتـربى عليـه، بـادروا بـافتراء الأكـاذيب ورواية الخرافـات عمن يريدون أن يسبغوا عليهم صـفة الولاية حـتى يقنعـوا النـاس بـولايتهم، كما بـادر طلاب الجـاه والمناصب في الرياضات الموصلة إلى خرق العادات، وتعلموا أنواعاً من علوم السحر، حتى أتقنوا ذلك، وعملوا به، وعقدوا الصـلح مع الجن؛ ليقومـوا لهم بأعمـال خارقة يطلعـونهم على مغيبـات واقعـة، ثم جعلـوا ذلك كله سـلاحاً يشـهرونه في وجه كل من يخـالفهم، وينكر عليهم، وهـذه عـدة أمثلة توضح ذلك وتثبته:

المثال الأول: ما ذكره الشلي في ترجمة محمد بن علي مولى الدويلة، قال: (وتواجد يومـاً بحضـرة عمه الشـيخ الإمـام عبدالله بن علـوي حـتى غُشي عليه، ثم أقيمت الصلاة، فصلى معهم، فلما فرغـوا، قال العارف بالله علي بن سلم لعمه عبدالله: صلى ابن أخيك بلا وضـوء؛ لأنه زال عقلـه، فـأخبره عمه بقول الفقيه علي بن سـلم فقـال: وعـزة الحق إني توضأت، وشربت من الكوثر، ونفض لحيته، فتقاطر منها المـاء، ثم قـال: يا فقيـه، نـزل علينا شـيء لو نزل على الجبال لدكت، ثم أنشأ يقول:

الحب حـــبي والسبق سبقي
والحبيب حبيبي قبل كل مجيب

نوديت فأجبت المنادي مسرعاً **وغطست في بحر الهوى وغـدي بي**

لي تســعة و ثلاثة مع تسعة **والعقد لي وحـــــــدي و علا نصيبي**

ما تعلموا أني المقدم في الملا **ليلة ســـــرى بـــاليثربي ســرى بي)[1].**

فانظر إلى هـذه الـدعوى العريضة والـتي برهانها أنه نفض لحيته، فتقاطر المـاء منهـا، ولو كـان ذلك المـاء من ماء الكوثر، هل سـيذهب هكـذا هـدراً ولا يعـرف له مـيزة عن غــيره من الميــاه، ولا تظهر له رائحــة، ولا يبقى في موضـــعه؟ إلى آخر ما يمكن أن يظهر من الــــدلائل، ثم أعجبُ لهذا الفقيه وسرعة تصديقه وتســليمه واقتناعه بما حكى هذا الرجل عن نفسه!.

المثال الثاني: ذكر الشــلي في ترجمة الشــيخ عمر المحضـــار أنه قـــال: (قـــال لابن أخيه الشـــيخ عبدالله العيــدروس: أن رجلاً يغضب لغضــبه جبــار الســماوات، وأشار إلى نفسـه)[2]، ثم اسـتدل الشـلي على إثبـات ذلك بقوله: (وكان إذا غضب على أحد أصابه الجذام وغيره من الأسقام بعد ثلاثة أيام، فقيل له: أما تخشى أن ينالك بهـذا شـيء؟ فقـال: إني لم أدعُ على أحـد، ولكـني إذا غضـبت على أحد، وقع في بـاطني نـار لا تنطفئ إلا بعد ما يصـيبه ذلك المرض، أو يتوب)[3]. هـذه الحكاية الله أعلم بصـحتها ولكن على فـرض صـحتها، فإنها رادع قـوي لكل من يفكر

1 (?) المشرع (1/200-201).

2 (?) المصدر السابق (2/242).

3 (?) المصدر السابق (2/242-243).

أن يخالف هذا الشيخ، وربما كان ذلك من السحر إذ الصحيح أن الساحر قد يصيب المسحور بعوار واختلال في عقله أو في بدنه، والقصة بغضِّ النظر عن صحتها أو عدم صحتها فالغرض منها حاصل حين تُروى، و يتداولها النـــاس، فإنه يـــترتب عليها هيبة عظيمة من التعـــرض لإغضاب من يدّعي الولاية.

المثال الثالث: ما قدمناه في الباب الثاني في مطلب التصرف في الكون[1] عن " مرآة الجنان "[2] في قصة أحمد بن أبي الجعد وسعيد بن عيسى العمودي، حيث ذكر أنه عندما أقام ابن أبي الجعد الشيخ سعيد؛ للإنصاف من نفسه، قال: (من أقامنا أقعدناه فقال الشيخ أحمد: ومن أقعدنا ابتليناه، فأصاب كل واحد منهما ما قال لصاحبه، وصار الشيخ أحمد مقعداً إلى أن لقي الله تعالى، وصار الشيخ سعيد مبتلىً في جسمه حتى لقي الله تعالى)، وهذه الحكاية تصب في نفس الغرض، وهو إرهاب الناس من التعرض للأولياء ومخالفتهم.

المثال الرابع: ما ذكره صاحب " تذكير الناس " عن أحمد بن حسن العطـــاس أنه ذكر حكاية طويلة منها أن عبدالرحمن بن مصطفى العيدروس دخل مصر، قال: (وحصلت بينه وبين أهل مصر مناظرة في الإمامة، وقال لهم: أنا أحق بها منكم؛ لِمَا اجتمعَ فيَّ من الشرف والعلم والتبرع، فقالوا له: لا نسلم لك إلا بدليل، فتوجه بحاله إلى القناديل التي في المسجد فابتلعها، فقالوا له: هذه ولاية، ومسلّمون لك فيها)[3].

---

1 (?) انظر: ص (304).

2 (?) وانظر أيضاً: طبقات الخواص ص (73).

3 (?) تذكير الناس ص(129-130). و انظر: تاج الأعراس (1/342-343).

والحكاية ظاهرة الدلالة على أن برهان الولاية هو هذه الخوارق التي لا يبعد أن تكون من السحر.

المثال الخامس: ما حكاه الشـلي في ترجمة محمد بن علي مولى الدويلة، قال: (وأكثر أعماله قلبيات، وكـان يخفي أعماله عن أصحابه حتى عن أهلـه، وربما اعـترض عليه بعض من اتصف بـالعلم وليس من أهلـه، حـتى إن بعضهم قام يصلي، والسيد عنده نائم، فقال في نفسه: أنا سـاجد وقـائم وهـذا مضـطجع نـائم، ويـدّعون أنه قـدوة للعالم. فلما سجد عجز عن رفع رأسه، فتـاب عما وقع له في نفسه، فأمر صاحب الترجمة بعض من عنده بأن يرفع رأسه من السجود، ولما فرغ اعتذر إليه، وعاهـده على أن لا يعود)[1].

فـانظر إلى ما لقي هـذا العـالم من العقوبة والتـأديب لقـاء اعتراضه على هـذا الـولي، ثم كيف سـلَّم له ولايتـه، وتاب من الاعتراض عليه.

المثالان السادس والسابع: ما تقـدم[2] نقله عن " تـاج الأعـراس " في مطلب اسـتخدام الجن حيث نقلنا هناك حكاية سالم العطاس الـذي كـان له جـني، اسـمه " مـزنقب "، وكيف سـلطه على تلك القبيلة الـتي أبت أن تستقبل الركب العطاسي حسب تعبـير المؤلـف: (فصـرخ بهم مزنقب صرخات، روّع بها نساء القبيلة وأطفالهـا؛ مما اضـطر رجـال القبيلة إلى الرضـوخ لآل العطـاس واسترضائهم والاعتذار إليهم وضيافتهم).

وحكايته مع شـريف مكة وكيف فجّـر"مـزنقب" المـاء في مجلس الشريف مما اضطره للتسليم له كذلك.

---

1 (?) المشرع (1/200).

2 (?) انظر ما تقدم ص (441).

المبحث الثالث: استخدام القوة في محاربة الخصم

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: اللجوء إلى السلطان:

اللجوء إلى السلطان شأن المبتدعة والباطنية في كل زمان ومكان؛ لفقدهم الدليل المقنع، فيلجَئون إليه، يداهنونه، ويطْرُونه، ليدافع عنهم وعن باطلهم، ويدفع خطر خصومهم

لا يفزعون إلى الدليل وإنما في العجز مفزعهم إلى السلطان

ويقول العلامة الحسين بن عبدالرحمن الأهدل في كلامه عن الصوفية: (فإن عادة هذه الطائفة أعني "ابن عربي "وأتباعه التحبب إلى الدولة وإيراد أحاديث وروايات في فضائلهم، حتى يجعلوا السلطان الجائر من الأبدال[1] والعادل هو القطب، وربما ألقوا في سمعه أن له درجة التحكيم والتفويض فيما فعله بلا حرج؛ ولذلك لم يكد يتبع[2] إنكار العلماء من قديم الزمان وهذا من مكرهم، قاتلهم الله)[3]، وكلام الأهدل هذا هو الذي استفاض، بل تواتر معناه، وهناك مواقف كثيرة جداً للصوفية في التزلف إلى السلاطين والتمكين لأنفسهم لديهم منذ نشأة الصوفية إلى اليوم، والذي يعنينا هم صوفية اليمن و قبوريتها، فإليك بعض تلك المواقف: من ذلك تبشيرهم بالمُلك أو بخلوده في أعقابهم، و منه ما ذكره الخزرجي

---

1 (?) في الأصل (الأنذال) وهو غلط واضح وقد صححه كذلك عبدالله الحبشي عند نقله في الصوفية والفقهاء (74).

2 (?) كذا هو يتبع، وهو محتمل، ومحتمل أن يكون (ينفع) هو الصحيح

3 (?) كشف الغطاء ص(218).

في "العسـجد " في ابتـداء أمر الدولة الرسـولية، قـال: (قال صاحب السيرة المظفرية: أخبرني الشيخ الصالح سـليمان بن منصـور بن حزينة قـال: لما وصل الملك المسعود[1]، وعبر طريق خبت القحرية، وكان على قارعة الطريق شيخان من مشايخ الصوفية الصالحين، يسمى أحدها المغيث، والآخر الهدس، فقال أحدهما للآخر: هل ترى ما أرى؟ فقال له: وأي شيء تراه؟ قال: أرى شخصاً إن سار سار العسكر جميعه. فقالوا: لعله الملك المسعود فقال: لا، بل هو الملك المنصور عمر بن علي بن رسـول، والملك في عقبه إلى آخر الدهر)[2].

ومن ذلك بشـارة صـاحبَي عواجة محمد بن أبي بكر الحكمي ومحمد بن حسن البجلي مؤسس الدولة الرسولية عمر بن علي بن رسول المذكور سابقاً بانتقـال الملك إليه وتقوية عزمه عليه.

قـال الأسـتاذ عبدالله الحبشي تحت عنـوان " تـاريخ الصـوفية في عهد بـني رسـول ": (ولعل بداية تـاريخ الصوفية مع الرسوليين يبتدئ ببداية هـذه الـدول، بل قبل البداية بسنوات عدة، فـالمؤرخون يـذكرون تلك الصـداقة الوطيـدة بين مؤسس الدولة الرسـولية الملك المنصـور عمر بن علي بن رسـول. - حكمه من 629 - 647ه - وبين الفقيه الصـوفي محمد بن أبي بكر الحكمي سـنة 617ه وصاحبه الصوفي محمد بن حسين البجلي المتوفى سـنة 621 هـ وهما من كبـار الصـوفية في اليمن. ويقـال أنهما اللـذان قويّا عزمه في الاسـتيلاء على الحكم بعد مشـاهدتهما تضعضع الدولة الأيوبية وتنـافس أمرائهـا فيما بينهم على الحكم. ونحن إذا أدركنا أن موت الحكمي كـان قبل قيـام الرسـولي بـالحكم بنحو عشر سـنوات، نـدرك

---

1 (?) آخر ملوك الأيوبيين في اليمن.

2 (?) العسجد ص(192).

مدى العلاقة التامة بين الصوفية ودولة بني رسول، ولندع الباحث المعاصر الأستاذ محمد بن أحمد العقيلي، يشرح هذه المسألة، فيقول: (عرف ذلك الشاب المتطلع لملك اليمن عمر بن علي الرسولي وهما قد تنبآ له بالملك ما يمكن لطموحه المتطلع من الاستفادة من نفوذهما الروحي، فأخذ في تقديرهما، وكانا عند قدوم مساح الأرض الزراعية لتقدير الخراج على المزارع، يكتبان أغلب أراضي أهل جهاتهما، فلما جاء دور الفقيهين لمسح أراضيهما وأخذ الضرائب عنهما، عفا عنهما الأمير عمر بن علي الرسولي وقد بلغ ذلك نحو خمسة عشرة ألف دينار، وأدركا بلا شك مطمعه البعيد، فأخذا يروجان مقالتهما السابقة بملك اليمن له ويشيعان ذلك سراً، ثم يذيعانه مقدماً؛ لتهيئة النفوس والعقول لوثبته، وشاعت كلمتهما، فتقبلها الناس بالترقب)[1].

إذاً فالدولة الرسولية تدين للصوفية بوجودها بعد أن مهدوا لها عند الناس، وأصبحت مما ينتظر وقوعه. ولا أحتاج إلى تعليق على ما قرره الأستاذان الحبشي و العقيلي.

ومن تلك البشارات بشارة الصوفي إبراهيم بن الحسن بن أبي بكر الشيباني للملك المظفر، قال الشرجي في ترجمته: (وكانت له كرامات ظاهرة، من ذلك أنه زاره الملك المظفر في أيام والده الملك المنصور ابن رسول، ولازمه في الملك بعد أبيه، فضرب الفقيه بيده على كتف المظفر، وقال له: المُلك لك ولذريتك لا أسد الدين ولا فخر الدين، يعني بني عمه. وكان المظفر يخاف أن ينازعوه في الملك بعد أبيه، فكان كما قال: تولى الملك المظفر وذريته من بعده وبطل أسد

1 (?) التصوف في تهامة ص (119)، الصوفية والفقهاء ص (45-46).

الدين وفخر الـدين، فلما صـار الملك إلى الملك المظفـر، سـامح الفقيه في خـراج أرضه وأراضي أهلـه، ولم يزالـوا على الجلالة والاحترام مدة المظفر وبعده)[1].

ومن تلك البشارات بشـارة إسـماعيل الجـبرتي للملك الأشرف بانهزام جند قصدوه، فكـان كما قـال الشـوكاني: (وصــارت له عنــده منزلة وكلمة لا تــرد)[2]. ذلك بعض ما لدى صوفية تهامة، ولدى صوفية حضرموت ما يشابهه، أو يزيد عليـــه، من ذلك ما ذكـــره صـــاحب " تـــاريخ الدولة الكثيرية " في ترجمة بدر أبي طويرق تحت عنوان " نسبه واهتمـام العلـويين به " قـال: (تصـدّى جماعة من السـادة العلـويين في أوائل ظهـوره للبحث والتنقيب عن سلسـلة نسبه، ثم أسفرت نتائج بحوثهم عما يأتي:

هو بـــــدر بن عبدالله بن جعفر بن عبدالله بن علي بن عمر بن جعفر بن بدر بن محمد بن علي بن عمر ابن كثير بن ظنة بن عبدالله بن حـرام بن عمر بن سـبأ الأكـبر، ثم ينتهي النسب إلى يشجب بن يعـرب ابن قحطـان بن هـود .

هكذا جـاء في دشـتة العلامة زين العابـدين بن عبدالله بن شيخ العيدروس العلـوي، قـال: ولما أن تحققـوا صـحة هذه النسبة ذهب سبعة منهم إلى ضـريح النـبي هـود على نبينا وعليه أفضل الصـــلاة والســـلام، واعتكفـــوا هنـــاك متضــرعين إلى الله ســبحانه، أن يقيض هــذا الســلطان؛ لحفظ القطر كلـه. قـال وظهـرت آثـار الإجابة في السـنة نفسـها، إذ طـرق بـدر جميع الجهة الحضـرمية، واسـتولى عليها من عين با معبد غربـاً إلى ظفـار شـرقاً، وذلت له رقـــاب أهلها في بضـــعة شـــهور، ولم يبق بها إلا مواضع

---

1 (?) الطبقات ص(47 -48).

2 (?) البدر الطالع (1/139) وسيأتي كلام الشـوكاني كـاملاً في هذا المطلب.

حقيرة، استكملها فيما بعد، كما سيأتي)[1]. فالقوم عندما لاحظوا أمارات النجاح وعوامل النصر واستعداد هذا السلطان، لتكوين سلطنة قوية واسعة ذات نفوذ، أحبوا أن يكون لهم عنده يد، فمثلوا هذه الرواية، وأحكموا فصولها، وأقنعوا بها السلطان، وكسبوا وده.

وقريباً من ذلك فعل بعضهم مع منصب آل عمودي الشيخ عبدالله بن عبدالرحمن أبو ست، قال علوي بن طاهر الحداد، وهو يتكلم عن نسب آل العمودي الذي أثبته محمد بن ياسين باقيس إلى أبي بكر الصديق في كتاب له باسم " النبذة ": (وفي هذه النبذة التصريح بنسبهم على ما يقوله السادة الأشراف العلويون وهو مخالف، لما يقوله المؤرخون، وسيأتي بسط القولين ومستندهما في بابه قال: قال: " أي الحبيب عبدالله الحداد " فزرنا الشيخ العارف بالله معروف باجمال مؤذن بضرفون[2] ومن في تربته، وطلعنا بضة، واجتمعنا فيها بكثير من أهل الفضل من آل العمودي وغيرهم. منهم السيد عمر باعقيل باعلوي وزوجته الصالحة بنينة ومن آل العمودي الشيخ عبدالقادر والشيخ مطهر والشيخ عبدالرحمن والشيخ سعيد أولاد الشيخ الكبير الشهير عبدالله بن عبدالرحمن بوست، وهو والي منصب آل العمودي أعني الشيخ عبدالله بن عبدالرحمن، وسمي بوست؛ لأن له في كل يد ست أصابع لأنه شبيه بعبد الله بن عبدالرحمن ابن سيدنا أبي بكر الصديق ؛ لأنه جدهم، وينسبون إليه على ما ذكره بعض سادتنا آل أبي علوي، نفع الله بهم في بعض مكاشفاته، ولا تكون إلا حقيقة؛ لأن الكشف الصادق إخبار عن عين اليقين وهو حق وصدق، وقد أمر بالأخذ بأقوال

---

1 (?) تاريخ الدولة الكثيرية ص(36).

2 (?) موقع بقرب بضة بوادي دوعن.

الصالحين في الأثر المروي عنه ، وهذا منـه)[1]، ثم قـال: وأما ما ذكره الشيخ محمد بن ياسين عن الحـبيب عبدالله الحـداد عند ذكر الشـيخ عبـدالرحمن ابن عبدالله أبو ست وانتســاب آل العمــودي إلى أبي بكر الصــديق، وقولــه: " على ما ذكـره بعض سـادتنا آل أبي علـوي، نفع الله بهم " فمراده بالبعض المـذكور السـيد الشـريف أسـتاذ الفقهـاء والمتكلمين، وإمام الزهاد الورعين أحد الأولياء المعتقـدين عبدالرحمن بن علي بن أبي بكر السكران بن عبدالرحمن السقاف، له كتاب فيه الوقـائع الـتي وقعت له في اليقظة والمنام وما بينهما، وهي إطلاعات روحيــة، تتمثل لهم فيها المعاني والأرواح، ذكر أنه اجتمع بروح الشيخ الكبير سعيد بن عيسى، وسأله عن نسـبه، فذكرله سلسـلة نسـبه إلى أبي بكر الصديق ، والقصة أطول مما ذكرنــا، وقد رأيناها بقلم بعض أشـــياخ آل العمـــودي)[2]، ثم قـــال: (وقد نقل الشيخ عبدالرحمن بن عثمان - الآنف الذكر - تلك الواقعة، وكتبها في مصــحفه، ومنه نقلتهــا، وهي: وذكر الشـــريف عبدالرحمن بن علي: أن عبدالله بن عبدالرحمن بن الإمام أبي بكر الصـــديق كـــان له ست أصـــابع، السادسة على صورة الإبهام تليها. وكان ذا فراسة وفهم في الأمور. كان إذا دخل البلــد، لا يسـتطيع أحد من أهل البلــد، أن يكـذب خشية أن يعرفه، ويسـمع كذبه بفراسـته. وكـان يقـول له والده عبدالرحمن: سيخرج من صلبك ولدٌ اسمه كاسمك، وصــورته كصــورتك، والله إني أنظر إلى أصــبعه الزائــدة تتحـرك عند حركتـك، وتكـون له فراسة كفراسـتك، وفهم كفهمك و والله لــولا أنه في غــرة كل موجــود ليس كمثله شــيء، لقلت أنك هــو، وهو أنت. وكـان الشـيخ محمد بن عمر باعفيف يقول لشيخه الشيخ عبـدالرحمن: يا سـيدي،

---

1 (?) الشامل ص(163).

2 (?) المصدر السابق ص(165 - 166).

أهو قد ظهــر؟ فيقــول. لا، إلا أنه قــريب الظهــور انتهى. والحبيب السيد الشـريف عبـدالرحمن بن علي المنسـوب إليه هـــذه الواقعة الكشـــفية الروحية ولد ســـنة(850)، وتـوفي سـنة (923 هـ). وقد تحققتْ بـولادة الموعـود به الشيخ المعمر عبدالله بن عبدالرحمن المـذكور في أواخر القرن العاشر، وتوفي سنة (1072 هـ)، وكـان له في كل يد ست أصـابع، الزائـدة على صـورة الإبهـام تليهـا. وهـذه الحكاية من أغــرب ما يــروي)[1]، وقد كــان عبــدالرحمن أبوست العمودي حاكماً على منطقة دوعن مدة طويلة.

وهـذه النمـاذج وغيرها كثـيرة كافية للدلالة على منهج القوم في استرضاء السلاطين والحكـام؛ لكسب تأييـدهم، وضمان وقوفهم معهم ضد مخالفيهم، ولم ينتهِ هذا المنهج أو يتغير، فصوفية اليوم هم صـوفية الأمس، وإن ما حـدث أيـام حـرب الانفصـال - ربيع الأول 1415 هــ من صـوفية حضــرموت لكــافٍ في الدلالة على ذلــك. فقد وقفــوا مع الانفصاليين بكل ما أوتـوا من قـوة، وقد تبـارى خطبـاؤهم في تأييد حركة الانفصال، وأصدروا البيانـات المؤيـدة لهـا، وأفتوا بأن القتال في صفوف الاشتراكيين جهاد في سبيل الله؛ لأنه دفاع عن الأنفس و الأعراض والأمـوال إلى غـير ذلك من المواقــــف، بل إن بعض من يكتب اليـــــوم في التنظـير للصـوفية والـدفاع عنها قد قَبِل أن يكـون وزيـراً للأوقـــاف في حكومة الاشـــتراكيين الانفصـــاليين، ولكن ســرعان ما تغـيرت المواقــف، وتبــدل الــولاء، وتناقضت الخطب والبيانــات بمجــرد انتصــار القــوات (الحكوميــة) وأصبحوا يتظاهرون بتأييدها، وأنهم كانوا مؤيـدين لها طيلة المحنة الــتي مــرت بها البلاد، ولا أدري كيف يثق الحكــام بمن هــذه مبــادؤهم ومــواقفهم؟! أم أنها منــاورات من الطرفين على حد قول الأول: (كلانا عالمٌ بالترهات).

---

1 (?) المصدر السابق ص(166).

وإليك أخي القارئ الكريم بعض المواقف التي استعان فيها الصوفية بالحكام ضد مخالفيهم:

الموقف الأول: ما ذكـــره الخـــزرجي في ترجمة الفقيه حسـين بن أبي بكر السـودي، قـال: (وكـان فقيهـاً صــالحاً فاضــلاً مشــهوراً بالفقه والصــلاح، وشــهدت له كرامــات كثــيرة، وكــان معظمــاً عند النــاس، ولكن بلغ الملــوك عنه أنه يتصل بإمـــام الزيدية في عصـــره، وهو محمد بن مطهر، فكرهوه، وهموا بأذيتـه، فكـان لا يسـتقر في موضع ينالونه فيـه، وكـان ينكر على الفقـراء الـرقص والسماع؛ فلذلك أجمع الفقـراء والفقهـاء عليـه، ولم يـزل حذراً من السلطان حتى توفي في السنة المذكورةسنة " 704هـ ")[1].

الموقف الثاني: ذكـره شـيخ الإسـلام الشـوكاني - رحمه الله - في ترجمة إسـماعيل الجـبرتي، قـال: (وكـان أول ظهور أمره أنه بشر السـلطان الأشـرف بـانهزام جند قصدوه، وكان الأمر كذلك. وصـارت له بـذلك عنـده منزلة وكلمة لا تـــرد، وكـــان منزله ملجأ لأهل العبـــادة ولأهل البطالة وأهل الحاجـات، فأهل العبـادة يحضـرون للـذكر والصـلاة، وأهل البطالة للسـماع واللهـو، وأهل الحاجـات لوجاهتـــــه، فأنه تتلمذ له أحمد بن الــــــرداد، ومحمد المزجـاجي، فجالسا السـلطان، وكـان مغـرى بالسـماع والـرقص داعيـاً إلى نحلة ابن عـربي حـتى صـار من لا يحصل نسخة من الفصـوص، تنقص منزلته عنـده، واشـتد البلاء على العلمـاء الصـادعين بـالحق، بسـببه وفيه يقـول بعض الأدبـاء، وكـان منحرفـاً عنه ومعتقـداً لصـلاح صـالح المصري:

صالح المصري ولعمـــري إنه
قالوا: صالح للمنتخب

---

1 (?) العقود اللؤلؤية (1/302).

كـان ظـني أنه كلهم إن
من فتية تمتحنهم تختلب
رهط يق إلى الله و
إسـماعيل قطـاع أرباب الريب
الطر
سفل حمقى أكلب فيهم
رعاع غاغة على الدنيا كلب

وقد كـان قـام صـالح المصـري هـذا على صـاحب الترجمة، فتعصبوا له حتى نفوه إلى الهند، ثم كـان الفقيه أحمد الناشـري عـالم زبيد يقـوم عليه وعلى أصـحابه، ولا يستطيع أن يغيرهم عما هم فيه؛ لميل السـلطان إليـه)[1]. فانظر كيف استُغِلَّ نفوذ هذا الصوفي على السـلطان إلى هــذه الدرجة من الظلم والاضــطهاد للخصــوم، وهنــاك مواقف كثيرة سيجدها المتتبع لو بحث عنها.

ولصــوفية حضــرموت مواقف تنــدرج في نفس هــذا المسلك الدنيء، وتسـير على ذات المنهج الـرديء، وكـان أبرزها في أثنـاء الصـراع الــذي نشب في إندونيسـيا بين العلويين والإرشاديين:

فمن ذلك سعيهم لدى حكومة بريطانيا وإقناع قنصــلها في العاصـمة الإندونيسـية بتافيا (جاكرتـا) بـأن الإرشـاد، تعمل ضد السياسة البريطانية، قـال صـلاح البكـري: (وقد تـــــأثر القنصل لجهله حقيقة الإرشـــــــاد، فأرسل إلى الحكومتين القعيطية و الكثيريـة؛ ليأخـذوا حـذرهم من كل إرشــادي يــدخل حضــرموت، ويرسل المســؤولون في

---

1 (?) البـدر الطـالع (1/139 - 140) وقد ذكر طرفـاً من قصة صـالح المصـري الخـزرجي في العقـود اللؤلؤية (2/225) في حــوادث ســنة (797هــ)، وعبد اللــه الحبشي في الصــوفية والفقهاء ص(118).

الحكومتين منشوراً على كافة الحضارم بإندونيسـيا)[1]. ثم ذكر نص البلاغ الذي يتهدد ويتوعد كل من بقي في جماعة الإرشـاد، ويصـفه بأنه عـدو لوطنه ولمواطنيه عاقـاً لهم مخالفاً لجمـاعتهم في كل مقومـاتهم سـاعياً في تسـميم عقولهم وأفكارهم[2]، ولم يقف الأمر عند ذلـك، بل تحـول إلى اضـطهاد حقيقي للإرشـاديين في بلـدهم الأصـلي حضـرموت، قـال البكـري: (لم يكتف آل بـاعلوي وغـيرهم من المعارضين لثورة الإرشاد الدينية الحرة عند هذا الحد، فاتجهوا بوشاياتهم إلى حضرموت، واسـتطاعوا أن يـؤثروا على السـيد حسـين بن حامد المحضـار وزير الحكومة القعيطية بمدينة المكلا. فقد كـان هـذا الـوزير يتلقى الرسـالة تلو الرسـالة من قريبه السـيد محمد المحضـار ببندووسو بجـاوه، يحرضه على عرقلة كل إرشـادي يـأتي من إندونيسيا إلى وطنه بحضرموت. وقد تأثر الـوزير بتلك الرسـائل إلى حد كبـير، فأخذ يضـطهد كل إرشـادي قـادم إلى حضـرموت، وأسـهم في ذلك والي دوعن عمر بن أحمد باصرة، أسهم في التعـذيب؛ إرضـاء لـوزير الحكومة القعيطية)[3].

ولم يكتفـوا بالتنكيل بـالمنتمين إلى جمعية الإرشـاد فحسـب، بل تعـدى الضـرر والاضـطهاد إلى أسـرهم وأقربائهم للضغط عليهم وحملهم على إخراج أقاربهم من جمعية الإرشاد، وقد شرح ذلك الأستاذ البكري، وأوضح أن نائب السلطنة بـدوعن، تـولى ذلـك، وأورد على ذلك دليلاً هو رسالة من أحد أقربـاء عضو من أعضـاء الإرشـاد. هـذا نصها:

(الحمد لله وحده، وصلى الله على محمد وآله وصـحبه

---

1 (?) تاريخ الإرشاد ص(79).

2 (?) المصدر السابق ص(81).

3 (?) المصدر السابق ص(84).

وسلم.

إلى جناب الأكرم المكرم المحترم العزيز الأخ سالم بن أحمد با مصقّر سلمه الله تعالى آمين. وعليه مني السلام وأزكى التحية والإكرام ورحمة الله وبركاته على الدوام. صدر المرقوم من قيدون، والعلم خير ولطف وعافية، نرجو الله الكريم أنك وكافة المعارف بخير وعافية.

قد سبقت إليك جملة كتب وفيها من الحقائق كفاية، وعرفناك أن نحن بغيناك تخرج من هذه الجمعية "جمعية الإرشاد"؛ الله الله لحيث المشقة ضاوية علينا، وقد وصّالنا المقدم، و بتينا إلى عنده، وأعطى لنا مهلة لما شهر شعبان، من خرج من هذه الجمعية يخبر الحبيب محمد بن أحمد المحضار ولعاد عليه شيء، ومن لا خرج بايوصي المقدم لأهله، وأنت بُصْرك. الله الله في الجواب مطلوب وأما فينا فما تحتاج إلى وصاه والسلام.

حرر في 12 ربيع الثاني سنة: 1338 هـ

طالب الدعاء

محمد بن أحمد بامصفر)[1]

ولم يكتف العلويون بذلك، بل ذهبوا إلى أبعد منه حيث وشوا إلى شريف مكة، وحذروه هؤلاء الإرشاديين، ووصفوهم له بأنهم نواصب، يبغضون آل البيت، ولديهم أفكار سامة، يريدون منعهم من الحج والعمرة ودخول أراضي الحجاز؛ حرصاً على سلامة أهله وسائر الحجاج من انتقال عدوى هذه الأفكار إليهم؛ ومنعاً من أن يلتقي هؤلاء الخوارج بإخوانهم الذين على شاكلتهم، يعنون أتباع الدعوة النجدية، وقد أورد البكري نص الرسالة المتضمنة لذلك[2].

---

1 (?) تاريخ الإرشاد ص(121).

2 (?) المصدر السابق ص(82-83).

هـذه بعض الأدلة على لجـوء القبـوريين إلى السـلطان أياً كان هذا السلطان مسلماً أو كافراً، مـادام أن الالتجـاء إليه سيحقق لهم غرضاً.

وقد لفت نظـري سـقاف بن علي الكـاف في مؤلفه " حضـــرموت عـــبر أربعة عشر قرنــــاً ". حين أرخ لهـــذه الحـــوادث، وقد حـــاول أن يضـــبط نفســـه، وأن يقـــاوم مشـــاعره، فلم يتحامل تحـــاملاً ظـــاهراً على أصـــحاب الإرشـــــاد، ولكنه أورد رســـــالتهم إلى وزارة الخارجية البريطانية ليــومئ إلى القــارئ أن هــؤلاء القــوم حملهم بغضــهم لخصــومهم وهــواهم المتبع على أن يلجئــوا إلى العدو الكـافر، ويسـتعينوا به على خصـومهم وقد نسي أن أصــحابه قد فعلــوا أكــبر من ذلك وأكــثر وليس فقط مع بريطانيـــــا، بل مع بريطانيا وهولنـــــدا وغيرهما من دول المسلمين والكفار وأن بريطانيا استجابت لطلب العلويين وجـــارتهم على رغبتهم، وضـــايقت الإرشـــاديين في بعض مستعمراتها[1].

المطلب الثــــاني: اللجــــوء إلى القبائل المســــلحة وحملها على إخضاع خصومهم:

تقدم بيان ما وصلت إليه الصوفية القبورية من سـلطة ونفوذ على القبائل، والإشارة إلى أنها تستخدم ذلك النفوذ ضد كل من يخالفهـــا، وتســـخرها؛لتهديد وأذية خصـــومها، وقبل أن نـــذكر تســـخير الصـــوفية للقبائل في ضـــرب الخصوم الأباعد، نذكر قصة طريفة تؤدي الغــرض، وتظهر

---

1 (?) قد يقول قائل: وأنت فعلت نفس الشيء، فذكرت ما صدر عن العلــويين، ولم تــذكر ما صــدر عن الإرشــاديين. قلت: لا ســواء، فالكـاف مـؤرخ لحضـرموت ومن المفـترض أن يكـون عادلاً منصفاً لكل أهل حضـرموت، وأما أنا فقد حـددت منهجي وهو الكلام عن الصــوفية فقط ناقــداً وكاشــفاً عن حقيقتهــا، ولست مجرد مؤرخ ناقل للأحداث.

مدى استخدامهم لذلك النفوذ والزج بالقبائل في فتن لا ناقة لهم فيها ولا جمل، قال محمد بن هاشم تحت عنوان" قضية التابوت ": (الذي يظهر أن نفسيات السراة والزعماء من السادة وغيرهم من أهل ذلك القرن قاسية متصلبة، لا تعرف المرونة، ولا تجنح إلى المجاملة. وربما تغلّب على القوم التعسف الأناني، والتعصب الأعمى الذي تنكره العقول، وتمجه الأذواق، وتقف الطباع السليمة حسرى دون شأوه. وقضية التابوت يستنتج منها ما ذكرناه، ويعلم منها مبلغ التخبط السياسي الذي تعانيه حضرموت في ذلك العهد وإليك ما قالوه عنها، قالوا: "وفي سنة 1161ه كانت واقعة التابوت الذي أرسله الشيخ العمودي لضريح الحداد، وهو شبيه التابوت الذي على قبر المحضار ". فاختلف رأي السادة فبعضهم رضي ذلك كالحبيب أحمد بن علي ابن الشيخ أبى بكر بن سالم ومنهم من لم يرض كالسادة آل العيدروس، وكذلك اختلف رأي القبائل على هذا حتى وقعت الحرب على وضعه. وأصابت رصاصة رأس السيد صالح بن علي بن أحمد ونفذوا به إلى عينات حيث قضى نحبه. وبقي التابوت موضوعاً في بعض الديار بأمر من يافع أشهرهم أحمد غرامة البعسي، وصمم الحبيب أحمد بن علي على وضعه على الضريح فجاء الرتبة من يافع ووضع بحضورهم قيل على رضى من آل همام ممزوج بخداع.

وبعد وضعه قام السادة آل العيدروس وعظم عليهم الأمر واستنجدوا بالشنافر وساروا على أحيائهم فصار بعد ذلك ما صار من حريق التوابيت كلها التي على القبور. ثم تراجع الناس واجتمع الرأي على إرجاع التوابيت فأعيدت على حالها وأصلحن بأعواد هندية مصهرة)[1].

---

1 (?) تاريخ الدولة الكثيرية ص(115-116). وانظر: جواهر تاريخ الأحقاف (ج2/218-2-219).. تأليف العلامة محمد بن علي ابن

ومما يظهر نفوذ أولئك الصوفية وتسخيرهم للقبائل ما قـــاموا به إزاء الحملة النجدية على حضــرموت، والــتي استهدفت وادي حضرموت من المشـهد جنوبـاً غربيـاً إلى عينـات في الشــمال الشـرقي، أو إلى قــبر هــود شــرق عينـــات، فبعد الكر و الفر والأخذ والعطـــاء، وحينما همَّ النجــديون بــدخول وادي عمد والــذي أول مُدنـــهِ مدينة حريضـــة، جمع آل العطــاس قبائل تلك المنطقة وكونـــوا منهم جيشاً كبيراً تصدى للنجديين وكسروهم وذلك عندما بدأ الضعف يَدبُّ فيهم بسبب هجوم محمد علي باشا على عاصـمتهم الدرعية وقد فصل ذلك صـاحب تـاج الأعـراس في عدة مواضع[1]، ومما قال وهو يتحدث عن القائد العام لجيش حضـرموت علي ابن جعفر العطـاس: (ومما أكرمه الله به من دقة النظـــر، فمن فطانته ودقة سياســـته أنه جعل على كل قبيلة من تعتقـــده وتحترمه من الســـادة المتقدم ذكرهم زيادة على غيره)[2]، وكـانت القبائل الـتي جمعها آل العطاس وقادوها بأنفسهم قبائل الجعـدة قـال: (ومما يجدر بالـذكر هنا أن المقـدم عمر بن علي باصـليب المشـــجري لما بلغه الخـــبر بهجـــوم الوهـــابيين على بلد حريضة جاء إليها في ثلاثمائة رامي من قومه آل باصــليب سكان حالة باصليب والمعقل بـوادي عمد منجـداً للسـادة آل العطـاس وقبائل الجعـدة ففرحــوا بهم ومنهم وشــكر الحبيب علي بن جعفر المقدم باصليب وقومه.. إلخ)[3].

وهـذا نمـوذج آخر من اسـتخدام القبائل للحفـاظ على مصالح آل باعلوي وإلا فالجيش النجدي ما كان يريد إلا أن

عوض باحنان,طبع مكتبة الفجالة الجديـدة، القـاهرة (1382هـ-1963م).

1 (?) انظر: (1/174) و (1/230 - 231) و (1/234)

2 (?) تاج الأعراس ص(233-234).

3 (?) المصدر السابق (1/234).

يطهر البلاد من أدران القبورية، وأن يصلح ما أفسده الصوفية و القبورية من عقائد الناس، وصاحب المصلحة الحقيقية في ردعه وصده هم القبوريون أما سائر الأمة فكان من صالحهم أن ينتصر وأن يزيل مظاهر القبورية التي أفسدت عقائد الناس وأن يعلموهم دينهم كما حصل في المناطق التي استولوا عليها في كثير من أرجاء الجزيرة العربية كما قرر ذلك شيخ الإسلام الشوكاني في ترجمة "الشريف غالب بن مساعد "من البدر الطالع قال وهو يتكلم عن حروبه مع صاحب نجد " عبدالعزيز بن سعود ": (فإن صاحب نجد تبلغ عنه قوة عظيمة لا يقوم لمثلها صاحب الترجمة. فقد سمعنا أنه قد استولى على بلاد الحسا والقطيف وبلاد الدواسر وغالب بلاد الحجاز. ومن دخل تحت حوزته أقام الصلاة والزكاة والصيام وسائر شعائر الإسلام، ودخل في طاعته من عرب الشام الساكنين ما بين الحجاز وصعده غالبهم إما رغبة وإما رهبة، وصاروا مقيمين لفرائض الدين بعد أن كانوا لا يعرفون من الإسلام شيئاً ولا يقومون بشيء من واجباته إلا مجرد التكلم بلفظ الشهادتين على ما في لفظهم بها من عوج. وبالجملة فكانوا جاهلية جهلاء كما تواترت بذلك الأخبار إلينا، ثم صاروا الآن يصلون الصلوات لأوقاتها، ويأتون بسائر الأركان الإسلامية على أبلغ صفاتها، ولكنهم يرون أن من لم يكن داخلاً تحت دولة صاحب نجد وممتثلاً لأوامره خارج عن الإسلام)[1].

وقد أكد ما قلت عن الجيش النجدي العلامة ابن عبيد الله في مادة المحيضرة من "إدام القوت " حيث قال: (ولم يفسد حرثاً ولا أهلك نسلاً، وإنما هدم القباب، وسوى القبور المشرفة، وألقى القبض على المناصب وأهانهم، وأتلف قليلاً من الكتب، كثره بعض العلويين،

1 (?) البدر الطالع (2/5).

كصاحبنا الفاضل السيد علـوي ابن سـهل بـدون مـبرر من الـدليل)[1]. مع أن أهل حضـرموت في تلك الفـترة بـأمس الحاجة إلى من يعلمهم أمر دينهم ويبصـــرهم بما هم عليه من أخطاء في العقائد والأعمـال. فكـان قيـام تلك القبائل تضحية بمصالحها الحقيقية للحفاظ على مصـالح سـادتهم، ولما لم يكن هنـاك مقاومة تـذكر من علمـاء حضـرموت تستحق التصدي القـوي لها باسـتخدام القبائل لم أر شـيئاً واضـحاً في ذلك إلا في الصـراع العلـوي الإرشـادي، فقد حاول آل باعلوي أن يسـتفيدوا من نفـوذهم الـروحي على قبائل يافع، فكاتبوهم يحرضونهم على مواجهة الإرشاديين وقمعهم ولكن الأحـوال قد تغـيرت، والعقـول قد تفتحت، والعقائد الـتي كـانوا يعتقـدونها فيهم قد ظهر زيفهـا، فلم يسعفوهم ولم يستجيبوا لمطـالبهم، بل سـخروا بها وإليك بعض رسائلهم إلى قبائل يافع لذلك الغرض:

الرسالة الأولى: من محمد بن أحمد المحضـــار إلى علي بن حسن بن نقيب اليــافعي قــال فيهــا: (الحمد لله وصلى الله على سيدنا محمد وآله مهـدي السـلام الخـاص من الشـيخ المكـرم والمحب المحـترم علي بن حسن ابن نقيب وعلى من بقي له اتصـال بـالحبيب والشـيخ مـولى الكــثيب[2] وأما من خـــرج عن دائـــرة أهل الـــبيت فيأكله الكلب أو الذئب، وماله في الأمر من نصيب وكتاب الشيخ

---

[1] (?) إدام القــوت ص(122-123) الحلقة (40) المنشــور في مجلة العرب.

[2] (?) مولى الكثيب هو أبو بكر بن سـالم صـاحب عينـات سـمي مــولى الكــثيب لأنه عنــدما قــربت وفاته حــاول بعضــهم أن يســتخلفه فــأبى وقــال: (إذا ما لحقنا حد متأهل با نطرحه في كثيب عينات) فاشـتهر الكـثيب منذ ذلك الـوقت وقـالوا عنه أنه تريـاق مجـرب ودواء نـاجع للأمـراض المسـتحكمة المعديـة)... إلخ، انظر: الجواهر في مناقب الشيخ أبي بكر تاج الأكابر ص (117).

علي وصل وفرحنا به وزواج الأولاد صالح وصالح مبارك وقدوم إلى خير وبودنا أن نرسل واحداً من الأولاد ولكنهم معذورون وبالنية حاضرون، والسلام وسلموا على الخال طالب عوض وسمعنا بعزمه إلى الحج والزيارة وربح التجارة وفرحنا له، ومن الله على الجميع، والسلام منا ومن الأولاد عليكم ولأهل الوداد أما أهل الفساد "يعني الإرشاديين" فلهم الإبعاد وأشد من بعد عاد والمولى بالمرصاد والشفيع سيد الرسل يوم الميعاد و التناد يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم ولهم اللعنة ولهم سوء الدار. وبلغنا أن الإمام " يحيى إمام اليمن " مجهز على يافع، ويافع لا يصلح الأمر ويطفي الجمر إلا الأخ محمد بن علي الحييد لأن الإمام يكاتبه ويافع قد هم حقه[1] أن بغيته يعزم أجمعوا على الذي يليق به من الخرج والفتح على يده، وخبر الإمام واجب الانتباه له - يعني إمام اليمن - لأن الأمر مهم جم جم، ومعه قصد - لعل الكاتب يقصد من سؤاله غزو حضرموت - لا يقدرون يافع ولا غيرهم بمقاومته وهو هزم التركي ومعه دولة كبيرة والله يختار.

حرر في بندووسو في 7 جمادى الآخرة سنة 1338ه

الداعي / محمد بن أحمد المحضار.[2]

والرسالة الثانية: - أيضاً من المحضار ذاته (الحمد لله ونسأله بالاسم الأعظم والحبيب الأكرم ومحبهم يغنم نخص المحبين بني مالك لا يزالون ملوك الممالك مازال الكل في مسلك المصطفى سالك، والشيخ أبو بكر ضامن

---

1 (?) قوله: "قدهم حقه" أي إنما هم حقه أي ملكه وهذه العبارة كثيراً ما يطلقها السادة على أتباعهم والمتعلقين بهم أنهم حقهم أو فقراؤهم أو عسكرهم وهكذا.

2 (?) تاريخ الإرشاد ص(118 - 119).

لهم بذلك وفوق ما هناك[1] ونهـدي السـلام للجميع ونخص منهم الشـيبان والشـبان، جـاء العـزم إليكم بعد مولد ربيع الأول، والحـذر شـيء يـدخل عليكم مما دخل على الكثـير من أهل الزمان الذين استحوذ عليهم الشـيطان وخـرجهم من الأمان وسيخرجهم من الإيمان. بلغنا أنه وصل عنـدكم باعشر العشـير وحمـار الحمـير وخـنزير الخنـازير قطعـوا حباله وصـفعه بـالنكير وخبث الحديد ما يصـفيه إلا الكـير وشنو النكير. وإن بلغنا دخول شيء المكـان تركنا كلـيران (بومي أيو) والله المستعان.

محمد بن أحمد المحضار[2]

وقد علق الأسـتاذ البكـري على هـذه الرسـائل فقـال: (لم يسـتطع السـيد المحضـار الوقـوف أمـام تيـار النهضة الفكرية ولم تؤثر رسائله في يافع فلم يقيموا لكلامه وزناً ولا لتهديداته ثمناً، بل كـان الأمر بـالعكس، كـانوا يهـزءون برسالته كل الهزء)[3].

المطلب الثالث: اعتماد التصفية الجسدية للخصوم:

مرّ بنا الأذية الكبيرة الـتي قـام بها إسـماعيل الجـبرتي وأعوانه ضد الـــذي كـــان ينكر عليهم في زبيد " صـــالح المصـري "[4]، وقد ذكر الشـوكاني العجـائب من ذلك مما يحـاول القبورية والمنحرفـون فعله بـدعاة السـنة كما في كتابه أدب الطلب سواء ما وقع للإمام محمد بن إسماعيل

---

1 (?) انظـر: هـذه العبـارة وقارنها بكلام دعـاتهم اليـوم الـذين يقولون إنهم موافقـون لخصـومهم بـأن من أعتقد الضر والنفع لغـير الله فهو مشـرك فـأي نفع أعظم من هـذه الضـمانة باستمرار السلوك على سبيل النبي .

2 (?) تاريخ الإرشاد ص(119 - 120).

3 (?) المصدر السابق (120).

4 (?) تقدم في هذا المبحث.

الأمـير أو له شخصـياً أو لغيرهمـا، وقد تناقل النـاس ذلك في أنحاء اليمن في الجبال و التهائم وحضـرموت وما بين ذلك ومما تنـــاقلوه: الضــــرب ومحاولة القتل بالســـلاح واسـتخدام السم ولكـني في مثل هـذه القضـايا لا أعـول على ما كـان متـداولاً بين النـاس دون أن يكـون مكتوبـاً وعليه فإنني أقتصر على ما ذكره صلاح البكري مما حدث ضد أصـحاب الإرشـاد بإندونيسـيا. فقد قـال تحت عنـوان "محاولة اغتيال رائد النهضة الدينية ":

(حــاول جماعة من آل بــاعلوي اغتيــال الشــيخ أحمد محمد السوركتي، وذلك بدس السم داخل فاكهة تسمى " بلمنبنق " وكــان الشــيخ مولعــاً بأكلها فابتــاع منها كمية وأكلها وبعد لحظات شعر بمغص شديد وأخذ يئن من شدة الألم فاســتدعى طبيبــاً، وبعد الفحص قــرر الطــبيب أنه مسموم، ولولم يسعفه الطبيب بالدواء لذهب الشــيخ إلى رحمة ربه، وهكذا أراد الله تعالى للشيخ أن يعيش ليستمر في تأدية رسالة الإسلام. وفي مدينة بوقـور هـاجم جماعة من العلويين وأنصارهم الشيخ عبد العزيز الكويـتي ضـيف إندونيسـيا ومؤيد الحركة الإرشـادية الحـرة وضـربوه بآلة حــادة في رأسه ولكن عناية الله أحــاطت به وأنقذته من الموت.)[1].

وهنـاك حادثة أخـرى ذكرها ابن عبيد الله وهو يتحـدث عن حاكم تريم، فيقول: (وكان ينكر بطبعه غلو القبوريين، فوافقته آراء الوهابية، وأكثر التعليق بوحيد عصــره، وفريد دهره، مقدم الجماعـة، وشـيخ الصـناعة، الـذي انتهت إليه رياسة العلم بتريم، العلامة الجليل السـيد أبي بكر بن عبد الله الهنـدوان، المتـوفى بـتريم سـنة 1248ه، وقد اتهمه العلويــون بأنه هو الــذي يعلم عبدالله عــوض غرامة آراء الوهابيـــة، ويحثه على الالـــتزام بهـــا، ومؤاخـــذة النـــاس

---

1 (?) تاريخ الإرشاد ص(135).

بمقتضاها، فتآمروا على قتاله، فهرب إلى بيت جبير)[2].

وأما الإمام الشوكاني فقد طالت شكواه من الخصـوم الجهلة والمتعصبة القبورية وغيرهم وذكر أنواعاً من الأذى الـذي حـاولوا أن يلحقـوه به وبغـيره من دعـاة السـنة والتوحيـد، فقـال - رحمه الله -: (ومن عجيب ما أشـرحه لك أنه كان في درس الجامع بعد صلاة العشاء الآخرة في صـحيح البخـاري يحضـره من أهل العلم الـذين مقصـدهم الرواية وإثبات السمع جماعـة، ويحضـره من عامة النـاس جمع جم لقصد الاسـتفادة بالحضـور، فسـمع ذلك وزير رافضي من وزراء الدولة وكـانت له صـولة وقبـول كلمة بحيث لا يخالفـه أحد وله تعلق بـأمر الأجنـاد، فحمله ذلك على أن اسـتدعى رجلاً من المسـاعدين له في مذهبه فنصب له كرسياً في مسـجد من مسـاجد صـنعاء، بمكـان يسرج له الشمع الكثير في ذلك المسجد حتى يصير عجباً من العجب فتسامع به الناس وقصـدوا إليه من كل جـانب لقصد الفرجة والنظر إلى ما لا عهد بـه، والرجل الـذي على الكرسي يملي عليهم في كل وقت ما يتضـمن الثلب لجماعة من الصحابة صانهم الله، ثم لم يكتف ذلك الوزير بـذلك حـتى أغـرى جماعة من الأجنـاد من العبيد وغـيرهم بالوصول إليَّ لقصد الفتنة، فوصلوا وصلاة العشاء الآخـرة قائمة ودخلـوا الجـامع على هيئة منكـرة وشـاهدتهم عند وصولهم، فلما فرغت الصلاة قال لي جماعة من معـارفي إنه يحسن تـرك الإملاء تلك الليلة في البخـاري فلم تطب نفسي بذلك، واسـتعنت بالله وتـوكلت عليـه، وقعـدت في المكـان المعتـاد، وقد حضر بعض التلاميذ وبعضـهم لم يحضر تلك الليلة لمَّا شـاهدَ وصـول أولئك الأجنـاد، ولما عقـدت الـدرس وأخـذت في الإملاء رأيت أولئك يـدورون حـول الحلقة من جـانب إلى جـانب و يقعقعـون بالسـلاح

---

2 (?) إدام القوت ص(122). الحلقة (40) من مجلة العرب.

ويضربون سلاح بعضهم في بعض، ثم ذهبوا ولم يقع شيء بمعونة الله تعالى وفضله ووقايته. ثم أن ذلك الوزير أكثر السعاية إلى المقام الإمامي هو ومن يوافقه في هواه و يطابقه في اعتقاده من أعوان الدولة واستعانوا برسائل بعضها من علماء السوء، وبعضها من جماعة من المقصرين الذين يظنهم من لا خبرة له في عداد أهل العلم. وحاصل ما في تلك الرسائل إني قد أردت تبديل مذهب أهل البيت عليهم السلام، وأنه إذا لم يتدارك ذلك الخليفة بطل مذهب آبائه ونحو هذا من العبارات المفتراة والكلمات الخشنة والأكاذيب الملفقة. ولقد وقفت على رسالة منها لبعض أهل العلم ممن جمعني وإياه طلب العلم ونظمنا جميعاً عقد المودة وسابق الألفة فرأيته يقول فيها مخاطباً لإمام العصر: إن الذي ينبغي له ويجب عليه أن يأمر جماعة يكبسون منزلي ويهجمون مسكني، ويأخذون ما فيه من الكتب المتضمنة لما يوجب العقوبة من الاجتهادات المخالفة للمذهب، فلما وقفت على ذلك قضيت منه العجب، ولولا أن تلك الرسالة بخطه المعروف لديَّ لما صدقت، وفيها من هذا الزور والبهت الكلمات الفظيعة شيء كثير، وهي في نحو ثلاثة كراريس، وعند تحرير هذه الأحرف قد انتقم الله منه فشَّردَه إمام العصر إلى جزيرة من جزائر البحر مقروناً في السلاسل بجماعة من السوقة وأهل الحرف الدنيئة وأهلكه الله في تلك الجزيرة، ولا يظلم ربك أحداً)[1].

المطلب الرابع: تشويه صورة الخصم بالإشاعات الكاذبة:

هذا مسلك لأهل الباطل قديم، فأعداء الرسل قد

---

1 (?) أدب الطلب ص (32-33)للإمام محمد بن علي الشوكاني، تحقيق مركز الدراسات والأبحاث اليمنية صنعاء.

استخدموه وقريش قد أكثرت منه لتشويه صـورة النـبي ﷺ فقالت " سـاحر " و"شـاعر " و " مجنـون " و: كـذاب " و ﴿**إنما يعلمه بشر**﴾[1] إلخ تلك الألقـــــــــاب الكاذبة والإشـاعات المغرضة المضـللة، ومـازال ذلك شـأنهم مع العلماء القـائمين مقـام النـبي ﷺ والـوارثين لـه، وهو نفسه يتكـــرر مع علمـــاء اليمن ودعاته كلما واجهـــوا جهّـــال ومنحرفي قومهم في سائر أنحاء اليمن، فأئمة التجديد قد عـــانوا أشد المعانـــاة من ذلك المســـلك الظـــالم لـــدى خصـومهم، وعـبروا عنه بأسـاليب مختلفـة، يقـول العلامة الإمام محمد بن إبراهيم الوزير حاكياً ما لقيه من متعصـبة عصره: (وإني لما تمسكت بعروة السنن الوثيقة، وسلكت سنن الطريقة العتيقة، تناولتني الألسـنة البذيئة من أعـداء السـنة النبويـة، ونسـبوني إلى دعـوى في العلم كبـيرة، وأمور غـير ذلك كثـيرة حرصـاً على ألا يُتَّبَع ما دعـوت إليه من العمل بسـنة سـيد المرسـلين والخلفـاء الراشـدين والسلف الصالحين، فصبرت على الأذى وعلمت أن الناس مازالوا هكذا:

ما ســـلم الله من بريته ... ولا نـــبي الهـدى فكيف أنا)[2]

ثم جاء دور المقبلي ولقي من الأذى ما لقي حتى أنه حين قال بيته المشهور:

قبَّح الإلـــهُ مفرِّقاً ... بين الصــــحابة والقرابة

أجابه أحد غلاة الزيدية فقال:

---

[1] (?) النحل (103).

[2] (?) من مقـال محمد بن إبـراهيم الـوزير وكتابه العواصم و القواصم للقاضي إسماعيل الأكوع(1/21-22).

أطرق كرا فلأنت
يامقبلي أحقر من ذبابة

وقال الآخر:

المقبلي أعمى الشقا
ناصبي بصره

فـــــرق ما وأخيه
بين النبي حيدره

لا تعجبـــوا للعـــــترة
من بغضه المطهرة

فأمه لكن أبـــوه
معرفة نكره[1]

والــبيت الأول فيه وقاحة وخســـة، والأبيـــات الأخـــرى فيها قـــذف له ولأمـــه. وقد أعـــرب الإمـــام العلامة محمد بن إســـماعيل عن ذلك و شـــكى منه أمر الشكوى قال في قصيدته النجدية:

وأقبح من كل ابتـــــداع سمعته
وأنكاه للقلب الموفق للرشد

مـــذاهب من رام الخلاف لبعضها
يعض بأنيـــــــاب الأساود والأسد

يصب عليه سوط ذم و غيبة
ويجفـوه من قد كان يهواه عن عمد (4)

ويعـــزى إليه كل مالا يقوله
لتنقيصه عند التهامي والنجدي

فيرميه أهل الرفض بالنصب فرية
ويرميه أهل النصب بـــــــالرفض والجحد

وليس له ذنب
يتـــابع قـــول الله

---

1 (?) هجر العلم (1/271).

سوى أنه غدا في الحل والعقد
ويتبع أقوال النــبي محمد وهل غـــيره بالله في الشرع من يهدي
لئن عــدّه الجهــال ذنباً فحبذا به حبــــذا يـــوم انفرادي في لحدي[1]

وأما الشــوكاني فقد جمع إلى همه همـوم المتقـدمين عليــه، وشــكى مما أصــابه وأصــابهم وحل به وبهم، وهو لاشك أصدق تعبـيراً فالنائحة الثكلى ليست كالمسـتأجرة، وقد تقدم كلامه في المطلب الثالث فارجع إليه.

وعندما نشب الخلاف بين العلـويين وأصـحاب الإرشـاد في إندونيسيا تفنن العلويون في تشويه ســمعتهم وإطلاق الألقــاب المنفــرة عليهم فكــان مما أطلقــوا عليهم من ألقــاب: (أنهم وهــابيون، ونصـــارى، وأنهم يعملـــون ضد مصالح هولندا وإنجلترا والقعيطي والكثيري، وأنهم خوارج يبغضون أهل البيت)[2].

وهـــذه عبـــارة مقتطعة من رســـالة محمد بن أحمد المحضار إلى يافع في منطقة " يـومي أيـو" في إندونيسيا يقــول أثناءها عن أحد الإرشــاديين: (وصل عنــدكم باعشر العشــير وحمــار الحمــير وخــنزير الخنــازير قطعــوا حباله وصـفعه بـالنكير وخبث الحديد ما يصـفيه إلا الكـير وشـنوا النكـير)[3]. وقد وصـفوهم في رسـالتهم إلى شـريف مكة بما يلي: (وينهــون إلى مقــامكم الســامي أنها نجمت من مدة قريبة من الخوارج في هذه البلاد، عقيـدتها بغض أهل البيت الطاهر وتحقير النبي وبث الدسائس وإيقاد الفتن،

---

1 (?) ديوان الأمير الصـنعاني ص(167) طبع منشـورات المدينة الطبعة الثانية (1407هـ- 1986 م).

2 (?) الأوضاع الاجتماعية والثقافية والاقتصـادية والسياسـية في حضرموت ص (152).

3 (?) تاريخ الإرشاد ص (120).

ولهم من النشرات الجمة ما يبين خبيث قصدهم.[4] هذه شذرات مما صدر عن القوم من تشويه وطعن لخصومهم.

4 (?) المصدر السابق ص (82).

التمهيد: في حفظ الله لهذا الدين بواسطة العلمـاء رغم المكائد والمؤامرات:

لقد تكفل الله تعـالى بحفظ هـذا الـدين وبقائه واستمراره إلى أن يرث الأرض ومن عليها، لا يقضي عليه عدو من الكـافرين، ولايطمس معالمه مبتـدع من المبتدعين، حـتى تغيب السـنة كلهـا، وتحل البدعة محلهـا، قال تعالى: **إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحـافظون** [1]، وقد فصل رسـول الله وسـائل ذلك الحفـظ، فوعد بوجـود طائفة من العلمـاء العـاملين والأخيـار المجاهـدين القـائمين على حفظ هـذا الـدين في قوله : **$لاتــزال طائفة من أمـتي ظـاهرين على الحق لايضـرهم من خذلهم حتى يأتي أمر الله وهم كذلك#**[2].

ولايمنع وجـود هـذه الطائفة القائمة على الحق؛ من تسرب بعض البدع، واندثار بعض السـنن، وانحـراف بعض المفاهيم على مـرور الأيـام؛ لـذلك فقد أخـبر النـبي بأنه بعد كل فـترة، يقيض الله لهـذه الأمة من يجـدد لها دينهـا، فقال: **$إن الله تعالى يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها#**[3].

والحمد لله فقد صـدق الله ورسـوله، وحُفظ الـدين، وجُددت معالمه، رغم هدم الهـادمين وكيد الكائـدين وبـدع المبتـدعين، ولقد حظي اليمن بما سـبق له من عناية الله سـبحانه ولطفه بالحظ الأوفر والنصـيب الأكـبر من ذلـك، وصار مجـددوه وأعلام علمائه ودعاته مجـددين للأمة كلها،

---

1 (?) الحجر (9).

2 (?) تقدم تخريجه ص (108).

3 (?) رواه أبو داود (2/512) كتـاب الملاحم بـاب ما يـذكر في قـرن المائة، والحـاكم (4/542-543) كتـاب الفتن والملاحم.. وانظـر: تصـحيح شـيخنا الألبـاني - رحمه الله - للحـديث في سلسلته الصحيحة (11/150-151).

وليسوا مجددين لليمن وحده، فـرزقهم الله القبـول التـام والثقة المطلقة عند ســائر الطوائف وفي ســائر البلاد الإسلامية، فكتبهم هي من أهم مقـررات جامعـات العـالم الإسلامي المرموقة ومراكزه العلمية، وقد أقبل البـاحثون على دراسة شخصيات المجددين اليمنـيين ومنـاهجهم في العقيـدة والـدعوة والعلـوم المختلفة من تفسـير وحـديث وعقائد وغير ذلك.

وبـــرغم ما ســـلف في الفصل الأول من أســـاليب مختلفة، سلكها القبورية؛ لمواجهة علماء أهل الســنة، وما قاموا به من جهد جهيد وكيد شديد لمواجهة هؤلاء العلماء؛ إلا أن تلك الجهـود والأسـاليب المـاكرة الكثـيرة، كلها لم تفلح في صد العلمـــاء عن معارضـــتهم وكشف ضـــلالهم وبيـان حـالهم، وإن كـانت منـاطق اليمن تختلف في قـوة وضعف تلك المواجهة، فعلمـاء البلاد الزيدية بحكم قـوتهم وكثرتهم وعدم تمكن النفـوذ الـروحي في بلادهم، ولسـعة أفق المذهب الزيدي والفقه الهـادوي وحثه على الاجتهـاد؛ كـانت جهـودهم أكـبر ومـواجهتهم وسـلطان علمهم على القبورية أقهر، وقدشاركوا في مقاومة كل أنـواع القبورية من إسماعيلية وأصـحاب وحـدة الوجـود وعمـوم القبورية مقدسي القبور.

وكان لعلمـاء زبيد موقف مشـرف في صد أهل وحـدة الوجود ومقاومتهم حـتى انـدثر مـذهبهم أو كـاد، وأما بقية المناطق كالجند وما حولها وعـدن وحضـرموت، فقد كانت مـواقفهم أضـعف وأقـل، وذلك أنه وبعد دخـول التصـوف ورسوخه في هذه المناطق في القـرن السـابع وما بعـده، احتـوى المتصـوفة السـاحة العلميـة، وهيمنـوا عليها هيمنة شبه تامة، فالعلم حُصر في قبائل وأسر محددة هي الأسر العلوية التي أصبح كل علمائها من المتصوفة على تفـاوت في غلوهم واعتدالهم فيه، إلا ما ندر، والنادر لاحكم له، ثم

الأسر التي تُوالي هذه القبيلة موالاة تامة، وترى أنها تابعة لها " منطوية فيها " حسب تعبــيرهم، وفي المقابــل فقد أعطى العلويــون لهــذه الأسر امتيــازات كبــيرة مقابل التزامهم بطريقهم، وعملهم على الترويج لأفكارهم وتلميع شخصياتهم؛ ولـذلك فقد أصبح العـالم الـذي يسـتطيع أن يبصر بغير منظارهم، ويصل إلى ما عند غيرهم، أصبح في حـرج عظيم حيث يـرى الحـق، ولايسـتطيع الإفصـاح عنه والعمل بـه، فتجـده يرضخ لما عليه القـوم، وإن كـان في قرارة نفسه منكراً له؛ إلا من أراد الله لهم الخير وهيـأهم لإقامة الحجة وســلوك المحجــة، وتحمل التبعة وهم، أقل من القليـــل، متنـــاثرون عـــبر القـــرون الطويلة والبلاد الشاسعة، ولم يستطع أحد أن يظهر بذلك المظهر حسب علمي إلا في القـــرنين الثـــالث عشر والرابع عشر بعد انتشار الدعوة السلفية في اليمن بواسطة تلاميذ الإمامين ابن الأمير والشوكاني، وكذلك ظهور وانتشار دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب ووصولها إلى تلك المناطق، واتصال بعض علمـــاء هـــذه البلاد بعلمائها في الحجـــاز ونجـــد، واطلاعهم على كتبهم ورسـائلهم، فقد هـزت تلك الـدعوة الجزيـرة العربية كلهـا، وحـركت ذلك الركـود الـذي خيم عليها قروناً طويلة، ووصل أثرها إلى كل أرجائها، بل وكل أرجاء العـالم الإسـلامي، كما أسـهمت حركة الإرشـاد في إندونيسيا بجهود كبيرة في إيقـاظ علمـاء وطلبة العلم في حضـرموت وما جاورهـا، وأزالت كثـيراً من الحجب الـتي كانت تغطي الحقيقة، وحطمت كثيراً من القيود التي كان الناس يرسـفون فيهـا، وأسـقطت تلك الهيبة الـتي صـنعها القبوريــون لأنفســهم وأوليــائهم، وسيّروا بها النــاس كما أرادوا.

هــذا هو مــوجز موقف العلمــاء من القبوريــة، وإليك تفاصيله في المباحث الآتية.

المبحث الأول: موقف العلماء اليمنيين من القبورية الإسماعيلية

وجهودهم المشكورة في مواجهتها

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: موقف العلمـــاء اليمنـــيين من الإسماعيلية:

لم يجمع علماء اليمن ومثقفوه وحكامه على ذم شيء من البــدع الطارئة كإجمـاعهم على كفر ومــروق الطائفة الإســماعيلية الباطنيــة؛ مما حملهم على التصــريح بكفرها ونشر قبائحها، ومحاربتها بشـتى الوسـائل من القتـال إلى الـــردود العلميـــة، ومما يوضح ذلك عبـــارات المـــؤرخين وثورات الفقهاء ومقاومة الأئمة والملوك لها حتى أزالوها، وقضــوا على دولتها وكيانهــا، وإن كــان مقتهم والتصــريح بــالتكفير في حق علي بن الفضل وصـاحبه منصـور اليمن أشـــــهر وأظهر من مقت الصـــــليحي، ومـــــاذاك إلا لأن الصليحي كان أدهى من سابقيه ومستفيداً من أخطائهمـا، فتجنب إظهــــــار الكثــــــير مما أظهر الأولان من العقائد والأفعال الممقوتـة، وكـان بالرعية أرأف وألطـف، وبـذلك كسب شـيئاً من التعـاطف لشخصـيته لا لنحلتـه، وكـذلك الملكة الحـــرة والمعروفة عند العامة ب " الملكة أروى " كـانت ذات شخصــية عظيمة وحنكة سياســية كبـيرة، ثم كونها امــرأة ظهــرت بتلك القــوة وذلك الــدهاء في ذلك العصر، كل ذلك خفف من حـــدة المقت نحو الصـــلحيين كشخصيات.

أما مبادؤهم وعقائدهم فكانت موضع اتفـاق من سـائر اليمنــيين كلهم بمقتها وبــذمها، حــتى لقد نحتــوا من اسم هـــذه الطائفة عبـــارة مختصـــرة فقـــالوا " الســـمعلة "،

وجعلوها شعاراً للذم، والطعن فيمن تطلق عليه.

وهـذه بعض عبـارات المـؤرخين يصـفون دخـول هـذه النحلة إلى اليمن على يد علي بن الفضل وصـاحبه، ومن أوائل المـؤرخين الـذين أبـدوا الموقف اليمـني من هـذه الطائفة العلامة ابن سمرة صـاحب طبقـات فقهـاء اليمن، فقد قـال: ("فصل" ثم لحق بـاليمن كله في آخر المائة الثالثة وأكثر المائة الرابعة فتنتان عظيمتان:

فتنة القرامطة: وقد عمت العـراق والشـام والحجـاز، وإن اختلف تأثيرها في البلـدان فَمَلَـكَ المخلاف اليمـني علي بن الفضل - لعنه الله - وأظهر فيه ما هو منسوب إليه ومشهور عنه على منبر جامع الجند بقوله:

خذي الدف ياهـذه والعـبي وغـني هزاريـكِ ثم اطربي

فذكر القصيدة، ثم قال: (والشـعر طويـل، وكله تحليل محرمـات الشـرع والاسـتهانة بـه، فقتـل أهل اليمن قتلاً ذريعاً قبل هذا، وملك الحصون والأموال العظيمة)[1].

وبعد أن ساق الجندي تاريخ ابن الفضل ومنصور اليمن قال: (قال ابن جرير [2]: وكان عنوان كتاب ابن الفضل إلى أسعد: من باسط الأرض وداحيها ومزلزل الجبال ومرسيها علي بن الفضل إلى عبده أسعد بن أبي يعفر، وكفى بهـذا الكلام دليلاً على كفره، فنسأل الله العصمة) [3].

وقـال الخـزرجي في العسـجد المسـبوك بعد أن ذكر

1 (?) طبقات فقهاء اليمن ص(75-76)

2 2ابن جرير هو: إسحاق بن يحيى بن جرير الطبري الصنعاني، توفي سنة (450 هـ) صاحب تاريخ صنعاء، وقد قال الأكـوع في تعليقه على السلوك (1/210): أنه لم يعثر على هـذه الرسـالة فيما لديه من تـاريخ ابن جريـر، وأنا كـذلك لم أعـثر عليها في النسخة المطبوعة غير أن ابن جرير كان لا يذكر ابن الفضل إلا وقال (لعنه الله).

3 3 السلوك (1/210).

طرفاً من أخبار منصور وعلى بن الفضل: (فلما صار علي بن الفضل في صـــــنعاء أظهر مذهبه الخـــــبيث ودينه المشــؤوم، وارتكب محظــورات الشــرع، وادعى النبــوة، وكان المؤذن يؤذن في مجلسه أشهد أن علي بن الفضــل رسول اللـه، وأبـاح لأصـحابه شـرب الخمر ونكـاح البنـات وسائر المحرمات) [4]، وقد نقل ابن الـديبع كلام الخــزرجي بنصه دون أن يعزوه إليه، وهو إقرارله [5].

وقال الأكوع في تعليقه على قـرة العيـون: (القرامطة فرقة من الباطنية، واحدها قِرْمِطي بكسر القاف وسكون الـــراء وكسر الميم بعـــدها طـــاء مهملة ويـــاء النســـبة، والقرمطة تقــارب الشــيء بعضه من بعض، يقــال "خط مقرمط " إذا كان متقارب الحــروف و" ومشي مقرمط " أي متقارب الخطو، سمي به أبو سعيد الأشعب؛ لأنه كـان قصيراً دميمـاً مجتمع الخلق أسـمر كريهـاً؛ فلـذلك سـمي قرمطيــاً. فنســبت إليه القرامطة لأتباعــه، قــال الإمــام نشـوان[1]: والقرمطة عند أهل اليمن عبـارة عن الزندقـة، وصاحبها عندهم قرمطي، وجمعه قرامط، وقرامطة.

قلت: وهي منظمة سرية خطـيرة، تكـونت من جماعة فارسية من المجوس، اندست بين المسـلمين متظـاهرين بالـدين والـورع، وهـدفها تقـويض دعـائم الإسـلام وإعـادة الســيادة الفارســية، ثم اتخــذت التشــيع لها شــعاراً لما أعجزتها الحيــل. وكــان منشــؤها بفــارس ولها خلايا بكل

---

4 العسجد ص(39).

5 قرة العيون ص (142).

1 (?) نشوان بن سعيد الحميري، تـوفي سـنة (573 هــ). انظـر: الأعلام (8/20)، ومقدمة الحـور العين لنشـوان الحمـيري ص(16-ــ 25) تحقيق كمـــال مصـــطفى طبع دار آزال بـــيروت، والمكتبة اليمنية صــنعاء الطبعة الثانيــة(1985م) والســلوك (1/92 9).

مكان، ثم امتدت جذورها إلى العراق وكْرَ التشيع، وأصبح مركزاً هاماً لبث دعوتهم في ظل البكاء والعويل على ما نال أهل البيت من التشريد والتنكيل، وألفوا قلوباً حانية على هذا المبدأ الذي استهوى بريقه ضعفة النفوس والسذج من الناس، واعتنقه البعض عن طيب خاطر وسماحة نفس بدون مناقشات للغايات والأهداف، والبعض اعتنقه طمعاً في الوصول إلى المناصب والجاه والمال، واستفحل أمر هذه العصابة، وعمَّ خطرها، وتطاير شررها، وقُوضت ممالك، وكانت فتنة صماء، جرّت على الإسلام والمسلمين ويلات وحروب لا ينادي وليدها، ونال منها اليمن شرارة انطفأت بعد حين)[1].

ويقول نشوان بن سعيد، وهو من علماء ومؤرخي الزيدية: (وسار علي بن الفضل الخنفري إلى أرض يافع، فاشتدت وطأته باليمن، واستولى على أكثر مخاليفه، وأعلن بالكفر، وأحل جميع المحرمات، وخرب المساجد، وكان يدّعي أنه نبي)، ثم ذكر بعض تلك الأبيات، ثم قال: (وابن الفضل أول من سنَّ القرمطة في اليمن، والقرمطة عند أهل اليمن عبارة عن الزندقة، وصاحبها عندهم قرمطي، فجمعه قرامطة)[2].

أما القاضي حسين بن أحمد العرشي، وهو كذلك من علماء ومؤرخي الزيدية، فقد أطال في بيان حالهم وكشف عوارهم والتحذير منهم، فقال: (اعلم أن الباطنية - أخزاهم الله تعالى- أضر على الإسلام من عبدة الأوثان، وسموا بها؛ لأنهم يبطنون الكفر، ويتظاهرون بالإسلام، ويختفون حتى تمكنهم الوثبة، وإظهار الكفر، وهم ملاحدة بالإجماع، ويسمون " بالإسماعيلية "؛ لأنهم ينسبون أئمتهم المستورين فيما يزعمون إلى إسماعيل بن جعفر

---

1 (?) قرة العيون تعليقاً ص(122-123).
2 (?) الحور العين ص (253-254).

الصـادق، و "بالعبيدية "؛ لـدعائهم إلى عبدالله بن ميمـون القــداح الــذي نسبته الباطنية إلى مــايزعمون من الأئمة المستورين.

والعبيديون من أولاد عبيداللـه، وِلاة مصر ذلك الـزمن، والآن يسـمون "شيعة"؛ لكـونهم مظهـرين أن أئمتهم من أولاد الرسول، حين عرفوا أنه لا يستقيم لهم إمالة الحـق، والـدخول إلى دهلـيز الكفـر، إلا بإظهـار المحبة والتشـيع، ولهم قضايا شنيعة وأعمال فظيعة، كالإباحية وغيرهـا، وقد تابعهم على ذلك من ذهب عنه النـور الإيمـاني، واسـتولى على قلبه الهوى الشيطاني، وهم مع ذلك ينكرون القــرآن والنبـوة والجنة والنـار، ولـولا أن حيـاتهم معلومة عنـدهم، مرتبة بينهم لأنكروها.

وعلى الجملة فـدينهم النجــوم، وظــواهرهم التخــوم، ولايكــاد يظهر مــذهبهم لأتبــاعهم إلا لمن رسخ دينهم في قلبـه، وتـراهم إذا وجـدوا لأنفسـهم قـوة أظهـروا أمـرهم، وأعلنوا كفرهم، فإن غُلبوا ولم تساعدهم الأيام، كمنوا كما تكمن الحية في جحرهــا، وهم مع ذلك يؤملــون الهجــوم والوثبـــة، وأن ينهشـــوا عبــاد اللـــه، وقد أفصح السيد " الــدافعاني " عن أطــراف من أحــوالهم في رســالته بعد اختلاطه بهم، وتردده عليهم، ولا ينبغي لذي معرفة وقــوة، أن يعرف منهم أحـداً يقتدرعليـه، فيتركه وشـأنه، فـإنهم -أهلكهم الله تعالى-شياطين الأرض)[1].

وكلامه عـــام يشـــمل ابن الفضل ومنصــــور اليمن والصــليحيين، بل إنه قد بين في مقدمة كتابه هــذا أن من جملة ما حمله على تأليفه أنه سمع راوياً يروي عن أناس، وذُكر عنـــدهم بنو الصــــليحي، وما فعلـــوه من جوامع وصــدقات، فــترحموا عليهم جهلاً بــأنهم دعــاة الباطنية وأصــحاب الطائفة العبيديــة، فقلت: الآن اتخذ الجهل من

---

1 (?) بلوغ المرام ص(21-22).

النـــاس مأخـــذه، وفتح لهم فـــاه، وأطبق نواجـــذه، فقلت قصـيدة مسـتغربة وكلمة منظومة معربـة، سـميتها مسك الختام)[1].

هـــــذا هو موقف علمـــــاء ومـــــؤرخي اليمن من الإسماعليلية، وهو مع ما فيه من المقت لهم وتكفـيرهم لا يـرقى إلى المسـتوى المطلـوب الـذي يجب أن يصل إليه الرد والبيان لحـالهم وسـوء معتقـدهم وخطـورة مكائـدهم ودسائسهم، وربما كـان للأولين العـذر في ذلك كـونهم قد حـاربوهم حربـاً عسـكرية وسياسـية حـتى أزالـوا دولهم، وطهروا اليمن من وجودهم.

ولكن يجب ألا يخفى على علمـــــاء اليمن وحكامه أن مجـــرد زوال دولة الباطنية لا يكفي، فـــدولتهم قد زالت قـديماً بـزوال ابن الفضل ومنصـور اليمن وأتباعـه، ولكن نارها مـــازالت تـــدب تحت الرمـــاد حـــتى مـــرت بها ريح الصليحي، فأشعلتها أقوى من ذي قبل، وملك جميع اليمن كما هو معلــوم، ثم زالت دولتـــه، وبقي فكـــره وعقائـــده ودعوته، وبقي دعاته يخلف بعضـهم بعضـاً، ويوصي بحفظ الدعوة والحفـاظ عليها في دور السـتر كما يقولـون حـتى يحين دور الظهــور الجديـــد، وبقيت كتبهم متـــوفرة، وهي أعظم ما يقــوم عليه منهج الإسـماعيلية في العـالم كلـه، هـــذه الكتب محفوظة كما يؤكِّد ذلك الـــدكتور حســـين الهمداني في مكتبة الجامع الكبير بصنعاء وبعض المكتبات الخاصة وبعض المتاحف ودور الكتب العالميـة، وقد بـدأت موجة إحياء لهذه الكتب ونشر وتحقيق في أكـثر من بلـد؛ وذلك للتحـول الجديد في العـالم وطغيـان الحرية الفكرية والعقائديـــة، فبعد أن كـــان الباطنية يتخفــون غاية التخفي بعقائدهم، ويخفون كتبهم عن أهل نحلتهم حتى يصلوا إلى مســتوى معين من الفهم والقناعة بما لـــديهم، أصـــبحوا

1 (?) المصدر السابق ص(4).

اليــوم يتباهون بما هم عليــه، وينشــرون تلك الكتب على الملأ، ويتظاهر بعض البـاحثين بانتسـابه إليهم، ويـؤرخ لهم مادحـــاً شـــارحاً لبعض قضـــاياهم الـــتي كـــانت في غاية السرية.

إذاً هــذا الفكر الضــال والمعســول في نفس الــوقت الـذي ينبـني على الفلسـفة والخطـاب العقلي والعـاطفي في آنٍ واحــد، جــدير بالاهتمــام والحــذر واتخــاذ التــدابير الواقية من بعثه وافتتان الناس به في المستقبل.

واســـمع إلى الـــدكتور حســـين الهمـــداني، وهو أحد الباحثين الباطنية الإسماعيلية المحـدثين، وهو يمـني حيث يقول في كتابه "الصـليحيون والحركة الفاطمية في اليمن " تحت عنـــوان " الـــثروة العلمية الفاطمية في اليمن": (ترى أن دعوة اليمن مضت من يوم وفاة الســيدة الحــرة الملكة الصـليحية إلى انتهـاء الدولة الأيوبية في اليمن في مرحلة تمتاز بنشاط علمي وجمع شـتات الـتراث الفكـري وتســجيلها في كتب ومؤلفــات وحفظ ما تركه المؤلفــون الـــدعاة في عهد الخلفـــاء الفـــاطميين، وقد بـــدأت هـــذه الحركة العلمية في حيــاة الملك المكــرم والملكة الحــرة بعد عودة قاضي قضاة اليمن لمك بن مالك الحمــادي من الديار المصـرية إلى مقر الدولة الصـليحية، وقد سـبق أن ذكرنا أن داعي الدعاة المؤيد في الـدين الشـيرازي، قــرر في أواخر عهد الخليفة المستنصر بالله الفاطمي خطــوط برنـــامج الـــدعوة العلمي، وكلف القاضي لمك تنفيذ هـــذا البرنامج، ونقل القاضي كتب الدعوة وما احتوته من علوم إلى اليمن، ثم قــررت الســيدة الملكة الحــرة بعد وصــول القاضي إلى اليمن فصل الـــدعوة من شـــؤون الملـــك. وعينت الملكة يحيى بن لمك والداعي الــذؤيب بن موسى الوادعي للاشراف على تنفيذ هذا المشروع العلمي البعيد عن التيــارات السياســية. فابتــدأت الــدعوة تعمل لهــذا

الغـرض في عهد الـداعي الـذؤيب بن موسى الـوادعي، ومأذونه السـلطان الخطـاب بن الحسن الحجـوري، ثم أظهر الـداعي إبـراهيم بن الحسـين الحامـدي ومأذونه الشـيخ علي بن الحسـين بن جعفر بن الوليد القرشـي، والشـيخ محمد بن طـاهر الحـارثي نشـاطاً بليغـاً في هـذا الصدد، وبلغ الداعي حاتم بن إبراهيم الحامدي، والـوادعي علي بن محمد بن الوليد من إنتاجهما الأدبي مبلغـاً لايستهان بـه. وأثبت الـداعي علي بن حنظلة خلاصة بعض علـوم الـدعوة في رسـالته وأرجوزتـه. وقد واصل علمـاء اليمن هـذا النشـاط العلمي في القـرون التالية إلى عهد الداعي إدريس عماد الدين الأنف القرشي، المتوفى سـنة اثنـتين وسـبعين وثمانمائـة، بل إلى أيامنا هـذه، ومن هـذا العـرض السـريع نأخذ فكـرة عما يوجد من الـثروة الأدبية والعلمية في خزائن كتب الدعوة اليمنية)[1].

كما أن الأستاذ عبدالله الحبشي ذكر في كتابه مصـادر الفكر العـربي الإسـلامي في اليمن ذكر سـتة عشر داعيـاً ومؤلفاً من دعاة الإسماعيلية اليمنيين الـذين خلفـوا ثـروة علمية وعقائدية ضـخمة، كلها يقصد بها تعميق وترسـيخ الفكر والعقيدة الإسماعيلية لدى اليمنيين[2].

ذلك المخزون الفكري وإن كـان ضـالاً غـير مستسـاغ لـدى العقلاء، فإنه قد يستسـاغ لـدى الجهلاء، ولـدى المفتونين بالغرائب، ولدى المندسين الذين دأبوا على بث الفتن والشقاق من خلال العقائد الضالة والأفكار الهدامة. هـذا بالإضـافة إلى الاهتمـام الكبـير والمتزايد بـاليمن من

---

1 (?) الصليحيون ص(297-298)

2 (?) مصادر الفكر العربي والإسلامي في اليمن تـأليف عبد الله محمد الحبشي الصـفحات (95) و (100) و (102) و (106) و (111) و (112) و (11) و (121) و (123) و (125) و (126) طبع مركز الدراسات اليمنية صنعاء.

قبل هـذه الطائفة هـذه الأيـام، وما يعتمل داخل تجمعـات هــذه الطائفة في منــاطق تواجــدها وعلاقاتها المريبة مع جهـــات أجنبيـــة، ربما عملت على زعـــزعت أمن اليمن واستقراره.

وكذلك الظاهرة التي بـرزت في السـنوات الأخـيرة ما يسمى لدى تلك الطائفة في الخـارج " الحج إلى اليمن "؛ وذلك لتتبع قبــور دعــاتهم في منــاطق مختلفة في اليمن، سبقت الإشارة إلى بعض منهـا، ومما يـدل أن وراء الأكمة ما وراءهـــا، أنهم لم يقتصـــروا على زيـــارة تلك القبـــور والانصـــراف عنهـــا، ولكنهم يشـــترون ما حولها من أرض ودور ومدارس وأي شيء، حتى يتحـول الضـريح وما حوله إلى ملك خـاص بهم، يقيمـون فيه المسـاكن في الظـاهر، ولا نـــدري ما وراء المســـاكن، وقد شـــاهدت قـــبراً لهم معظماً في زبيد، وقد ملكـوا سـكناً واسـعاً بجـواره، فـإذا جاءوا للزيارة نزلوا فيه، وانطلقوا منه إلى بقية المزارات، كما رأيت قـــبراً آخر في قرية الحمى من نـــواحي زبيـــد، يسمونه قبر " حضرة خواجه أويس القرني عاشق رسـول الله " هكذا مكتوب عليـه، وقد دخلته وهو ضـمن مبـاني مدرسة صغيرة قديمة، فاشتروا حسب إفادة بعض أهـالي المنطقة مسـاحة من الأرض، وبنـوا عليها مدرسة جديـدة على أن تكون المدرسة القديمة والقـبر لهم، ورأيت قـبراً عالياً مغطى بثوب موشى، لعله من الحرير مطـرز بآيـات من القـــرآن وبعض العبـــارات الأخـــرى، وهو في غاية من النظافة، ومفروش بفراش من السجاد والبخور يفـوح منه مما يلقي له مهابة في نفس الزائر.

فهـذه الأمـاكن، ما يـدرينا أنها تتحـول إلى مقـار للفتنة والمؤامرة في يوم من الأيـام! وهل كـانت بـدايات اليهـود المهاجرين إلى فلسطين إلا بهذه المثابة؟ أوَ ما نخشى أن يأتي يوم يقال فيه لابد من وطن قومي لهذه الطائفة؟

ولا يسعني في نهاية هذا المطلب إلا أن أسجِّل تحذيري للعلماء وللحكام ولكل غيور على أمن اليمن وسلامته واستقراره:

أرى خلل الرماد وميضَ نارٍ ويوشك أن يكونَ لها ضرامٌ

لئن لم يطفها عقلاءُ قومي يكون ضرامها جثثٌ و هامُ

المطلب الثاني: أبرز الأعلام الذين واجهوا الإسماعيلية من علماء اليمن:

سبقت الإشارة إلى ضعف المواجهة العلمية لهذه الطائفة، ولكن مع ذلك فإن علماء اليمن لم تخلُ الساحة تماماً منهم و من الردود وبيان فساد عقائد ومناهج هذه الطائفة، ومن المؤمل أن يقوم العلماء المعاصرون بسد ذلك النقص.

العلم الأول

محمد بن مالك بن أبي القبائل[1] الحمادي

هذا الإمام هو أشهر من رد على الإسماعيلية من اليمنيين، بل إن رسالته أصبحت مرجعاً لكل من يكتب عنهم، وهو الفقيه أبو عبدالله محمد بن مالك بن أبي القبائل الحمادي المعافري، والذي لم يُعثر له على ترجمة، كما أكد ذلك القاضي محمد بن علي الأكوع في مقدمة كتابه[(2)] غير أن الجندي قد أفاد ما يأتي في ترجمة علي بن الفضل: (على ما ذكره الفقيه أبو عبدالله محمد بن مالك بن أبي الفضائل أحد فقهاء اليمن وعلماء السنة،

---

1 (?) ابن أبي القبائل هذا الذي ذكره الأكوع في تحقيقه لكتابه كشف أسرار الباطنية، وذكره فؤاد سيد في تحقيقه لكتاب طبقات فقهاء اليمن لابن سمرة الجعدي ص(78)، ومنهم من ذكره بابن أبي الفضائل والله تعالى أعلم.

2 (?) كشف أسرار الباطنية ص(45).

وكان ممن دخل في مذهبهما - منصور وابن الفضل - أيام الصليحي، وتحقق أصل مذهبهما، فلما تحقق فســاده رجع عنه، وعمل رسالة مشـهورة، يخـبر بأصل مـذهبهم، ويبِيْن عوارهم ويحذر من الاغترار بهم)[1]، وقد اســتنبط القاضي الأكـوع أن وفـاة الحمـادي كـانت في أيـام علي بن محمد الصليحي ما بين عـامَي (439ه -459 هــ) حيث لم يـدرك مقتل الصليحي سنة (459 هـ).

وكتـاب الحمـادي من أهم الكتب الكاشـفة عن حقيقة الإسـماعيلية في اليمن، بل هو أهمهـا؛ وذلك لمـا انطـوى عليه من مشـاهدة واحتكـاك وخـبرة من الـداخل، قـال - رحمه الله - في فاتحة كتابـــــه: (قـــــال محمد بن مالك - رحمة الله تعـالى عليه -: اعلمـوا أيها النـاس المسـلمون، عصـــمكم الله بالإســلام، وجنبنا وإيــاكم طـــرق الآثـــام، وأرشدكم، ووفقكم لمرضاته، و سـددكم، إني كنت أسـمع ما يقال عن هذا الرجل الصليحي كما يسمعون، وما يتكلم به عليه من سيء الإذاعة وقبح الشناعة، فإذا قال القائل: هو يفعل، ويصنع، قلت: أنت تشـهد عليه غـداً، فيقـول: ما شـهدت، ولا عــاينت، بل أقــول كما يقـول النــاس. فكنت أتعجب من هذا أولاً، ولا أكاد أصدق، ولا أكذب ما قد أجمع عليه النـاس، ونطقت به الألسـن، فتـارة أقـول هـذا ما لا يفعله أحد من العرب والعجم، ولا سمع به فيما تقــدم في سالف الأمم، إنما هذه عـداوة له من النـاس للمـآل الـذي بلغه من غــير أصل ولا أســاس، وكنت كثــيراً ما أســمعه يقول: حكم الله لنا علىمن يظلمنا، ويرمينا بما ليس فينا.

فرأيت أن أدخل في مذهبـه؛ لأتيقن صـدق ما قيل فيه من كذبه؛ ولأطلع على سرائره وكتبه، فلما تصفحت جميع ما فيها، وعرفت معانيها، رأيت أن أبرهن على ذلك؛ ليعلم المسلمون عمدة مقالته، وأكشف لهم عن كفره وضلالته؛

---

1 (?) السلوك (1/201).

نصيحة لله وللمسلمين؛ وتحذيراً ممن يحاول بغض هذا الدين، والله موهن كيد الكافرين.

فأول ما أشهد به وأشرحه، وأبينه للمسلمين وأوضحه، أن له نوّاباً يسميهم الدعاة المأذونين، وآخرين يلقبهم بالمكلبين تشبيهاً بكلاب الصيد؛ لأنهم ينصبون للناس الحبائل، ويكيدونهم بالغوائل، وينقبضون عن كل عاقل، ويلبِّسون على كل جاهل، بكلمة حق يراد بها باطل. يحضّونهم على شرائع الإسلام، من الصلاة والزكاة والصيام كالذي ينثر الحب للطير؛ ليقع في شراكه، فيقيم أكثر من سنة يمعنون به وينظرون صبره، ويتصفحون أمره، ويخدعونه بروايات عن النبي محرفة، وأقوال مزخرفة، ويتلون عليه القرآن على غير وجهه، ويحرفون الكلم عن مواضعه، فإذا رأوا منه الانهماك والركون والقبول والإعجاب بجميع ما يعملونه والانقياد لما يأمرونه، قالوا حينئذٍ: اكشف عن السرائر، ولاترض لنفسك، ولاتقنع بما قد قنع به العوام من الظواهر، وتدبر القرآن ورموزه، واعرف مثله وممثوله، واعرف معاني الصلاة والطهارة، وماروي عن النبي بالرموز والإشارة، دون التصريح في ذلك والعبارة، فإنما جميع ما عليه الناس أمثال مضروبة، لممثولات محجوبة، فاعرف الصلاة وما فيها، وقف على باطنها ومعانيها، فإن العمل بغير علم لاينتفع به صاحبه، فيقول: عمَّ أسأل، فيقول: قال الله تعالى: **وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة** [1]، فالزكاة مفروضة في كل عام مرة، وكذلك الصلاة من صلاها مرة في السنة فقد أقام الصلاة بغير تكرار، وأيضاً فالصلاة والزكاة لها باطن؛ لأن الصلاة صلاتان، والزكاة زكاتان، والصوم صومان، والحج حجان، وما خلق الله - سبحانه - من ظاهر إلا وله باطن،

---

1 (?) البقرة (43).

يدل على ذلك: ﴿ **وذروا ظاهر الإثم وباطنه**﴾ [1] ﴿ **قل إنما حـرم ربي الفـواحش مـاظهر منها وما بطن** ﴾[2]، ألا تــرى أن البيضة لها ظــاهر وبــاطن، فالظــاهر ما تسـاوى به النـاس وعرفه الخـاص والعـام، وأما البـاطن فقصر علم النــاس به عن العلم به، فلا يعرفه إلا القليــل، من ذلك قولـه: ﴿ **وما آمن معه إلا قليل** ﴾[3]، وقولـه: ﴿ **وقليــلٌ مــاهم** ﴾[4]، وقولــه: ﴿ **وقليــلٌ من عبــادي الشكور** ﴾[5]، فالأقل من الأكثر الذين لاعقول لهم)[6].

وقد بدأ كتابه بذكر الـدعاة المـأذونين، وكيفية قيـامهم بتلك الــدعوة، وكيف يؤوِّلــون، ويعلمــون النــاس أن لكل شــيء ظــاهراً وباطنــاً، فالصــلاة لها بــاطن والزكــاة لها بــاطن... إلخ، ثم ذكر تــدرجهم بالمــدعو حــتى يصل إلى الدرجة التي يبيح له الإمام المـبيت مع زوجـة الـداعي، ثم مع زوجات الواصلين إلى تلك الرتب العالية عنــدهم[7]؛ ثم ذكر المشـهد الأعظم وما فيه من إباحيـة، ثم يختم الفصل بقوله: (قال محمد بن مالك - رحمه الله تعـالى -: هـذا ما اطلعت عليه من كفــرهم وضـلالتهم، والله - تعـالى - لهم بالمرصاد، والله - تعالى - عليَّ شـهيد بجميع ما ذكرته مما اطلعت عليه من فعلهم وكفـــرهم وجهلهم، والله يشـــهد عليَّ بجميع ما ذكرته عـــالم بـــه، ومن تكلم عليهم بباطل فعليه لعنة الله واللاعـــنين والملائكة والنـــاس أجمعين، وأخـــزى الله من كـــذب عليهم، وأعد له جهنم وســـاءت

---

1 (?) الأنعام (120).
2 (?) الأعراف (33).
3 (?) هود (40).
4 (?) سورة ص (24).
5 (?) سبأ (13).
6 (?) كشف اسرار الباطنية وأسرار القرامطة ص(63 - 65).
7 (?). المصدر السابق ص(69).

مصيراً، ومن حكى عنهم بغير ما هم عليه، فهو يخــرج من حول الله وقوته إلى حول الشيطان وقوته.

فأديت هذه النصيحة للمســلمين حسب ما أوجب علي من حفظ هـذه الشـهادة، فـإن الله - سـبحانه -أمر بحفظ الشهادة ومراعاتها وأدائها إلى من لم يسمعها، قـال الله : **سُتكتب شهادتهم ويسئلون** [1]، والله أسـأله أن يتوفانا مســلمين، ولايــنزع عنا الإســلام بعد أن أتانا بمنه ورحمته)[2].

ثم قـــال تحت عنـــوان " المقالة في أصل الـــدعوة الملعونة ": (وقد رأيت أيها النـــاس، وفقنا الله وإيـــاكم للصـواب، وجنبنا وإيـاكم طـرق الكفر والارتيـاب، أن أذكر أخبار هذه الدعوة الملعونة؛ لئلا يميل إلى مـذهبهم مائـل، ولا يصبو إلى مقالتهم لبيب عاقل، ويكـون في هـذا القـدر من الكلام في هذا الكتاب إنذار لمن نظـره، وإعـذار لمن، وقف عليه واعتــبره)[3]، ثم ابتــدأ في تــاريخ تلك الــدعوة وأخبارها إلى آخر الكتاب.

والكتاب يعد من أهم وأقدم المراجع المؤرخة للباطنية والكاشـفة عن حقـائقهم خصوصـاً باطنية اليمن؛ ولـذا فلا يحصى من نقل عنه قديماً وحديثاً، وقد طبع عدة طبعــات من آخرها وأفضــلها طبعة " مركز الدراســات والبحــوث اليمـني " بتحقيــق القاضي محمد بن علي الأكـوع سـنة (1415 هـ).

ولقد حاول البعض التشـكيك في بعض ما احتـوى عليه الكتاب، إما باعتبـار ذلك غـير معقـول، أو بـدافع قـومي أو وطني، ولكن الشهادة التي صدّره بها القاضي الأكـوع عن المقريزي تشهد للحمادي بصدق ما ذكـره، وكـذلك يشـهد

---

1 (?) الزخرف (19).

2 (?) المصدر السابق ص(70).

3 (?) المصدر السابق ص(70 - 71)

له كثـير من النقـول عن كتب الإسـماعيلية أنفسـهم الـتي أوردها الباحث الكبير إحسان إلهي ظهـير في كتابه الفذ " الإسـماعيلية تـاريخ وعقائد " ومن أراد التأكد فلـيرجع إليه في البـاب السـادس " الإسـماعيلية والتأويل البـاطني "[1] و" الإسماعيلية ونسخ شريعة محمد صلوات الله عليه"[2]، إلا موضـــوع " المشـــهد الأعظم " أي جمع الرجـــال مع النساء، وكذلك المبيت مع زوجة الداعي وزوجات من يليه فلم أجـد إلى الآن ما يشـهد له فلا أسـتطيع الجـزم بإثباته كما لا أستطيع نفيه.

العلم الثاني

الإمام يحيى بن حمزة

وهو الإمـــام المؤيد بالله يحـــيى بن حمـــزة بن علي، ينتهي نسبه إلى الحسـين بن علي، وهو خلاف أكـثر أئمة اليمن الذين يرجعـون إلى الحسن بن علي ، ولد بصـنعاء سـنة (669 هــ) (واشـتغل بالمعـارف العلمية وهو صـبي، فأخذ من جميع أنواعها على أكـابر علمـاء الـديار اليمنيـة، وتبحر في جميع العلـوم، وفـاق أقرانـه، وصـنف التصانيف الحافلة في جميع الفنون)[3]، (وهو من أكـــابر أئمة الزيدية بالـديار اليمنيـة، وله ميل إلى الإنصـاف مع طهـارة لسـان وسلامة صدر وعدم إقدام على التكفير والتفسيق بالتأويل ومبالغة في الحمل على الســلامة على وجه حســن، وهو كثير الـذب عن أعـراض الصـحابة المصـونة ، وعن أكـابر علمـاء الطوائف رحمهم اللـه)[4]، وله في ذلك " الرسـالة

---

1 (?) الإسماعيلية تاريخ وعقائد ص(473 - 538)

2 (?) المصدر السابق ص(546 - 592)

3 (?) البدر الطالع (2/331)

4 (?) المصدر السابق (2/332)

الوازعة للمعتدين عن سب أصحاب سيد المرسلين "[1].

وكتبه كثيرة جداً، أوصلها بعضهم إلى مئة مجلد، ومنها رسالتاه اللتان رد فيهما على الباطنية، وهما " الإفحام لأفئدة الباطنية الطغام " و " مشكاة الأنوار الهادمة لقواعد الباطنية الأشرار " وقد طبعتا، ولكني لم أحصل على أي منهما.

وهذا الإمام لم يقتصر على الرد على الإسماعيلية بقلمه ولسانه، بل حاربهم بسيفة وسنانه، كما ذكر ذلك صاحب أعلام المؤلفين الزيدية[2]، ولست أدري شيئاً عن مضمون الكتابين غير أن الظن أنهما مفيدان ومحققان، فقد وُصِفَ هذا الإمام بالتحقيق والنبوغ.

وهو مع مكانته العلمية وشهرته بين علماء اليمن، قد صدرت عنه بعض الفتاوى التي يظهر بجلاء مخالفتها للأدلة، من أشهرها تجويزه بناء المشاهد والقباب على قبور الخلفاء وذوي الفضل، وهذه الفتوى هي التي رد عليها الشوكاني برسالته "شرح الصدور بتحريم رفع القبور"، وقد ذكر بعض تلك المسائل القاضي إسماعيل الأكوع في ترجمته في كتابه هجر العلم[3].

وقد توفي - رحمه الله - في موضع اعتزاله بعد أن تخلى عن الإمامة بقصر هران بذمار سنة (749 هـ)[4].

المطلب الثالث: المؤلفات اليمنية في الرد على الباطنية الإسماعيلية:

---

1 (?) المصدر السابق (2/332).

2 (?) أعلام المؤلفين الزيدية ص(1124).

3 (?) هجر العلم (1/502).

4 (?) انظر ترجمته في البدر الطالع (2/331 - 333)، وهجر العلم ص(501 - 506)، وأعلام المؤلفين الزيدية ص(1124 - 1131).

لقد عـثرت- أثنـاء بحـثي عن هـذه الطائفة وتاريخها وموقف العلماء منها-على عدد من الردود عليها من علماء اليمن، ولاأزعم أن هذه الأسـماء الـتي سـأذكرها في هـذا المطلب هي كل ما كتبه اليمنيون في ذلـك، ولكن هـذا ما وقفت عليه.

1 - 3) ماسبق ذكرها؛وهي رسالة الحمـادي "كشف أسـرار الباطنية"، و"الإقحـام لأفئـدة الباطنية الطغـام" و"مشـكاة الأنـوار الهادمة لقواعد الباطنية الأشـرار" وكلتاهما للإمام يحي بن حمزة.

4) "الحسام البتار في الـرد على القرامطة الكفـار"؛ للشيخ حُميد بن محمد المحلي الهمداني المعـروف بحميد الشهيد، وكـان من كبـار الهادوية في عصـره، قتل سـنة (652)[1].

5) "الرسـالة القاطعة في الـرد على الباطنية" (جزآن)؛ للشيخ محمد بن يحيى بن أحمد بن حنش، تـوفي سنة (719)[2].

6) "العضب المسـلول في الـرد على البـاطني المخـذول" لأبي العطايا عبدالله بن يحـيى بن المهـدي، توفي سنة (873)[3].

هذه هي الكتب المفردة، وهنـاك من تعـرض لهم أثنـاء بحوث أخرى وضمن كتب غير مخصصة للرد عليهم منها:

أ) ماكتبه الإمـام محمد بن إبـراهيم الـوزير، المتوفى سنة (840ه)؛ في كتابه" إيثار الحق على الخلق" في عدة مواضع.

ب) محمد بن الحسن الـديلمي المتـوفى سـنة (711

1 (?) هجر العلم للأكوع (2/882)، ومصـادر الفكر للحبشي ص(107).

2 (?) هجر العلم (3/1306)، ومصادر الفكر ص(112).

3 (?) مصادر الفكر ص(122).

هـــ)، في كتابه "قواعد عقائد آل محمد"، وغـــير ذلك من كتب العقائد والتاريخ.

وعندما بدأت موجات الحجاج الإسـماعيلية تتوافد على اليمن، وظهر نشــاطهم ونشــاط إخــوانهم من اليمنــيين، تحــرك بعض العلمــاء والــدعاة من المعاصــرين؛ لمواجهة ذلك خطابة ومحاضرة وربما تأليفاً، والواجب أن تأخذ هذه الفرقة حظها من العناية والاهتمــام على مســتوى الخطر الذي تشكله، والله الموفق.

7) ومن أوسع وأفضل تلك الأعمــــال كتــــاب الفرقة الباطنية الإســـماعيلية (رؤية من الـــداخل " لعلـــوي طه الجمل.

المبحث الثاني: المواجهة العلمية لعلماء الجهات اليمنية المختلفة لعموم القبورية

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: جهود علماء اليمن الأعلى "صنعاء ومايليها ":

لقد كان لعلماء هذه الجهة النصيب الأوفر والحظ الأكبر من الجهود العلمية والعملية في مواجهة القبورية، وقد تقدم بعض جهودهم في مواجهة الباطنية الشيعية، وفي هذا المبحث سألقي الضوء على جهودهم في مواجهة عموم القبورية، ولم تكن تلك الجهود العظيمة لأن بلادهم كانت أكثر قبورية من غيرها، ولكن كان هناك عاملان أساسيان لذلك:

الأول: هو الاجتهاد والتجديد الذي تميز به علماء هذه الجهة، فاتسعت آفاقهم، وزالت الموانع من طريقهم؛ سواء موانع النظر العلمي، أو موانع الجهر بكلمة الحق التي حالت دون علماء جهات أخرى أن يقولوها.

الثاني: أنه لايوجد من يتبنى القبورية، ويدافع عنها بقوة من علماء تلك الديار، وإنما الذي يروج تلك القبورية هم الحكام دون اعتقاد؛ بل لدوافع إظهار العظمة لديهم، فلم يكن لهم حماس الصوفية المعتقدة في الأولياء والحكام الخاضعين لسلطان الصوفية.

ولذا فسوف تطالعنا أسماء عديدة، لها إسهاماتها في هذه الجهود من جوانب مختلفة، ولكنني سأكتفي بدراسة أكثر تلك الأسماء تأثيراً، وهما الإمامان شيخا الإسلام "محمد بن إسماعيل الأمير" و"محمد بن علي الشوكاني"، مع استعراض بعض آثارهما في هذا المجال، وأما بقية الأسماء فسأذكرها مجردة، مع تاريخ الوفاة

وبعض مصادر الترجمة، واسم الأثر الذي تركه ذلك العالم في مواجهة القبورية وموضوعه.

العلم الأول

من أعلام مواجهة القبورية في اليمن الأعلى

الإمام محمد بن إسماعيل الأمير

هو علامة اليمن ومجدد علم الحديث بها، البـدر المنـير محمد بن إســـماعيل بن صـــلاح، الأمـــير الكحلاني ثم الصـــنعاني، ينتهي نســـبه إلى الحســـين بن علي بن أبي طــالب ، ولد بكحلان ليلة الجمعة منتصف جمــادى الأول سنة (1099هـ)[1]، ثم ارتحل مع والده إلى صنعاء، وهنـاك أكب على طلب العلم على أشهر وأفضل علمائها، (ورحل إلى مكــة، وقــرأ الحــديث على أكــابر علمائها وعلمــاء المدينة، وبــرع في جميع العلــوم وفــاق الأقــران، وتفــرد برئاسة العلم في صنعاء، وتظهر بالاجتهـاد وعمل بالأدلـة، ونفر عن التقليد وزيف ما لا دليل عليه من الآراء الفقهية، وجــرت له مع أهل عصــره خطــوب ومحن)[2]، وقد عــدد الشوكاني تلك المحن التي وقعت عليه[3].

وقد تفرد في عصره من بين علمـاء اليمن بـأمور، هي من أعظم خصـــال المجـــددين، وأزكى ثمـــار اجتهـــاد المجتهـدين، أولها الــدعوة إلى التوحيد الخــالص ومحاربة الشرك ووسائله، و هـذا ما سـنراه في الجـزء الثـاني من هـذه الترجمـة، وكـان ذلك قبل أن يسـمع بـدعوة الشـيخ محمد بن عبـــدالوهاب- رحمه اللـــه- فلما ســـمع بها وبما يقــوم به ابن عبــدالوهاب في ذلك الســبيل، فــرح فرحــاً شــديداً، وتقــوّى بــذلك، ووجد المســاعد على دعوته الــتي كــان يظن أنه وحــده عليهــا، فراســله بقصــيدته الشــهيرة المعروفة بالقصيدة النجدية، والتي مطلعها:

ســـلامٌ على نجد ومن حل في نجد وإن كـــان

---

1 (?) هجر العلم (4/1854).

2 (?) البدر الطالع (2/133).

3 (?) المصدر السابق (2/113-136).

تسليمي على البعد لايجدي

وقال مبدياً سروره بما يدعو إليه ذلك الإمام:

لقد سـرني ما جاءني من طريقـة وكنت أرى هـذي الطريقة لي وحدي

وقد ضمّن هذه القصيدة أهم ملامح دعوته إلى التوحيد والاجتهـاد ومحاربة البـدع، وأثـنى على الإمـام ابن عبدالوهاب بذلك.

ولكن هناك أموراً ساعدت على شيء من التردد تجاه الشيخ ابن عبدالوهاب؛ وهي أنه لم يبادر بالجواب على الصنعاني، وترتب على هذا السبب أسباب أخرى، من أهمها أن القصيدة انتشرت، وسار بها الركبان، وبلغت الحجاز والشام والعراق وغيرها من البلدان التي لابن عبدالوهاب فيها أعداء، فسارعوا بالكتابة لابن الأمير، يلومونه على مدحه لابن عبدالوهاب، ويختلقون المطاعن والمثالب، ويهوِّلون الأمر بحيث يصورونه له أنه بسبب هذه القصيدة، ارتفع شأن هذا الرجل، واغتر به أناس مع ما عنده من أخطاء، ويحمِّلون ابن الأمير مسؤولية من اغتر بقصيدته، ولكن ذلك كله لم يؤثر فيه، كما صرح بذلك في مقدمة قصيدة الرجوع غير أنه بعد فترة، ورد إليه رجل من أهل نجد، يزعم أنه من طلاب محمد ابن عبدالوهاب، وذكر لابن الأمير بعض الأمور عن صاحبه، لم ترق له، ولم يُعِر ذلك اهتماماً، ثم ورد رجل آخر، يظهر عليه سمت وسيما صلاحٍ ونباهة في طلب العلم حسبما يصفه ابن الأمير؛ فأكد ما قاله الوافد الأول وأحضر حسب زعمه بعض رسائل ابن عبد الوهاب التي فيها تبرير تكفير سائر الأمة، والوجهة في قتل مخالفيه، وأخذ أموالهم، فلما تجمع ذلك كله وجد ابن الأمير نفسه مضطراً لمسح ما فعلته القصيدة الأولى، من دعاية لابن عبدالوهاب، فنظم قصيدته التي مطلعها:

رجعت عن النظم الذي قلت في النجـدي فقد صح لي عنه خلاف الذي عندي

وأبان فيها ما بلغه عن ابن عبدالوهاب، مما لا يرتضــيه وأهمه تكفير الأمة قاطبة، والتَّجاري على الدماء والأموال، وأقول:

أما القضية الأولى فهي قطعاً غير صـحيحة، وجميع مؤلفـات الإمـام ومؤلفـات أبنائه وأحفـاده وأعلام الـدعوة النجدية موجــودة متداولــة، وليس فيها شــيء من ذلــك، أعني التكفير العام المطلق للأمـة، وإنما فيها التحـذير من الشرك والحكم العـام دون التعـيين لمن وقع في الشـرك بأنه مشرك، مالم يكن معـذوراً، وتـاب عن ذلـك، فـدعوى تكفــير الأمة قاطبة مما افــتراه عليه أعــداؤه؛ لتشــويه سمعته.

وأما القضـــية الثانية وهي التجـــاري على دمـــاء المسـلمين وأمـوالهم فهي مبنية على حكم من يحـاربهم، فمن اعتقد هو وأتباعه أنه مرتد معانــد، لم يقبل النصــح، ولم ينصع للدعوة، اسـتحل قتالـه، وغنم أمواله، وذلك بعد البلاغ والإعـــــذار، كما تنص عليه كتبه وكتب أتباعه، وأما وصول الأمر إلى حد الاغتيال دون إنـذار ودون دعـوة، فما علمت أن الشــيخ وأتباعه العلمــاء، يجــيزون ذلك بهــذه الصــــورة المــــذكورة، وأما أن يحصل من بعض الجنــــود وقُوَّادِهم شيء من التجاوز في القتل أو في نهب الأمـوال أو ما أشـــبه ذلــك، فهــذا ممكن، وليس العيب فيه على الشيخ، ولا على دعوته.

وعلى كل حال فتـأخُّر جـواب الشـيخ ابن عبد الوهـاب على الشيخ ابن الأمير؛ فتح المجـال للطـرف الثـالث وهم النـاقمون على الشـيخين جميعـاً، فسـعوا للإيقـاع بينهمـا، وخصوصـاً أنهم لمسـوا قضـية حساسة لـدى ابن الأمـير، وهي قضية قتل الناس وأخذ أموالهم باسم الدين والشرع

والجهـاد في سـبيل اللـه، الـتي كـان قد سنّها بعض أئمة اليمن، وضـاق بها علمـاء اليمن ذرعـاً، ومن أشـدهم ابن الأمـير، فكم له في ذلك من مكاتبـات وقصـائد تعد ثـورة على تلك الأوضـاع، فخشي أن يـذم أئمة اليمن، ويمقتهم لـذلك الظلم، وفي نفس الـوقت يمـدح إمـام نجد الـذي يجاري أئمة اليمن في ذلك البغي والظلم.

هـذه في نظـري هي الأسـباب الحاملة على نظم القصـيدة الأخـيرة؛ ولـذلك ومن أجل أن يقطع الطريق على من يصطاد في الماء العكـر، فقد أكد تمسـكه بما جاء في القصـيدة النجدية من العقيـدة والمنهج، وإنما كان الرجوع عن تلك القضايا المحددة فقال:

نعم واعلمـوا أني أرى كل بدعة ... ضلالاً على ما قلت في ذلك العقد
ولاتحسـبوا أني رجعت عن الذي ... تضـمنه نظمي القديم إلى نجد
بلى كل ما فيه هو الحق إنما ... تجاريك في سفك الدما ليس من قصدي
وتكفـير أهل الأرض لست أقوله ... كما قلته لا عن دليل به تهدي)[1]

والقصيدة ثابتة عن الإمام ابن الأمـير، وليست مقولة على لسـانه، والسـبب فيها مـاذكر، وليس هو تراجعـاً عن ذلك المنهج، وقد أشار الشـوكاني في "الـدر النضـيد" إلى شرح هذه القصيدة لابن الأمـير[2]، فمن أنكرها من علمـاء نجد وغيرهم كـان إنكـاره لها عن عـدم اطلاع على ما ذكر من أسباب وملابسـات، ومـاذاك إلا غـيرة على الإمـام ابن الأمـير من أن ينسب إليه مايخـالف مـاعرف عنه من الدعوة إلى التوحيد والاتباع ومحاربة الشرك والابتداع.

1 (?) الديوان وانظر مقدمةهذه القصيدة ص (171-173).
2 (?) الدر النضيدص (102).

وأما الأمر الثـاني فالـدعوة إلى الاجتهـاد ونبذ التقليد الأعمى والتعصب المقيت، وهذا الأمر تطفح به كتبه الـتي خصص منها رسالة لهـذا الغـرض بعنـوان: " إرشـاد النقـاد إلى تيسير الاجتهاد "، كما تعرض لهذا الأمر في الكثير من كتبه الكبـيرة والصـغيرة، وأعلنه في العديد من قصـائده، ومنها هـذه القصـيدة النجدية الـتي تكلمنا عنها آنفـاً حيث قال:

وأقبح من كل ابتـداع سمعته ... وأنكـاه للقلب الموفق للرشد

مـذاهب من رام الخلاف لبعضها ... يُعض بأنيـابِ الأساود والأسد

يصب عليه سـوط ذم وغيبة ... ويجفوه من قد كـان يهواه عن عمد

ويُعزى إليه كل ما لا يقوله ... لتنقيصه عند التهامي والنجدي

فيرميه أهل الرفض بالنصب فرية ... ويرميه أهل النصب بـالرفض والجحد

وليس له ذنب سوى أنه غدا ... يتـابع قـول الله في الحل والعقد

ويتبع أقوال النبي محمد ... وهل غـيره بالله في الشـرع من يهدي

لئن عـده الجهـال ذنباً فحبذا ... به حبـذا يـوم انفـرادي في لحدي[(1)]

وتجد هذا الاتجاه في ديوانه بارزاً في عـدة مواضـع، وقد جر عليه هذا ضروباً من المحن، كما مر.

1 (?) الديوان ص(167)

والأمر الثالث مقارعته للأئمة وتشديده النكير عليهم في المظالم التي يرتكبونها بحق الأمة في دمائها وأموالها، وهو فاشٍ في كتبه ورسائله وقصائده، ومن أشهر تلك القصائد وأذيعها وأبعدها ذكراً القصيدة التي مطلعها:

(**سماعاً عباد الله أهل البصائر لقولٍ له يفنى منام النواظر**)[1]

وقد شجب فيها ظلم الأئمة وميل بعض القضاة عن مقتضى العدل، وسكوت العلماء عن قول كلمة الحق، وبالجملة فقد وهب نفسه وراحته ووقته وعلمه لإعلاء كلمة الحق ورفع راية التوحيد وقمع البدع والمنكرات، ومن طريف ما قام به في الحفاظ على التوحيد ومحاربة الشرك ما ذكره "زبارة" في " نشر العرف" تحت عنوان " صنم المخا وفتنة الخطبة بصنعاء " قال: (وأرشد المهدي العباس إلى إزالة أصنام كانت ببندر المخا لطائفة البانيان، وألف البدر رسالة في ذلك نفيسه، فبادر المهدي إلى الأمر بإزالتها وهدم بيوتها، وقبض جميع أموالها، وقد كان لها مال واسع يقدر بنحو خمسين ألف ريال، فأخذ وأوصل أحد الأصنام إلى حضرة الإمام والبدر لديه، فأمر البدر بكسره، وكان في صورة أنثى، فديس بالنعال)[2].

وقد التف حوله نخبة كبيرة من طلاب العلم من طبقات متفاوتة من المجتمع، قال عنها الشوكاني: (وقد كان أكثر أتباع صاحب الترجمة من الخاصة والعامة، وعملوا باجتهاده وتظاهروا بذلك، وقرأوا عليه كتب الحديث وفيهم جماعة من الأجناد، بل كان الإمام المهدي يعجبه التظهر بذلك، وكذلك وزيره الكبير الفقيه أحمد بن علي النهمي وأميره الكبير الماس المهدي، ومازال ناشراً

---

1 (?) الديوان ص(244-247).
2 (?) نشر العرف (3/41)

لـــذلك في الخاصة والعامة غـــير مبـــال بما يتوعـــده به المخالفون له، ووقعت في أثناء ذلك فتن كبـار، وقـاه الله شرها)[1].

وبواسـطة طلابه والمقتـدين به من العلمـاء والـدعاة، وصـلت إلينا الـدعوة السـلفية اليمنيـة، والحمد للـه، كما خلّف ثروة ضخمة من الكتب الـتي تُشد إليها الرحـال في التحقيق والتجديد ودقة الفقه والاســتنباط، من أوســعها انتشـاراً " سـبل السـلام " و "تطهـير الاعتقـاد " والعـدة حاشية شـرح العمـدة " لابن دقيق العيـد، ومؤلفاته كثـيرة جـداً، قـال القاضي الأكـوع: (وله رسـائل كثـيرة، يضـيق المقــام بــذكرها)[2]. ومعظمها في تلك الاتجاهــات الــتي أشـــرنا إليهـــا، وســـيأتي التعريف بما يخص القبورية من مؤلفاته الــتي اطلعنا عليها أو بعضــها، ولقد اهتم العلمــاء والمؤرخـــون وطلاب الدراســـات العليا بدراسة جـــوانب مختلفة من حياته وفكره، فمنهم الإمـام الشـوكاني في " البـــــدر الطـــــالع "، والقاضي الحيمي في كتابه"طيب الســـمر"، والجرمـــوزي في كتابه " ســـلافة العصر "، والقاضي أحمد قـــــــاطن في كتابه" الدمية والتحفة "، وعبدالله ابن عيسى في كتابه "الحــــــــدائق"، وعبدالله الحبشي في كتابه "مصادر الفكر الإسلامي في اليمن"[3].

وقد ترجمه ترجمة واسعة " زبارة "في " نشر العـرف "، والقاضي الأكوع في " هجر العلم"، كما كُتبت عنه عـدد من المؤلفـات الخاصة والرسـائل العلمية منهـا: كتـاب " الصـنعاني وكتابه توضـيح الأفكـار " للـدكتور" أحمد محمد العليمي "، وكَتب علي عبدالجبار ياسـين السـروري كتابـاً

---

1 (?) البدر الطالع (2/137).

2 (?) هجر العلم (4/1857)

3 (?) مقدمة الديوان ص (47) بقلم حفيده الأستاذ عبـدالرحمن علي الأمير..

بعنوان: " ابن الأمير الصنعاني حياته وفقهه "، نال بها درجة الماجستير، وكتب الباحث قاسم صالح ناجي الريمي رسالة بعنوان " الفكر التربوي عند ابن الأمير الصنعاني "، نال بها درجة الماجستير، وكتب عنه العلامة عبدالرحمن طيب بعكر كتاباً بعنوان " مصلح اليمن محمد بن إسماعيل الأمير دراسة حياته وآثاره" وكتب الأساتذة قاسم غالب أحمد، وحسين أحمد السياغي، ومحمد بن علي الأكوع، وعبدالله بن عبدالوهاب الشماحي، ومحمود إبراهيم زائد كتاب " ابن الأمير وعصره "[1].

هذا هو الإمام محمد بن إسماعيل الأمير أحد أبرز مجددي اليمن ومن أوائل من فتح باب مواجهة القبورية في اليمن الأعلى.

جهود ابن الأمير في مواجهة القبورية:

لقد احتلت مواجهة القبورية حيزاً واسعاً من حياة ابن الأمير وجهده وجهاده، ولن أستطيع الإحاطة بكل ما كتب في هذا الجانب، فبعضه مازال مخطوطاً، وبعضه ضمن مؤلفات كبيرة متناثر في ثناياها، والقصد هو إلقاء الضوء على منهج الرجل في مواجهة القبورية، وسيظهر ذلك - إن شاء الله - من خلال استعراض ما يقع عليه الاختيار من كتبه.

الأثر الأول من آثار ابن الأمير المفردة في مواجهة القبورية:

" تطهير الاعتقاد عن أدران الإلحاد "

هذه الرسالة هي أشهر كتبه المفردة في هذا الموضوع، وقد تداولها الناس، وطبعت عدة طبعات في بلدان عديدة، قال في مقدمتها بعد الحمد والثناء والصلاة والسلام على النبي ﷺ: (وبعد فهذا " تطهير الاعتقاد عن أدران الإلحاد "، وجب عليّ تأليفه، وتعين عليّ ترصيفه؛

---

1 (?) هجر العلم (4/1855).

لما رأيته وعلمته من اتخـاذ العبـاد الأنـداد، في الأمصـار والقـــرى وجميع البلاد، من اليمن والشــام ومصر ونجد وتهامـة، وجميع ديـار الإسـلام، وهو الاعتقـاد في القبـور، وفي الأحيـاء ممن يـدعي العلم بالمغيبـات والمكاشـفات وهو من أهل الفجـور، لا يحضر للمسـلمين مسـجداً، ولا يُرى لله راكعاً ولا ساجداً، ولا يعـرِف السـنة والكتـاب، ولا يهـاب البعث والحسـاب، فـواجب عليّ أن أنكر ما أوجب الله إنكـاره، ولا أكـون من الـذين يكتمـون ما أوجب الله إظهاره)[1].

وقد احتـوى الكتـاب على خمسة أصـول وعـدد من الفصول، كلها تدور حول إخلاص العبادة لله تعـالى، وبيـان ما وصل النـاس إليه من جاهلية باعتقـادهم في أصـحاب القبور، ونقد كثير من الأوضاع المبتدعة المتعلقة بذلك.

وللشـيخ كتب أخـرى مفـردة في هـذا الموضـوع، منها كتـاب بعنـوان " الإنصـاف في حقيقة الأوليـاء ومـالهم من الكرامات والألطـاف "، ألفه حينما اطلع على جـواب لأحد القبـوريين، أجـاب به علىسـؤال ورد إليـه، فجـاء في ذلك الجـواب: (إن للأوليـاء ما يريـدون، وأنهم ممن يقـول لأي شيء أرادوه كن فيكون، وأنهم من القبور لقضاء الحـوائج يخرجـــون)[2]، إلى آخر ما ذكــره المجيب من نـــواقض الاعتقاد الصحيح قال: (فتعين إيقـاظ أهل الغفلة والمنـام، من القاصـرين والعـوام، ببيـان حقيقة الـولي ومـاورد في صـفته من الآثـار، وبيانه من الكتـاب والسـنة والأخبـار، ثم بيان رد ما أورده المجيب من الهـذيان، وأنه جعل الأوليـاء من جملة الأصنام والأوثان، ووصـفهم بـأنهم كالإله تقّـدسَ وتعـالى، وأنهم يقولـون للشـيء كن فكـان، فرأيته يتعين

1 (?) تطهير الاعتقاد ضمن مجموعة رسائل في علم التوحيد ص (27 - 28).

2 (?) الإنصاف للصنعاني ص (2).

إبانة الصواب، وبيان حقيقة ما افتراه من الأوتاد والأنجاب والأقطـاب، وما خـالف فيـه بهـذه البدعة من أدلة السـنة والكتاب)[1].

ثم تتبع ذلك المجيب، بأن يـورد مقطعـاً من كلامـه، ثم يتعقبه بـــالرد وبيـــان الحق في تلك المســـألة، وقد طُبع الكتـاب عـام (1417هـ) بتحقيق مجموعة من الطلاب في الجامعة الإسـلامية بالمدينة النبوية تحت إشـراف الشـيخ "حسن علي حسـين العـواجي " المـدرس بكلية الـدعوة وأصول الدين في نفس الجامعة.

كما أن له كتابـاً يتعلق بالقبوريـة، ولا يظهر علاقته بهم إلا بعد النظر الفـاحص فيما يمارسـون، ذلكم الكتـاب هو المســـمى " رســـالة شـــريفة فيما يتعلق ب (الأعـــداد للحـــروف، والأوفـــاق، وكم بقي من عمر الـــدنيا، وذكر المهـــدي المنتظر "، والـــذي يخص موضـــوعنا منها هو ما يتعلق بـالحروف والأوفـاق، وقد تكلم في المسـألة الأولى عن حـروف " أبجـد، هّـوز "، وأبـان أنها ليست في دلالتها على الأعداد من وضع اللغة العربيـة، ثم انتهى إلى القـول بأن جعلها دلالة على الأعداد أمر اصـطلاحي، لا حجر فيـه، ولا ضـــير على متعاطيـــه، ونهي ابن عبـــاس عنه وأنه من الســـحر، يـــدل على أنه عـــرف أنه اصـــطلاح لليهـــود، يستعملونه في الأسحار، وهذا يـأتي بحقيقته في المسـألة الثانية[2].

وفي المسألة الثانية قـرر أن علم الأوفـاق علم مبتـدع وحـــادث، لايعـــرف له دليل من كتـــاب ولا ســـنة ولا فعل صحابي ولاغـيره، وبعد أن فنّـده، وحكم بعـدم وجـود أصل شرعي له، نقل تعريف داود الأنطاكي له، ثم قـال: (قلت: وهـذا شـأن الأسـحار والابتـداع، لاشـأن الطريقة النبوية

---

1 (?) المصدر السابق ص (3).

2 (?) رسالة شريفة للإمام الصنعاني ص (18).

والاتباع، ومعلوم أنها طريقة سحرية، إذ المطلوب بها أمور دنيوية محضة، من جاهٍ عند العباد، وجلب رزق من أيديهم، وإلقاء المهابة في قلوبهم وغير ذلك)[1].

وإنما قلت: إن هذه الرسالة هي من ضمن مواجهة القبورية؛ لأنه سبق في الباب الثاني أن كثيراً من أولياء القبورية ذكروا أنهم يتعاطون علم الحروف والأوفاق، ويتصرفون بها، ويعدون ما ينتج عن ذلك كرامات لأولئك الأولياء، وهو في الحقيقة من السحر، فناسب جعل هذه الرسالة من جملة الردود عليهم، وقد حقق هذه الرسالة الأخ: مجاهد بن حسن بن فارع الوصابي المطحني، وراجعها شيخنا الشيخ مقبل الوادعي - رحمه الله - وطُبعت من قِبَل دار القدس بصنعاء عام (1412ه - 1992م).

كما إن هناك رسالة صغيرة هي عبارة عن إجابة على سؤال عن حكم الذبح على القبور بعنوان "مسألة في الذبائح على القبور وغيرها " حققها أخونا " الشيخ عقيل بن محمد المقطري "، وراجعها محدث اليمن العلامة " مقبل بن هادي الوادعي "[2]- رحمه الله -، وهي رسالة صغيره جداً، أبان فيها حرمة تلك الذبائح، وفصل فيها، وقد عد الذبح على باب الدار وعلى جدرانها، وكذلك ما سمي عند العامة ب "الهجر " ونحوه من الذبائح المحرمة، ولكن الذابح لايكون بذلك مرتداً، وأما الذابح للقبور فإنه يكون مشركاً، وذبيحته ذبيحة مشرك: (... فإن الذابح لابن علوان مثلًا، لايكون إلا عن اعتقاد أنه يضر

---

1 (?) المصدر السابق ص (22).

2 (?) كتبت هذه السطور بعد وفاة الشيخ بأربعة أيام، حيث وافاه الأجل المحتوم آخر يوم السبت أول يوم من شهر جمادى الأولى عام 1422ه تغمده الله برحمته وأسكنه فسيح جنته وأخلف على المسلمين خيراً، وإنا لله وإنا إليه راجعون.

وينفع، ويعطي ويمنع، ويشفي المرض ويذهب عن الأبدان العليلة الأدواء، وهـذا بعينه الـذي كـان عليه عبـاد الأوثـان وأتبـاع الشـيطان، فـإنهم كـانوا ينحـرون لهـا، ويهتفـون بأسمائها، ويدعونها، ويخافونها، ويرجونهـا، ويطوفـون بهـا، وينادونها بمثل " على الله وعليك "، كما يفعله الآن عبـــاد القبور والقباب والمشاهد التي يجب هدمها)[1].

كما يعد من هـــذا البـــاب شـــرحه على رجوعه عن القصـــيدة النجدية المســـمى " إرشـــاد ذوي الألبـــاب إلى حقيقة أقوال ابن عبـدالوهاب " أو " النشر النـدي بحقيقة أقوال ابن عبد الوهاب النجدي "، ذلك أن الرجل لم يرجع كما سبق عن أصل ما كان في قصيدته الأصـلية " النجدية "، وإنما رجع عن مدح محمد بن عبدالوهاب وبيان ما بلغه عنه مما لايرتضـــيه، وهـــذا كله لايغـــير من منهج تلك القصيدة، وبالتالي فالشرح يؤكد ما كان في تلك القصـيدة من مواجهة للقبورية، ويوضحه، ويقيم الأدلة عليه، كيف لا وهو قد صـرح فيها بـأن القبـوريين قد أصـبحوا مشـابهين لعباد " ود وسواع ويغوث ويعوق ونسر ".

ولعل الله أن يهـيىء نشر ذلك الشـرح؛ ليتضح صـحة هــذا الكلام؛ وليخسأ من يتشـدق أمـام العـوام وأشـباه العوام، بأن الصـنعاني رجع عما جـاء في قصـيدته النجدية مطلقاً، وأنه عاب على بن عبدالوهاب دعوته إلى التوحيـد من أصلها، ومحاربته للشرك والقبورية من أساسـها. هـذه بعض جهـود الإمـام الصـنعاني - رحمه الله - في مواجهة القبورية.

---

[1] (?) مسـألة في الـذبائح على القبـور وغيرها ص (44)، طبع مكتبة دار القدس صنعاء ودار ابن حـزم بـيروت، الطبعة الأولى (1413هـ- 1992م).

العلم الثاني

من أعلام مواجهة القبورية في اليمن الأعلى

الإمام شيخ الإسلام محمد بن علي الشوكاني

هو الإمــام شــيخ الإســلام أحد مشــاهير أعلام اليمن ومجددي الدين فيـه، وأحد رواد النهضة الحديثة والصـحوة المباركة ورموز السلفيين في العصور المتأخرة، محمد بن علي بن محمد الشــوكاني ثم الصــنعاني، تــرجم لنفسه، وسلسل نسبه إلى آدم [1]، ولد - رحمه الله - في "هجرة شـوكان" وسط نهـار يـوم الاثـنين الثـامن والعشـرين من شـهر ذي القعـدة سـنة (1173ه)، ونشأ بصـنعاء في كنف والده الذي يعد من كبار علماء صنعاء في وقته، وقد أقبل على طلب العلم بشــكل منقطع النظــير، أعانه على ذلك الحال الميسور لأسرته، إذ وفَّر له التفــرغ للطلب، وعــدم الانشغال عنه بطلب المعاش، كما كـان من أسـباب نبوغه وترقيه في الطلب، وسـرعة البلـوغ إلى المطلب والأرب، النفس الأبية، والهمة العليـة، وتشـجيع الأب، ودفـعَ به إلى الارتقــاء وجــود مجموعة من أكــابر العلمــاء، من طلاب الإمـام ابن الأمـير والمتـأثرين بـه، وهكـذا واصل مشـوار التعليم، ثم صار يعيد الدروس لزملائه وأقرانـه، ثم اشـتهر بين أسـاتذته وأشـياخه قبل بلـوغ العشـرين من عمـره[2]، وما إن بلغ العشرين حـتى أصـبح مفتيـاً تـرد إليه الفتـاوى من جهات مختلفة من اليمن، وكان يفتي بدون أجر، وذلك أمر مستغرب في زمنه وفي وطنه.

ولقد امتحنه الله تعــالى بامتحــان عظيم، وهو تــولي القضـاء، بل قضـاء الأقضـية أو بـالتعبير العصـري " رئاسة القضاء "، فنجح في الامتحـان ونجى من الافتتـان، وأجمع مــترجموه على نزاهتــه، وحسن ســيرته فيــه، بل لم يعد

---

1 (?) البدر الطالع (1/478-480).

2 (?) انظر ترجمته لنفسه: في البدر الطالع (1/214-225).

رئيساً للقضاة فحسب، وإنما من أقرب المقربين إلى أئمة عصره الذين عايش حكمهم، وهم: الإمام المنصور علي بن المهدي العباس (1189 ـ 1224ه)، وابنه الإمام المتوكل على الله أحمد (1224- 1231 هـ)، وحفيده الإمام المهدي عبدالله (1231- 1251 هـ)، ولقد كان لقربه منهم أثر كبير في كثير من الإصلاحات، ومنها حمله على الاستجابة لطلب الإمام سعود بن عبدالعزيز بن محمد بن سعود من الإمام المهدي في هدم المشاهد والقباب المقامة على القبور في صنعاء ونواحيها، فصوّب الإمام الشوكاني ومن معه من العلماء ذلك، وحثوا الإمام عليه، فوقع الهدم لتلك المشاهد، كما سيأتي في مطلب الجهود العملية لمواجهة القبورية.

كما أثر عليه في غير ذلك من جوانب الإصلاح، وهذا جانب مهم من جوانب شخصية الشوكاني، وهو جانب الإصلاح السياسي والاجتماعي، والذي مارسه عملياً ومن موقع القرار بخلاف الإمام ابن الأمير، الذي كان يمارسه من خارج نطاق السلطة.

والجانب الثاني كما بدأه سلفه من علماء اليمن، من تمزيق قيود التقليد الأعمى والعصبية المقيتة، فقد قام في ذلك الجانب بجهود جبارة نظرياً من خلال دعوته إلى ذلك وتأليفه فيه وتأصيله في عدد كبير من كتبه ورسائله، حتى أنّا سنجد أنه جعل مدخله إلى نقد فتوى الإمام يحيى بن حمزة في رسالته "شرح الصدور بتحريم رفع القبور "، جعل مدخله إلى ذلك التأكيد على الرجوع إلى الكتاب والسنة والتحاكم إليهما[1]، وقد أخذ ذلك حيزاً كبيراً من تلك الرسالة، وهكذا شأنه في كثير من رسائله، إضافة إلى كتابه الخاص في ذلك، المسمى " القول المفيد في

---

1 (?) انظر: مقدمة شرح الصدور من مجموعة رسائل في علم التوحيد ص (65-69).

أدلة الاجتهادوالتقليد ".

وأما الجانب العملي فهو ما يراه كل مطالع لمصـنفاته الفقهية والحديثية، وحواشيه وشروحه، فكلها ينطلق فيها من هـذا المنطلـق، ولا يبـالي بمن خـالف، أو وافق فيما يذهب إليه.

والجـانب الثـالث هو دعوته إلى الاتبـاع ونهيـه عن الابتداع، وجهـاده في سـبيل إخلاص كلمة التوحيـد، وحربه لعقائد الشـرك والتنديـد، وسـيأتي في آخر هـذا المطلب دراسة بعض آثاره في ذلك.

غير أني أود قبل الخروج من هـذا الجـانب أن أرد على قوم ظفروا بقصيدة للإمام الشـوكاني في ديوانـه، فهمـوا منها أنه يعـادي الإمـام محمد بن عبـدالوهاب، ويـرد عليه وعلى علمـاء نجد وأمرائهـا، فطـاروا بـذلك فرحـاً، وانتسـخوها، وصـاروا يوزعونها على أتبـاعهم، والواقع أن القارىء لايجد فيها ما يفرح به أولئك، غير أنهم قد اتخـذوا سياسة التأثير النفسي على الأتباع، فإنهم عندما يوزعونها هم، وربما جعلوا لها مقدمة تبين أن هذه القصيدة رد فيها الشـوكاني على الوهابيـة، ونقض ما يـدعون إليه من محاربة الأوليـاء والمعتقـدين فيهم... إلخ، فـإن التـابع المسـكين سـيتأثر بتلك المقدمة المكتوبة أو الشـفوية، ويعتبر أن القصيدة من هذا الباب دون تأمل لما فيهـا، مما هو في الحقيقة رد عليهم وتأكيد على منهج الشـوكاني الذي كرس له حياته، ولم يحد في هـذه القصـيدة عنـه، إذ عرف عنه تجويز التوسل بالصالحين، وقرره في أكـثر من كتاب من كتبه، مع اعتباره دعاء غير الله شرك أكـبر، وقد رد على ابن الأمـير حين قـال إنه من الشـرك العملي، وذلك في الـدر النضـيد[1]، وكل ما في الأمر أن الإمـام الشـوكاني حـذر من التسـرع في تكفـير الأمة بما دون

---

1 (?) انظر الدر النضيد ص(102- 116).

الشـرك من البـدع، كالبنـاء على القبـور، وجعل التـوابيت عليها، أو التوسل الذي يراه هو مباحاً، أما مَن دعـاهم من دون الله، واعتقد فيهم مالا يجوز اعتقاده إلا في الله، فقد اعتبره من الشرك المخرج من الملة، قـال - رحمه الله في تلك القصيدة:

ومن يـأتي إلى عبد حقيرٍ فـيزعم أنه الرب الودودُ
فهـذا الكفر ليس به خفاءٌ ولا رد لـذاك ولا جحودُ
ولست بمنكر هـدماً لقبرٍ إذا لعبت بجانبه القرودُ
وقـالوا: إن ربَّ القـبر يقضي لنا حاجـاً فتأتيه الوفود
كـذبتم ذاك ربُّ العـرش حقاً تعـالى أن تكون له ندودُ
ومن يقصد إلى قبر لأمرٍ بغيرتوسل فهو الكنود[1]

وهـذا الكلام واضح في مـراد الإمـام - رحمه اللـه-، ومنسـجم مع منهجـه، ولئن كـان فيه شـيء من التعميم والإطلاق فيجب إرجاعه إلى كلامه الـبين الواضـح، وأما قوله قبل هذه الأبيات:

فـإن قلتم قد اعتقـدوا قبـوراً فليس لـذا بأرضينا وجودُ

---

1 (?) الديوان ص (163)، قال المعلق على كلمة (كنود): الكنود الكفور. قلت: وكذلك هو في القاموس ص (403).

فيجب أن يقـــارن بينه وبين ما في ســـائر كتبه، ومنه ماجـاء في "الـدر النضـيد"، حيث قـال: (وإذا علمت هـذا، فاعلم أن الرزية كل الرزية، والبلية كل البلية، أمرٌ غـير ما ذكرنـاه من التوسل المجـرد، والتشـفع بمن له الشـفاعة، وذلك ماصار يعتقده كثير من العـوام، وبعض الخـواص في أهل القبور، وفي المعروفين بالصلاح من الأحياء، من أنهم يقدرون على مالا يقدر عليه إلا الله ، ويفعلون مالا يفعله إلا الله ، حتى نطقت ألسنتهم بما انطـوت عليه قلـوبهم، فصاروا يدعونهم تارة مع الله، وتارة اسـتقلالاً، ويصـرخون بأســمائهم، ويعظمــونهم تعظيم من يملك الضر والنفــع، ويخضعون لهم خضوعاً زائداً على خضوعهم عند وقـوفهم بين يدي ربهم في الصلاة والدعاء، وهذا إذالم يكن شــركاً فلا نـدري مـاهو الشـرك؟!، وإذا لم يكن كفـراً فليس في الدنيا كفر.)[1].

فإن قيل: هـذا عـام، ولايـدل على أن هـذا موجـود في اليمن، قلت: يؤكد دلالته على ذلك ماجـــــــــاء في نفس الكتاب بعد أن أسرد الأدلة على تحريم أنـواع من الشـرك ووسـائله، حيث قـال وهو يؤكد ما ينتج عن تعظيم القبـور وتفخيمها من عقائد باطلة: (وروى لنا أن بعض أهل جهات القبلة، وصل إلى القبة الموضـوعة على قـبر الإمـام أحمد بن الحسين صـاحب " ذي بين " -رحمه الله -، فرآها وهي مسـرجة بالشـمع، والبخـور ينفح من جوانبها وعلى القـبر السـتور الفائقـة، فقـال عند وصـوله إلىالبـاب: أمسـيت بالخير، يا أرحم الراحمين)[2].

إذاً كيف نؤول قوله: (فليس لذا بأرضينا وجـودُ)، قلت: يُـــؤوَّل - والله أعلم - أن هـــذه القصـــيدة هي في إطـــار المراسـلات الرسـمية بين إمـام اليمن، ومعـه الشـوكاني،

---

1 (?) الدر النضيد ص (28).
2 (?) الدر النضيدص (48).

وبين أئمة نجد، الـذين كـانت العلاقـات بينها يسـودها الـود حيناً والنفور حينا، وخوف إمـام اليمن من زحف الجيـوش النجدية على بلاده حينــاً، فجــاءت هــذه لقصــيدة، لتهدئة الأوضاع وإقناع النجـديين بأنه ليس في اليمن مايسـتوجب محـــاربتهم له وزحفهم عليـــه، فجـــاز مثل هـــذا التعبـــير المخـــالف للواقع لأجل دفع فتنة الاقتتـــال بين الطـــرفين والله أعلم.

وبعد معرفة هـذه الجـوانب المهمة أقـول: إن الإمـام الشـوكاني خلّف لليمن ثروتين عظيمتين:

أما الأولى: فهم طلابه وأصـحابه الـذين سـاروا عل نهجه، وتعلموا منه المنهج السلفي النقي، وحملوه إلى أن وصلنا اليوم كما وضعه، وهم كُـثر، وقد أورد منهم الأسـتاذ عبدالغني قاسم عدد اثنين وتســعين رجلاً[1]، منهم من هو عالم، ومنهم من أصبح إماماً مجتهـداً، أو قاضـياً عـادلا، أو والياً كبيراً، وهؤلاء الطلاب هم أسـاس المدرسة السـلفية القائمة في اليمن اليوم، والـتي يعد رأسـها اليـوم القاضي العلامة محمد بن إسماعيل العمراني عضو مجلس الإفتـاء حالياً.

والـثروة الثانيـة: هي كتبه ومصـنفاته، الـتي اتفق على الثناء عليها في الجملة الموافق والمخالف، وصـارت مراجعـاً للكثـير من المؤسسـات العلمية في شـتى بقـاع العالم الإسـلامي، وتنـافس لاقتنائها العلمـاء وطلاب العلم في كل مكان، وهي كثيرة جـداً، حصر البـاحث عبد الغـني قاسم منها (**278**) مـائتين وثمانية وسـبعين مؤلفـاً، وأفـاد

[1] (?) الشوكاني حياته وفكره ص(238-266)للدكتور عبد الغني قاسم غالب الشرجبي، طبع مؤسسة الرسالة، بـيروت، ومكتبة الجيل الجديد صـــنعاء، ط الأولى1408هـ-1988م، وقد قـــال عقب أن سـردهم: (وقد اكتفى البـاحث بهـذا القـدر من تلاميذ الشوكاني، وعددهم اثنان وتسعون تلميذاً " وإلا فهم مئـات بل ألوف "، وتلاميذ الشوكاني أكثر من أن يحصوا).

أن المجـال مـازال مفتوحـاً؛ لاكتشـاف غيرها في مظـانٍ حـــددها، هي: (المكتبـــات المنزلية للأسر اليمنية الـــتي تـوارثت ملكية مخطوطـات علمـاء اليمن، أو في مكتبـات كل من الهند "حيث يوجد تلاميذه" وتركيا " إسطنبول "، و إيطاليا وبريطانيا، وسـائر متـاحف ومكتبـات أوروبا الغربية والشرقية، حيث تسربت إلى خارج اليمن.

مترجمو الشوكاني:

كما لايحصـى عـدد تلاميـذه بالدقـة، ولاتعـرف مؤلفاته بالتحديد من كثرتهـــا، كـــذلك لايحصى عـــدد من تـــرجم للشـوكاني، وأشـاد بعلمـه، وأظهر جـوانب من شخصـيته، وحتى لا أطيل على القارئ، فلن أشغل نفسي بمن أفرده بالترجمة من الأقدمين، ولا من ترجم له في كتب التراجم والتواريخ العامة؛ وإنما أذكر بعض البـاحثين الـذين درسـوا نـواحي من حيـاة الشـوكاني وعلمه وفكـره، وقـدموا في ذلك رسائل علمية؛ للحصول على درجات علمية من قبيل الدكتوراه والماجستير.

فمنهم دون التزام بترتيب معين:

1) د. محمد بن حسن الغمـــاري، له رســالة دكتـــوراه بعنوان: " الإمام الشوكاني مفسراً ".

2) د. عبدالغني قاسم الشـرجبي، له رسـالة دكتـوراه بعنوان: " الإمام الشوكاني حياته وفكره ".

3) د. عبدالله نومســوك، له رســالة بعنــوان: " منهج الإمام الشوكاني في العقيدة ".

4) د. صالح بن عبدالله الظبيـاني، له رسـالة دكتـوراه بعنـوان: " اختيـارات الإمـام الشـوكاني الفقهية من خلال كتابيه نيل الأوطار والسيل الجرار ".

5) د. زياد علي " من ليبيا " له رسالة دكتوراه بعنوان: " الفكر السياسي والقـــــــــــانوني عند محمد بن علي الشوكاني ".

6) د. عـادل يـاؤوز" من تركيا " له رسـالة دكتـوراه بعنوان: " الإمام الشوكاني محدثاً ".

7) د. سـمير حسـين، له رسـالة دكتـوراه بعنـوان: " الشـــوكاني ومنهجه في الفقه الإســلامي من خلال كتابه السيل الجرار ".

8) صـالح محمد صـغير مقبل، له رسـالة ماجسـتير بعنوان: "محمد بن علي الشوكاني وجهوده التربوية"

9) خالد بن إبــراهيم بن عبدالله الديبان، له رســالة ماجستير بعنوان: "قضايا العقيدة عند الإمام الشوكاني ".

10) عبدالله فارع عبده العزعزي، له رسالة ماجستير بعنوان: " الشـوكاني مؤرخـاً، دراسة في منهجه التـاريخي في كتابه (البدر الطالع لمحاسن ما بعد القرن السابع) ".

11) سالم بن محمد باكوبن، له رسالة دكتـوراه تحت الإعداد بعنوان: "الإمام الشوكاني وجهوده في الدعوة ".

12) برنارد هيكل اللبناني، له رسـالة باللغة الإنجليزية بعنوان: "الشوكاني والوحدة الفقهية في اليمن".

قال القاضي إسماعيل الأكوع: (وتوجد رسائل دكتوراه وماجستير أخرىلم أذكرها؛لأنهالم تنشر بعد)[1].

وهنـاك مئـات المقـالات الصـحفية والأبحـاث العلمية المتفرقة في الصـحف والـدوريات وغيرهـا، كل ذلك يـدل على عظمة هـذا الرجل واهتمـام العلمـاء بـه. وقد تـوفي رحمه الله سنة (1250 هـ).

جهودالشوكاني في مواجهة القبورية:

وأما عن جهــــوده في مواجهة القبورية فهي كثــــيرة مشكورة، وقد ترك عدة آثار في ذلك:

الأثر الأول " شرح الصدور في تحريم رفع القبـور " وهو رد على الإمام يحـيى ابن حمـزة الـذي قـال كما نقل عنه صـاحب

---

1 (?) أئمة العلم المجتهــدون في اليمن، للقاضي إســماعيل بن علي الأكوع، مصفوف بالكمبيوتر (تحت الطبع).

البحر الزخـار: (لا بـأس بالقبـاب والمشـاهد على قبـور الفضلاء والملوك لاستعمال المسلمين، ولم ينكر)[1]، فـرد عليـه، ومهد لـذلك بالتـذكير بـالعودة إلى الكتـاب والسـنة والالتزام بما جاء فيهمـا، وماجنـاه التقليد على أهله وعلى الناس من كـوارث، ثم جعل هـذه المسـألة كالمثـال على تلك القاعـدة، وقد نـوَّه الشـيخ العلامة محمد حامد الفقِّي بالشوكاني وكتابه في مقدمته لشرح الصـدور فقـال: (وله "الشـوكاني " من الرسـائل في مفـردات المسـائل كثـير جـداً، فمنها رسـالته هـذه " شـرح الصـدور بتحـريم رفع القبـور " وهي رسـالة تنـادي بأنه من الشـجاعة وقـوة اليقين، بحيث وقف هذا الموقف الفذ في وجه جموع أهل اليمن وغـيرهم، يـرد على الإمـام يحـيى خطـأه - وناهيك بمنزلة الإمـام يحـيى من نفـوس الزيـديين - هـذا الـرد المفحم، وينادي عليه في صـراحة المـؤمن الـذي لايخشى في الله لومة لائم: أخطـأت في تجـويز رفع القبـاب والمشـاهد على قبـور الصـالحين والملـوك، ويالها من شجاعة لله وفي الله! ولو أن العلماء كانوا بهذه الشجاعة في قولـة الحـق، وكـانوا بالصـدق والإخلاص في النصـيحة كذلك، لكان شـأن المسـلمين اليـوم غـير مـاهم عليه من الذلة والهوان.

والله يجزي الإمام الشـوكاني وإخوانه الصـادقين خـير الجزاء، ويوفقنا لمثل ما وفقهم، ويحشرنا يـوم القيامة مع إمامنا وإمامهم وإمام المهتدين عبد الله ورسوله محمد ﷺ)[2].

وقد اعتـنى العلمـاء بهـذه الرسـالة وطبعت طبعـات عديدة.

الأثر الثاني كتـاب " الـدر النضـيد في إخلاص كلمة التوحيد "، وهو أيضاً جواب على سـؤال ورد إليه عن ذلك الموضـوع، وقد صدّر الجـواب بتوضـيح بعض المصـطلحات الـتي يـؤدي

---

1 (?) شرح الصدور من مجموعة رسائل في التوحيد ص (70).

2 (?) المصدر السابق ص (63-64).

الخلط فيها إلى الغلــط، وهي: الاســتغاثة، والاســتعانة، والتشــفع، والتوســل، وقد شــرح معانيهــا، وأبــان الفــروق بينهــا، وقد رجح جــواز التوسل بالصــالحين على اعتبــار أن ذلك توسل بأعمالهم الفاضلة، واحتج لــذلك، ورد على من منع منــه، ومسـألة التوسل من المسـائل الـتي جـرى فيها الخلاف قديماً وحديثاً، والصحيح والله أعلم أنها من البــدع المحدثة الـــتي لم يثبت لها دليل عنه ، ولا عن أصـــحابه بالمعنى الذي يريـده مجـوزو ذلك التوسـل، هـذا في أصل المسألة، وأما ماهو حاصل اليـوم عند جمـاهير المسـلمين من عوام وأشباههم وصوفية وغيرهم من المنحرفين، فإن التوسل يسـتعمل، ويـراد به الاسـتغاثة المجمع على المنع منها واعتبارها شركاً فلينتبه لذلك.

ثم أنه بعد مــافرغ من تقرير موضــوع التوســل، قــرر بقــوة وحــزم أن دعــاء غــير الله شــرك، وأنه تعبــير عما تنطوي عليه نفوس من يدعون غير الله من الاعتقاد فيهم ما لا يجــوز اعتقــاده إلا في الله تعــالى، وقد ســبق نص كلامه كـــاملاً قبل قليل[1]، وقد نـــوّع الكلام، واســـتطرد اسـتطرادات حسـنة، وبيَّن كثـيراً مما يقع فيه النـاس من نــواقض التوحيــد، ومما هو وســائل إلى ذلــك، ونبه على حرمة الحلف بغــير الله والطــيرة، وفــرّق بين الشـــرك والكفر الأصغر والأكبر إلى غير ذلك من الفوائد الجليلة.

الأثر الثـــالث " رســـالة في وجـــوب توحيد الله عزوجل " وهي مــأخوذة من كتابه الكبـير المسـمى " العـذب المنـير في جــواب عــالم بلاد عســير "، وقد كــان الســؤال متعلقــاً بالتوحيــد، وكــون الــدعاء عبادة، وهل يعــذر الجاهل في ذلك... إلخ.

فأجاب شيخ الإسلام جواباً شـافياً مقنعـاً مليئـاً بالأدلة من الكتــاب والســنة مستشــهداً بــأقوال أهل العلم، وبين منزلة الدعاء من الدين، وحكم صـرفه لغـير اللــه، وحقيقة

---

1 (?) انظر: الصفحة رقم (581)

شرك المشركين الأولين، وهو اتخاذهم لأصـنامهم شـفعاء عند اللـه، وأن من هـذه الأمة من يتخذ أصـحاب القبـور شفعاء، وهو بـذلك مسـاوٍ لمشـركي الجاهليـة، ومنهم من يدعوهم من دون الله، وهـؤلاء أغلظ شـركاً من مشـركي الجاهليـة، ثم تعرّض لتقسـيم الكفر إلى كفر أكـبر وكفر أصغر، وإلى خفاء الشرك وكثير من أنواعه على كثـير من المسـلمين حـتى وقع فيه بعض من ينسب إلى الأدب والعلم، ثم بيّن خطـورة اتخـاذ المشـاهد والقبـاب على القبـور المبـالغ في تعظيمها وتزيينهـا، ثم بين الحكمة من لعن رسول الله متخذي القبور مساجد.

ثم أنكر إدخال قبر النبي في المسجد، وما بـني عليه بعد ذلـك، وكيف كـان اهتمـام النـبي بإزالة القبـور المشرفة بحيث بعث أمـيراً من أهله هو علي بن أبي طالب ؛ لطمس التماثيل، وتسوية القبور.

هـذا مجمل ما احتـوت عليه الرسـالة، وهي قيِّمة في بابها، فرحمه الله وغفر له وجزاه عن الإسلام والمسلمين خير الجـزاء، وهـذه الرسـالة قد قـام بتحقيقها ونشـرها د. محمد بن ربيع بن هـادي المـدخلي الأسـتاذ بكليـة الـدعوة وأصـول الـدين بالجامعة الإسـلامية بالمدينة المنـورة، وقد طبعت للمرة الثانية عام (1419ه).

تلك ثلاثة نماذج من جهود شيخ الإسلام محمد بن علي الشـوكاني - رحمه الله -، الخاصـة في مواجهة القبوريـة، وهناك جهود أخرى كثيرة موزعة أثنـاء تراثه العظيم الـذي خلّفه؛ ليستضيء به العلماء، ويـتربى عليه الطلاب، ويرجع إليه المختلفـون في كثـير من القضـايا، فهو لم يغفـل مواجهة القبورية في تفسـيره ولا أغفلها في شـروحه للأحاديث وكتب الفقه، وما سهى عنها في فتاواه وردروده على الأسـئلة عند أدنى مناسـبة، فقد عـاش هـذه القضـية بكل حواسه، وتفاعل معها بكل عواطفـه، لـذلك قـال د.

إبـــراهيم هلال، وهو يتكلم عن دعـــوة شـــيخ الإســـلام الشـوكاني إلى إخلاص شـهادة لاإله إلا اللـه: (وقد أخـذت هـذه الـدعوة منه حـيزاً كبـيراً، بحيث صـار فيها في اليمن إماماً كـابن عبـدالوهاب في الحجـاز من قبـل، وابن تيمية في مصر والشام، ولاقى من جرائها الكثير من المتعصبين ومن المقلدين ورُمي بالنصب من أجلهـا، ومن أجل دعوته إلى الاجتهــاد والرجــوع بالتشــريع، إلى طريقة الســلف الصالح من الصحابة والتابعين)[1].

المؤلفـــات المفـــردة في مواجهة القبورية لعلمـــاء اليمن الأعلى سوى ما تقدم:

ولعلماء اليمن الأعلى الآخرين جهود مشـكورة مباركـة في هــذا المجــال، وقد ألف الكثــير منهم في الــرد على القبورية رسائل مفردة، فمنهم:

1) محمد بن محمد الســـماوي، المتـــوفى ســـنة (1410هـ)، مـترجم في هِجَر العلم (3/1407)، له رسـالة بعنوان: " التوصل إلى تحـريم التوسل "[2]، في الـرد على القائلين بجواز التوسل.

2) يحيى بن محمد شـاكر، المتـوفى سـنة (1370هـ)، مـترجم في هجر العلم (4/2088)، له رسـالة بعنـوان: " دفع المشكك في وقوع شطر هذه الأمة في الشــرك "[3]، في الرد على من يقول بامتنـاع وقـوع أحد من هـذه الأمة في الشــرك، كما له رســالة أخــرى بعنــوان: " الســيف القــاطع لأمــاني أهل الشــرك والمطامع "[4]، وجهها إلى الإمام يحيى حميد الدين، انتقد فيها عـدداً من المنكـرات،

---

1 (?) قطر الـولي على حـديث الـولي ص (37) تحقيق وتقـديم إبراهيم هلال طبع دار إحياء التراث العربي، بيروت.

2 (?) هجر العلم (3/1407).

3 (?) السابق (4/2093).

4 (?) السابق (4/2093).

ومن أهمها المشـــاهد الـــتي على القبـــور، وأوصـــاه فيها بهـدمها وإزالتها وكـذلك إزالة البـدع والمنكـرات والرجـوع إلى الكتـاب والسـنة، وإفسـاح المجـال للعلمـاء من أهل السنة؛ لتعليمها والعمل بها.

هـؤلاء بعض من اطلعت على تـآليفهم في هـذا البـاب، ولاشك أنه يوجد سـواهم، وعـدم اطلاعي لا يعـني عـدم وجود شيء من ذلك.

المطلب الثاني: جهود علماء اليمن الأسفل (من إب إلى عدن) في مواجهة القبورية:

العلم الأول

القاضي العلامة عقيل بن يحيى الإرياني

القاضي العلامة النابغة عقيل بن يحـــيى بن محمد بن عبدالله الإرياني، وصفه القاضي إسماعيل بن علي الأكوع بقولـه: (عـالم أديب كـاتب شـاعر له مشـاركة قوية في الفقه وعلوم العربية، سـلك مسـلك أهل السـنة في اتبـاع أدلة كتــاب الله وســنة رســوله ﷺ، ونعى على المقلــدين والمعتقــدين بالأوليــاء جمــودهم، ونــدد بمن يعتقد فيهم الخير، وأنهم يشـفعون لمن يلتمس الخـير عنـدهم، أو عن طــريقهم، فاتهمه بعض الغلاة بأنه يــنزع إلى عقيــدة الوهابية فقال:

إن أنا نـــزّهت إلهي عن الأ ... نْــداد قــالوا أنت وهابي
لكن لي بالمصـــــطفى أسوة ... فقومه ســـــــــمَّوه بالصابي[1]

وقد ترجم له ابن أخيه الأديب مطهر بن علي الإرياني

---

1 (?) هجر العلم (1/87).

ترجمة مطولة في التقديم لرسالته موضوع البحث، عندما نشرها أخوه القاضي عبدالرحمن بن يحيى الإرياني، ضمن مجموعة رسـائل في علم التوحيـد، وذكر ذكـاءه ونبوغـه، وعدد العلـوم الـتي أتقنها رغم عمـره القصـير والمجـالات التي شارك فيها، وأبـرز السـمات الـتي كـان متمـيزاً بهـا: (إخلاص التوحيد كله للـه، وتشـدده في ذلك إلى حد عـدم السكوت حيث سكت الآخرون عن بعض ممارسات العامة واعتقاداتهم الباطلة بالأوليـاء وزيـارة أضـرحتهم والتقـرب إليهم والهتاف بأسمائهم عائذين بهم عند حدوث أي حادثة كزلة قدم طفل أو وقوع دابة من أنعامهم أو نحو ذلك مما نظر إليه على أنه إشراك صريح لله في وحدانيتـه، وبحكم تمسكه الشديد بمبدأ " إخلاص التوحيد كله لله "، لم ينظر إلى هذه المسألة على أنها شبهة إشراك أو جهالات مضلة مما يقع في الكثـــير من العامـــة، بل نظر إليها على أنها الشرك بعينه كما نرى في كتابه هذا)[1].

ولم يعمّر طويلاً، بل اخترمته المنية في ريعان شبابه - رحمه الله تعالى -، فقد كان مولده سنة(1324ه)، ووفاته سنة (1346ه)، فكان عمره أقل من اثنين وعشرين عاماً رحمه الله رحمة واســعة)[2]، وأثـــره الوحيد هو كتـــاب " السيف الباتر لأعناق عباد المقـابر "، وقد اشـتمل الكتـاب على ثلاثة أبواب:

الباب الأول: في أمـور يجب التنبيه عليهـا، واشـتمل على ستة تنبيهـــات: التنبيه الأول على قـــول النـــبي ﷺ **$لتتبعن سنن من كان قبلكم#**، ثم أورد تسع خصال وقع فيها التشبه بالمشركين في هذه الأمـة، التنبيه الثـاني في أن من مكائد الغلاة التشــنيع على أهل الحــق، التنبيه الثـالث في أن من مكائد الغلاة إفهـامهم العـوام بـأن ما

---

1 (?) مجموعة رسائل في علم التوحيد ص(127)

2 (?) المصدر السابق (124).

يحصل عند قبــور الصــالحين من محبتهم، ومن أنكر ذلك فهو من مبغضــيهم، التنبيه الرابع في أن كثــيراً من يظهر عقيدة الغلاة، وينتصر لهم، ويصـوب أقـوالهم المخالفة لما جاءت به الرسل هم زنادقة، لايعترفون أن للعالم إلهـاً ولا صــانعاً... إلخ، التنبيه الخــامس أن من مكائد الغلاة الــتي كـادوا بها العـوام قـولهم لهم: إن مَن خـالف ما نحن عليه من عبادة القبور، نزلت به المصائب، التنبيه الســادس في أن الغلاة يدّعون رؤيتهم النبي عياناً بجسده يقظة.

وأما الباب الثاني: فهو في الاستغاثة وما يتعلق بها، بيّن حال القبـوريين في هـذا الموضـوع، ثم استشـهد على أن ذلك شركاً بالآيات الكريمة، وقارنهم بمشركي العرب، وبيّن أن المشــركين الســابقين لم يعتقــدوا أن أصــنامهم تخلق أو تــرزق، وإنما اتخــذوها شفعاء عنــد الله كشــأن هؤلاء المعتقـدين للقبـور وأصـحابها، ثم أورد بعض الآيـات الآمــــرة باالتجـــاء إلى الله ، وقد تكلم على البســـملة والفاتحـــة، وبيّن ما فيها من الوجــوه الدالة على وجــوب توحيد الله تعالى وعدم الإشـراك به، ثم عـزز بـذكر آيـات أخـرى، مما يـبين ذلك المقصـود، ثم نقل نقلاً طـويلاً من إغاثة اللهفـــــــــان لابن القيم - رحمه الله -، ثم نقلاً عن العلامة "محمد رشيد رضا " من تفسيره " تفسير المنار"، ثم عقد فصلاً للتفريق بين الاستغاثة والتوسـل، ثم تحـدث عن التوســـل، وقـــرر أنه إن كـــان التوسل عقيـــدة في المتوسَّـــل به فهو من النـــوع الأول، وإن لم يكن له فيه عقيـدة وإنما أراد ذكـره عند دعـاء الله ، متبركـاً بــذلك الاسم فقــط، فقد اعتــبر هــذا القسم " بدعة من أعظم البدع وأشنعها "، ثم عقد فصلاً آخر، أكد ما مر الكلام فيه في شأن الدعاء والذبح ونحوه. وبعـده فصـلٌ آخر يتضـمن ما قاله الخصم من إثبـات للأقطـاب وبطلان ذلك بالـدليل الواضـح، وبعد مــاعرّف القطب على مصــطلح الصــوفية

قال: (أما إثبات الأقطاب هـذه الصـفة فمـروقٌ من الـدين وعــدول عن ســبيل الموحــدين وخــروج عن الصــراط المسـتقيم)[1]، ثم أورد الأدلة على بطلان قـول الصـوفية، ثم عقد فصلاً، قـال في فاتحتـه: (ويلحق بـذلك من شـنيع مقـالات أهل القبـور في هـذا الـوقت قـولهم: إن النـبي ﷺ لايخلو منه زمـان أو مكـان)[2]، ثم أبطل ذلـك، ثم كر على "عباد القبـور " حسب تعبـيره واعتقـادهم الفضل والولاية بمن قد خلع ربقة الإسلام من عنقه، وعدد أولئك الأقطاب في زعمهم من أمثـــال ابن عـــربي وابن الفـــارض وعبد الكـــريم الجيلي، ثم أورد أمثلة من كلامهم، ورد العلمـــاء عليه وبيان حكم هؤلاء عندهم.

وأما البـاب الثـالث: فقد عقـده " في حكم زيـارة القبـــور والســـفر إليها "، ذكر الأحـــاديث الناهية عن شد الرحل إلى غـير المسـاجد الثلاثـة، وما أخـذه العلمـاء منها من منع السفر إلى مشاهد الصالحين، ثم عقد فصـلاً نقل تحته كلاماً لابن القيم - رحمه الله - من "إغاثـة اللهفـان" يوضح فيه مكائد الشيطان التي كاد بها الناس حتى عبـدوا القبور.

وأما الخاتمة فقد خصصها لشـبه الخصـم، والـرد عليها بالآيـــات القرآنية والأحـــاديث النبوية، وجعل في آخـــره قصيدة تزيد على أربعين بيتاً في نفس الموضـوع، لابـأس من إيرادها هنا:

قل الحق واصدع بالذي فيه تؤمر ... **ولا تخشَ غــــير الله والله أكبرُ**

وبالعرف فأمر و الـتزم نهي منكر ... **لتنج غــداً من حر نـــار تسعر**

---

1 (?) السيف الباتر لأعناق عباد المقـابر ضـمن مجموعة رسـائل في علم التوحيد (219).

2 (?) السيف الباتر ص(231).

ولله فـــاخلص بالعبادة وحده ... فليس ســـواه للأنـــام يدبر
سميعٌ عليم شاهد غـير غائب ... لطيف خبـــــير رازق متكبر
ســماعاً عبادالله مــني نصيحة ... هي الحق فاصـــــغوا وانصتوا وتدبروا
نصـــحتكم أبغي الفلاح لكم غداً ... وحق الــــذي يــــولي النصيحة يُشكر
ألا نزهــوا أوطــانكم و نفوسكم ... عن الشــرك والأوثــان كي تتطهروا
فهـــذي قبـــور الأوليا بينكم لها ... يحُج ويستسقى لــديها وينحر
وها هي كالأصــنام بين ظهوركم ... إليها لدى وقع الشدائد يجأر
جعلتم بــرب العــالمين مشاركاً ... فيا ويح مَن مِن بعد الإيمان يكفر
أتــدعون ميْتــاً زاعمين بأنه ... يجيب الــــذي يــــدعو ويُغني ويفقر
ومن بعد قلتم إنهم شفعاؤكم ... إلى الله فهو الخـــالق المتجبر
قسم بــــالرحمن جل بأنه ... نظــير مقــال الجاهلية فاحذروا
كما قلتمُ قـــــــــالوا فسيقت إليهم ... خيــول متينــات الأعنة ضمر
دعـــاؤكم مخ العبـــادة فاعلموا ... كما قــال طه الصــفوة المتخير
وكم منكم يــــدعو"ابن علوان " قائلاً ... دعوتك مضــــــــطراً فجاهك أكبر
أيا حـــابس الحنشـــان ... مقيِّد كل الجـــان أنت

والفيل بل ويا … المسخِّر

دعوتك أرجو أن تلـــبي دعوتي … وأيقنت أن النجح لا يتعسر

فـــأنت الـــذي في كل وقت تجيبنا … إذا ما إجابـــات الإلـــه تؤخر

فهـــــذا هو الشـــــرك الصريح الذي له … تكـاد السـماوات العلى تتفطر[1]

---

[1] (?) المصدر السابق ص(275-276).

العَلَم الثاني

من أعلام مواجهة القبورية في اليمن الأسفل

العلاّمة الكبـير الشـيخ أحمد بن محمد بن عـوض العبَّادي - رحمه الله-

العلامة الشـيخ أحمد بن محمد بن عـوض العبّـادي - رحمه الله -، ولد بقرية من قـرى إب، نشأ بها ثم سـافر أسفاراً عديدة وطويلـة، وصل خلالها إلى كـابول، وأخذ بها عن الحافظ محمد تقي الدين الأفغاني في القرآن الكـريم وفقه الشافعية وغيرهما من العلوم، ثم ارتحل إلى الهنـد، وطلب بها العلم ثمانية عشر شهراً تقريبـاً، ثم سـافر إلى عمان، وتزوج من "صور"، وأقـام بها اثنـتي عشـرة سـنة، وحج من هنـاك مـرتين، ثم رجع إلى بلاده ومنها إلى لحج، ثم عدن حيث اسـتقر في الشـيخ عثمـان إمامـاً لمسـجده الذي عُرف باسمه ويسمى كذلك مسجد "زكُّوا"[1].

وقد عـرف في عـدن بدعوته إلى الكتـاب والسـنة وتجريد التوحيد لله تعالى والمتابعة للرسـول ﷺ وكـانت بينه وبين علماء عدن من الصوفية القبورية مصادمات وخصام بسبب ذلك، ولعله من أوئل الدعاة المعاصـرين السـلفيين في الشطر الجنوبي من اليمن سابقاً.

(2) غير أني لم أجد له ترجمة ماعدا النبذة اليسيرة التي قـدّم بها العلامة البيحـاني لمنظومتـه: "هداية المريد"[2] ولئن تجاهله المـترجمون فلن يتجاهله رب العـالمين - سـبحانه -، أسـأل الله أن يكتبه مع الـذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسُن أولئك رفيقاً.

(3) أثره في مواجهة القبورية:

---

1 (?) انظـر: مقدمة هداية المريد إلى سـبيل الحق والتوحيد لتلميذه العلامة محمد بن سالم البيحاني ص(3 - 5).

2 (?) المصدر السابق.

الأثر الوحيد المكتـــوب للعبّــادي هو منظومته "هداية المريد إلى ســــــــــبيل الحق والتوحيد"، وهي منظومة متوسطة كلها في العقيدة والـدعوة إلى التوحيد والاتبـاع، والتحـذير من الشـرك والابتـداع، والـرد على المخـرفين والدجاجلـة، كما وصفهم الشـيخ البيحـاني[1] - رحمه الله - في التعليق عليها.

(4) وقد افتتحها بمقدمة أبـــان فيها منهجه وغرضه منها، فهي في اعتقـــاد الســـلف ونصـــيحة لإخوانه في اللـــه، يحـذرهم فيها من البـدع والمحـدثات[2]، ثم عـرّف العلم، وحث عليه لا ســيما علم التوحيــد، فهو المقــدم على كل العلوم، ثم معرفة حقيقة الإيمان بما يجب الإيمـان بـه، ثم معرفة الفـــــروع، وحـــــذر من الجهل بالتوحيد ثم الجهل عموماً[3]، ثم ابتدأ في شرح العقيـدة عمومـاً، وبـدأ بتوحيد الأسماء والصفات، ثم انتقل إلى شروط التوحيد، ثم حـذر من الاعتقـادات الباطلـة، وركز على قـول من قـال: "لو اعتقد أحـدكم في حجر لنفعه "، وحـذره من هـذا القـول، وبيّن أن الأصنام إنما عبدت بهـذا الاعتقـاد، ثم اسـتمر في شرح مراده حتى وصل إلى نقطة مهمة في مســيره، هي التحـذير من الشـرك، وبين قبحه وسـوء عقابه في الـدنيا والآخرة، وعدد هنا بعض المكفـرات، ثم وقف مع بعض ما يفعله القبورية عند القبور من أنـواع العبـادات كالاسـتغاثة وحلق الرأس، والطواف والاعتكاف عند القبور[4]، ثم حذر من تكفير المسلم بغير بينة[5].

ثم انتقل إلى الدعوة إلى السنة والتحـذير من البدعـة،

---

1 (?) هداية المريد ص(5).
2 (?) المصدر السابق ص(6-7)
3 (?) المصدر السابق ص(7-8).
4 (?) المصدر السابق ص(23-25)..
5 (?) المصدر السابق ص(23-25).

وأطال في هذا الفصل، وتعرض لرد بعض الشـبهات الـتي يوردها المبتدعــة؛لإثبــات بــدعهم، مثل جمع النــاس على صـلاة الـتراويح في زمن عمر والأذان الثـالث للجمعة في زمن عثمان، وأبان أن ذلك قد أقره الصحابة؛ وبذلك يصير سنة بإجماعهم، وأن الرسول قد صلاها جماعة في حياته فلا حجة للمبتدعة[1]، ثم تعرض للحقيقة والشريعة، وأبــان أن الحقيقة هي ماجــاء بها الكتــاب والســنة، لا ماجــاء بها الصوفية المبتدعـة، ثم انثنى عليهم في السـماع الصـوفي المبتدع والأوراد والأذكارِ البدعية، وفنّد ذلك، وســخِر منهم في رقصهم ووجْدهم؛ لأنهم إنما يفعلـون ذلك عندما يـذكر التشبيب والتغزل وتشبيه المرأة بغصن البان، ثم يزعمون أن ذلك من محبة اللـــه، ثم أرشد إلى الـــذكر المشـــروع الــذي جــاء به كتــاب الله وســنة رســوله [2]، ثم نهى عن الغلو المذموم[3]، وبعـده حـذر من التكـييف والتشـبيه في صـفات الله تعـالى، ثم تعـرض لحكم البنـاء على القبـور، وحذر من ذلك، وبين زيـارة القبـور الشـرعية، وحث عليها والزيارة البدعيـة، وحـذر منهـا، وما يـترتب عليها من الغلو في أرباب القبور وما يحدث في تلك الزيارات من مفاسد عقدية وأخلاقيـة، وخلص إلى مشـايخ الطرق وما يكيـدون به الناس من الحيل والمكايد، لأجل ابـتزازهم وأخذ ما في أيـديهم والضـحك على عقـولهم[4]، وانتهى بيـان التصـوف المحمـــود، ويعـــني به الزهد والـــورع وتخليص القلب من أمراضه، والذي يكون مبنياً على العلم النافع جالبــاً للعمل الصالح، وعدّد الأعمـال الصـالحات والآداب الحسـنة الـتي يتحلى بها ســالك هــذا الســبيل، وما ينبغي له من مداومة

---

1 (?) المصدر السابق ص(26-31).
2 (?) هداية المريد ص(32-36).
3 (?) المصدر السابق ص(40-44).
4 (?) المصدر السابق ص(47-56).

ذكر الله تعالى على الصفة الشرعية لا البدعية. [1]

هـــذه هي منظومة العلامة العبّـــادي، وقد علق عليها العلامة البيحـاني - رحمه الله - تعليقـات مهمة نافعة، وقد طبعت مــرتين، الطبعة الأولى لم أطلع على تاريخهـــا، ثم طبعت مرة أخرى عام (1389ه) مع نفس التعليقات التي وضعت على الطبعة الأولى.

العَلم الثالث

من أعلام مواجهة القبورية في اليمن الأسفل

الإمـــام العلامة محمد بن ســـالم بن حســـين الكدادي المشهور "بالبيحاني "

هو الداعية السـني الكبـير محمد بن سـالم بن حسـين الكدادي البيحاني، مؤسس المعهد الإسـلامي بعـدن، ولد - رحمه الله - " ببيحــــان " ســـنة (1326ه)، وعند بلوغه الرابعة عشر من عمـــره أرســـله والـــده إلى تـــريم بحضرموت؛ ليتعلم هناك في رباطها المشهور الذي يقــوم عليه الســـيد عبدالله بن عمر الشـــاطري، فمكث أربع سنوات، ثم عاد الى بيحــان، فمكث فيها سـنتين، ثم توجه إلى عدن سنة (1346 هــ)، فلازم الشــيخ أحمد بن محمد بن عـــوض العبّـــادي، وتـــزوج ابنته، ثم رحل إلى مصــــر، لاالتحـاق بـالأزهر، فـدرس في بعض معاهده، ثم في كلية الشـريعة فيـه، غـير أنه ما لبث إلا سـنة دراسـية واحـدة، اضطر بعدها إلى العودة إلى عدن حيث اسـتقر في مدينة كريــتر، وأسس فيها مســجد العســقلاني، الــذي عُــرف بالشيخ، وعرف الشـيخ بـه، ومكث هنـاك يـدعو إلى اللـه، ويقيم الدروس العلمية والوعظية، وينشر السنة المطهرة ويحـارب البـدع والخرافـات والشـركيات، كما كـان على وعي سياسي جيـــد، فكـــان ينبه قومه إلى خطـــورة الاستعمار والانسياق وراء ثقافته ومبادئه الكافرة، ويـدعو

[1] (?) المصدر السابق ص(56) إلى آخر المنظومة.

للتخلص منه.

ومن أبرز مآثره المعهد الإسلامي الذي أسسه هناك على نفقة جمع من المحسنين، والذي أُمم في أيام الإشتراكيين، وأصبح مقراً لوزارة الداخلية، كما أنه كان نشيطاً في التأليف، فألّف أكثر من اثنين وعشرين كتاباً من أشهرها كتاب "إصلاح المجتمع "الذي لقي قبولاً واسعاً، وانتشر في أقطار المسلمين عموماً، وتعددت طبعاته.

وقد أصبح الشيخ علماً بارزاً لا في محيط اليمن وحدها، ولكن على مستوى العالم العربي والإسلامي، وكانت شهرة الشيخ بدعوته للكتاب والسنة ومحاربة الجهل والشرك والبدعة والخرافة، يشهد بذلك مترجموه، وتنطق به كتبه، فقد تعرض في إصلاح المجتمع في أكثر من مناسبة إلى ماكان شائعاً من البدع والشركيات، ودعا إلى التخلص منها، وقد سبق نقل شيء من كتابه إصلاح المجتمع في الباب التمهيدي.

كما ظهر توجهه ذلك ناصعاً جلياً في تعليقاته على منظومة شيخه أحمد العبّادي، الموسومة " هداية المريد إلى سبيل الحق والتوحيد " فقد نقد الشركيات، ونعى على أربابها، وطالب بإزالتها، بل صرح أنه قام بمحاولة لدى حكومة عدن؛ لإزالة مايحدث من الشرور في الزيارات مثل " زيارة العيدروس والهاشمي" وغيرها، وكادت أن تنجح تلك المساعي، لولا اعتراض بعض الجهال وسدنة القبور[1].

كما بين البدع العملية مثل السماع الصوفي وبدع الأذكار، وفنّد الكرامات الزائفة التي يروجها الصوفية، ويلبسون بها على العوام قال: (يزعم بعض أهل

---

1 (?) هداية المريد إلى سبيل الحق و التوحيد بتعليق الشيخ البيحاني ص(50).

حضـــرموت أن دابة الفقيه المقـــدم كـــانت تعرفُ طـــرق السماء، وأن زوجته سئلت عن حالها، فقالت: (لسنا بخـير بعد الفقيه، وقد كانت أخبار السماء في حياته تأتينا صـباح ومساء)، وفي " المشرع الروي " من هذه الخرافات مـالا يحصى كثرة، فليته لم يبرز إلى حيز الوجود، أو ليتها أكلته دابة الأرض التي أكلت عصا سليمان بن داود، والويل لمن كذّب بشـيء من هـذه الكرامـات المكذوبـة، فإنه يعد في نظر القوم كافراً ملحداً زنديقاً، وكان التصـديق بها أعظم شأناً من التصديق بالمعجزات، فنسأل الله حماية الإسلام وصيانته من هذه الخزعبلات والخرافات. [1].

وقد لاقى في ســـبيل دعوته تلك كثـــيراً من المحن والمصـاعب، فصـبر، وصـابر، وكـانت دعوته مفتاحـاً من مفـاتيح الصـحوة المباركة في جنـوب اليمن آنـذاك، وبعد الاســـتقلال ومجيء الاشتراكيين إلى عـــدن لاقى من الإهمال و التهميش، بل من المضايقة والتهديد مالا يطاق، ففر إلى الشطر الشـمالي كما كـان يسـمى ذلك الـوقت، فاستقر في مدينة تعز معززاً مكرماً من الدولة والشـعب، واحتضنه محبوه فيها، وأغدقوا عليه، وأجلوه، وأكرموه بما لا مزيد عليـه، وفي عـام (1392ه) حج حجته الأخـيرة، ثم عاد إلى تعز وبعد عودته بيـوم واحد انتقل إلى جـوار ربـه، رحمه الله رحمة واســعة، وكـــانت وفاته في (10/12/ 1972 م) في تعز[2].

الأثر الخاص بمواجهة القبورية من آثار البيحاني - رحمه الله -. :

---

1 (?) التعليق على هدية المريد ص(35).

2 (?) انظر ترجمته في أنباء الزمان فيمن رحل من علماء بيحان ص(81 - 92) خلال قرنين من الزمان تأليف عبدالله عبدالقادر العليمي باوزير الطبعة الأولى 1419هـ- 1998م..

أما الأثر الخـاص بمواجهة القبورية من آثـار البيحـاني- رحمه الله - فهو "الصـــارم القـــرآني في الـــرد على درر المعاني "، ودرر المعاني اسمه الكامل " درر المعاني في الـــرد على العبّـــادي وتلميـــذه البيحـــاني " وهو رد على منظومة العلامة العبـادي المسـماة هداية المريـد، والـتي عـرفت بها سـابقاً، وكـان العلامة البيحـاني قد علق عليها تعليقـــــات مهمة وقوية، فـــــانزعج القبورية للمنظومة والتعليقات عليها انزعاجاً كبيراً، فردوا بذلك الكتاب، فقام الشيخ البيحاني - رحمه الله - بـالرد عليهم بكتابه الصـارم القرآني.

والكتاب ما يزال مخطوطاً عند أحد أقـارب الشـيخ لم يطبع بعـــد، ولم اســـتطع الاطلاع عليه غـــير أنـــني بعد محــاولات حصــلت على صــورة لفهــرس الكتــاب وأربع صــفحات منه فقــط، وبـــالنظر إلى الفهــرس يمكن أن نتعــرف على صــورة مجملة للكتــاب، فقد صدّر الكتــاب بقصيدة للقاضي الإريـاني، ولم يـبين أي القضـاة من بـني الإريـاني هـو، ولكن ظــني أنه القاضي عقيل ابن يحــيى، والقصيدة هي التي ختم بها " السـيف البـاتر لأعنـاق عبـاد المقابر " والتي مطلعها:

قل الحق واصــدع بالــذي فيه تــؤمر ولا تخش غير الله والله أكبر

ومن أبياتها القوية في مهاجمة القبورية قوله:

لحا الله عبَّاد القبــور فــإنهم لقد بــدلوا دين الإله وغيروا[1].

ثم بعد الخطبة تكلم عن مصــادر الكتــاب، ثم تعــرض للكلام عن الكتـاب المـردود عليه " درر المعـاني " وذكـر، أنه مدح الصحابة والسلف الصالح؛ متوصـلاً بـذلك إلى ذم شـيخ الإسـلام ابن تيميـة، والتهكم به وبمن يتابعـه، ثم إن

[1] (?) مجموعة رسائل في علم التوحيدص(275 - 276).

الخصم تعرض لهداية المريـد، وهاجمها فعلق الشـيخ على ذلـــك، ثم ذكر أن الخصم كـــذب عليهم، لعله يريد نفسه وشــيخه العبّــادي، ثم ذكر عقائــدهم في الله وصـــفاته وملائكته ورسله وأوليـاء الله وصـفتهم وخـوارق العـادات، وبين بعد ذلك من هو الــولي، ثم تعــرض لتــاريخ الــدعوة وإلى من ينتسب مــذهب الوهابيــة، وفي أي عصر ظهــر، وكيف كان ظهوره، ثم ألمح لخيانة الخصم في النقـل، بعد ذلك عرَّف بشيخ الإسلام ابن تيمية، وثناء الناس عليه، وما قيل فيه من الرثاء.

ثم جاء عنـوان " نقد وتحليـل"، ولعله موضـوع رسـالة الخصم، ثم تعرض لكتاب "كشف الارتياب في أتباع محمد بن عبدالوهاب " وهو لمؤلف شـيعي من العـراق اسـمه " محسن الأمين العاملي "[1]، وتعرض كذلك لكلام ابن حجر " وهو المكي الهيتمي " في ابن تيمية ورد عليــه، وذكر أن الخصم استعان في رده بشـواهد الحق " للنبهـاني "، وأنه تشـبث بالصــواعق الإلهية لسـليمان بن عبــدالوهاب أخي الشــيخ، كما عـــرج على الشـــطي أحد خصـــوم الـــدعوة الوهابية، ويظهر أن الشيخ رد على الجميع، ثم ذكر اتفــاق الشيخين ابن الأمير ومحمدبن عبدالوهاب في العقيدة، ثم عــاد بعد ذلــك؛ ليــذكر كلام النــاظم "العبّــادي" والمعلق "البيحـــاني" في عمـــوم المســـلمين، وبعد ذلك تكلم عن الحلف والذبح لغـير اللـه، ثم نصـوص زعمـاء الوهابية في عمـوم المسـلمين، واسـتعرض بعد ذلك نصـوص الكتـاب والسنة الناهية عن دعـاء المخلـوق، وبعـده عنـوان " كلام المغالين في أصـحاب القبـور " ثم جهل الخصم بما يقـول وكذبه على الصحابة والتابعين وجرأته في ذلك، ثم بشرية

[1] (?) انظر: دعاوى المنـاوئين ص(56) لـدعوة الشـيخ محمد بن عبــدالوهاب. تــأليف: عبدالله محمد بن عبــداللطيف، طبع دار الوطن، الرياض الطبعة الأولى (1412 هـ)

الرسول ﷺ، وبعد ذلك كله تعرض لتهمة الخصم له ولشيخه بكراهة الرســـول ﷺ، ثم تكلم على طلب الشـــفاعة وأدلة الخصم عليها، خلص بعده إلى الكلام عن التوسل ما يجوز منه وما لايجوز، وأبطل أدلة الخصـم، ثم نقل كلام الشـيخ محمد عبـدُه المصـري في التوسل ودعـاء الصـالحين، ثم أوضح كلام النـــاظم والمعلق في الاســـتغاثة واحتجـــاج الخصم بالمجاز العقلي والأحاديث الضعيفة والرد عليه في ذلــك، وتــوالت العنــاوين: (" اســتدلاله بــالقرآن " وكلام العلماء " الشرك بالله والاستعانة بغيره " الحياة البرزخية " غلط الخصم ومغالطته " رفع القبـــور والبنـــاء عليها " نصوص العلماء وأقوالهم " هدم المساجد والقبـاب المبنية على القبور، دفـاع الخصم عن التماثيل " إنكـاره على ابن القيم "شرقه بحديث أبي الهياج " " دفاعه عن رفع القبور " " شد الرحال لزيارة القبور " كلام النــاظم والمعلق في النــذر " واحتجــاج الخصم بما لا يفهم " الكلام على إهـداء ثواب القراءة للميت ").

هـذه عنـاوين الكتـاب ومنه يعـرف مضـمونه، فهو في الــرد على القبورية فيما يعتقــدون في القبــور من العقائد الضــالة، وفيما يــأتون عنــدها من الأعمــال القبيحة، وما يوجهونه من تهم وافــتراءات لخصــومهم دعــاة التوحيــد، ودفـــــاع عن أولئك الـــــدعاة ورد عن أعراضـــــهم وتبرئة لمناهجهم من الانحراف الـذي رماها به القبوريـة، هـذا هو ما ظهر لي من ملامح الصـارم القـرآني للشـيخ البيحـاني عليه رحمة الله.

وفي نفس السياق تأتي رسالته الصــغيرة " زوبعة في قـارورة " فجهـود البيحـاني في مواجهة القبورية ومواقفه منهم هي اللائقة بالعــالم الســني المتــابع لمنهج الســلف الصالح رحمهم الله تعالى.

ولعل في رســالة الــدكتور أحمد هجــوان عن" الإمــام

البيحــاني" ما يكشف مزيــداً من هــذه المواقف ولكــني للأسف لم أطلع عليها.

المطلب الثــالث: جهــود علمــاء تهامة في مواجهة القبورية:

لقد تميز علماء وفقهاء تهامة بموقفهم الصلب والقوي من أصــحاب وحــدة الوجــود، وأما مــوقفهم من القبورية العامة التي أبرز سماتها تعظيم القبور وأصحابها، فلم يكن بـــذلك الموقف القـــوي والواضح، وإن كنا لم نلمس من علمـائهم الـذين لم يتـأثروا بالصـوفية ذلك الانسـياق وراء القبوريــة، كالــذين تــأثروا بالصــوفية من أمثــال المحــدث "أحمد بن أحمد بن عبداللطيف الشرجي الزبيدي صــاحب التجريد الصــريح "[1] فــإن الشــرجي له كتــاب " طبقــات الخـواص أهل الصـدق والإخلاص " ملأه بالخرافـات، ونقل فيه من الطامــات ما يلحقه بــركب الشعراني المشــهور بنقل الطامـات والهلوسة الصــوفية، والشــلي الحضــرمي صـاحب المشــرع الـروي الـذي ملأه بالخرافـات والـدجل، بحيث يعجب القارىء كيف بلغت الجرأة به إلى هذا الحــد، والاستخفاف بعقل القاريء إلى هذه الدرجة، فالشرجي لا يكاد يقل عنهما في كتابه "طبقات الخواص ".

أقــول: إن علمــاء تهامة الــذين حــاربوا أصــحاب وحــدة

---

[1] (?)الشـــــرجي المـــــذكورهو أحمد بن أحمد بن عبد اللطيف الشرجي الزبيدي، ولد سنة (812هـ) بزبيـد، ومـات بها سـنة (893هـ)، وهو من أشـــهر محـــدثي زبيد وله "التجريد الصـــريح مختصر صـــحيح البخـــاري " وغـــيره من الكتب، كما له في المقابل "طبقات الخواص" الذي تحدثت عنه في الأصل، وهــذا من التنــاقض العجيب، كما ذكر له كتــاب آخر بعنــوان "الفوائد في الصــلات والعوائــد" قــال الحبشي في مقدمته للطبقــات: (وهو مجمــوع من الأحــاديث والأدعية المــأثورة، إلا أنه شــابَه بكثـــير من الطلاسم والأوفـــاق المدسوسة، قـــال: وقد طبع بالقـاهرة سـنة (1344هـ)، وأعـادت طبعه عـدة مـرات مكتبة الحلـبي بالقـاهرة) الطبقـات ص(6)، هـذا هو الشـرجي رحمه الله، لم ينفعه علم الحديث حين تأثر بأفكار وعقائد الصوفية.

الوجـــود مع حسن ظنهم بـــالكثير من القبورية إلا أنهم لما يوافقوهم على الكثير من شطحهم وخرافاتهم، وكثـيراً ما يجد القـــاريء لكتبهم - مثل كتب العلامة الحســـين بن عبـــدالرحمن الأهـــدل - نقـــدهم في بعض أمـــورهم وتصـــرفاتهم، ولكن لم تظهر المواجهة إلا بعد انتشـــار الـدعوة السـلفية الـتي قادها "الإمـام ابن الأمـير والإمـام الشـوكاني، رحمهما الله" ووصـول دعـاة وجنـود الـدعوة النجدية إلى تهامة في القـــرن الثـــالث عشـــر، فمنذ تلك الفـــترة، ظهر من يحـــارب القبورية بقـــوة وجـــرأة وعلم وبصـــيرة، ومع ذلك فمـــوقفهم من القبورية إذا قـــورن بموقفهم من أصحاب وحدة الوجود عد ضـئيلاً، وإذا قـورن عـــدد من تصـــدى للقبورية بمن تصـــدى لأصـــحاب وحـــدة الوجـود كـان قليلًا، وأنا أكتفي بعلَم واحد من أعلام تهامـة هو:

العلاّمة حسين بن مهـدي النعمي التهـامي ثم الصنعاني

قـــال عنه الســـيد محمد بن محمد زبـــارة في " نشر العـرف ": (السـيد العلامة النبيل التقي الفهامة الحســين بن مهـــدي النعمي التهـــامي ثم " الصـــنعاني "[1]، ولد كما

---

[1] (?) مقدمة معـارج الألبـاب في منهج الحق والصـواب للنعمي ص(17)، تحقيق محمد حامد الفقي تخـــريج علي حسن عبد الحميد، طبع مكتبة المعارف الرياض، الطبعة الرابعة 1407هـ-

يظهر بمدينة " صبيا " من أرض تهامة، ثم وفد إلى صنعاء للأخذ عن علمائها في حياة الإمام الصنعاني - رحمه الله - وصـــار من جملة أصـــحابه، حـــتى لقد اتهم هو والإمـــام الصنعاني بمخالفة مذهب الهـادي والتظـاهر بـذلك[1]، وقد ذُكر عنه العمل بالسنة وإحياء ما انـــدثر منها[2]، ورغم ذلك فقد اســـــــتمر العلامة النعمي في دعوته وتعليمه للسنن ومحاربة البـــدع مجللاً محترماً[3]، حـــتى أن إمـــام العصر "المهـــدي " قد أذن له في الأمر بـــالمعروف والنهي عن المنكــر، وإن كــان المخــالف من خاصة المهــدي، وقــرأ "الإمام" على المترجم لـه أيامـاً في "شـرح العمـدة لابن دقيق العيد "[4]، وتوفي - رحمه الله - سنة (1187هـ)، هذا هو العلامة النعمي لم يحفل به المـــــترجمون، ولكن كتابه العظيم الذي سـنعرض لـه، يشـهد بعظمته وسـعة علمـه، ويصـور لنا منهجه الــذي هو منهج الســلف الصــالح، منهج التجديد الذي عرفنـاه من ابن الأمـير والشـوكاني رحمهما الله.

أثره في مواجهة القبورية:

أثـــره المطبـــوع المتـــداول في مواجهة القبورية هو كتاب" معارج الألباب في مناهج الحق والصـواب" هـذا هو الاسم المختصر للكتـــاب، وقد وُجد على طـــرة النســـخة الخطية مايلي:

(معارج الألباب، في مناهج الحق والصواب لإيقاظ من

1987م. و كل ما في ترجمتي له مـأخوذة عنه حيث لم أعثرله على ترجمة في موضع آخر والجـــزء الأول من نشر العـــرف ليس متوفراً هذه الأيام.

1 (?) معارج الألباب في مناهج الحق والصواب ص(18).
2 (?) المصدر السابق ص(18).
3 (?) المصدر السابق ص(18).
4 (?) المصدر السابق ص(18).

أجاب بحسن بناء المشاهد والقباب، ونسي ما تضمنته من المفاسد وهي، عجب من الخطــوب عجــاب، وأحــال أخذ الحكم من دليلــه في هــذه الأعصــار فَســدَّ بــاب الحكمة وفصل الخطاب، وعطّل الانتفاع في هـذه الأزمـان بعلـوم السـنة والكتـاب، إلى غـير ذلك مما يأتيك بيانه وتحقيقه - إن شاء الله - بأحسن تحرير وجواب)[1].

هذا ماكتب على طـرة الكتـاب وهو معـرِّف بـه، مـبين عن وجهته، مشير إلى السبب الدافع إلى تأليفه، وهو الرد على من أجـاب باستحسـان تلك المشـاهد والقبـاب على قبــور الأوليــاء، وقد نص على هــذا الســبب في مقدمته الكافية فقـال: (وبعد، فلما كـان في شـهر ربيع الآخر من شهور سنة سبع وسبعين ومائة وألف من الهجرة النبويــة، وقفت على صورة سؤال، وغير ماجواب في شأن ما يسر الله هدمه، وافتقاده من المشاهد والقباب، وإزالة ما أزيل منها بالتدمير والخــراب؛ لما تفاحشت خطــوب مفاســدها في هذا الزمــان، وضـاهت رسـوم الجاهلية الجهلاء النافية للتوحيد والإيمان، مع كون وضع القباب أمراً صادم المأثور الصحيح من النهي الصـريح، فهو بمجـرده ممنـوع شـرعاً، كما قد شرحت ماجاء فيه ضمن رسـالة مسـتقلة وجـيزة، أســفرت عن وجهة الصــبيح واســمها: " مــدارج العبــور علىمفاسد القبور ".

وكـان قبل هـذا التـاريخ بمـدة يسـيرة، ألقى إليّ بعض أعيان الزمن بمدينة صنعاء اليمن - حاطها الله وسـائر بلاد الإســلام من طــوارق المحن والفتن - كتابــاً ورد عليه من مكة المشرفة، ذكر فيه ما حاصله:

أنه وصل إلى هنالك ســؤال في هــذه المســألة، وأنه أجاب فيه مفتو الأربعة المذاهب، بما يتضمن التشنيع على من دل على هدم القباب والمشاهد، وأشـار بتخـريب تلك

[1] (?) معارج الألباب ص (14).

المعاقل والمعاهد[1]. وبعد أن أبــان خــواء ذلك الجــواب، وعدم استناده إلى سنة ولا كتاب، وإنما (أجابوا: بأنه صرح به في المنهــاج وشــرحه، وهو الــذي فهمه ابن عبد الحق من عبارة الروضة بــالجواز)[2]. كر على المجيــبين، ونــدد بأصلهم الــذي عليه يعتمــدون، وإليه يرجعــون، وهو التقليد المحض والمنع من إعمــال النظر في الأدلـــة، وقد شـــنع عليهم، وأطــال النفس في ذلــك، شــأنه شــأن مشــايخه وزملائه من المدرسة الســـلفية في اليمن، وقد اســـتغرق ذلك باقي المقدمة.

أما البــاب الأول: فجعله في أبحــاث متفرقة تتعلق بتلك الأجوبة، منها الرد عليهم في أخبار استدلوا بهــا، وقد أخلّــوا بشــروط الاســتدلال إما دراية أو روايــة، فالدراية كـــونهم لم يســـتدلوا بها على وجهها كاستدلالهم بحـــديث **$من آذى لي ولياً#** على حرمة المشاهد و القبور.

وقد حاكمهم أولاً إلى أصلهم و (على جواز أخذ الحكم من دليله وإمكـــان الاجتهـــاد في هـــذه الأعصـــار) فكيف يجيزون لأنفسهم خلاف ما أصلوه، ثم ناقشهم في الجــزم بكون هذا المدفون وليــاً، وأبــان جانبــاً مما ينسب إلى من يوصــفون بالولاية من الشــطح و التخريــف، وكيف يكــون هــدم هــذه القبــاب إيــذاءاً لأوليــاء الله وهو امتثــال لأمر رســول الله ؟! ثم رد عليهم حــديث: **$**مــارآه المســلمون حســناً فهو عند الله حسن**#** وأن ذلك لايثبت عن رســول الله [3]، وأخذ يبــدي ويعيد في موضــوع الاجتهــاد والتقليد إلى نهاية الفصل[4]، وهكذا في الفصل الذي يليــه، رد على من قال منهم: (ولا يــدعي الاجتهــاد في زماننا هــذا إلا من

---

1 (?) معارج الألباب ص(26 - 27).
2 (?) المصدر السابق ص(29).
3 (?) معارج الألباب ص(39 - 49).
4 (?) المصدرالسابق ص(45 - 101).

جهل شروط الاجتهاد وعريَ عن أصول الفقه)، واستمر في رده إلى نهاية الباب الأول[1].

أما الباب الثاني: فجعله (في ذكر جملة شافية من الأحاديث الصحيحة والأخبار الصريحة، الشاهدة بأن وضع القباب والبناء على القبور من أصله وتشريفها والكتابة عليها وتجصيصها واتخاذها مساجد وما يتصل بذلك: أمر تقرر في الشرع منعه، وسبق الحكم الجازم بالنهي عنه)، وبعد أن نقل من ذلك جملة كثيرة علّق على بعضها، ونقل نقلاً طويلاً عن ابن القيم من " إغاثة اللهفان "، ثم علّق على بعض كلام ابن القيم وانتهى الباب)[2].

أما الباب الثالث: فجعله للرد المباشر على تلك الأجوبة حيث يذكر جملة من الجواب، ثم يرد عليه، وقد استغرق هذا الباب بقية الكتاب، ولم يقتصر على تفنيد شبههم المتعلقة بالمشاهد والقباب، وإنما تطرق إلى ضلالات المتصوفة، وأنواع الشرك التي تُرتكب عند المشاهد والقبور، وما يجب على المسلمين والعلماء تجاه ذلك، وهو نقاش قوي ومنهج سوي مفيد لطالب العلم في رد شبه القبورية.

فرحم الله العلامة النعمي، وغفرله، وجزاه خير الجزاء على ما قدم، وله أثر ثانٍ أخص في الموضوع بعنوان " مدارج العبور على مفاسد القبور " ذكره في مقدمة المعارج (27)، ولا أعلم عن وجوده شيئاً، وأما مضمونه فهو في النهي عن البناء على القبور، وما يلحق بذلك حسب إشارة المؤلف..

المؤلفات المفردة في مواجهة القبورية لعلماء تهامة:

ولغير من تقدم مؤلفات ورسائل مفردة تعنى بمواجهة

---

1 (?) المصدر السابق ص (101 - 118).

2 (?) المصدر السابق ص(120 - 156).

القبورية في بعض الجوانب، و إليك جـدولاً بأسـماء هـؤلاء العلماء وأسماء مؤلفاتهم:

1) **محمد بن أحمد الأهــدل** المتــوفى ســنة (1271هـ)، وله رسالة بعنوان " تحـذير الإخـوان المسـلمين من تصـديق الكهـان والعـرافين " ووجه كونها في مواجهة القبوريين أن بعض القبوريين هم الـذين يقومـون بالكهانـة والعرافة باعتبار ذلك من الكرامــات، المرجع هجر العلم (4/ 2015).

2) **حسن بن خالد الحازمي**: المتوفى سنة (1234 هــ) أو (1235 هــ)، له رسـالة بعنـوان " قـوت القلـوب بمنفعــة توحيد علام الغيــوب" واضح من العنــوان أنها في الـدعوة إلى التوحيد وقطعـاً في التحـذير مما يضـاده من عقائد وأعمال القبورية، المرجع هجر العلم (3/1224).

3) **الحسين بن عبدالرحمن الأهدل** المتوفى سنة (855 هـ) له رسالة بعنوان " القول النضر على الـدعاوي الفارغة بحياة الخضـر) يـرد بهـاعلى عقيـدة مشـهورة من عقائد القبورية وهي القول بحياة الخضر وزعم الالتقـاء به والأخذ عنه. المرجع هجر العلم (1/ 46).

4)**قادري بن أحمد الأهدل** مازال حياً - حفظه الله -له منظومة بعنوان" بهجة القلوب بتوحيد علام الغيــوب " وهي مطبوعة مع هداية المريد للعبّادي، وقد تنــــاول فيها الكثــير من انحرافــات القبوريــة، وأبــان ضــلالها وكشف عوارها.

المطلب الرابع: جهود علماء حضـرموت في مواجهة القبورية:

لم تترسخ القبورية في أي ناحية من نواحي اليمن كما ترسـخت في حضـرموت، حيث سـيطر القبورية فيها على كل شــيء، سـيطروا على الحكــام، ووجّهــوا الســلاطين وسعوا لجلب الاستعمار، وكان لهم عنـده مكانة مرموقـة، وأمسكوا بزمام القيـادة العلمية والروحية في البلد بقبضة حديديــة، لم تـترك لسـواهم وسـوى الـدائرين في فلكهم متنفساً؛ لـذلك لا نـرى تلك المعارضة للفكر الصـوفي في حضرموت مثل ما عورض في زبيد وصنعاء أو غيرهما من أنحاء اليمن، وحـتى كتابة التـاريخ فقد احتكروها بين قـادة التصوف وأنصارهم، فجاء تاريخ حضرموت كما يشاؤون لا كما هو في الحقيقـــة، لـــذلك لا غرابة أن يقل أو ينعـــدم المواجهــون للقبورية فيهـــا، ومن ظهر فإنما ظهر بعد أن حصـلت للقبورية الهـزات العنيفة بفعل الـدعوة السـلفية في صنعاء وفي نجـد؛ حيث وصـلت الجيـوش النجدية إلى قلب وادي حضـرموت، والتقى دعاتها بالنـاس، فتـأثر بهم رجال من شتى الطبقات حتى من السادة العلـويين[1]، ثم دعوة الإرشاد باندونيسيا،

ومن هؤلاء الذين برزوا:

العَلَم الأول

الشيخ علي بن أحمد باصبرين

وهو العلامة الفقيه المحـــــدث الأديب الداعية علي بن أحمد باصبرين - رحمه الله - لم يُعرف تاريخ ولادته وتاريخ وفاته بالتحديد؛ ولكن العلامة الشيخ علي سالم بكيّر يرجح أنه (عــاش في النصف الأخــير من القــرن الثــالث عشر الهجري وأوائل القرن الرابع عشـر)[2]، وكـان هـذا الإمـام

---

1 (?) انظر إدام القوت ص(225-226).

2 (?) رجـال وكتب للشـيخ علي سـالم بكيّـر باغيثـان طبع دار

متميزاً بالشجاعة متظاهراً بحمل السلاح يقول عنه علوي بن طاهر الحـداد: (كـان شـجاعاً ذا عـزم لايـزال متمنطقاً بمسدس أو مسدسين)[1].

وكـان ذا غـيرة شـديدة حملته على إنكـار الكثـير من المنكرات والعمل على تغيير بعضـها باليـد، يقـول الحـداد: (وأحسب أن له يــداً في الثــورة الــتي وقعت بجــده على قناصل الدول وهي واقعة مشهورة، وقد تمكن من الفـرار فسلم، وهو الذي أثار العوام على الأبنية الـتي جعلت على الجمرات الثلاث بمنى فهجموا عليها وأخربوها)[2].

كما كـان مـبرزاً في العلم متفوقـاً فيـه، وصـفه أحد العلويين بقوله: (وهو إمام في كل العلوم)[3]، وكان عاملاً بعلمه داعيـاً إلى مـاهو مقتنع بـه، لم يجمـد على ما كـان عليه أهل مصـره وعصـره؛ بل دعا إلى التوحيد وحـذر من الشــرك وزيف الخرافـات وحـارب المنكـرات؛ ومن أجل ذلك حاربه علماء حضرموت ونازعوه وحـذروا منـه، يقـول ابن عبيدالله: (وجرت بينه وبين علماء تـريم منازعـات في عــدة مســائل، **منها** التوسل والاســتغاثة **ومنها** ثبــوت النسب بمشجّرات العلويين المحررة، وكـان الشـيخ يبـالغ في إنكــار ذلك وألِّفت رســائل من الطــرفين[4] #، ونقل مستنكراً ما قاله أحمد بن حسن العطاس عن هذا الإمــام فقـال: (وفي مجمـوع كلام العلامة السـيد أحمد بن حسن العطاس أن بعض العلماء المصـريين قـال لـه: : " نعـرف من الحضارم حدة الطبع، وأنت بعيد عنها " قال لـه: " من عـرفت من الحضـارم؟ " قـال لـه: " عـرفت الشـيخ علي

حضرموت للدراسات والنشر ص(109).

1 (?) الشامل (1/135) وانظر إدام القوت ص(110).

2 (?) الشامل (1/135).

3 (?) إدام القوت (110).

4 (?) إدام القوت (111)

باصبرين، وجلست معه في الحرمين سنين، فرأيت من حدته ما لا مزيد عليه "، فقال السيد أحمد: " ذاك رجل من أهل البادية، وتلقى شيئاً من العلم، وقد حجر سلفنا وأشياخنا على المتعلقين بهم الأخذ عنه؛ لأنه ليس بأهل للإلقاء ولا للتلقي، ولا يخفى عليكم ما في طباع البادية من الغلظة والجفاء "، انتهى. وفي هذا غض من مقام الشيخ علي لايليق بالإنصاف، وقد علمت أن السيد عمر بن حسن الحداد قرأ عليه وهو من مراجيح العلويين)[1].

ويبرز اتجاهه التجديدي من خلال بعض مؤلفاته **ومنها**: " إرشاد صالحي العبيد لتحقيق إخلاص كلمة التوحيد " ذكرها في المسألة التاسعة من " المهمات الدينية " المتعلقة بالنهي عن قول العوام (ياولي الله جئنا إليك وحططنا الذنب بين يديك) بعد أن علق عليها قال: (ومن أراد توضيح ما في المقام فعليه برسالتي المسماة " رشاد صالحي العبيد لتحقيق إخلاص كلمة التوحيد "[2].

وهذه الرسالة لم نعثر عليها، ولكنا عثرنا على المهمات وسوف يأتي الحديث عنها حين نتكلم عن أثر هذا العالم في مواجهة القبورية، وله مؤلفات أخرى **منها** خمسةكتب في الفقه الشافعي، وكتاب عن أنساب السادة العلويين سماه " حدائق البواسق المثمرة في بيان صواب أحكام الشجرة " فرغ من تأليفه سنة (1298 هـ) قاله ابن عبيد الله[3]، ورسالة في الرد على بعض من

---

1 (?) إدام القوت ص(110-111).

2 (?) المهمات الدينية ص(6).

3 (?) إدام القوت ص(111-112) وانظر لمزيد الفائدة تعليق ابن عبيدالله بذكر مادار بين الشيخ علي وبعض السادة حول الرسالة المذكورة وفيه كلمة للمحضار لفظها (وبعض الناس قوله وبوله سواء) وهي تدل على مبلغ العنجهيةلدى هؤلاء الناس.

اعترض عليه في رسالة الشجرة المذكورة. [1] إضافة إلى تلك الكتب هناك كتاب مخطـوط في مكتبة الحـرم المكي بعنـوان "إتحـاف الناقد البصيربخصـوص صـحيح الجـامع الصـغير" ذكـره شـيخنا الألبـاني في مقدمة كتابه صـحيح الجـامع الصـغير وقـال: إنه اطلع عليه في مكتبة الحــرم المكي، وقد نقد المؤلف حيث أنه يتــابع الســيوطي على تصحيحه دون تحقيق من قبله[2].

هـذه نبـذة عن الشـيخ علي باصـبرين رحمه الله وهو مـترجم في " الشامل في تـاريخ حضـرموت "، و " إدام القـوت أو معجم بلـدان حضـرموت "، " وتـاج الأعـراس " وكلها تراجم موجزة.

أثر هذا العلم في مواجهة القبورية

كان الأولى أن أدرس رسالة " إتحاف صالحي العبيد " التي أشـرت إليها سـابقاً ولكنها مفقـودة؛ لـذا لجـأت إلى الرســالة الأخــرى وهي: " المهمــات الدينية في بعض المرتكب من المناهي الربانية ".

وهي رســالة صــغيرة حصر فيها المؤلف مجموعة من المناهي التي قد ارتكبها الناس، ولم يتقيد بباب من أبواب العلم، وإنما نوعها بحسب أهمية تلك المنــاهي المرتكبــة، فاشتملت الرسالة على خمس وسبعين مسـألة، قـال في مقدمتها: (ولقد جمعت في هـذه العجالة خمسـاً وسـبعين مهمة من مهمات الدين مما عم الابتلاء بـالتلبس بهـا، وقد أرسلت منها نسخاً عديدة لكل كبير بلد أو قريـة، كل هـذا خروجــاً من عهــدة الأمر بــالمعروف والنهي عن المنكر وإبلاغ الجهد في بذل النصـيحة لهـذه الأمة المباركـة، لعل

1 (?) ذكرها ابن عبيد الله في نفس الموضع السابق.

2 (?) صحيح الجامع الصغير طبع المكتب الإسـلامي(1/14ـ 15) الطبعة الثانية (1406هـ- 1986 م).

وعسى أن ينتفع بها مؤمن صالح، ويرتدع بها وينيب غاوٍ بجهالته طالح)[1].

وقد مضى في تلك المهمات إلى أن قال: (التاسعة) مما يحرم ما يقال عند إقبال الزائرين إلى المزور:

(ياوليّ الله جئنا إليك وحططنا الذنب بين يديك)

وقد علق على ذلك وبين مافيه من الغلو، وأنه لايغفر الذنوب إلا الله، ثم أحال على رسالته السابق ذكرها، ومضى إلى المهمة (الثامنة عشر) وفيها تعرض لما عند بعض جهات حضرموت أنهم: (إذا ميزوا زكاة أموالهم بنحو حَجْر والرِّيَد[2] يقولون: (هذا لله وللشيخ سعيد أو حق الله وحق الشيخ سعيد مثلاً)[3]، ثم تكلم عن ذلك من الناحية الاعتقادية والناحية الفقهية، وقد حكم أن هذا القول خلاف الصواب، وأنه مبني على اعتقاد أنهم (إذا فعلوا ذلك يأمنون عاهات أموالهم وإلا فيصابون بعاهة في أنفسهم وأموالهم، أو من الله إذا أغضبوا الشيخ بمخالفة عادتهم من إعطائهم مالا يستحقه، مع نسبة الآثار إلى مايتوهم الجاهل أنه منه، وذلك خلاف الصواب والحق أن موجد الآثار وأسبابها هو الله الواحد الأحد الفرد الصمد القائل سبحانه: **ما أشهدتهم خلق السموات والأرض ولاخلق أنفسهم وما كنت متخذ المضلين عضدا**)[4]، والحق أنه لم يشبع المسألة وربما كان ذلك لأجل الاختصار، وفي المهمة (العشرون) تحدث عن النذر وأنه (لايصح إلا إن كان لمن يملك - ومنه المسجد- طاعة لله وقربة بها يتقرب إليه تعالى لا لميت وبهيمة ما لم يرد غيرهما المعتبر، ولا معصية أو مكروهاً أو مباحاً لآدمي أو

---

1 (?) المهمات ص(3).

2 (?) هما جهتان معروفتان من جهات حضرموت.

3 (?) المهمات ص (8)

4 (?) الكهف (51).

جـني أو معظم ما غـير الله الواحد الأحد الفـرد الصـمد، لرجاء مالم يقضهِ الله له لو لم يشفع لـه هـذا المعظم، أو دفع ما قد قضاه الله وأبرمه عليه في سابق علمـه، فهـذا محـــرم بل كفر في حق العـــالم والجاهل الذي أخـــبره بمقتضى ما يتضـــمن ذلك من هو من أهـــل الإخبـــار والتعليم[1]#.

والشـيخ قد أبـان جانبـاً مهمـاً من الحق في هـذه المسألة؛ وهو تحريم النذر للأموات، وأنه متى صاحبه ذلك الاعتقـاد صـار كفـراً في حق العـالم والجاهل الـذي قد أخبره به من هو أهل للإخبار، ولكن هنا أمرين:

الأمر الأول: تصحيح النذر عند إرادة المعتَبَر ممن له علاقة بالقبر فإن هذا موهم جداً ومغرٍ للعوام بالنـذر لتلك المشاهد والقباب ومن فيهـا، وتَـرتُب الاعتقـاد إن لم يكن موجوداً حال النـذر والغـالب أنه لا ينـذر لها ولم يقصد من عنـدها من الـزوار وغـيرهم إلا مع وجـود الاعتقـاد فيهم، ولذلك فقد انتقد هذا المسلك الشيخ أبو بكر الخطيب في فتاواه معللاً بأن (الغالب أنهم يقصدون تعظيم ذات الولي أو قـبره أو مشـهده وذلك باطل والله أعلم بالصـواب)[2]، وكـذلك الرسـول عنـدما نـذر الرجل أن يـذبح إبلاً ببوانه سـألـه: **$هل كـان فيها وثن من أوثـان الجاهلية يعبـد؟ قـال: لا قـال: (فهل كـان فيها عيد من أعيادهم؟ قـال: لا قـال: فـأوف بنـذرك#**[3]، وهـذا يـدل على أن النـذر لو كـان لمكـان فيه وثن أو عيـد لما أجازه؛ لئلا يظن ظان أن ذلك لتعظيم تلك البقعـة، وهكـذا هنا فـإن قصد تعظيم ذلك المشـهد والقـبر هو الغـالب، فكان الـواجب سد هـذه الذريعة وعـدم تصـحيح النـذر من

---

1 (?) المهمات ص(9).
2 (?) الفتاوى النافعة ص(249)
3 (?) تقدم تخريجه في الباب التمهيدي ص(29).

أصله.

الأمر الآخر: جعل النــذر شــركاً -إن وجد الاعتقــاد والتعظيم- هذا فيه قصور، إذ النذر عبادة لله تعـالى وليس كما يفهمه بعض الفقهــاء مجــرد هبة أو عطيــة، ولــذلك فجعله لهذا المشهد أو القبر هو في حد ذاته قربة وعبادة، وصـرف ذلك لغـير الله شـرك، ولـولم يوجد التعظيم؛ لأن الحامل عليه هو الخوف أو الرجاء كما ذكـره الشـيخ آنفـاً، بخلاف ما لو نــذر لحي فإنه في عــرف الفقهــاء بمعــنى العطية أو الهبــة، وعلى ذلك درج النـــاس فيما يتعاطونه بينهم فيقول قائلهم نذرت لابـني أو أخي أو فلان بكـذا أي وهبتــه، فما كـــان من هـــذا القبيل فلا يمنع إلا أن قارنه التعظيم والتقرب والله أعلم.

أما المهمة (الحادية والعشــرون) ففيها يقــرر المؤلف أنه لايتقــرب ولايعظم بالصــلاة والنسك " الــذبح " إلا لله تعالى، ولاينسب الإحياء والإماته إلا لله تعالى، وهذه أمــور معلومة لا إشـكال فيها وإن كـان من الناحية العملية بعض القبورية أو جلّهم يخالفون في الذبح فيجيزونه لغـير اللــه، ويتأولون ما يفعل من ذلك عند العوام، والـذي لاعلة له إلا "تعظيم من ذبح له" يتــأولون ذلك بتــأويلات باطلة، وكــذا الإحياء والإماتة، هذا أصل من الناحية النظرية متفق عليه، أما من الناحية العملية فالصوفية ينسبون لأوليائهم الإحياء والإماتة -كما جاء في ترجمة علوي بن الفقيه المقـدم من المشــرع وغـيره - وقد تقـدم إثبـات اعتقـادهم لـذلك في البـاب الثـاني، وذلك غاية الإلحـاد والعيـاذ باللــه، ثم يـرتب على ما تقـدم تحـريم العقيرة[1]، لكونها يهل بها لغـير الله

---

1 (?) قال في القـاموس و (العقـيرة ما عقر من صـيد أو غـيره) ص(569) وفي العــرف هي جمل أو ثــور يســوقه الــزوار عند زيارتهم للولي: إما إرضاءاً له لما قد يظنــون أنه ساخط عليهم أو تقرباً لطلب حاجة منه.

ولغير ذلك من المحظورات التي تترتب على ذلك، ويأتينا هنا بفائدة جديدة جليلة وهي أن الزامل[1] الذي يكون غالباً مصاحباً لزيارات الأولياء هو: (لتعظيم المقبور له بمنزلة تلبية وفد الله تعالى بالحج والعمرة وهذا من أعظم المنكرات وأعظم منها سكوت أهل العلم عنهم فيما لو فرض سكوتهم فضلاً عن رضى عاقل بذلك)[2]، وهذه النكتة لم أعرف من نبه عليها غيره ولكن لا استبعد صحة ما قرر في ذلك إذ أنّ هذا هو الشأن في معظم الزيارات إن لم يكن فيها جميعاً وهذا **أولاً**، و**ثانياً**: أنها فعلاً تعتبر تعظيماً للولي وذلك برفع الرايات التي هي شعاره واشتمالها غالباً على أبيات شعرية في مدحه أو دعائه والاستغاثة به. و**ثالثاً**: أن خليفة ذلك الولي المسمى عندنا " منصب مقامه " يعطى في هذه الزيارات من التعظيم والتفخيم وإظهار مقامه وقدره شيئاً عظيماً كما نبه عليه " الصبان " في كتابه زيارات وعادات " زيارة نبي الله هود "[3]، فرحم الله الشيخ باصبرين.

والمهمة (**الثانية والعشرون**) يقرر فيها أن الحلف بغير الله تعالى وصفاته وأسمائه شرك، ثم قسم الشرك إلى جلي وخفي، وأن الجلي هو المخرج من الملة والخفي لايخرج من الملة، ثم تعرض لصيغ من الحلف وتكلم عنها، ثم فرق بين ماكان المقصود به تعظيم المحلوف به كتعظيم الله أو يخاف منه كخوفه، أو يرجى

---

1 (?) الزامل في العرف هو نوع من الرجز يؤتى به عند المناسبات كالأفراح ونحوها وكذا في الزيارات.

2 (?) المهمات ص(9-10).

3 (?) زيارات وعادات " زيارة نبي الله هود "ص (40-ـ 41) تأليف عبد القادر محمد الصبان، طبع المعهد الإمريكي للدراسات اليمنية.

منه نفـع لم يقضه الله، أو يـدفع عنه ضر قد كتبه الله فهو الحرام الكفر اتفاقـاً، أما إذا سـلمت العقيـدة من ذلك فلا كفر جلي وفي الخفي خلاف والورع تركه مطلقاً)[1] وهـذا تفصيل جيد، ,أجود منه لو صرح بتحريم النـوع الثـاني وإن لم يكن شركاً.

والمهمة (**الستون**): قال لايجوز لأحد حكاية ماصورته منكر، وإن صدر عن بعض الأكابر محمـول على أنه مـؤول عنده بتأويل غير متبادر للعامـة؛أو أنه صـدر حـال غيبة عن تعقل مقوله بوجه من الوجوه أو أنه من قـول غـيرٍ كجـني كما قال بعضهم:

أنا عرشها والكرسي أنا للسما بانيها

ولولا الحيا من جدي نار الجحيم أطفيها[2]

والنهي عن ذلك في محله، وأما التأويل لـذلك فبعيد وقد تقدم إيضاح ذلك[3]

المهمة (**الحادية والسـتون**): قـال فيها (من المحرمات قـول بعض المعتقدة جوابـاً لقـول المعتقد ادعُ الله لي بالجنة " أنت في الغدفـة أو ضـماني ")[4]، وهـذا القول يتكرر كثيراً من بعض أقطاب القـوم في مناسـبات مختلفة وهو محـرم كما ذكر الشـيخ إن كـان مجـرد جـرأة عن غير اعتقاد، أما من اعتقد أنه يملك ذلك فهذا طاغوت لأنه زعم لنفسه حقاً من خالص حق الله تعالى.

هـذه هي المهمـات الـتي تعـرض فيها الشـيخ للقبورية ونقد بعض عقائـدهم وأعمـالهم، وأما بقية المهـام فإنها منكرات يقع فيها الكثـير من النـاس وهي معاصي لاعلاقة لها بالقبورية.

---

1 (?) المهمات ص(10).

2 (?) المهمات ص(16).

3 (?) المهمات ص(16)

4 (?) المهمات ص (16).

والشـيخ -رحمه الله تعـالى- قد تحـرر من غل التقليد لمعلميه والتأثر بمجتمعه إلى حد كبير، وحسبه ذلك مـادام مجتهداً باحثاً عن الحق جاداً في العمل به والـدعوة إليـه، وقد بقي لديه بعض آثـار مدرسة حضـرموت لم يسـتطع التخلص منها وهي قليلة في جـانب ما حقق من إصـابة للحق، فرحمه الله وغفر له.

العَلَم الثاني

من أعلام المواجهين للقبورية في حضرموت

الشيخ محمد بن علي بافضل رحمه الله تعالى

للأسف لم أعـثر لهـذا الشـيخ على ترجمة مكتوبـة، ويقـال أن هنـاك ترجمة كتبها هو لنفسه بعنـوان "حيـاتي" غـير أنـني لم أتحصل عليهـا، وهي عند بعض أولاده كما أخـبرني بعض أقاربه، فلـذلك أكتب ملامح عامة عنه فأنا أعرفه، وقد جالسته وحضرت درساً من دروسه في مدينة " القَطْنْ " بلده الذي ولد وعاش فيه معظم حياته.

كانت دراسـته الأولى في ربـاط تـريم على يد شـيخه الشـهير **عبدالله بن عمر الشـاطري**، ثم هـاجر إلى الصومال ومكث هناك ردحاً من الزمن، ولعله هناك التقى ببعض المصـريين من أنصـار السـنة وبـذلك تحـول إلى الاطلاع على كتب الإمامين ابن تيمية وتلميـذه العلامة ابن القيم رحمهما الله وأئمة الـدعوة السـلفية في مختلف العصور حتى صار بذلك من أعلام الدعوة السلفية.

يقول فضيلة الشيخ " السيد السيد رجب " المـدرس في جامعة الإمـام محمد بن سـعود الإسـلامية في تقديمه لكتابه " دعوة الخلف إلى طريقه السلف " وهو يتكلم عن أعلام الـدعوة الـذين أشـعلوا المشـاعل لينـيروا الطريق وليوضحوا السبيل ليسترشد الحائر ويهتدي السـائر: (ومن هؤلاء العـالم الفاضـل، والشـيخ الوقـور، والمـربي الأمين،

والقدوة الطيبة والمجاهد المكافح الذي صابر وثابر وأفنى شبابه وصحته في سبيل الدعوة وإبلاغ الحجة وأداء الأمانة وإيقاظ الغافلين، والأخذ بيد العاملين، والذي نحسبه كذلك ولا نـزكي على الله أحـداً، ذلكم هو الشـيخ " محمد علي بافضل "، بارك الله فيه وأطال عمره ونفع به وجزاه بكل خير، فقد جاهد وناضل في سـبيل عقيدتـه، في كل مكـان حل به وأقام فيه، ومن يذهب إلى الصـومال يجد مسـجداً فخماً سـمي باسـمه، أقامه وشـيد أركانـه، وكـان إمامه وخطيبه ومـدرس العلم والمعرفة لـرواده وأحبابه وإخوانه ومعارفه، فهذا درس التفسير، وذاك درس الحديث، وهـذا درس الفقه، بل كان يدرس النحو والصرف وهكذا.

وكلٌّ حسب منهج دراسي منظم، ومسـتويات علمية متباينة، فربّى رجالاً فاهمين عالمين عـاملين، جمعـوا بين طلب الدنيا والدين، والشباب والشيوخ من حوله ملتفـون، كان لهم العالم والمرشد والأخ والصـديق والأب والرفيـق، يلتفـون حوله ويسـتجيبون لنصـحه، ويعملـون بتويجهاته ويستشـيرونه في أخص أمـورهم، وإن أنس لا أنسى ليلة وداعه وهو مغادر الصومال بعد إقامته فيه مدة طويلة إلى موطنه العزيز والجمـوع محتشـدة في ذلك المسـجد بمقديشو والرجل يفيض على الجميع من علمه وتجاربـه ونصائحه وكانت كلماته مشوبة بأنفـاس كبد محـترق تلفح الآذان، والنـاس في حـزن عميق وألم للفـراق شـديد، ثم يحمِّلـني تبعة القيـام بالمسـجد ويعهد إلي بتحمل الأمانة ولكن أنّى لي ولأمثـالي أن نملأ هـذا الفـراغ ونقـوم بـذلك العمل الكبير والمجهود العظيم فجزاه الله خير الجـزاء)[1] هذه لمحة عن حياة الشيخ وجهده في المهجر.

وأما في الوطن فأنا أسجل ما بلغني عنه وما شـاهدته منه مباشرة:

---

1 (?) دعوة الخلف إلى طريقة السلف التقديم ص(ج - د).

فلقد سـمعت بالشـيخ وجهـوده ودعوته إلى الكتـاب والسـنة في آخر حياته رحمه اللـه، حـوالي عـام اثـنين أو ثلاثه وتسعين وثلاثمائه وألف هجرية، حيث وصف بالـدعوة إلى التوحيد والسـنة ومحاربة البـدع والشـركيات وبيـان خرافـات الصـوفية وتزييفها، وماكـان قائمـاً به من نشر العلم والإفتاء في مدينته القطن، ثم شاء الله بعد مدة أن أزور القطن وأصـلي المغـرب والعشـاء في مسـجدها الجـامع، حيث يـدرس الشـيخ وقد كنت ذاهلاً عن الشـيخ ودعوته التي وصفت لي من قبل، فلما كان بين العشـائين فإذا بالشيخ يتصدر الحلقة العلمية ليدرس طلابه من كتاب فقه السـنة " للسـيد سـابق " وفي سـيرة الرسـول ولا أذكر ما هو الكتاب الـذي كـان يـدرس فيه وقتها، فجلست في الدرس وسمعت كلاماً قيماً غريباً على ما هو معروف في الأوسـاط العلمية الحضـرمية آنـذاك، وبعد انتهائه من الـدرس أردت أن أتأكد ممـا سـمعت، فسـألته عن بعض الأمـور المتعلقة بالبـدع والشـركيات المنتشـرة في البلاد، فأجاب جواباً صريحاً واضحاً بما يشفي غليل محب السنة والتوحيـد، فاطمـأننت إليه واقـتربت منه وتعـرفت عليه وعرفته على نفسـي، فقـال لي: (لقد أجبتك على تلك الأسـئلة بما سـمعت لأنـني هنا في القطن ولـوكنت من شـبام وحـدرا لسـبطونا على تلك الأجوبـة) هكـذا بهـذه اللهجة الدارجة ومعناهـا: أنه لما أجـابني بما أجـابني لأنه في بلد القطن الـذي قد اسـتجاب أهله للـدعوة السـنية وآمنوا بها، ولو أنه كان في مكان آخر من بلد شـبام أو ما كـان شـمالاً عنها لضـرب على تلك الإجابة لما عليه أهل تلك الديار من التعصب والخرافة، وعندها عـرفت أنه ذلك العالم السلفي الذي حُـدِّثْتُ عنه من قبـل، ثم دعـاني إلى منزله فاعتذرت فواعـدني من اليـوم الثـاني حيث أخـذني إلى مسجد جديد كان يقوم على عمارته وفي أثنـاء تجولنا

في المسجد كان يشكو إلي سوء الأوضاع في البلاد ومحاربة النظام الشيوعي للدين وأهله وما يلاقيه هو من رقابة ومتابعة شديدة، ثم إنه رحمه الله سافر إلى المملكة العربية السعودية، حيث وافاه الأجل في مدينة جده حوالي عام (1404ه)، وقد ترك أثراً طيباً في بلده وكان له طلاب ومحبون فيها وفي غيرها، كلهم سائر على نهجه ومقتبس من طريقته - رحمه الله رحمة واسعة -.

الأثر الذي خلّفه "دعوة الخلف إلى طريقة السلف":

وواضح من عنوانه أنه دعوة إلى العودة إلى ما كان عليه السلف الصالح رضوان الله عليهم في جميع الأمور من عقيدة وعبادة وأخلاق ومعاملات وسائر شؤون الحياة، ولقد لخص موضوع الكتاب المؤرخ الشهير سعيد عوض باوزير في المقدمة التي قدم بها للكتاب فقال: (آمنت بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد نبياً) هذا هو موضوع الكتاب الذي جمعه المؤلف من أوثق المصادر.

دعوة إلى التوحيد الخالص دون إشراك، وإيمان برسالة خاتم الأنبياء دون انحراف، وتمسك بتعاليم مستقاة من أصولها الصحيحة دون ابتداع، في ميدان الاعتقاد يدعو الكتاب إلى إصلاح كل ما أفسدت البدع والأباطيل من جوهر العقيدة، وفي ميدان السلوك والعبادة يدعو إلى رفض كل زيادة ليست في كتاب الله الكريم ولا في سنة رسوله المطهرة)[1].

وبعد كلام عام عن أزمة المسلمين وأن لاحلَّ لها إلا بالرجوع الحق إلى الإسلام قال المقدم: (ربما تثير بعض النقاط التي عالجها الكتاب حساسيات بعض الناس، أو تصطدم بوجهات نظر خاصة بهم، ولكنني واثق بأن

---

1 (?) دعوة الخلف، المقدمة ص(5-6)

المؤلف لم يكتب ما كتب عن هــوى أو غــرض وإنما كــان يصدر عن عقيدة امتزجت بروحه وقلبه، يدافع بها عن دين الله الحق، طالما تحدث بها لســانه، قبل أن يتناولها قلمه، فـالمؤلف من خطبـاء الحضـارم الموهـوبين وأسـاتذتهم المسـتنيرين، تعرفه المنـابر والحفلات، كما تعرفه فصـول الدراسة، وقاعـات المحاضـرات)[1]. والكتـاب قد جعله المؤلف على طريقة السؤال والجواب:

وقد شـمل توحيد الربوبية والألوهية وتوحيد الأسـماء والصـفات وما يضـاد ذلك من الإلحـاد والشـرك، وقد ركز على توحيد الربوبية بعض الشيء لوجود التشكيك فيه في تلك الفترة، فـترة انتشـار الإلحـاد في العـالم كله، وعنـدنا في حضرموت بسبب النظام الشيوعي الـذي كـان جاثمـاً على صدر البلاد وأهلها، ثم تكلم على السنة ومـايتعلق بها ومايضـادها من البـدع، كما عـرج على الفكر الصـوفي الحضرمي ونقد بعض خرافاته، وأبان بعض ما يحتوي عليه من الشعوذةوالدجل، وخصص بعض البدع الـتي تتفـرد بها حضرموت مثل" صـلاة الخمسة فـروض" الـتي تـؤدى آخر جمعة من رمضان، حيث يصلون الفـرائض الخمسة الفجر ثم الظهر ثم العصر ثم المغـرب ثم العشـاء في آن واحد وذلك بنية قضاء ما فات أثناء السنة الماضية

وأول من أحـدثها في حضـرموت " الشـيخ أبو بكر بن سـالم العلـوي صـاحب عينـات "، ولـذلك فـإن أكـثرمن يتعصب لها هم المنسوبون إليه، ولاتزال مسـتمرة بشـكل رسمي وبطقوس واعتقادات، خاصة في بلـده عينـات إلى اليـوم، كما تعـرّض لبعض الأمـور الـتي دعا الواقع إلى طرقهـا؛كمسـألة المـرأة في الإسـلام، وتعـدد الزوجـات، وموضوع الإسلام والرق، هذا مجمل ما اشـتمل عليه ذلك الكتـاب فهو مهم جـداً ومفيد للغاية فـرحم الله مؤلفه

1 (?) دعوة الخلف المقدمة ص(5 - 6).

وأجزل له الثواب.

العَلَم الثالث

العلامة القاضي عبدالله بن عوض بكير

وهو العلامة الكبــير والقاضي الشــهير، داعية السنة في وقت تَغَلُّب البـدع، ورافع راية التوحيد في مجتمع تجوس خلاله أنـــواع من الشـــرك، ويتصدر فيه دعاة الخرافة الشـيخ عبدالله عـوض بكير.

ولد رحمه الله في مدينة " غيل بــاوزير " ســنة (1314هـ)[1]، قـرأ القـرآن في أحـد كتـاتيب قرية " القـارة" من ضـــواحي الغيـــل، وبعد مرحلة من العمل والكـــدّ، التحق بركاب الشيخ عمرمبارك بادبَّاه في قرية "الصداع"، وأقام لطلب العلم لديه نحواً من خمسة عشر عامـاً، قـرأ خلالها عـدداً من الفنـون حـتى تقـدم على أقرانه وأصـبح شـيخه يوكل إليه بعض المهـــام؛من تعليم طلاب وإمامة مســـجد وردٍ على فتاوى)[2].

ثم انتقل إلى ربـــاط الغيل فـــترة، ثم ارتحل إلى بلاد الصومال " جيبوتي " و "مقديشو" مـرتين لتحصـيل العلم ولقمة العيش معـاً، وهنـاك التقى ببعض علمـاء الأزهر[3]، ثم عاد واسـتقر إمامـاً لمسـجد النـور بالقـارة، وقد حصل من العلم حظاً كبيراً مكَّنَه من أن يكـون مرجعـاً لمجتمعه الصـغير، عليه يعرضـون أسـئلتهم وإليه يرجعـون في حل مشـــاكلهم، ويراجعونه فيما يقع لهم من قضـــايا، ومنها ما قد يصدر لهم أو عليهم من أحكام قضائية وفتاوى شرعية، فكان يعلق عليها بما يراه الحق، وبذلك انتشر خبره وسار ذكره حتى وصل (مجالس العلمـاء ودخل مكـاتب الحكـام

---

1 (?) القضاء في حضرموت في ثلث قرن لابن المترجم العلامة عبدالرحمن عبدالله بكير النسخة الخطية ص(14).

2 (?) المصدر السابق ص(26 - 28).

3 (?) القضاء في حضرموت ص(28 - 29).

واســتمع إلى آرائه الــوزراء والســلاطين، فتــوجهت إليه الأنظـار ترقبه وتراقبـه)[1]، (وبالإضـافة إلى قـوة عارضـته الفقهية في المنـاظرات الشـفوية والكتابيـة، مما أكسـبه سمعة علمية طيبـة، وحنكة في معالجة القضـايا الفقهيـة، وإبراز خفاياها ودقائقها.. بالإضـافة إلى ذلك كـان صـريحاً في الحق لايمـاري ولايـداري، نزيهـاً لا تمتد عينه إلى متع غيره، محارباً للبدع أيـاً كـان القـائم بهـا، لاتأخـذه في الله لومة لائم، فقد كتب الرسـائل وألقى الخطب، وكـاتب من يتوسم فيه القيـام بـالأمر بـالمعروف والنهي عن المنكر، مشنعاً على كثير من البدع التي تعمل باسم الدين، وأظهر وأبـان وجه الحق في كثـير مما يُتخذ تحت شـعار الـدين، بينما هو في حقيقته باطل وجاهلي فألَّف من بين ماألَّف:

1) مثــالب المــزار: وهي رســالة في منكــرات زيارات القبـور. وأن زيـارة القبـور مشـروعة كما شـرعها الـدين الإسـلامي، وبغـير ذلك تعتـبر منكـراً يجب إنكـاره وتجب إزالته وتغييره.

2) تطهـير الفـؤاد من سـيّء الاعتقـاد: وهي رسـالة توضح كثيراً من المعتقـدات الفاسـدة الشـائعة في الجهة سـواء كـانت مما يتعلق بـالموتى أو بالأحياء أو بالجمادات أحياناً، ومايفعل باسم كـبراء الجن، كما يقـول أربـاب تلك المعتقدات.

3) الــدفوف في المســاجد: وتلك رســالة أوضح فيها حكم ضرب الدفوف في بيوت الله التي يجب أن تُنَزَّه عن مثل هــذه المعــازف والملاهي، ولقد ترسم فيها طريقة السلف الذين سبقوه وعنهم نقل مانقل)[2]. كـان هـذا من الشــيخ رحمه الله في عهد اشــتدت فيه الخصــومات بين الإرشــاديين والعلــويين في مهجــرهم في أندونيســيا

---

1 (?) المصدر السابق ص(31 - 32).

2 (?) المصدر السابق ص(32 - 33).

وسنغافورة، وألقت تلك الصـراعات بظلالها على الـوطن، وأصبح مَن يصنف أنه مِن الإرشاديين أو يتهم بذلك منبوذاً، بل مُعرّضاً لأنـواع من الأذى، ولـذلك فقد اتهم بالإرشـادية كما اتهم بالوهابيـــة، وإن لم يكن كما يقـــول ابنه الشـــيخ عبـدالرحمن ملتزمـاً لواحـدة من الطـائفتين، بل قد يؤديه اجتهـاده إلى موافقته إحـــداهما في أمـــور ومخالفتها في أمـور أخـرى، ولكن الإرهـاب الفكـري الكبـير الـذي كـان يمارس لايرضى بأنصاف الحلول ولا يعرف للاجتهاد معنى، "وإنما كُن معنا أوأنت ضـدنا"، ولكن الشـيخ - رحمه الله - ما بالى بذلك بل صمد في وجه كل تلك الزوابع، ولكن لما شـاع عن الشـيخ من سـعة في العلم وبصـيرة في الـرأي ونزاهة في المعاملة وعـــدل في الخصـــومة وقـــوة في الموقـف، كل ذلـك أرغم معاصـريه على احترامـه، وحَمَل المســؤولين على أن يخطبـــوا وده، وأن يطـــالبوه بتحمل مســؤولية القضـــاء الشـــرعي، والقـــرب من الســـلطان للاســتفادة منه في الـــرأي والمشـــورة، وقد نفر من ذاك بـــادىء الأمر، ولكنـــه رضخ له بعد إلحـــاح وبعد تأمـــل في المصالح والمفاسـد، ودخل سـلك القضـاء وتـدرج فيه بعد أن عُـرف عدله ونزاهته وقـوة إدراكه ونفـوذ بصـره حـتى أصبح رئيس القضاء، وعضو مجلس الدولة، ولقد قـام من خلال منصبه ذلك بإصلاحات قضائية وإدارية جبـارة، سـبق بها عصـــره وتفـــردت بها حضـــرموت عن ســـائر البلـــدان المجاورة، كما أصلح القضـاء وطـوره وحافظ على تحكيم الشـــريعة، فـــإن له بصمة أخـــرى عظيمة هي رئاسة لجنة الشـؤون الدينية والـتي كـان من مهامها الأمر بـالمعروف والنهي عن المنكر، ومراقبة الآداب الإســـــــــــــلامية، والـدعوةإليها، والتنفـير من كل مفسدة خلقيـة، والـدعوة إلى الســنة ومحاربة البــدع في الــدين)[1]، (فحــاربت من

1 (?) القضاء في حضرموت ص(183).

البدع ما حـاربت ونجحت ولاحقت من المفاسد الخلقية ما لاحقت وأصـلحت)[1]، ولكن الأمـر بـالمعروف والنهي عن المنكر ثقيل على أصحاب الشهوات، ومحاربة البدع شديد على أرباب الهـوى والشـبهات، وإلغـاء بعض ما في البـدع والزيـارات البدعية مضر بالسـدنة ومن يجنـون من ورائها أنواع الثمرات، وحرك إبليس جنده؛ فحـوربت هـذه اللجنة من قبل أشــخاص لهم في البــدع والمحافظة عليها قَــدَمٌ راســخ، أَوْلَهُم في طقــوس هــذه البــدع مصــالح مادية ومصالح روحية، بل إن لهم في البدع مصــالح رهيبة، وهي في نفس الوقت تمثل المخدِّر العام للشعب كي ينصــرف عنهم ولا يلاحقهم في بدعهم وأهوائهم، وبالمحافظة عليها وباستمرارها سيكون الشعب متلهيا بها منصرفاً إليها، غير متطلع لمســتقبل، ولا عــابىء بحاضــر، كيف لا وهي تملأ أكثر أيام العام، ولاتنتهي مناسبة بدعة حـتى تبـدأ مناسـبة جديـدة لأخـرى، ويتبع هـذه البـدع من المفاسد والمنـاكر والمحرمات ما يندى له جبين الدين ويتصبب له عرقاً وجه الأخلاق... بل وتتبعها مفاسد اجتماعية تصل إلى حد التفريق بين الزوج وزوجه، والابن وأبيه.

وما أكثر البدع اليوم وما أكـثر مروِّجيها والمغشوشـين بها، وأشــدها شــؤماً وأكثرها لؤمــاً؛ هو بدعة مايســمى بالزيـارات لما يـؤتى فيها من المنكـرات، والصد عن دين الله بعبـادات أعمق جاهليـة؛ لأنها باسـم. [2] تقـام وباسم الــدين تتحــدث. والزيــارات بدعة في الــدين، وبدعة في حضــرموت، وبحســبك أن تعلم أنها لاتســتند لســند في العادات والتقاليد حضرمي أصيل.

وقــدكان للجنة الشــؤون الدينية في عهد الســلطان صالح مع هذه البدعة بصـورة خاصـة، مواقف خاصـة، مما

---

1 (?) المصدر السابق ص (183).

2 (?) كذا في الأصل.

جعل السلطان عليه - رحمة الله - اقتناعـاً منه بمضـارها، يوقفها ويأمر بإلغاء طقوسها ومراسـمها أيـاً كـانت، ولكن القوم - هداهم الله - وغفر لهم ولنا، أعلنوا عدم تمسكهم بدينهم إذا كـان يقف في طريق ما ألفـوه، وأنت عليم بما يترتب على هذا من حكم شرعي)[1].

وقد أخـبرني أحد معاصـري الشـيخ رحمه الله، أنه منع الحضرة التي كانت تقام عند القبر الذي تحت مسجد عمر ويسـمى قـبر"علوية" أيـام وجـوده في القضـاء، وأقفل المكان وعزم على تأجيره مستودعات أو نحو ذلـك، ولكنه لم يتمكن من تأجيره، وإنما بقي مقفلاً مدة طويلة، ولكن بعد وفاته أعيد فتحه وأعيـدت الحضـرة الـتي تعمل له، وهـاهو اليـوم وصـمة عـار على جـبين المكلا وأهل المكلا، وبقعة ســوداء يطالعها كل من يــزور هــذه المدينة من الغرباء، فيحكم على أهلها الطيبين محبي السـنة أنهم من المخرفين والخاضعين لسلطان الدجل والشعوذة ولامنكر، بل المنكرون كثير ولكن من يستجيب لهم؟؟

كما أنه كـان قد أبطل الحضـرة الـتي كـانت تقـام في مسجد الروضة بالمكلا، وقد أعادها القبوريون هذه الأيـام، وكما كان الشيخ رحمه الله عالمـاً وقاضـياً ومصـلحاً؛كـان كـذلك شـاعراً وأديبـاً مرهف الحس قـوي العارضـة، وبعد عمر طويل قضاه في التعلم والتعليم والإصلاح، انتقل إلى رحمة ربه في يوم الاثنين السابع عشر من جمـادى الثانية عـام ألف وثلاثمائة وتسـعة وتسـعين للهجـرة؛ رحمه الله رحمة واسعة، وقد ترجمه الأستاذ سعيد عوض بـاوزير في الفكر والثقافة في التاريخ الحضرمي[2].

(6) آثاره في محاربة القبورية:

---

1 (?) القضاء في حضرموت ص(183 - 184).

2 (?) الفكر والثقافة في التــاريخ الحضــرمي ص(181-183) تأليف سعيد عوض باوزير 1381هـ-1961م.

كما سبق فإن للشيخ عدة آثار في مواجهة القبورية، و سأقتصر هنا على اثنين منها:

الأثر الأول: هو"رفع الخمار عن مثـالب المـزار"وهو عبارة عن رسالة صغيرة أجـاب فيها فضـيلته على سـؤال من محب كما يقول؛بعد أن تـردد في الإجابة عليه لما في زمانه من الانتكاس ثم عزم فأجاب وأجـاد وبين أن المزار المعـــروف في الجهة، أي جهة حضـــرموت، محـــرم لأنه يشـــتمل على جملة من المفاسد العقدية والاخلاقية، وقد أورد جانباً من الأحـاديث الناهية عن الابتـداع وطبقها على هذه الزيـارات، ثم ذكر أنواعـاً من المفاسد الأخلاقية مثل الاختلاط بين الرجـال والنسـاء والـذي قد تصل نتائجه إلى الزنا وقد يحصل اللـــواط كـــذلك، مع ما فيها من الملاهي الـتي هي مقصد أكـثر الـزوار وليس مقصـدهم الاعتبـار وتـــذكر المـــوت، وقد شن حملة على من يحضـــرها من المتزيين بزي العلم مع سكوتهم على تلك المنـاكر وقـال: (إنهم أشرار لا أخيار)، وأجاب على شـــبهة يطرحها البعض وهي: أن هناك خيراً في هذه الزيارات، مثل الموالد الـتي تقـــام فيها والمواعـــظ، فأبـــان أن الموالد هنا لا تكـــون مشروعة أصلاً، ولو فرض أنها سائغة لكان الواجب تنزيهها عن هـذه الأمـاكن الـتي يظهر فيها الفسـاد عيانـاً، وعلى افتراض أن في ذلك شيئاً من الخـير؛ فإنه قليل لايسـاوي ما فيها من الشر.

ثم ذكر داهية من دواهي المخرفين التي لقنوها العوام وهي: اعتقاد بعضهم (أن من حضر سـبع مـرات عند قـبرٍ؛ على مثل تلك الحال فكأنما حج البيت الحرام) قال: (وهذا عين المحادة لله بل ربما كان كفر)[1].

وقد كانت عاطفة الشيخ وغيرته بادية واضحة، وحرقته على ما يفعل قومه قوية بـارزة، فها هو يصل به الانفعـال

1 (?) رفع الخمار ص(25- 26).

إلى أن يقــول: (وبعض الجهلــة يوقِــف على مثل هــذه الجــرائم وقــائف، ويجعلها باسم المقــام، ولاشك أن مثل هذا المقام، مقام أئمة النار فيحـرم الوقف عليـه، وتحـرم الصدقة، لكون ذلك إعانة على المعصـية، ولاتجـوز الإعانة على مثل ذلــك، فمن أعــان فيه بشـــيء فهو من جملة العاصين الممقوتين)[1].

والرسـالة لم تتعـرض لبعض الأشـياء المهمة الحاصـلة في تلك الزيــارات، ومنها الاعتقــادات الباطلة والأعمــال الشــــــركية، وليس ذلك لأن الشـــــيخ لايرى ذلك من المخالفات ففي الأثر الثاني سيظهر قوله فيها ولكن الذي يظهر أن الرســالة مبتــورة أوضــائع منها بعض الأوراق، ويشـهد لـذلك قـول ابنه الشـيخ "عبـدالرحمن بكـير "في خاتمة الرســالة: (انتهى ما وجــدناه بخط الوالد وبقلمــه، عليه رحمة اللــه، وربما كـــان للموضـــوع بقية فلنحتفظ بـالموجود ولنبحث عن المفقـود، وصـلى الله على سـيدنا محمد وآله وصحبه)[2].

أما الأثر الثاني: للشـيخ بكـير فهو " تطهـير الفـؤاد من سئ الاعتقــــاد "، وهي رســـــالة صـــــغيرة لازالت مخطوطـــة، اطلعت عليها بخط ابن المؤلف الشـــيخ عبد الرحمن عبد الله بكير، نسـخها من خط والـده، وفـرغ من نسـخها يـوم (24) من شـهر شـعبان عـام (1391ه)، وقد كان الشيخ عبد الله رحمه الله كتبها عـام (1343ه)، وتقع في حـــوالي (40) صـــفحة، بــدأها بعد المقدمة بتعريف الإيمان ثم التأكيد على الإيمان بالقضاء والقـدر، ثم عنـون (وجوب الاعتماد على الله وحده) وأورد تحت هذا العنـوان الآيــات والأحــاديث الدالة على ذلــك، ثم ثنّى ب(لايجــوز سؤال غير الله ولا دعـاؤه) وأورد كـذلك ما في البـاب من

1 (?) المصدر السابق في نفس الموضع.
2 (?) المصدرالسابق ص(32).

الآيات والأحاديث واستمر على هذا المنوال يبرز العنوان المناسب ثم يسوق تحته من الآيات والأحاديث وكلام أهل العلم ويعلق على ذلك بما يناسبه، ومما يؤكد حرقته وغيرته على التوحيد والاتباع كثرة شكواه من المتزيين بزي أهل العلم الذين يرون المنكر فلا ينكرونه، بل يشارك بعضهم فيه، والبعض الآخر يُري العامة طريق الابتداع ويحثهم عليه.

وكان من عناوين هذه الرسالة غير ما ذكر: (من يتوكل على الله فهو حسبه)[1]، و (الاستعانة لا تكون إلا بالله)[2]، و (دعاء غير الله شرك)[3]، و (ألفاظ شركية تلفظها العامة)[4]، و (اعتقادات شركية تعتقدها العامة)[5]، و (يجب التحذير من كل ما يجر إلى الشرك)[6]، و (وجوب تصحيح الاعتقاد وتصفية الباطن)[7]، واستمر متعرضاً للعلماء المفتونين، ثم انتقل إلى البدع وركز على بدعة الحضرات التي تقام في المساجد وغيرها، وما يصاحبها من دعوات شركية مع السماع الصوفي واستخدام الدفوف في المساجد، كما أخذ يكرر العناوين الدالة على كفر وشرك من يدعو غير الله وأن ذلك من الكفر الصريح، كما فرق بين التوسل والدعاء، وذكر أن التوسل مشروع عند أهل السنة والجماعة كما جاء في الأحاديث الصحيحة لكن ينبغي الدخول من بابه[8]، وبين دعاء غير الله الذي عبر عنه بأنه إحداث دين لم يكن، ثم عاد ليقرر

---

1 (?) تطهير الفؤاد من سيء الاعتقاد مخطوط ص(4).
2 (?) المصدر السابق ص(6).
3 (?) المصدر السابق ص(7).
4 (?) المصدر السابق ص(8).
5 (?) المصدر السابق ص(8).
6 (?) المصدر السابق ص(9).
7 (?) المصدر السابق ص(9).
8 (?) المصدر السابق ص(16).

أن المبتدعين جهلة غير مؤتمنين على الشـريعة[1]، وبعـده تعرض لبداية عبادة الأصـنام وأنها كـانت بسـبب الغلو في الصالحين، ثم عنـون (البـدع في الـدين ابتـداءً وسـيلة من وسائل الشرك انتهاءاً)[2]، وهكذا يمضي مع البـدع ليقـول: (نهي الإســلام عن البــدع حسم لوســائل الشــرك)[3]، و (جميع بـــدع القبــور منافية للـــدين)[4]، ثم ذكر أن الفعل المفضي إلى المفسدة ممنوع، ثم يـأتي للقـوم من البـاب الذي لايستطيعون سده فيقـول: (مع الشـيخ ابن حجر في بـــدع القبـــور)[5]، ومن المعلـــوم أن ابن حجر المكي هو عمدتهم في الفقـه، وبعد ذلك يعنـون: الصـلاة عند القبـور والوقف والنذر عليها أو لها)[6]، ويواصل تحت هذا العنـوان النقل عن ابن حجـر، ثم يحــذر من الحلف بغــير الله وأنه من الشـــرك أو الكفر بـــه، ثم يتعــرض لفعل الموالد عند القبــور لإنه إذا منعت الصــلاة عنــدها مع أن المصــلي لا يقصد إلا الله وحـــده وإنما يخشى من أن يجـــره التـــبرك بذلك القـبر إلى الشـرك، فـإن الموالد أولى من ذلك لإنها إنما أقيمت للتــبرك بصــاحب القــبر وتعظيمه[7]، ثم يختم بنقد الزيــارات القبورية وقد ســبق تفصــيل رأيه في ذلك عند الكلام على " رفع الخمار عن مثالب المزار "، ويطيل حتى ينهي الرسالة بذلك.

بقي شيءٌ لفت نظري وهو نقده على من نسب كثيراً من البــــدع القبورية للســـيد علي ابن محمد الحبشـــي،

---

1 (?) المصدر السابق ص(18).
2 (?) المصدر السابق ص(21).
3 (?) المصدر السابق ص(22).
4 (?) تطهير الفؤاد ص(23).
5 (?) تطهير الفؤاد ص(25).
6 (?) المصدر السابق ص(29).
7 (?) المصدر السابق ص(32)

واعتبـــاره غـــير راض عن ذلك لما عـــرف عنه من العلم والـــورع والتمسك بما كـــان عليه ســـلفه من علمـــاء آل باعلوي بحضرموت، وهذا إحسان ظن من الشـيخ بالسـيد علي المـــذكور، ربما لأنه لم يطلع على كتـــاب "كنـــوز السـعادة الأبدية " والـذي جمعه أحد طلاب علي الحبشي من كلامـه، والـذي يحـوي من الخرافـات ما لامزيد عليـه، وكذلك نقل بعض صور القبورية والعقائد الضالة على وجه الاستحسـان، بل في معـرض التعليم للنـاس والحث على تلك البدع والأعمال والعقائد.

ظني والله أعلم أن الشيخ عبد الله لو اطلع على هـذا الكلام لغيّر رأيـه، ولم يـدافع هـذا الـدفاع الكبـير عن علي حبشي والله أعلم.

المؤلفـات المفـردة في الـرد على القبورية لعلماء حضرموت:

1) العلامة الشيخ محمد بن عمر العماري وله رسالتان في مواجهة القبورية إحداهما " فتوى حول الاستغاثة بغير الله " مطبوعة وهي رسالة قصيرة، والثانية رسالة بعنوان " دق بالمسمار على الضاربين بالطار أو نصـيحة وإنـذار " وموضوعها الاعتراض على السماع الصـوفي أو مايسـمى عنـــدنا في حضـــرموت " الحضـــرات " في المســـاجد والمشاهد.

2) العلامة الشـيخ عبـدالرحمن بن عبدالله بكـير عضو هيئة الافتـــاء الشـــرعية، من المعاصـــرين حفظه الله وله رسالة بعنوان: " شن الحروب على مقبرة الشيخ يعقوب" وهي رسالة كان الباعث عليها الهجمة الوقحة الـتي شـنها رجـال ومسـؤولو الجبهة القومية أيـام حكمها على مقـابر المســلمين ودكها للبنـــاء عليها وتمرير الطـــرق فيها دون مبرر، وقد تعرض فيها للزيارات الشرعية والبدعية.

العلامة الشيخ الفقيه أبوبكر أحمد بن عبدالله الخطيب الأنصاري الـتريمي الحضـرمي الشـافعي المتـوفى سـنة (1356هـ)، له رسالة صغيرة اسمها: "نصيحة الإخـوان عن إتيان السحرة والكهنة وأهل الجان " توجد ضـمن مجمـوع فتـاواه المسـمى " الفتـاوى النافعة في مسـائل الأحـوال الواقعة " جمع سالم بن حفيظ ابن عبدالله بن حسـين بن الشـيخ أبي بكر ابن سـالم، من (301 - 321) من ذلك المجموع.

المبحث الثالث: الردود الواردة على القبورية في كتب الفنون المختلفة

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: الـــــــردود على القبورية في كتب التاريخ:

إن جميع من له إدراك وفهم - ولو كان بسيطاً - يدرك بســهولة ضــلالات القبورية وانحرافاتهــا، وقد تنــاثر نقد العلماء وردهم على تلك الضلالات والخرافـات في ثنايا ما كتبوا من شتى الفنـون، و أنقل إليك جملة مما ظفـرت به من كلامهم:

فمن المـــــؤرخين القاضي العلامة محمد بن علي الأكــوع رحمه الله يقــول في مقدمة الســلوك للجنـــدي منتقـــداً عليه شـــدة ولوعه بتتبع الكرامـــات والزيــارات وما يقــال عن المقــابر وما لها من فضــائل: (ومؤرخنا رحمه الله ولوع بشدة وبشكل جدي وكبير بذكر كرامـات الأوليـاء والمنامـات والمـرائي الخلابة الـتي هي أغــرب من الخيــال وتلحق بقسم المســتحيل وبحــديث خرافة.

وكان يصدر أحكامه بتلك الكرامات عن عقيدة راسـخة لا تقبل الجـــــدل والمناقشة وعن نفس مؤمنة بـــــذلك خصوصــاً إذا تلقاها عن الثقــات فإنها تصــير عنــده من القطعيات.

والحق أن أكثرها بالخرافـات أشــبه وبخــرق العـادات اعلق، وبالبله السـذج ألصـق، لأن البعض منها يخرجها عن حد المعقول إلى حيز المحـال والتجـديف، على أنا لاننحي باللائمة على مؤرخنا الجنــدي الــذي انســاق وراء هــذه العاطفة الروحانية الزايفة لأن الوسط الــذي كــان يعيش

فيه الجندي كان ملغماً بهذه الخرافات، ومنغمساً في هذا الجو القدسي في نظرهم كما سبقه إلى هذا غيره، وسـير الأئمة وغيرهم مليئة بهذه الحكايات.

خدعة الملوك:

ومما يستغرب أن الملوك والرؤساء انجرفوا وراء هذه الظاهرة، ومع السواد الأعظم وفي هذا المسار كما يحكي لنا الجندي في عدة مواقف عن ملوك عصره ومن قبلهم.

وأعتقد جازماً أن انسياق الملوك والرؤسـاء وراء هـذه الروحانية الزائفة "خدعة سياســية" لاتمت إلى عقيــدتهم بصـلة، كيف لا وبعض الملـوك مهـزوز العقيـدة مضـطرب في الإلهيات. وإنما يقصـدون من وراء ذلك تضـليل العامة وجعلهم في متاهة الجهـــالات وحـــتى يبتعـــدوا عن تتبع مسـاوئ الحكـام والبحث عن كبـائر جـرائمهم وقد يكـون البعض منهم صادقاً في ذلك والله من وراء العلم.

ويبــدو أن هــذه الظــاهرة وهــذه البلــوى عمت جميع الأقطار الإسلامية، وما السيد البدوي والدسوقي والسـيدة زينب وأضـرابهم في القطر المصـري والشـيخ عبـدالقادر الجيلاني والبسـطامي وغـيرهم في بغـداد والنابلسي وابن عربي بالشام وقل في المغرب العربي وإفريقية المسلمة وإيران وغير ذلك إلا من هذا القبيل.

أما كرامة أوليـــــاء بلادنا اليمن الأعلى فهم الأوليـــــاء المسلحون الذين يحملون السيف والرمح ويجالــدون على الإمامة ويقاتلون دونها، وذلك مثل الإمـام الهـادي والإمـام أحمد بن الحســين صــاحب ذي بين وســيل الليل أحمد حسن وغـيرهم، والعجب أن تخـرج من ثنايا هـذا الصـراع الدموي كرامات وعجائب وغـرائب. وتعليل هـذه الظـاهرة والموجه العارمة الـتي نـزلت في بلاد الإسـلام، هو ابتعـاد المسلمين عن روح الدين الحنيف الصحيح الـذي جـاء عن محمد بن عبدالله ﷺ وأتباعه السـلف الصـالح من الصـحابة

والتابعين، وبما أدخله أعداء الإسلام من الشـوائب والبـدع الـتي صـدأت جـوهره الصـافي النقي وولـدت مثل هـذه القضايا وكانت سـبباً لتـأخر المسـلمين كما قيـل، وصـدق رسـول الله **$لتتبعن سنن من قبلكم حـذو القـذة بالقذة حتى لو دخلوا جحر ضبٍ لدخلتموه#**[1] هـذا وليس هنا بسط القـول عن هـذه المسـألة، فمن شـاء معرفة ذلك فعليه بكتب ابن تيمية وكتب تلميـذه ابن قيم الجوزية رحمهما الله تعـالى، وفي كتـاب الله جل شـأنه مافيه مقنـع، وحسـبنا ذلـك)[2]. وهكـذا نـرى هـذا العلامة المؤرخ ينتقد هذه الظواهر، ويحللها، ويبين موقف الحكـام منها، ويربط بين تبـنيهم لها وسياسة الملك الـتي يعملـون على تثبيتها وأنهم ما جـاروا القبورية إلا للاسـتفادة منهم في ذلك.

المؤرخ الثاني: القاضي العلامة إسـماعيل بن علي الأكـوع وهو أخو القاضي محمد وقد تعـرض للقبورية في عـدة مواضع من كتابه "هجر العلم "منها ما في بيت الفقيه في ترجمة "أحمد بن موسى بن العجيل "حيث قال في معرض الترجمة: (وكان على قـبره تـابوت وقبة أزالهما الإمام أحمد بن الإمام يحيى حميد الدين سنة 1348ه حينما كان ولياً للعهد بعد أن تغلب على معارضة قبيلة الزرانيق -الـتي كـانت تعـرف من قبل بالمعازبة - لامتداد نفوذ الإمام يحيى إلى بلادها، ودخولها تحت حكمه. كما أزال الإمـام أحمد كـذلك التـابوت من على قـبر أحمد بن علوان في يَفْرُس من ناحية جبل حبشي سـنة 1362ه لاعتقـاد جهلة العامة في صـاحبي القـبرين الضر والنفـع، وتالله لقد أحسن الإمام أحمد صـنعاً في كلتا الحـالين ولو أن يده امتدت إلى سائر القبـاب والتـوابيت الأخـرى الـتي

---

1 (?) تقدم تخريجه ص (82).
2 (?) مقدمة السلوك للجندي (1/27-28)

يعتقد عامة النـاس في أصـحابها الضر والنفع لأجـزل الله مثوبته وأحسن إليه، ولاسـيما القبـور الـتي يلتمس عنـدها العامة الخـير والبركـة، ويرجـون منها النفـع، ودفع الضر والشـر)[1]، ثم ذكر كلام الشـوكاني في وصف قبة الإمـام "أحمد بن الحسـين " نقلاً عن الـدر النضـيد وتقـدم ذلك النقل[2]، ثم ذكر رسـالتين مهمـتين لإمـامين من أئمة الزيدية يـأمران فيهما ببنـاء مشـاهد على قبـور بعض المقربين إليهما ثم قال حفظه الله: (وكـان الـواجب على الإمـام أحمد هـدم القبـور الـتي يلتمس العامة منها الخـير والبركة امتثـالاً لأمر الرسـول لأمـير المؤمـنين علي بن أبي طالب بهدم القبور، كما ورد في صـحيح مسـلم عن أبي الهياج الأسدي قـال: " قـال لي علي بن أبي طـالب ألا أبعثك علىمابعثني عليه رسول الله أن لا أدع تمثالاً إلا طمسـته ولا قـبراً مشـرفاً إلا سـويته"[3]. وأفضل التشـيع بالإمـام علي رضي الله عنه الاقتـداء بـه، والعمل بسـيرته الـتي هي مقتبسة من سـيرة المشـرّع العظيم رسـول الرحمة إذ لايكفي المحبة باللسـان والمخالفة في العمل)[4].

وفي ذي الجنـان "قرية أحمد بن علـوان " قـال في ترجمة ابن علـوان: (وقد فتن به العامة في عهـده وبعد وفاته وحتى اليوم فقبره مقصـود للزيـارة وكنت أعتقد أن افتتـان النـاس به إنما حـدث بعد وفاتـه)[5]، وبعد أن ذكر موضوعاً عن الزبيري وقصيدة له في هدم قبر ابن علوان وسـتأتي إن شـاء الله في موضـعها ثم قـال: (ولكن الأخ

---

1 (?) هجر العلم (1/222-223).
2 (?) انظر: ص (582).
3 (?) تقدم تخريج الحديث ص (54).
4 (?) هجر العلم (1/225).
5 (?) المصدر السابق (2/750).

القاضي فضل بن علي الأريـــاني أطلعـــني على قصـــيدة لأحمد بن علـوان تـدل على أنه كـان يـدعي لنفسه أمـوراً خارقة للعادات، نـذكرها هنـا، ونـذكر كـذلك جـواب الفقيه علي المقصري السرددي عليها ومن يطلع عليهما لا بد أن يحكم عليه بأنه كان يـزعم لنفسه كرامـات أختص بها وأن أتبـاع طريقته قد فتنـوا به في حياتـه. نسـأل الله الهداية والتوفيق إلى اتباع أحكام كتابه وسنة رسوله ﷺ على الوجه الذي يرضاه)[1]. وهـذا كله يـدل على توجه الرجل وحرصه على سلامة المعتقد ومقته للقبورية و القبوريين.

المؤرخ الثالث: الأستاذ صلاح البكـري وهو من مؤرخي حضـرموت المنتمين إلى جمعية الإرشـاد بإندونيســيا وقد عنـــون في كتابه "تـــاريخ حضـــرموت السياسي" هذا العنوان " الخرافات " عدّد تحته الكثير من تلك الخرافات المتعلقة بالقبور وبالاعتقـاد بـالجن وتقـديم ما يدفع شرهم من ذبائح أو كسر بيض على باب الدار لئلا يحتلها الجن وأبان من يقف وراء تلك الخرافات، ولا أطيل فهذا نص كلامه: (ولقد ابتـنى بعض العلـويين قبابـاً كثـيرة لبعض موتـــاهم رحمهم اللـــه، ووضـــعوا على أجـــداثهم التوابيت، ودعـوا النـاس لزيارتهـا، والتـبرك بهـا، والتوسل إليها لقضـاء الحاجـات واسـتنزال البركـات، وقد يوجد في القبة خزانة " تيحه " في داخلها إنـاءان: أحـدهما للنقـود والآخر للزيت الذي يقدمه المريض لطلب الشفاء، وأقرباء الميت هم الذين يتمتعون بهذه القرابين والنذور، وقد يبالغ بعض المرضى في الضـلال فيـأكلون قليلاً من تـراب ذلك القـــبر لطلب الشـــفاء، وإني لأذكر أني حينما كنت في حضـــرموت وأنا يومئذ لم أبلغ سن الرشد أصـــبت بحمى، فـذهبت إلى قبة المرحـوم عمر بن محمد الهـدار العلـوي الواقعة على مقربة من حوطة أحمد ناصـــر، وأكلت قليلاً

[1] (?) هجر العلم (2/751).

من تـراب قـبره ' وقبلت تابوتـه، وتوسـلت إليه ليـذهب الآلام، ويعيد إلي صحتي كاملة غير منقوصة، ووضـعت في الخزانة أوقية وربعاً، وعدت إلى البيت وأنا أرتعد من حمى الورد، ومن حسن حظي أني في اليوم الثاني شـفيت من مرضـي، ولكن من سـوء حظي أن ازداد اعتقـادي في الهـدار واعتمـادي عليه من دون اللـه، فـذهبت في الحـال إلى السـوق وابتعت رطلاً من زيت السمسـم، ثم ذهبت إلى قبة الهـدار، ووهبت له الـزيت في الخزانـة، وهكـذا ذكـرت صـاحب القبة في السـراء والضـراء خفية وجهـرة، وهو لاينفعـني بشـيء، ولم أذكر الله عزوجـل، الـذي هو أقرب إلي من حبل الوريد، وبيده كل شيء.

ويوجد في الروحـانيين وبوجه أخص في العلـويين من يصـنع التمـائم والعـزائم للمرضى وغـيرهم من طلاب الحاجـات، ويبـالغ بعض الـدجالين من أصـحاب السـلطة الروحية فيسقون المريض ماءً ممزوجاً بـبزاقهم للشـفاء، ويتجرع هذا المـريض " المغفل " ذلك الـبزاق القـذر، وهو مسرور كل السرور متوهماً أن الشفاء آت لاريب فيه.

وهناك كتب ألفت ورسائل دونت كان لها أثرها السيء في عقلية الشعب، وتسميم أفكاره، وإفساد عقيدته، وفي مقدمة هـذه الكتب " المشـرع الـروي " لصـاحبه الشـيخ محمـدبن أبي بكر الشـلي المشـحون بالكفريـات والخزعبلات، ثم كتاب: " الجوهر الشفاف " وغيرهما.

ويقسم كثير من الناس بالأضـرحة ويخافونها إذا حنثـوا في أيمانهم أكثر مما يخـافون اللـه، فقد يطلب المشـتكي من خصـمه أن يقسم على ضـريح مقـدس خـيراً من أن يقسم بالله أو بالقرآن، ويعتقدون أن لتلك الأضـرحة قـوة الانتقـام إذا كـان المقسم حانثـاً، وأهم الأضـرحة الـتي يقسمون بها هي:

الاسم	الم	الاسم	الم

	كان		كان
أحمد بن زين الحبشي العلوي	حوطة أحمد بن زين	الشيخ أبو بكر بن سالم العلوي	عينات
عبدالله العيدروس العلوي	تريم	سعيد بن عيسى العمودي	قيدون
عمر بن محمد الهدار العلوي	حوطة أحمد ناصر	معروف باجمال	بضة
علي بن حسن العطاس العلوي	المشهد	عيدروس بن عمر الجيشي العلوي	الغرفة
حسن بن صالح البحر العلوي	ذي أصبح	عمر المحضار العلوي	تريم

وفي زعمهم أنه إذا أراد الشخص أن يأتيه كساء من أبيه أو من أحد أقربائه المهاجره في جاوة أوفي غيرها، فما عليه إلا أن يذهب إلى إحدى القباب ويقطع جزءاً صغيراً من ثوبه، ويربطة باللعاب، ويقذف به في الحائط، ولا تمضي سنة إلا وقد نال مطلوبة ولذلك تظهر الحيطان في بعض القباب كأنها مغطاة بطبقة من الورق المزخرف أو زينت بنقوش مختلفة الألوان.

وبعض المرضى وبالأخص إذا كان صغيراً يُطاف حوله حَمَل مراراً، ثم يقطع جزءً من أذنه ويعلقه في ذراع المريض، ويذبح ذلك الحمل ويوزع لحمه على الجيران بعد

أن يأخذ الدجال الـذي أشـار لهم بتلك العملية جـزءً كبـيراً منه. وأول ما يعمله الشـخص الـذي يريد أن يبـني بيتـاً أن يدق أربعة أوتاد في البقعة التي سيبني فيها المنزل لطـرد عين السـوء، وذلك بعد أن أخذ رأي أحد الروحـانيين، وعنـدما يتم بنـاء الـبيت يـذبح حملاً على عتبته كما يفعل الفرنجة عند الاحتفال بإنزال السفينة لأول مـرة في البحر بكسر زجاجة خمـر، وفي بعض أجـزاء حضـرموت يـذبح صاحب البيت شـاة، ويأخذ من دمها بيـده ويخضب البـاب. وبعضـهم في أثنـاء عملية البنـاء ويأكل البنـاؤون لحمهـا، ويريقون دمها على الحيطان، وعندما يدخل صاحب الـبيت لأول مـرة يكسر بيضـتين على عتبة الـدار، وأخـريين على الدرج، وأخريين عند الطابق العلوي)[1]

والمؤرخ الرابـع: الـذي نستشـهد ببعض كلامه هو الأستاذ كرامه سليمان بامؤمن صاحب كتاب" الفكر والمجتمع في حضـرموت" وهو كتـاب حـديث تنـاول موضـوعاً مهمـاً جـداً وجانبـاً حساسـاً من جـوانب الحياة في حضرموت، هو جانب الفكر مرتبطـاً بـالمجتمع، وقد كشف أسراراً وأبان مخبـآت لم يـرق للبعض ظهورها ولذلك فالكتاب ومؤلفه مستهدفان بالتشهير وهـذا أقل ما يمكن أن أقوله، وإلا فيمكن أن يكـون أكـثر من التشـهير، وإليك نموذجـاً واحـداً من ألصق ما احتـوى عليه الكتـاب بموضـوعنا "القبورية " قـال - حفظه الله - تحت عنوان"نقد الفكر الصوفي ماله وماعليه":

(الإنسـان كما أشـرنا سـابقاً مكـون من جسم وروح لايفترقـان إلا عند المـوت. والتـوازن بين نشـاطهما هو مادعا إليه الإسـلام. والتصـوف جنـوح نحو نشـاط الـروح مقتبسـاً فلسـفته من ثقافـات الأمم السـابقة للإسـلام، خاصة الثقافة المسـيحية الـتي سـنت الرهبنة والتنسك

1 (?) تاريخ حضرموت السياسي (119-121).

والخلوة في الكهوف والأديرة، وترك طيبات الحياة المباحة كعدم الزواج عند الرهبان والراهبات قال الله تعالى: **وجعلنا في قلوب الذين اتبعوه رأفة ورحمة ورهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم إلا ابتغاء رضوان الله فما رعوها حق رعايتها** "الحديد: 27 "، والاعتدال في التصوف قولاً وعملاً والإلتزام بالكتاب والسنة دون تأويل ومغالاة لا يخرج المتصوف عن عقيدته التوحيدية وشريعته الإسلامية. وكم من هؤلاء الصوفية المستقيمين قد عرفهم العالم الإسلامي واليمن وحضرموت. وقد وقفوا في وجه الغلو والانحراف الصوفي واستنكروا ما صدر من المغالين من شذوذ وانحراف ومحذور قولاً وعملاً.

ومما يعقّد مشكلة التصوف الضعف البشري أمام حالات مذهلة تتراءى للمتصوفة فتفقدهم توازنهم ولايثبت إلا الراسخون في العلم والعقيدة. ولاسيما أن كثيراً من مثل هذه الأحوال وخوارق العادات تحصل للبر و الفاجر وللمسلم وغير المسلم. ناهيك عن أن للشيطان أحابيله لغواية الإنسان كما أن للعلم والسحر دورهما في كثير مما يصوره بعض الصوفية أنه كرامات كما تستغل الصدف والفراسة للإدعاء بالكرامات.

ولا تقتصر الخطورة في غلو الصوفية وانحرافاتهم وشذوذهم، عليهم أنفسهم فحسب فهذه أمرها سهل ومحصور. وإنما الخطر كل الخطر في التأثير على الناس والمجتمع وخاصة على العوام والسذّج لأنهم أكثر فئات المجتمع تأثراً وانصياعاً لمؤثرات الفكر الصوفي المنحرف. ويجب أن ننظر إلى المتصوف وأحواله حالة خاصة به وحده. أما أن يجعل من أحواله وتصرفاته منهاجاً يقتدى بها - وأمامنا كتاب الله وسنة رسوله وهدي أصحاب رسول الله والتابعين ومن اهتدى بهديهم- فهذا

مما يجب أن لا يكـون ولايصح إطلاقـاً أن نجـزىء القـرآن الكــريم والحــديث الشــريف الصــحيح إلى ظــاهر للعامة وباطن للخاصة يؤلـون معـاني ألفـاظ القـرآن الكـريم كما نزلت من عند الله على رسول الله ، وألفـاظ السـنة كما تحـدث بها الرســول لعامة المســلمين ويطلقــون عليها علوم الشريعة.

وفي تقديرنا إن أخطر وأوسع ثغرة فكرية تهـدد بنيـان الإسلام وتشوه عقيدة المسلم هو هذا المـدخل في تجزئة القـرآن الكـريم والسـنة إلى ظـاهر وبـاطن وإلى شـريعة وحقيقــــة. ولا تقف الخطــــورة عند تجزئة الإســــلام إلى منهـــاجين وعلمين أحــــدهما للخاصة والآخر للعامــــة، بل تتعــداها إلى تقســيم المجتمع الإســلامي إلى طبقــتين أو فئـــتين اجتمـــاعيتين هما فئة التعـــالي وهي فئة الخاصة المحــــــدودة في المجتمع وفئة الأتبـــــاع- وهي فئة العامة العريضة في المجتمع - , ويتمادى التميـيز الاجتمـاعي في غيه عندما تكون فئة الخاصة هي المدبرة والمسيرة لحياة ومعــاش وســعادة فئة العامة من خلال ســلطتها الروحية المطلقة التي يمثلها الديوان المصرفي وجهـازه التنفيـذي الهرمي اللذان تطرقنا إليه فيما سبق.

وإذا رجعنا إلى آداب وتراث الفكر الصوفي الحضرمي؛ نجـده مليئـاً بحـالات التصـرف المطلق من قبل الأقطـاب والأوليـاء والأحيـاء والأمـوات في حيـاة النـاس من شـفاء الأمراض، ورزق الأطفال، وغفران الذنوب، ورد الكـوارث، وتـأديب المتطـاولين، وقتلهم أحيانـاً بالقـدرة، واسـتئناف حياة الأموات من جديد واللقاء بالأحياء. يقول السـيد علي بن حسن العطـــاس (من قـــام لله بالقـــدرة كلامه يتم). وهناك من يقول تأكيداً لمقولة العطاس هذه: (إن بعضهم كان يكلم الصوفي الشهير بدوعن الشيخ سعيد بن عيسى العمودي بعد موته ويشاوره في أموره). كما يروي البعض

الآخر أنه كان يخاطب الفقيه المقدم أمام قبره بل ويخرج الفقيه المقدم من قبره ليتناول مع زائره القهوة، ويتبادل أطراف الحديث.

إن عودة الروح مسألة قديمة وكان فراعنة مصر يعتقدون بعودة الروح إلى الجسد بعد الموت. ولهذا كانوا يهيئون مدافنهم كالأهرامات كل ما سيحتاجه الميت من أدوات ومأكولات وغيرها. ينما يروي لنا الرسول أن روح المؤمن بعد وفاته تُعَلَّق على[1] شجر الجنة ولا تعود إلى الجسد إلا عند البعث. وفي الواقع إن كيفية حياة الإنسان بين الموت والبعث وعلاقة الروح بالجسد وعذاب القبر ونعيمه، وتلاقي الأرواح هي من الغيبيات، ونكتفي بالتسليم بما جاء نصه في القرآن والحديث ولا نزيد. ويعلمنا الرسول أيضاً أنه إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: علم ورثه لعلماء ينفعون به الناس، وصدقة جارية تصدق بها قبل مماته، وابن صالح يدعو في حياته لأبيه الميت. إن التطرف في تمجيد الأولياء والأقطاب يؤذي الأولياء أنفسهم ويخرجهم عن بشريتهم. وقد تبرأ الرسول من الغلو في الدين. أو طلب شيء منه لا يقدر عليه إلا الله سبحانه وتعالى، قال الله تعالى: قل إنما أنا بشرمثلكم يوحى ألي أنما إلهكم إله واحد "الكهف - 110")[2].

ونقد المؤرخين لهذه العقائد والأعمال ليس مختصاً بمؤرخي أهل السنة والمعارضين للقبورية، ولكن بعض المؤرخين المحسوبين على القبوريين هم كذلك ينقدون هذه الأمور ويحذرون منها، وقد تقدم كلام المؤرخ العلوي علوي بن طاهر الحداد في مباحث الزيارات القبورية وقد كان شديد الانتقاد لهم مصرحاً بأن بعض تلك العقائد

---

1 (?) الصحيح " تعلق في " والمعنى أنها تأكل.

2 (?) الفكر والمجتمع (228-230).

والأعمال هي كفر بالله تعالى فارجع إلى هناك[3].

المطلب الثـاني الـردود على القبورية الـتي جـاءت على ألسنة الشعراء:

وهـذا البـاب واسع جـداً فقد تفنن الشـعراء في الـرد على القبورية من جوانبها المختلفـــــــة، فمن ناقد لبعض العقائد، ومن ناقد لبعض البدع والأعمال كالسماع ونحـوه، ومنهم من ينتقد المتظـــــــــــاهرين بالولاية ممن هم في الحقيقة من المحتــالين على خلق اللــه، ومنهم من يصف القبــور المعظمة وما يفعل عنــدها من منــاكر وضــلالات، وهذه بعض تلك القصائد:

وأبدأ بشاعر من شـعراء حضـرموت وكبـير من كبرائها العلامة الشاعر الصوفي المتشيع أبوبكر بن شهاب الــدين العلوي المتوفى سنة (1341ه)، وله قصـيدتان الأولى في كشف مخـــاريق من يـــدعي الولاية ويتظـــاهر بمظاهرها ويتقمص لباسها، ثم من وراء ذلك يختل الغافلين ويصـطاد أمـوال الجـاهلين، بل ويتعـدى الأمر إلى النسـاء وما يفعل تجاههن باسم الدين والولاية.

قال جامع ديوانه (وقـال نفع الله به في وصف دجاجلة المتصوفة بزماننا:

هل للغــــرائب من حكيم عاقل ... أو عـالم يقضي بحكم فاصل

أمِنَ الـــــذئاب المُعط صـــــــنفٌ ناطق ... في صـــــــورة البشر الســـــوي الكامل

أأقـــــــول: كلا والعيان مكذبي ... كلا بل المفـتي أسير السائل

معط الـــذئاب ... جعلوا التصـوف

---

[3] (?) ص (410).

الناطقـــــات هم الأُلى	صنعة للداجل
فترســــــموا برســــــومه كي يحسبوا	صـــــوفية مثل الفضيل الفاضل
يضـــــــعون للتمويه والتغرير في	مشـــكاة نـــور الحق نار الباطل
لبسو العبايا والمسابح والحبى	والطيلســـــان يدار فوق الكاهل
والمظهـــــرين البر والتقوى وإد	مـــــان التنسك خدعة للجاهل[1]
و إذا خلـــــوا عكفـــــــوا على شهواتهم	من لاعب أو شارب أو آكل
هجــروا كتــاب الله واستغنوا بأل	حــان الســماع ورقصه المتداول
زعمـــــاً بـــــأن الطــار والمزمــار وال	أوتار تنعش كل قلب ذاهل
أيقوم دين الله بالسفهاء من	ذي مزهر أو زامر أو طابل
بئس الطوائف لا مرام لهم ولا	مــرمى ســوى جمع الحطـــــــام الزائل
ولهم حبائل لاجتلاب المال لم	تـــدرك غوائلها لغير الفاتل
ويطـــــــوف	ودهـــاتهم من

[1] (?) في الأصل للجافل.

أطـــــــراف البلاد دعاتهم ... كل صل صائل

ممن يـــــــبيع ولايبالي دينه ... بيع المــزاد ولو بشاة شائل

في كل واد لاتطيش سهامهم ... مع كل حـــــاف يَحْفِدون وناعل

ويــــذيع كل ما افــــترى من نعت شي ... خهم الغوي ولو خرافة هازل

من صـــــــومه وصلاته وقيامه ... جنح الظلام وزهده في العاجل

يـــــــروون عنه خوارقاً للرسل ما ... وقعت ولا اتفقت لســـــــاحر بابل

ولأجل نفي الريب مهما حدثوا ... حلفــوا لســامع إفكهم والقابل

وهنالك الأستاذ يجهد فكره ... في سلب ثـروة كل غر غافل

يترقب الفـرص التي فيها قطي ... ع الصــيد يبــدو مكثباً للنابل

يثني على أهل الثراء مصوباً ... أفعـــــــــالهم مستدرجاً للفاعل

زيـدٌ ربيـعُ نَـدى وعمروٌ في مقا ... مِ كذا وبكرٌ في الرعيل الواصل

ويشـــير رمــزاً في الحـديث بــأن ما ... يحكيه من إلهام غيب نازل

حتى إذا اعتقدوا علو مقامه ... ومشت عليهم حيلة المتحائل
غمروه جوداً واستزاروه التما ... ساً للتبرك في المقر العائلي
ولمسحه رأس الصغير ووضعه ... يده الكريمة فوق بطن الحامل

ومتى تحكَّم مصلحاً في حالة ... جعل البخيل فريسة للباذل
وتراه يصدع بالمواعظ خاطباً ... في القوم بهرة كل جمع حافل
يملي زخارف زوره متأوهاً ... متباكياً ليرق قلب الناكل
طوراً يرغب في الثواب وتارة ... أخرى يندد باللئيم الباخل
وإذا رأى في الجمع من أكياسه ... ملأىمن التبر الوفير الطائل
أوحى إلي أحد الشياطين الألى ... منهم تعوذ كل غول غائل
فيقول: يامسكين زر شيخ الشي ... وخ تنل به أقصى أماني الآمل
وإذا أتى ألفاه في المحراب في ... جد وشغل بالعبادة شاغل
ويقال بعد الانتظار هنيهةً: ... أدخل فأنت اليوم أسعد داخل
ولك البشارة إن رزقت ولاءه ... بالانتشال من الحضيض السافل

فإذا تقدم قـال شيخ السوء أه | لاً يـــــابني ومرحباً بالواصل
إني لرؤيتك ابتهجت ولست أد | ري سر هـــذا الابتهاج الحاصل
فلعل في لـوح السوابق بيننا | سر اتصـــال بالأواصر واغل
ولعل حالك في أمور الدين والد | نيا على دعة ولطف شامل
إن كنت محتاجـــاً فخذ ما تبتغي | تقوى به وتقيم ميل المائل

لا تخشَ إملاقـاً عليَّ ولا علي | ك فنحن في كنف الرســـول الكافل
أعلمتَ أني بعد ختم وظيفتي | سـحَراً أعرتـني غفوة المتثاقل
فرأيته صـــلى عليه الله مب | تســماً يقــول وكان أصدق قائل
أبشر فـــأنت وتابعوك بذمتي | ورعـــــايتي لمقيمكم والراحل
نِب عن نبيك في مواساة العفا | ة المعـــوزين وفي عظـــــاة الجاهل
جُد بالنوافل ما اســـتطعت على اليتا | مى والأيـــامى والفقير العائل
خذ ما تشاء من امـرئٍ سـبقت له ال | حسنى ولم يعبأ بعذل العاذل

وأنا الضمين لمن يعينك بالغنى ... طول الحياة وفي الجنان مخاللي

فيصدِّق المسكين كاذبَ قصة ... ممزوجة بزعاف سمٍّ قاتل

فيشاطر الأستاذ خالص تبره ... لسداد ذي عوزٍ ورفد أرامل

ولكَم لهم في السر غامض حيلة ... إبليس لم يطمع لها بمماثل

ولهم من الجنس اللطيف لطائف ... أبَتِ المروءة شرحها للناقل

لكن على الأزواج عار المرسلا ... ت فهم أشد بلادة من باقل

هذي طرائقهم وهذا شأنهم ... تعساً لهم من خائن ومخاتل

أفهكذا كانت طريق مشايخ ال ... إسلام أرباب السلوك العادل

كالتستري وكالسري والكالجني ... د الحبر والشبلي أو كالشاذلي

كلا وحاشى بل هم عمد الهدى ... وسحائب الفيض العميم الهاطل

الزاهدون المتقون ... بربهم من كل بر عامل

العارفون

وهم البراء من الأُلى كذبواعلى حضـــــــراتهم وخصـــــومهم في الآجل

فإليك ربي المشـــــتكى وبك العيا ذ من انتقامك والعذاب الهائل

واسمح بإرشـاد الجميع إلى طري ق الحق واصفح عن خطايا الخاطل

وتغش بالرحمـــــات روح المصطفى والمرتضى تعداد طش الوابل

ضاعف صـلاتك والسلام عليهما وبنيهما مـــــدد الوجود الشامل

والصـــحب من بســـــيوفهم ثلت عرو ش الشـــــرك واندرست رســـوم الباطل

ما تاب ذو خطأٍ وآب مفرط وأنـــاب عبد في العتيم الحائل)[1]

وهذه القصيدة تجسد حـال الكثـير ممن يـدعي الولاية على امتداد الأرض اليمنية، بل على امتداد البلاد الإسلامية وللأسف الشديد، وهؤلاء لاشك يخرجـون من تحت عبـاءة المتصوفة والشيعة القبورية.

وهناك قصيدة أخـرى لهـذا الشـاعر في نفس المعـنى أضيفها هنا.

---

[1] (?) ديـوان ابن شـهاب (193 - 196) طبع مكتبة الـتراث الإسـلامي صـعدة، ودار الـتراث اليمـني صـنعاء، الطبعة الثانية سنة (1417هـ- 11996م).

قال جامع ديوانه: (وقال نفع الله به:

العلم و المجد رضيعا لبان ... و الجهل يـرمي ربّه بالهوان

لايـــدعي العلم امرؤ جاهل ... يخـــاف أن يفضحه الامتحان

فهو لـــدى أشكاله باسل ... و إن جـــرى البحث الشـــرودُ الجبانُ

بلى يقـــول الجاهل المدعي ... العلم نـــور مشرق في الجنان

العلم سر الله إلهامه ... في القلب لا لقلقة باللسان

العلم إما ظـاهر وهو في ال ... كتب وللأحكـام فيه البيان

أو بـاطن يعرفه أهله ... وهو لـــديهم واجب أن يصان

يـومي بما يملي إلي أنه ... في أشـــرف القســـمين رب العنان

وقد علت أصوات أمثاله ... بمثل هـــذا فالأمان الأمان

نشـــكو إلى الــرحمن من هــذه ... غوغـاء شـكوى من رماه الزمان

من مـــاكر ذي سبحة أو مرا ... ء قارىء همسـاً وذي طيلسان

ورامز بـــالغيب في حيلة ... يلفظ بـــالقول الكثير المعان

رواد صـيد كلهم حاذق ... في الـــرمي لايصـــطاد إلا

السمان

شـباكهم دعـوى الكرامات وال ... كشف وتزوير المرائي الحسان

هـــذا يـــرى المختار في نومه ... وذاك يســتخبره بالعيان

كأنه من بعض أتباعهم ... يحضر في كل مكان وآن

ومنهم المخـــبر عن برزخ ال ... موتى شـقي أو سعيد فلان

وقد أراني الله شيخاً له ... جماعة رجلاه مصفرتان

فقلت: مـــاذا نابه؟ قيل: من ... وطء حشـــيش الجنة الزعفران

أف لقوم همهم كيدهم ... وجمعهم للمـال من حيث كان

بالمـال تلقـاهم سكارى كما ... يســـكر من يشرب خمر الدنان

إن أحسن الظن بتلبيسهم ... مُثْـــر رأوا تطهيره بالختاًن

من كل ما الإنسان يخشاه من ... مســـتقبل الـــدارين يعطي الضمان

وإن رأوا في عقله خفةً ... باعوه في الدنيا قصور الجنان

وكم وكم قد موهوا زائفاً ... فظنه البله ثمين الجمان

يـــارب يامنـــان أنت السري ... ع الغـــوث والمفـــزع والمستعان

وفق رجـــــــال الدين للصدق وال **إخلاص والإعـراض عن كل فان**

ونــزه الإســلام عن غش أه **ل المكر والتـــــــدليس كيلا يهان**

واغفر ذنوب الكل واصفح ومن وصل **قلوبنا اغسل كل ريب وران**

أزكىماتصــــــلي على **من أشرقت من نوره الخافقان**

والآل أهل المجد والصحب ما **أمـــالت الـــريح الغصون اللدان)**[1]

وللشاعر الأديب والعالم الثبت - مفتي حضرموت في زمانه والشاعر المبرز على أقرانه العلامة عبـدالرحمن بن عبيدالله السقاف - نقد لاذع وبيان سـاطع في نقد دجاجلة الصـوفية والمتـاجرين بالولاية حسب تعبـيره، إليك بعضـاً منه وهو مقدمته لإحدى قصائده في الموضوع: (وقد اتفق لي في شـــرخ الشـــباب أن أفضت في درسي كجـــاري عادتي في النعي على الخرافيين وتفنيد مزاعمهم وأنكرت قول بعضهم: إن أتان الفقيه المقدّم - قدّس سره - كـانت تعــرج الى السـماء وتـأتي بخبرها طـرفي النهـار، مع أن البراق لا يقـدر على ذلـك، فلو أنها حضـرت ليلة المعـراج لأغنت عنه؛ لأن البراق لم يجاوز إيلياء على الأصح، وقــول بعض آخر عن بعض العلـويين: إنه كـانت له زوجة شـريفة مضى لحملها ستة أشهر فتزوج فلاحة، فنشزت الشـريفة؛ فخيرها بين الرجـــــوع أو يأخذ الحمل من بطنها إلى بطن

---

1 (?) ديوان ابن شهاب ص: (237 - 238).

الفلاحة، ولما أصرت فعل ما تهـدَّدها بـه، وولـدت الأخـيرة لثلاثة أشهر من حين الـدخول! وقـول آخر أن أحد الأوليـاء مـات عن زوجة صـالحة من غـير ولد فاشـتد حـزن تلك الصالحة وعظم وجدها عليه فكان يتردد عليها من ضريحه حتى أحَبَلها بعد موته، فجاءت بولد نسبوه إليه.!

وطالما أنكـرتُ مثل هـذه الأضـاليل الـتي لها يتـذمر الإسلام، وتنتكس الأعلام، وتكل عن عد شرها الأقلام، فما حصـلتُ إلا على الملام، وذلك هو الـذي اسـتغرق جهـدهم في تشـويه سـمعتي والتمضـمض بعرضي والتقـول عليّ والسعاية بي - لولا وقاية الله.

ومع هذا فلا يتظنّى امرؤ أني أحط من مراتب الأوليــاء السـامية، أو أغمط من فضـائلهم الناميـة، كلا والله فـانني أتـبرك بمـواطئ أقـدامهم وأتشـرف بـأن أعـدّ في جملة خـــــــدّامهم، وبحمد الله قد حصل لي الحظ الأوفى من اعتنائهم، والنصيب الأكبر من صدق ولائهم، أولئك الذين لا اعتراض للشرع عليهم بحـال. ولا للنقد في طـريقهم أبـداً مجـال، ومن زعم أن بين الشـريعة والحقيقة تخالفـاً وقع في الضلال، وقد قال الشعراني سمعت المرصفي يقـول: لا يكمل الرجل في مقـــام العلم والمعرفة حـــتى يـــرى الحقيقة مؤيـدة للشـريعة وأن التصـوف ليس بـأمر زائد على الســنة المحمدية وإنما هو عينهــا، وقــال ســمعت الخــواص يقــول مــراراً: ومن ظن أن الحقيقة تخـــالف الشريعة أوعكسه فقد جهل. انتهى.

وجاء عن غـير واحد من العـارفين أن الطـرق إلى الله تعالى مسـدودة إلا على من اقتفى أثر الرسـول ﷺ، وقـال: إذا رأيتم الرجل يطير في الهواء وقد أخلّ بحكم واحد من الشريعة فقولوا إنه زنديق، والأدلة في هـذا عن الصـوفية فضلاً عمن سواهم من الفقهاء لا يضبطها الحصر.

ولئن اشــترط القشــيري الحفظ للأوليــاء فالعصــمة

بالاتفاق لا تكون إلا للأنبياء، وقد أثر عن إمام دار الهجرة أنه كان دائماً يقول: كل يؤخذ من كلامه ويترك إلا صاحب هذا القبر الأعطر.

ويعجبني من الآلوسي تأويله ما ذكره ابن عربي " الطائي" من حياة أربعة من الأنبياء وأنهم لايزالون في الأرض وقوله بعد ذلك ما معناه: حسب الشيخ منا أن نؤول كلامه حتى يتفق مع كلام الله تعالى وكلام رسوله ﷺ وأما العكس فمما لا سبيل إليه إذ الدين يصير بذلك لعبة لعّاب انتهى بمعناه)[1].

وقال في القصدة الرابعة عشرة: (وهذه في وصف بعض حال المموِّهين ووجوب الاعتماد على والإطراح لما عداها.

سوق الفضيلة في أيامنا رخصا — **كأن ما فيه من درّ الكمال حصى**
لا حظّ إلا لأبناء السفاح ومن — **نمته أم حصان كابد الغصصا**
ما زالت الناس قبلي يشتكون لما — **يلقون من قلة الأحرار والخلصا**
واليوم أطلب إنسان فأعوزني — **ولم أجد غير وحش تلبس القمصا**
فهل حقيقة هذا الجيل ثابتة — **أم لا فإشكال هذا الأمر قد عوصا**
ما للزمان قد استشرى الفساد به — **والخير فيه على أعقابه نكصا**
غنيمة المرء بعد الناس عنه فلا — **تفرح بآت ولا تحزن لمن شخصا**

1 (?) ديوان ابن عبيد الله (258-259).

ولا يغـــرّك زي النسك من أحد … **فكم تنسك دجال ليقتنصا**
يمشي الهوينا بشئ في عمامته … **كأنه الـرّوق لكن في امتداد عصا**
كأنما هو حاو لا تفارقه … **رقطاء يغوي بها من عقله نقصا**
ممـــوّه يـــذكر الأخيار منتهزاً … **بـــــذكرهم من صــــــغار الأنفس الفرصا**
يـــروي غـــريب كرامات بلا سند … **وربما اختلق الأخبار والقصصا**
خلوا الخرافـات والأحلام إن لنا … **دينـــاً قويمـــاًمن الأوهام قد خلصا**
ما في شريعتنا وهم ولا شبه … **لكن عزائم صدق مازجت رخصا**
وهـــذه ســـيرة الهادي وسنته … **من حاد عنها ولو قيد البنان عصى**
خير النبيين من شباكه لنهى … **أهل النهى قد غدا من حبه قفصا**
له وللمرتضى منّا التحية ما … **غنّى الحمام وما بان النّقا رقصا**
وما هدي الركب بالريح النسيم وما … **انضى الـــدليل بأنواعه الحـــــدا القلصا)**[1]

الأستاذ الزبيري:

وللأستاذ الشاعر محمد محمـود الزبـيري مشـاركة في نقد القبورية قالها حينما أمر الإمــام أحمد بن يحــيى حميد

---

[1] (?) ديوان ابن عبيد الله (238-239).

الــدين بإزالة قــبر ابن علــوان وتســويته ونقل رفاته إلى مكان مجهول، فأهتبل الزبيري هذه الفرصة وأنشأ قصيدة طويلة مــدح الإمــام فيها ببيــتين أو ثلاثة ثم أخذ في نقد القبورية فقال:

(كذلك المجد إما رافعاً علماً — أو باعثـاً أممـاً أو هادماً صنما
يا من يجـــدد من آثار أمته — ما لو رأى جـــده المختار لابتسما
جـــــرح على كبد الإسلام متسع — وضعت فيه ذباب السيف فالتأما
خديعة للجمـاهير التي زعمت — بـأن من دينها أن تعبد الوهما
قـــــالوا له كتب في القبر يكتبها — ينهى ويـأمر أنى شاء محتكما
فليت شـــــعري أسحر ذاك يزعمه — أم أنه اتخذ القرطاس و القلما
أم أنه اتخذ القبر المقيم به — عرشـاً يـدبر فيه اللوح و الأمما[1]
كاد ابن علوان إذ بَرَّدتَ مضجعه — يســـعى بأكفانه للعرش مستلما
يشكو إليك أناساً أحدثوا بدعا — ما كـان وصـاهم فيها ولا علما
جـــــــاؤوه وهو رهين القبر منتظرٌ — هـــول الســـؤال يخاف الويل والنقما
يعتد منطقه كي يستجاب له — وقتــاً تضـيع فيه الألسن الكلما
فبينما هو يخشى هفـــــــوةً — صـغيرةً فيه فيما قال أو زعما

---

1 (?) مجلة الإكليل (39) مقال لعبدالله البردوني.

سلفت

إذا به يجد الدهماء تعبده ... جهراً وتجعله رباً، وإن رغما

فظل يرجف من خوف ومن خجل ... وبقرع السن من أعدائه ندما

فكاد يهرب من مولاه معتذراً ... إليه لو أنه أحيى له قدما

ربّاه، إنيَ لم أرض الذي صنعوا!! ... وكيف أرضى ربي عندك التهما

قد عشت عبداً فلما آن منقلبي ... إليك صيّرني أهل الهوى صنما

ما كان أخلص توحيدي لو أنهم ... ترسموا الدين والآيات والحكما

وكيف تخلق خلقاً ثم أسألهم ... عبادتي دون من أولاهم النعما

وكيف أطلب حقاً أنت مالكه ال ... قهار تأخذ من ناواك واجترما

وكيف أجعل نفسي ندّ من خلق ال ... أفلاك والشمس والأقمار والديما

لو كنت أدفع عن نفسي لما وجدت ... للموت طعماً ولا ذاقت له ألما

لو كنت أزعمها رباً لما دفنت ... بين التراب وصارت جيفة ودما

ما كنت آمرهم إلاّ بما أمرت ... به الأناجيل والقرآن والحكما

مادمت فيهم فقد كنت الشهيد لهم ... وكنت أزجر من ثنّى ومن ظلما

لما توفيتـــــــني ما يصـــــــنعون،
كنت الرقيب على وكنت الشـــــــاهد الحكما
وأنت أعلم من نفسي وأعـــــدل
نفسي بما صنعت من جـــــــارى ومن حكما)[1]

وقد أطال الزبـيري الاعتـذار عن ابن علـوان وأنه غـير راض عما يعمله النـاس عند قـبره، ولكن القاضي الأكـوع كما سـبق في المطلب الـذي قبل هـذا قد صـرّح أنه وجد من كلام ابن علوان نفسه ما يـدل على افتتـان النـاس به في حياته وادعائه تلك الخـوارق الـتي تحمل النـاس على التعلق به، وهذا شأن كثير من أقطاب الصوفية.

وفي نفس الحـــادث يقـــول الشـــاعر المناضل زيد الموشكي:

(ياعين هـذا الصنم الأكبر وهـــــــذه "يفـــــرس " والمنكر
هـــــذا ابن علـــــــوان وذا قبره يعبـــــــده العالم لا يفتر
يـاعين هـذا هبل آخر وقد يفوق الأول الآخـــر)[2]

الشاعر والأديب علي أحمد باكثير:

وأما علي أحمد باكثير الشاعر الكبـير والأديب الشـهير ففي مسرحيته " همام، أو في بلاد الأحقـاف " قد شـخص

---

1 (?) هجر العلم (2/750 - 751).
2 (?) مجلة الإكليل مقال البردوني (39)

لنا الولي " ولي الله" الذي عرفه مجتمعه الحضـرمي تلك الحقبة من الزمن الذي لم يبق علم ولا تصوف كما يصرح بـــذلك جمع من عقلاء تلك البلاد في ذلك الـــزمن، وإنما رسوم ومظاهر وراءها نفوس فارغة من الصـلاح، وقلـوب خاوية من الإيمان، وعقول مردت على الكيد والاحتيـال، و ياليت القوم كـانوا عصـابة سـرقةٍ أو قطـعِ طريق أو شـبه عصـابات " المافيا " إذن لهـان الأمر إذ يوجد ذلك في كل مكـان، ويأخذ النـاس حـذرهم منهم، وتتحمل السـلطات مســؤولية ملاحقتهم، ولكن باسم الـدين وباسم الولاية و باسم الكرامات، فهذا ما لا يطيقه مسـلم عـرف الإسـلام، لذلك جاء نقد الأديب باكثير عنيفاً وفي صورة صـارخة من السـخرية والهـزء بهـذا النـوع من النـاس فاسـمعه يصف الولي المحتال:

(ولي الله ذو الحبو ة والأردية الخضر!
وذو والعمَّة المسواك قد أربى على الشبر![1]
ورب السبحة الغار ق في التســـــبيح والذكر
بها يـــذكر في الناس ولا يـــذكر في السر
ومن يمشي بعكازين من أتباعه الكُثر
يطــأطىء رأسه للأر ض كالبـــاحث عن

1 (?) في الأصل تقديم المسواك والصواب ماذكر.

سر)[1]

وبعد أن كشف باكثير عن شخصية الولي الحي الـذي يعتقد النــاس فيه الصــلاح وهو يمكر بهم ويحتــال عليهم، يتجه اتجاهـاً آخر إلى ولي ميت ومـاذا يـدور حـول قـبره وأثنـاء زيارتـه، ومـاذا يريد النـاس منـه، ثم ختم المشـهد بغضب همــام وثورته على هــذه الخرافــات وهــذا الجهل والتجهيل، وقد صرح بذلك في وجه داعية الخرافة:

فهــذا همــام بطل المســرحية يســأل محمــداً أحد أشخاصها قائلاً:

(محمد هـــات عن قيدو ... ن ماذا كـان من أمر؟
وما شـــاهدت في الموسم ... من عــــرف ومن نكر؟
وهل وفقت في الإنكار ... والتــــذكير والزجر؟

فيجيبه محمد:

توافى النـاس أفواجاً ... إلى قيـدون كالذر
فمِن سا عِية تمشي ... ومن راكبة الحمر
هناك السـاحة الكبرى ... تحـــــاكي ساحة الحشر
بها ما شــئت من لهو ... ومن لغو ومن هذر
وقد غصت بأشتات ... من الآســاد والعفر!

---

[1] (?) همــام أو في بلاد الأحقــاف لعلي أحمد بــاكثير ص (47) منشورات الصبان وشركاه، الطبعة الثانية (1385هـ-1965م).

تبـارت ثم في الحلية والأبـــــراد والخمر
وقد يقتلن بالمعصم أو بـــالنظر السحري!!
من الظهر إلى العصر إلى منبلج الفجر!
هنــاك الخسر في الدين وحسب النــــاس من خسر
ولا يـــربح في تلك ال زيــــارات سوى التجر
وأما ســـادن القبة فهو الــرابح المثري!
تسـاق لـداره الأكيا س من حب ومن تمر
و " للصـندوق " ما يبا ع من ورق ومن تبر!

*
*
*

ولما حضر الوقت تـــــداعوا كضحى النفر
وأمُّوا نحو قبر الشي خ بالطبل وبالزمر
يصيحون ولي الله جئنــاك إلى القبر!
أتينـــاك لكي تحمل عنّا ثقل الوزر
وكي تســبل علينا ضافي

ياقطب الستر
وفي الأنفس حاجات بها ياسيدي تدري!
أتينـــــاك لكي تقضى ونحظى منك بالسر

*
*
*

ولما وصـــــلوا القبة داروا دورة الحمر
وأهــــوت راح ذاك الجم عِ في التابوت بالنقر
فلا تســمع إلاَّ ما يصـــــــــيب السمع بالوقر
هنـاك النـاس غير الناس في الإخبات والذكر!
فهـــــذا خاضع شاك وهــذا دمعه يجري
وهـــــذا ينشج النشجة تستعصي علىالصدر!
وهـــــذا يرعد الرعد ة في أعضائه تسري!
وهـــذا ينـــذر النذر وهــذا جــاء بالنذر
وهذا صـائح يا سيدي عطفـاً على فقري
على عجـــزي وإهمالي على ضعفي على ضري
وقـــــــدجُلِّلَت بالزينة

القبة ... والستر

وبيضـــات من البلو ... ر علقت على الجدر!

فمن حمر إلى صفر ... إلى زرق إلى خضر

ومصباح كبــير الضوء ... مثل الكوكب الدري

وللتــــــابوت معنى من ... جلال العتق والقدر[1]

قد اســود من التقبيل ... في مختلف العصر!

عليه ضــــبب الفضة ... في أســـود كالحبر

فتبـدو كثغـور الزن ... ج إذ تضـحك من أمر!

فثم الضم و التقبيل ... بـــــالثغر وبالنحر

تلاقى فيه دمعا ... الشــــاب والجارية البكر

ولما ســـكن الجمع ... ســـــكون المـــــوج في البحر

تراءى النــاس شيخاً ذا ... شقاشق فيهم هدر

ينــــادي أيها الناس إه ... نأوا بــالفوز والنصر

بهــذي النعمة ... بنيل

1 (?) العتق: القدم.

العظمى الفضل والفخر
قصــدتم بــاب ذي عطف وذي جــــود وذي بر
وأنَّ الشــيخ لا يترك من زار بلا أجر!
عليكم بخلوص القصد في السر وفي الجهر
وبالتســـــليم للأقطاب والخدمة والصبر
وإيّاكم وسـوء الظن بالصوفية الغر
فأهل الله هم جازوا مناط النهي والأمر
ملــــوك لهم التصريف في الــبر وفي البحر

*

*

*

سمعنا أن في (حدرى) تبا شير من الكفر[1]
تصدى ناشيء غر بلاه الله من غر!
يــربي الشــعر كالفساق إذ يعنــون بالشعر
تلقى من فنون العلم مــــازاد على القدر
فأغواه وأرداه وجــاء النفع

---

1 (?) تطلق حدرى على ما سفل من حضرموت كشبام وسيئون وتريم، وعلوى على ما علا منها كدوعن وعمد ووادي العين.

بالضر
ومن شــقوته استحلى حميم الأدب المزري

جــــــرى القلب لايعب أُ بالتهديد والزجر
يبث السم في الجا هـ ل والعلامة الحبر
يســـــيء الظن بالأقطا ب أهل المدد السري!
له أتبـــــاع سوء كل هم يــــدعو إلى الشر

*
**

هنا قمت وقد ضاق بي الواسع من صدري
وما بـــاليت بالغوغا ءِ في عســـــــكرها المجر
وقلت اسـكت عجـوز السو ءِ يا داعية النكر

عــــدو الله والإصلا ح! هل تهـــــذي و لا تدري؟
أتــــــدعو الناس للنكر وتهجو داعي الخير
فصا ح فــــذا من

الشيخ غولوه شيعة الغر
فلـــولا أن تسللت من الجمهـــــــور بالفر
لكـــــــانوا أعدموني مه جـــــــتي بالضـــــــرب والدفر[1]

*** ****

همـــام يضـــحك ويقـــوم إ لى محمد ويضرب على كتفيه:

حمــاك الله من سوء وقــاك الله من شر
لقد قمت مقاماً لا يـــــــوازي عظمة شكري
ولا بد لـذي الإصلا ح من عزم ومن صبر!)[2]

هذه بعض القصـائد في نقد القبورية العامـة، وهنـاك قصائد أخرى كثيرة في هذا الباب ولكنني أكتفي بما سبق لئلا يطول هذا المطلب.

المطلب الثـــالث نقـــول عن بعض من يعتقـــدهم القبورية في نقد عقائدهم وأعمالهم:

الباطل لايمكن الإجمــاع عليه لأنه لو حصل ذلك للبَّس على النــاس دينهم ولبطلت خصيصة من خصــائص هــذه الأمــــــة، وهو أنها " لا تجتمع على ضــــــلالة "، فالطائفة المنصورة دائماً ظاهرة في مخالفة الباطل وإنكـار المنكر

---

1 (?) الدفر: الدفع في الصدر.
2 (?) همام (48-52).

في أي جانب كان.

وفوق ذلك فإن من المحبين لأهل الباطل الواثقين بهم المقلـدين لهم من هو من أهل الخـير والصـلاح، ولو رجع إلى نفسه ودرس الأمر بعيـداً عن المـؤثرات لمـيز الحق من الباطل ولظهر له خطأ كثـير مما استصـوبه أصـحابه، فلـذلك عنـدما تتـاح لهـذا النـوع من النـاس تلك السـوانح فـإنهم يقتنصـونها وتظهر على أقـوالهم وأفعـالهم، وهنـاك من هو متمكن في الضـلال ولكن يـأبى الله إلا أن يجـري كلمة الحق على لسـانه أو قلمـه، فمن أجل ذلك كله عقد هـذا المطلب لإيـراد نمـاذج من تلك الفتـاوى والتقريـرات الـــتي وردت إما من القبورية أو ممن هو محســـوب من أنصارهم وأتباعهم من علمـاء وفقهـاء اليمن، ولن أخـوض في نوايا أولئك الناس أو أحكم عليهم بضـلال أو هدايـة، إذ المقصود هنا فقط هو تأييد الحق الذي يعرفه أهل السـنة، ويقررونه ويسـتدلون عليه بالأدلة الشـرعية المعتمـدة بما يقوله من يحسب القبورية أنه منهم أومن أنصـــــــارهم وأشياعهم.

النموذج الأول: فمن ذلك فتـوى السـيد عبدالله بن محفـوظ الحـداد مفـتي سـاحل حضـرموت في زمنه[1] إذ

---

1 (?) السيد عبدالله بن محفوظ الحداد وهو ممن عاصـرته مـدة وعملت معه في بعض الـدورات الشـرعية الـتي أقامتها وزارة الأوقاف والإرشاد بحضرموت، والرجل درس في رباط تريم ثم سافر مبتعثاً إلى السودان وتخرج من هناك وعاد ليتولى رئاسة محكمة الاســتئناف بــالمكلا ثم رئاسة القضــاء بحضــرموت واستمر فيه إلى عام 1970م ثم استقال منه.

وهو قد استفاد من تفرغه أيام الحزب الاشتراكي في أول عهـده وعهد الجبهة القومية فقرأ كثيراً ومما قرأ فتاوى شيخ الإسـلام ابن تيمية، ولكنه مع ذلك ظل متمسكاً بالأشـعرية على طريقة الغزالي، وكان يكره الخوض في مجـال البدعة بل إن له كتابـاً

سأله بعض أهالي تريم عن الاسـتغاثة بـالأموات: ومـاحكم تلفظ القائل عند حدوث مكروه، مثل سقوط طفـل: ياالله ياشيخ سـعيد أو ياالله يامحضـار، وأحيانـاً يقـول: يامحضـار احضر..... إلخ.

فأجــاب: (الحمد لله والصــلاة والســلام على ســيدنا محمد، إن مثل هذه العبارات من العبارات الشـركية الـتي يجب على المسـلم أن يتـنزه عنهـا. فقد قـال الرسـول ﷺ لمن قال: ما شاء الله وشئت: "أجعلتـني لله نـداً " وهـذه الاســـتغاثات ممنوعة لأنها موهمة وتـــؤدي إلى خلل في العقيـدة خصوصـاً العـامي الـذي يعتقد أن لهـؤلاء الأوليـاء تصرفاً وأنهم يحضرون عند الاستغاثة بهم - وإنما يستغاث بالله - جل جلاله - لا بغــــــيره من الملائكة أو الرسل أو الأوليـاء والصـالحين، فكل هـذا مما يجب منعه ومحاربتـه. ومع الأسف فـإن هـذه الألفـاظ يكررها العـوام، والعلمـاء يسمعون فلا ينهونهم ولا ينبهونهم على خطرها لأنها تتصل بالعقيــدة. فالله هو النــافع الضــار المحــيي المميت مالك الملك لا شريك له، ليس لأحد معه شرك ولا تصرف.

قال في " بغية المسترشـدين ": " مسـألة ك[1]" جعل الوسائط بين العبد وربه فإن صار يـدعوهم كما يـدعو الله في الأمــور ويعتقد تــأثيرهم في شــيء من دون الله فهو

أيد فيه أصل الابتداع في الأمور العملية ورد على صاحب كتاب "الســنن والمبتــدعات "وكــان يغضب عنــدما يســأل عن حكم القباب التي على القبور، ثم بعد اشتداد موجة التصوف تعاطف مع المتصـوفة أكـثر وكـان يقـول إن علي بن حسن السـقاف - صاحب الأردن الذي ألف رسائل في تأييد بعض البدع ورد على الشيخ الألباني وابن تيمية وغيرهما - يقـول عنه أنه مجـدد هـذا القرن. ومع ذلك كان يفتي هذه الفتاوى في أن الاستغاثة بغــير الله شرك إلى آخر حياته - رحمه الله -.

1 (?) حرف الكاف رمز للشيخ العلامة محمد بن سليمان الكردي مفتي الشافعية في زمانه معزو إلى فتاواه.

كفر، وإن كان نيته التوسل بهم إلى الله في قضاء مهماته مع الاعتقاد أن الله هو النافع الضار المؤثر في الأمور دون غيره، فالظاهر عدم كفره وإن كان فعله قبيحاً أ. هـ.

قلت - و لا يزال الكلام للحداد -: فإن قوله الظاهر عدم كفره أن ذلك حرام لأنه يؤدي إلى الكفر خصوصاً من العوام الذين أصبحوا يعلنون مثل ذلك في كلامهم وحتى عند الجنائز - فأهل السوق يقولون: يا محضار، وأهل النويدرة يقولون: يا شهاب الدين - وهذا إن لم يكن كفراً صريحاً فهو قريب منه، ويجب على العلماء التنبيه عليه والتحذير منه ومنع إعلانه في المجتمعات كالجنائز ونحوها من الحريق وغيره، وليأخذوا بالسبيل القويم الأسلم. وإذا كنا نعذر بعض العلماء مما ورد في أشعارهم لأنهم علماء يعلمون ما يقولون فإذا نادى ميتاً فإنما لأجل مدحه لا للاستغاثة به. وإن كان فيه استغاثة حملناه على المحمل السليم لعلمه، أما أن نترك العامة يأخذون الألفاظ ويعلنونها كأنها من الأذكار فهذا مالا يجوز قطعاً. والساكت عن الحق شيطان أخرس. والله المستعان)[1].

ولما انتشرت هذه الفتوى ومضت مدة لانتشارها شكك البعض فيها فعاد أحد طلابه إليه وذكر له ذلك فأصر على صواب تلك الفتوى، وأصدر فتوى أخرى فرق فيها بين الاستغاثة التي يحرمها ويعتبرها من الشرك وبين التوسل المعروف بالأولياء بأشخاصهم أو بأعمالهم وهو ممن يجيز التوسل، وهذا نص الفتوى الثانية: (إن المتوسل متوجه بطلبه إلى الله، وذكر المتوسل به على سبيل التحبب، وأما الاستغاثة فيمكن اعتبارها توسلاً ظنياً لمن يفهم وينوي طلب الدعاء، وإلاّ فإنها ممنوعة وبالذات للعوام الذين قد يعتقدون في المستغاث به القدرة على

---

1 (?) هذه الفتوى صدرت بخطه وتوقيعه وختمه ثم طبعت في ورقة أخرى ووزعت في حياته ولازالت النسختان محفوظتين.

تحقيقها اسـتقلالاً، ولهـذا فهي محرمة على العـوام وعلى إظهارها الفتـوى بهـا، ونعـذر العلمـاء الـذين جـاءت في أشـعارهم لعلمنا بصـحة عقيـدتهم وأنهم إنما يقصـدون التوسل بالمستغاث به وطلب دعائه)[1].

وهـذه الفتـوى وسـابقتها للعلامة الحـداد لم تصل إلى المسـتوى المطلـوب أو لم تخـلُ من بعض المآخذ ولكن المراد من إثباتها هنا إثبات أن مبدأ اعتبـار الاسـتغاثة بغـير الله شـرك شـائع ومعـروف عند كل من خلع ربقة الهـوى والتقليد ومن تعصب بدون بصـيرة، وإن اختلفت العبـارات وتفاوت مستوى التحقيق والتدقيق في الفتاوى.

ويقـــرب من ذلك ما قـــرره العلامة عبدالله بن أحمد باسـودان - رحمه الله - وهو من أكـابر فقهـاء حضـرموت في وقته، ومن المنطوين في السادة العلـويين؛ بل يعتـبر شـيخاً للكثـير منهم في كتابه "ذخـيرة العبـاد شـرح راتب الحـــداد " (وقد فشت في العامة اعتقـادات فاسـدة في أولياء الله، فإن مرضـوا، قـالوا: هـذا صـدر من فلان، وإن شـفوا؛ قـالوا: بركة سـيدي فلان، فلما اعتقـدوا ضـرهم ونفعهم؛ حلفوا بهم ونذروا لهم من دون اللـه، واستشـفوا بهم من دون الله، فإن أجرى الله سبحانه الـوادي؛ قـالوا: شـيء لله يـافلان، وإن قبض الله عليهم المطـر؛ قـالوا: قبضـها فلان.. والله سـبحانه القـابض الباسط المحـيي المميت وكل شـيء بيـده في ملك ملكـوت، ولو ذهبنا لما في الكتـاب والسـنة من التحـذير في ذلك لعـرف النـاس أنهم قد هلكوا، وأكـثر هـؤلاء بل كلهم أتبـاع الـدجال نعـوذ بالله من الضلال، ويقع من هؤلاء في زيـارة قبـور الأوليـاء أو غـيرهم كثـيرٌ من الجهـالات والمـآثم المتكـررة، هـذا ما

---

[1] (?) وهذه الفتوى حـررت يـوم الاثـنين 12 صـفر 1416ه وهي كذلك محفوظة بخظ المفتي وتوقيعه.

قاله الشيخ عبدالخالق المزجاجي الزبيدي.)[1].

والمهم في هــذا النقل قولــه: (فلما اعتقــدوا ضــرهم ونفعهم حلفــوا بهم ونــذروا لهم من دون الله واستشــفوا بهم من دون الله)، وهذا هو الرد الحاسم على المزايــدين من المعاصــرين، الــذين يقولــون: إن تلك الأفعــال الــتي يفعلها العامة[2] إنما هي مجرد أعمال لاتقــوم على اعتقــاد ضر ولانفـــع، ولو صح أن هنـــاك اعتقـــاد ضر أو نفع لقلنا بشــركهم، فهــذا العــالم الــذي تعتبرونه من أجل علمــائكم يصرح بأن هذه الأعمال ما صدرت إلا عن اعتقاد.

أما نحن فنقول: إن مجرد فعل هذه الأعمــال وصــرفها لغــير الله شــرك ولــولم يصــحبه اعتقــاد وانظر ما قــرره الإمــام الشــوكاني رحمه الله في هــذه المســألة في الــدر النضيد. [3]

ويشبه ذلك - أيضــاً - ما نقله علــوي بن طــاهر الحــداد عن " الإمــام " الحــداد المشــهور " عبدالله بن علــوي " حيث قـــال: (وأما الغلو في الأوليـــاء فســـببه الجهل وقلة

---

1 (?) ذخــيرة العبــاد شــرح راتب الحــداد (124-125) بواســطة طريقة الســادة العلــويين نقلاً عن كتبهم (7-8) كتبها مجموعة من الشباب كنوا عن أنفسهم ب (مخلصــون) وقــدم لها الســيد عبدالله بن محفوظ الحداد وهي مخطوطة لدى.

2 (?) إن هــذا القــول إنما هو تنصل من الحقيقة وإلا فهو قــول العامة وكثــير من الخاصة ولئن كــان العــامي تــربى على ذلك واعتقــده تقليــداً، فــإن بعض من يحسب من الخاصة من يقوله ويدافع عنه ويقيم الحجج بزعمه على صحته، ثم عند المنــاظرة يراوغ ويقول إنما = =هذا فعل العامة ومن اعتقد الضر والنفع في غــير الله فقد أشــرك، فله مــذهبان مــذهب عند الأتبــاع هو تأصيل ذلك وتأييده ومــذهب عند الخصــوم هو المراوغة والتقية وإســـكات الخصم بما يوافقه وإن كـــان خلاف مايعتقـــده ذلك المناظر.

3 (?) الدر النضيد ص (110).

المعرفة بعقائد الـــدين وقد ينتهي ببعض النــــاس إلى أن يثبت لهم القدرة على الضر والنفع كما يثبت لله عزوجـل، وهـــذا انتكـــاس على أم الـــرأس وفقد لحقيقة الإيمـــان والإسلام: قال الإمام العـارف بالله محـيي الطريق وداعي الفريق الحبيب عبدالله بن علوي الحداد العلوي: التصرف الحقيقي الذي هو التأثير والخلق والإيجاد لله تعالى وحــده لاشـريك له ولا تـأثير للـولي ولا غـيره في شي قط لاحيـاً ولاميتاً، فمن اعتقد أن للولي أو غيره تأثيراً في شيء فهو كافر بالله تعالى انتهى). [1]

وهو كالـذي قبله يثبت أن للعامة اعتقـاداً منحرفـاً في الأوليـاء بفقد حقيقة الإيمـان والإسـلام وأن (من اعتقد أن للولي أوغيره تأثيراً في شيء فهو كافر بالله تعالى) وفي مسألة الذبح لغير الله قال العلامة عبـدالرحمن المشـهور في "بغية المسترشـــدين " " مســـألة ب"[2]: (القـــنيص المعروف بحضرموت من أكبر البدع المنكـرات والـدواهي المخزيات، لكونه خارجـاً عن مطلوبـات الشـرع، ولم يكن في زمن سـيد المرسـلين والصـحابة والتـابعين أجمعين، ومن بعدهم من الأئمة ولم يرجع إلى أساس ولم يبن على قيـاس، بل من تسـويلات الـرجيم وتهويسـات ذي الفعل الـذميم والعقل الغـير المسـتقيم؛ لأن من عـاداتهم أنه إذا امتنع عليهم قتل الصيد قالوا: بكم ذيم. [3] فيـذبحون رأس غنم على الطوع - يعـني العـود الـذي تمسك به الشـبكة - تطهيراً للقنيص من كل شك ووسواس فالـذبح على هـذه

---

1 (?) عقود الألماس بمناقب الإمام العـارف بالله الحـبيب أحمد بن حسن العطاس (1/47)

2 (?) يعـني أن هـذه المسـألة فتـاوى عبدالله بن الحسـين بن عبدالله بافقيه كما في مقدمة العينية (2).

3 (?) (الـذيم) يظهر أنه اصـطلاح خـاص بـالقوم ولم يفسـره المصنف ولعله مانع من موانع حصول الصيد بسبب معين.

الصـفة لايعجل قتل مـالم يَحْضُـر أجلـه، إذ الأجل كـالرزق والسعادة والشقاوة له حدّ ووقت مقدر كما قال تعـالى: **لكل أجل كتاب** [1]، وفي الحديث: " فرغ الله من أربع: من الخلق والأجل والرزق والخلق " ثم الذبح علىمثل هذه الحالة يتنوع إلى ثلاثة أمـور: إما أن يقصد به التقـرب إلى ربه، ولم يشرك معه أحـداً من الخلـق، طامعـاً في رضـاه وقربه وهـذا حسن لابـأس بـه، وإما أن يقصد به التقـرب لغـير الله تعـالى كما يتقـرب إليه معظمـاً له كتعظيم الله كالذبح المذكور بتقدير كونه شـيئاً يتقـرب إليه ويعـول في زوال الذيم عليه فهذا كفر والذبيحة ميتة، وإما أن لا يقصد ذا ولا ذا بل يذبحه على نحو الطوع معتقـداً أن ذلك الـذبح على تلك الكيفية مزيل للمـانع المـذكور، من غـير اعتقـاد أمر آخر فهذا ليس بكفر ولكنه حرام والمذبوح ميتة أيضـاً وهـــذا هو الـــذي يظهر من حـــال العـــوام؛ كما عـــرف بالاستقراء من أفعـالهم، كما مقت هـذه الصـور الثلاث أبو مخرمة فيمن يـــذبح للجن)[2] والشـــاهد في النص اعتبـــار الـذبح لغـير الله على سـبيل التعظيم شـرك بالله تعـالى، وتصريح هؤلاء الثلاثة العلمـاء الكبـار به وهم من مشـاهير علمـــاء حضـــرموت المحســـوبين من قـــدوات الصـــوفية: بامخرمة، وبافقيه، والمشهور.

وفي نفس الموضـــوع يقـــول ابن عبيدالله مفـــتي حضرموت في وقته: (ولنضرب مثلاً بأولياء الـرحمن فـإن من اسـتخف حقهم وأنكر خصوصـيتهم اقتحم الغلط وأتى بـأكبر شـطط ومن طلب منهم مـالا يطلب إلا من جبـار السـماوات واعتقد أن لهم تـأثيراً من دون الله فقد وقع

---

1 (?) سورة الرعد (38).

2 (?) بغية المسترشـدين في تلخيص فتـاوى بعض الأئمة من العلماء المتأخرين تـأليف عبـدالرحمن بن محمد بـاعلوي طبعة دار الفكر بدون تاريخ ص (255-256).

في صريح الإشراك)[1].

وفي الحلف بغــير الله يقــول عبدالله بن حســين بن طــاهر: (وأحــذركم الحلف بالله في جميع شــؤونكم (ولا تجعلـــوا الله عرضة لأيمـــانكم)[2]، وأما الحلف بالآبـــاء والجدود وبكل مخلـوق - وإن عظم - فهو محـذور ويختلف الحكم فيه بــاختلاف المقصــود فبعض صــوره قــادح في التوحيد ومـادون ذلك فمكـروه؛ للنهي الشـديد وأشـدّ من ذلك الحلف بالأمانة فالمحتاط من كف عن ذلك لسـانه)[3] والشاهد جعله بعض صور الحلف قادحاً في التوحيد ولعله يقصد إذا قصد الحالف تعظيم المحلوف به.

وهذا ظـاهر عند الـذين يصـرون على ألا يقبلـوا الحلف إلا بـالولي ويرفضـون الحلف بالله وكـذلك الـذين يتهيبـون من الحلف بالولي ولا يتهيبون الحلف بالله

وفي النــذر قد ســبق ما قاله العلامة أبو بكر الخطيب وموضع الشـاهد قولـه: (أقـول وأنت خبـير بـأن العـامي الجاهل الصـــرف يخفى عليه ملاحظة أن هـــذا التصـــدق لايعتقد إلا في القـــرب ومعرفة ما هو قربـــة، فليتنبه لما يجيئون به للولي أو قبره أو مشهده وهو ميت فإن الغالب أنهم يقصـدون به تعظيم ذات الـولي أو قـبره أو مشـهده وذلك باطــل؛ كما تقــدم والله أعلم بالصــواب)[4]، أقــول والـذي تقـدم قولـه: (الـذي تحصل للفقـير من كلام أئمتنا الشـافعية - رحمهم الله تعـالى - ملخصـاً من كلام طويل

---

1 (?) مذكرة طريقة السادة العلويين كتبها مجموعة من الشباب كنوا عن أنفسـهم ب (مخلصـون) وقـدم لها السـيد عبدالله بن محفـوظ الحـداد وهي مخطوطة لـدى ص (10) عن رسـالتي (المساواة والملكية) للسيد عبدالرحمن بن عبيدالله السقاف.

2 (?) البقرة (224)

3 (?) المجموع لعبدالله بن حسين بن طاهر ص (237) بواسطة طريقة السادة العلويين ص (8- 9).

4 (?) الفتاوى النافعة ص (249).

لهم في مثل هذه المسألة أن ما تصـدق به على النـبي أو الولي الميتين أو على قبرهما أو مشهدهما مثلاً سواءً كان بنذر أو وقـف، ومثل ذلك الأمل[1] المعـروف بالجهة عنـدنا أنه قصد به تمليك الميت أو القبر أو المشهد بطـل؛ لعـدم صحة تمليك من ذكر وكذا لو نـوى بـذلك التقـرب إلى من ذكــر؛ لأن القــرب إنما يتقــرب بها إلى الله تعــالى لا إلى خلقه ومثل ذلك ما إذا كـان المتصـدق به شـمعاً أو زيتـاً، ومثله السـليط والقـاز عنـدنا وقصد به الإسـراج للتنـوير تعظيمـــاً للبقعة أو القـــبرأو التقـــرب إلى من دفن فيها أونسبت إليه كما يعتقـده بعض العامة فـإنهم يعتقـدون أن لهذه الأماكن خصوصيات بنفسها ويرون أن التصـدق عليها مما يندفع به البلاء..)[2].

أقــول واضح من هـذا النقل أن هـذا الفقيه يوافق في قوله هذا القول الصـحيح من أن النـذرلغير الله شـرك إذا كان عن اعتقاد في المنذورله، وهـذا على قـول من يجعل النــذر بمعــنى الهبة أو العطيــة، وأما من يقــول إن النــذر لايسمى نـذراً إلا إذا كـان عبـادة؛ فإنه يكـون النـذر - على قــولهم - وعلى من نـذر على هـذا الوجه - شـركاً ولـولم يصحبه تعظيم.

يقــول السـيد عبـدالرحمن المشـهور في التفريق بين الكرامة والسحر والإشارة إلى أن بعض من يـدعي الولاية قد يكون من السـحرة المشـعوذين والتنصـيص على بعض المجاذيب من أتباع الرفاعي أو أحمدبن علوان أن بعضهم إنما يفعل ذلك بطريق السحر وتأكيـده على أن الكرامة لا تكون على يد فاسق ولا يتعلم من حصلت على يده سببها ولا يسـعى إليها وأن من التشـبه بأصـحاب الكرامـات من

---

1 (?) الأمل يشـبه نـذر المكافـأة كـأن يقـول إن شـفي مريضي فللولي الفلاني كذا كذا.

2 (?) المصدر السابق ص (248-249).

ليسـوا منهم من يسـتعملون الجـان يقـول في ذلك كلـه: "مسألة"[1] (خـوارق العـادة على أربعة أقسـام: المعجـزة المقرونة بدعوى النبوة المعجـوز عن معارضـتها الحاصـلة بغــــير اكتســــاب وتعلم، والكرامة وهي ما تظهر على يد كامل المتابعة لنبيه من غــــير تعلم ومباشــــرة أعمــــال مخصوصة، وتنقسم إلى ما هو إرهـاص وهو ما يظهر على يد النــبي قبل دعــوى النبــوة، وما هو معونة وهو ما يظهر على يد المؤمن الذي لم يفسق ولم يفتر بـه‘ والاسـتدراج وهو مــايظهر على يد الفاسق المغــتر، والســحر وهو ما يحصل بتعلم ومباشــرة ســبب على يد فاســق، أو كــافر، كالشعوذة وهي خفة اليد بالأعمال وحمل الحيـات ولـدغها لـه، واللعب بالنـار من غـير تـأثير، والطلاسم والتعزيمـات المحرمـة، واسـتخدام الجـان وغـير ذلـك. إذا عـرفت ذلك علمت أن ما يتعاطاه الذين يضربون صـدورهم بـدبوس أو سـكين أو يطعنــون أعينهم أو يحملــون النــار أو يأكلونها وينتمــون إلى ســيدي أحمد الرفــاعي أو ســيدي أحمد بن علــوان أو غيرهما من الأوليــاء أنهم إن كــانوا مسـتقيمين على الشريعة قـائمين بـالأوامر تـاركين للمنـاهي عـالمين بالغرض العيـني من العلم عـاملين به لم يتعلمـوا السـبب المحصل لهــذا العمل فهو من حــيز الكرامة وإلا فهو من حــيز الســحر إذ الإجمــاع منعقد على أن الكرامة لا تظهر على يد فاسق وأنها لاتحصل بتعلم أقـوال وأعمـال وأن ما يظهر على يد الفاسق من الخــوارق من الســحر المحــرم تعلمه وتعليمه وفعله ويجب زجر فاعله ومدعيــه، ومــتى حكمنا بأنه سحر وضلال حرم التفرج عليه؛ إذ القاعـدة أن التفرج على الحرام حرام؛ كدخول محل الصور المحرمـة، وحرم المـال المـأخوذ عليـه، والفـرق بين معجـزة الأنبيـاء

1 (?) أي أن هـذا النقل عن الشـيخ عبدالله بن عمر بن أبي بكر بن يحيى كما في المقدمة (2).

وكرامة الأولياء وبين نحو السحر أن السـحر والطلسـمات والسيمياء وجميع هذه الأمور ليس فيها شيء من خــوارق العادة؛ بل جـرت بـترتيب مسـببات على أسـباب، غـير أن تلك الأسباب لم تحصل لكثير من الناس، بخلاف المعجـزة والكرامة فليس لهما ســبيل في العـــادة، وإن الســـحر مختص بمن عمل له، حتى أن أهل هـذه الحـرف إذا طلب منهم الملـــوك مثلاً صـــنعتها طلبـــوا منهم أن يكتب لهم أسماء من يحضر ذلك المجلس فيصـنعون ذلك إن سـمي لهم فلو حضر آخر لم ير شيئاً وأن قرائن الأحوال المفيدة للعلم القطعي المحتفّة بالأنبيـــاء والأوليـــاء من الفضل والشـرف وحس الخلق والصـدق والحيـاء والزهد والفتـوة وتـــرك الرذائل وكمـــال العلم وصـــلاح العمل وغيرهمـــا، والساحر على الضد من ذلك)[1].

وهذا تفصيل حسن لخوارق العـادات وتميـيز للمعجـزة عن الكرامة من الاسـتدراج والسـحر. والفائـدة الكبـيرة والقاعـــدة العظيمة الـــتي تجلي الفـــرق بين الكرامة والسحر، أن الكرامة لا تكـون بتعلم لما يحـدث ذلك الأمر فإن كـان ذلك الخـارق ناتجـاً عن سـبب ظـاهر وتعلم لـه، كان الخـارق من حـيز السـحر لا من حـيز الكرامة ولو أننا مع الصـــوفية جميعـــاً وقفنا عند هـــذه القاعـــدة وطبقناها تطبيقاً حاسماً وسـليماً لاتضح أن معظم ما تطفح به كتب الصـوفية في منـاقب أوليـائهم مما صح نسـبته إليهم من بـــاب الســـحر لا من بـــاب الكرامة لأن جماعـــات منهم اشـــتهروا أو ثبت عنهم تعلم الســـيمياء أو علم الحـــروف وذلك من السحر كما في هذا النقل وغـيره، فمن ثبت أنه عـالم بـذلك مسـتعمل له فاسم الفسق قد وقع عليـه، ثم ذلك الخارق قد أصـبح صـادراً عن تعلم فـانتفى أن يكـون من حـيز الكرامة ولم يبق إلا أن يكـون من حـيز السـحر

1 (?) بغية المسترشدين ص (298 - 299).

وكذلك من يتعاطى الرياضة التي هي في صـورة عبـادات لم يشرعها النبي فإن تلك الرياضة سبب يتوصل به إلى إظهار خوارق للعادات، وقد نص الشـعراني على أن بعض النصـابين يمارسـون الرياضـات ليوهمـوا النـاس أنهم من الأولياء ذوي الكرامات[1]

فاتضح أن هنـــاك فـــارقين أساســـيين بين الكرامة والسحر أوالاستدراج وهما: التعلم واتخاذ الأسباب، فمـتى وجد هـذا الفـرق حكم على الخـارق بأنه سـحر، ولو كـان على يد من يظهر عليه سـيما الصـلاح؛ لأنه قد يكـون في البـاطن بخلاف ذلـك. وأما الفـرق الثـاني: وهو الاسـتقامة للكرامة، والفسق للسحر والاستدراج؛ فإنه قد تحايل عليه الصـوفية ولم يبق له أثر لـديهم ولا لـدي أتبـاعهم؛ حيث قرروا أصلاً خطيراً وهو أن الـولي يتجـزأ ويظهر بمظـاهر مختلفة وأن ما تـــراه لديه مما ظـــاهره الفسق فإنه في الباطن شيء آخر، بل إن الخمر إذا رأيته يشربها فإما أنها خمر لَدُنِّية من الحضـــرة الربانية وإما أنها مشـــروب آخر ظهر لمصـلحة في صـورة الخمـر، وكل ذلك قد ضـربت عليه أمثلـة، وأيضـاً نقلت عنهم كيف يعتـذرون لمن لم ير يصـلي قط وأنه فحص فظهر أن له عشر صـور، صـورة واحدة هي الـتي رآها المعـترض لا تصـلي بينما تسع صـور دائبة في العبـادة وصـدقهم من رأى ذلك ونقل الحـادث على أنه كرامة من أشـهر وأكـبر كرامـات ذلك الـولي. فلنتأمل هـذا الفـرق ثم نحكم بموجبه على كل خـارق من الخوارق على يد من كان من الناس.

شهادة حق من أصحاب وحدة الوجود:

قلت في مبحث سابق إنني لم أجد لعلمـاء حضـرموت قولاً فاصلاً واضحاً في أصحاب وحـدة الوجـود مع عمـوم إحسان الظن بهم واعتبارهم من الأوليـاء، ولكـني اطلعت

---

1 (?) انظر الطبقات الكبرى (1/108).

أخيراً على نقل نقله علوي بن طاهر الحداد عن الشـيخين الشـافعيين الشـهاب الـرملي وابن حجر المكي يـدل على أنه موافق لهما فيـه، وهـذا النقل مهم جـداً خصوصـاً عن ابن حجر المكي الذي اشـتهر عنه التأويل لأصـحاب وحـدة الوجود يقول الحداد:

(وسئل الشيخ أحمد الرملي عن القائل بوحدة الوجـود فقـال: يقتل هـذا المرتد وتـرمى جيفته للكلاب؛ لأن قوله هذا لا يقبل تأويلاً. وكفره أشد من كفر اليهـود والنصـارى، واستحسن الشـيخ ابن حجر منه هـذه الفتـوى، وكـان قبل ذلك يتمحل لبعض المتصـوفة القـائلين بها ويـؤول كلامهم فرجع عن التأويل)[1].

وأخيراً طعنة من الحداد في صميم دعاوى قومه:

قـــال جـــامع كتـــاب النفـــائس العلوية في المســـائل الصوفية: (وسأله بعض الأصـحاب أيضـاً عن الكبش الـذي يعتـــاد أهل الغيل تركه في بيـــوتهم ويســـمونه مســـايراً. فأجـاب رضي الله عنه ونفعنا بـه: أما الكبش الـذي يعتـاد تركه أهل الغيل في بيـوتهم ويسـمونه " مسـايراً " وكلما ذهب أبـدلوه بغـيره. فهـذا والعيـاذ بالله من الشـرك بالله والشرك ظلم عظيم، وهو وأمثاله سبب تسلط الشـيطان وجنـوده على العـاملين بـه. فـإن الله تعـالى قد سـلط الشيطان على من يتبعه من بني آدم، وهـذا من الاتبـاع له قـال الله تعـالى: (إن عبـادي ليس لك عليهم سـلطان إلا من اتبعك من الغـــاويين)[2]#[3] موضع الشـــاهد أنه جعل اتخاذ هذا الكبش شركاً. ومن المعلوم ضـرورة أن متخـذه

---

1 (?) عقود الألماس (1/104).
2 (?) الحجر (42).
3 (?) النفائس العلوية في المسائل الصوفية ص (127 - 128) لعبدالله بن علـــوي الحـــداد طبع دار الحـــاوي الطبعة الأولى (1414هـ- 1993م).

لم يعتقد أنه يضر وينفع من دون الله قطعاً؛ لأنه يعرف هذا الكبش ويعرف حقيقته ومن أين جاء، وكيف يموت وينتهي، ومع ذلك كان اتخاذه شركاً. إذن فكيف لايكون من يدعو غير الله مشركاً إلا إن كان يعتقد استقلاله بالضر والنفع من دون الله، وصورة الدعاء لغير الله أظهر في الإشراك من صورة اتخاذ هذا الكبش؟

المطلب الرابع: فتاوى وبيانات جماعية للتحذير من عقائد وأعمال القبورية:

لكي يعلم القاريء الكريم أن موقف علماء اليمن المعاصرين هو موقف أسلافهم الكرام الرافض للقبورية بعقائدها وأعمالها، أسوق في هذا المطلب عدداً من الفتاوى والبيانات الجماعية، التي انتقد كاتبوها والموقعون عليها أعمالاً من أعمال القبورية أو أيدوا خلافها، وهي تتناول البناء على القبور وبعض زيارات وشعائر القبورية وادعاء علم الغيب.

الفتوى الأولى:

كانت رداً على سؤال بعث به أحد القائمين على بعض القباب في جهة تهامة ونص السؤال هو: **(ماقولكم سادتي العلماء رضي الله عنكم في قضية عظيمة الخطر هي مايمارس الناس من أعمال، فهم يقربون الذبائح إلى القبور وينذرون لها ويذبحون لها ويستعيذون بها ويعتقدون فيها النفع والضر والحياة والموت " ورأس برأس " فهل هذا يرضاه الإسلام ياعلماء الإسلام، وهل ارتفاع القبور والقباب من الإسلام في شيء، وهل يؤجر عليها فاعله، فأنا منصوب قبة الشيخ داود بن الزين والناس يأتون إلي بريالات وكباش وعجلان وأشياء أخرى يقولون هذه حق الشيخ**

داود وإذا نهيتهم قالوا الولي سيضرك، أولئك كانوا يعملون ويقبلون، فلماذا لا تسير على ما ساروا عليه، قولوا لنا كلمة الإسلام في الموضوع - وفقكم الله -، والسائل مستفيد وهناك قباب كثيرة و مناصيب أخرى والعمل هو العمل ويأتي جهلة بدوان ويقومون بحركات ورعشات، أفتونا لا خلا عنكم الوجود؟

وقد جاءت الفتوى هكذا (الحمد لله حيث كان الحال ما شرحه السائل، فالتقرب بالذبائح إلى القبور والأولياء والاستعانة بهم والنذر لهم دائر بين أمرين خطيرين، إما كفر بواح، وإما وسيلة إلى الكفر، ذلك أنه إذا صدر هذا الفعل الشنيع ممن نشأ في دار الإسلام عالماً بأحكام الشرع في مثل هذا معتقداً النفع والضر من الولي يكفر فاعله، فتجري عليه أحكام الردة جميعها، وإن كان قريب عهد بالإسلام أو نشأ في غير دار الإسلام، أو في دار الإسلام نائياً عن أماكن المعرفة، فيكون هذا الفعل في حقه وسيلة من وسائل الكفر، فيجب تعليمه وتبيين الأدلة له وإقامة الحجة عليه فإن انتهى بعد ذلك منها وإلا فحكمه أن يكفر.

فعلى كل يجب على ولاة الأمر الردع من مثل هذه الأمور والأخذ بيد من حديد، لكل من يقدم على هذا المنكر الفظيع ولو أدى ذلك إلى هدم القباب الموضوعة على القبور سداً للذرائع، هذا ما نعتقده في هذا الموضوع والله على ما نقول وكيل، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم).

وقد كتب الفتوى أحد كبار علماء زبيد المعاصرين وهو الشيخ أسد بن حمزة ابن عبدالقادر وصادق عليها جمع من علماء زبيد وغيرها، ومنهم: محمد بن محمد بن سليمان الأهدل، محمد بن علي البطاح الأهدل، أحمد بن

عبـــدالقهار بن صـــالح، محمد بن عبد الجليل العـــزي، عبدالجليل بن علي خليـل، محمد بن عبدالله بـازي، محمد بن عيدروس علـوي، عبد المجيد بن عزيز الزنـداني، عمر بن أحمد سـيف، علي بن محمد واصـل، حامد بن مختـار شـرف، محمد بن أحمد كـديش " عضو محكمة الحديـدة التجارية "، محمد بن علي مكرم، حسين بن محمد عثمان الوصـابي، أحمد بن عبدالله سـعيد الضـافري، عبدالله بن قاسم الوشـــلي، أحمد بن محمد عـــامر، وعلي بن محمد الوشـلي، محمد بن محمد عزيز القـديمي، وإبـراهيم ابن حسين صائم الدهر، عبدالرحمن الوشلي، عبـدالرحمن بن عبدالله الأهدل، هذة الأسماء التي تبيَّنْتُها وهناك أسماء لم أتبيّنها.

وقد علق حـــاكم زبيد الســـابق - رحمه الله - عبدالله الأنبـاري على الفتـوى فقـال: (أنا أقـرر ما قـرره الأئمة السادة العلماء بمنع كل بدعة قبيحة تخالف منهج الشريعة المطهرة، وكل بدعة ضـلالة وكل ضـلالة في النـار، فالضر والنفع بيدالله سـبحانه وتعـالى، والـذبح لغـير الله لايجـوز، ومن ثبت تعاطيه لـذلك فيمنع ويضـبط حـتى يتـوب. وفق الله الجميع لخدمة كتابه وسـنة رسـوله والاهتـداء بهدية وجعل الأعمـال خالصة لوجهه الكـريم وصـلى الله سـيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.)[1]

الفتوى الثانية:

كما وزعت فتـوى أخـرى على شـكل ملصق علق في المســـاجد وغيرها يحتـــوي على فتـــوى مقاربة للفتـــوى السـابقة ملخصة من مجمـوع ما أفـتى به العلمـاء، وإليك

1 (?) لدي صورة طبق الأصل من هذه الفتوى وقد وردت ضـمن كتيب بعنوان" الفتاوى اليمنية في تحريم رفع القبور والزيارات البدعية والشركية "وهو من سلسلة باسم (السلسلة الدعويـة) رقم (9) ويوزع مجاناً بدون تاريخ.

نص السؤال وملخص الجواب:

نص السؤال: (السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

فإن في بلادنا قبور رجال صالحين، مرفوعة ببناء فوق الأرض، فيها حفرة صغيرة، بداخلها تراب يتبرك به ويستشفى به، وتقام لهذه القبور زيارات سنوية موسمية في شهر رجب الحرام وغيره، ، يذبح فيها الكباش لأصحاب القبور، ويجتمع عندها الرجال والنساء والباعة والألعاب، ويحتفل بهذه الزيارات كالاحتفال بيوم العيد، وتهان فيها القبور أيما إهانة.

فما هو قول السادة العلماء والأئمة الفضلاء في رفع القبور بالبناء؟ وما حكم هذه الزيارات؟ وهل هي الزيارات الشرعية التي حث عليها أبو القاسم محمد ﷺ؟ أفتونا مأجورين. نفع الله بكم الإسلام والمسلمين.

وقد تفضل أصحاب الفضيلة العلماء بالإجابة على هذا الاستفتاء. ننشر هنا خلاصة إجاباتهم:

أولاً: أوضح العلماء في فتاواهم على أنه لا أحد من الخلق لا ملك ولا نبي ولا ولي يضر أو ينفع، وأن الأموات لا ينفعون الأحياء ولا يغنون عنهم من الله شيئاً بل الأموات بحاجة إلى دعاء الأحياء لهم، والاستغفار لهم، وإذا كان سيد الأولين والآخرين نبينا محمد ﷺ لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضراً، فكيف يملك ذلك غيره ممن هو دونه، وعليه فلا يجوز اعتقاد النفع والضر في أصحاب القبور مطلقاً، لأنه من الشرك الأكبر المخرج من ملة الإسلام.

ثانياً: أوضح العلماء أن شد الرحال إلى القبور بدعة محدثة منكرة وقد جاء الشرع بالنهي عن شد الرحال إلا

إلى ثلاثة مساجد، كقـول النـبي : $**لا تشد الرحـال إلا إلى ثلاثة مســـجدي هـــذا والمســـجد الحـــرام والمسجد الأقصى**# أخرجه البخاري ومسلم وغيرهما.

ثالثاً: أكد العلماء على حرمة رفع القبور أكثر من شـبر لقـول النـبي لعلي بن أبي طـالب: $**لاتـدع تمثـالاً إلا طمســته ولا قــبراً مشــرفاً إلا ســويته**# أخرجه مسلم.

رابعــاً: أكد العلمــاء على حرمة البنــاء على القبــور مطلقاً، وتجصيصها، والكتابة عليها، والقعود عليها، لحـديث جـابر بن عبـدال لـه: $**نهى رسـول الله أن يقعد على القـــبر، وأن يجصص أو يبـــنى عليه**# أخرجه أحمد وأبو داود والنســائي وفي روايــة: $**نهى رســول الله أن يكتب على القــبر شــيء**# أخرجه أبو داود وابن ماجه.

خامســاً: بيّن العلمــاء الفــرق بين الزيــارة الشــرعية للقبـور، الـتي تكـون للعظـة، والاعتبـار، وتـذكر الآخـرة، والـــدعاء والاســـتغفار للميت. وبين الزيـــارات البدعية والشركية التي يتقرب فيها إلى أصحاب القبـور، بالـذبائح، والنــذور، والاســتغاثات، وما إلى ذلك من أمــور الشــرك الأكبر المخرج عن ملة الإسلام، وأن هـذه الأمـور لا تكـون إلا لله وحـــده لا شـــريك لـــه، لقوله تعـــالى: **قل إن صـــلاتي ونســـكي ومحيـــاي وممـــاتي لله رب العــالمين، لاشــريك له وبــذلك أمــرت وأنا أول المســـلمين** ولقوله تعـــالى: **فصل لربك وانحر** ولقول النبي : $**لعن الله من ذبح لغير الله**# أخرجه مسلم.

سادسـاً: أكد العلمـاء على أن وضع حفـرة على القـبر وجعل الــتراب فيها للتــبرك والاستشــفاء به من وســائل الشرك الأكبر المخرج عن ملة الإسلام.

سابعاً: أكد العلماء على تحريم، وخطورة ما يجري في هذه الزيارات، من الاختلاط بين الرجال، والنساء، وخروج الباعة، والطبول، ومايجره من الفتن، والفواحش والموبقات، علماً أن النبي : **$لعن زوّارات القبور#** أخرجه أحمد والترمذي.

ثامناً: أوضح العلماء تحريم تخصيص شهر من السنة، لزيارات قبور الأولياء، خاصة في شهر رجب الحرام، وأن ذلك وسيلة من وسائل الشرك، الذي لايغفره الله - إن مات صاحبه عليه - لقول النبي **$لا تجعلوا قبري عيداً#** أخرجه أبو داود.

وإليك أسماء بعض العلماء والمشايخ الذين أفتوا ووقعوا على هذه الفتوى.

(1) محمد بن إسماعيل العمراني (2) مقبل بن هادي الوادعي (3) د. إبراهيم القريبي (4) د. عبدالوهاب الديلمي (5) محمد الصادق مغلس (6) عبد المجيد الزنداني (7) عبدالعزيز الدبعي (8) عبدالمحسن ثابت (9) عبدالمجيد الريمي (10) عقيل المقطري (11) محمد بن عبدالوهاب الوصابي (12) د. أحمد محمد زبيلة (13) أحمد حسن المعلم (14) إسماعيل العنسي (15) محمد المهدي (16) عبدالرحمن بن عبدالله شميلة (17) حسين بن محفوظ (18) عمر أحمد سيف (19) عبدالقادر الشيباني (20) صالح الوادعي (21) طارق عبدالواسع (22) عبدالله الحاشدي (23) ناصر الكريمي (24) عيسى شريف (25) أحمد حسان (26) علي بارويس (27) علي بن فتيني (28) عبدالله الحميري (29) أحمد أهيف (30) أمين جعفر (31) عمّار ناشر (32) محمد الوادعي (33) عارف أنور (34) علي مقبول الأهدل (35) محمد سالم الزبيدي (36) محمد سعد الحطامي (37) حسن صغير الأهدل (38) مراد القدسي (39) إسماعيل عبد الباري (

40) حسن الزومي (41) حاكم زبيد عبدالكريم النعماني (42) محمد المعمــري (43) عبدالله فيصل الأهــدل (44) عمر سقيم.

الفتوى الثالثـة: نص السـؤال: ما حكم الشـرع في هذه النتيجة التي يصدرها هذا الرجل، والـتي يذكر فيها ما سيحدث للأشخاص والبلدان، وكذلك مختلف الأحـــــداث والتغـــــيرات السياســـــية والاقتصـادية والكـوارث وغـير ذلـك، معتمـداً كما يقـول على علم الجفر والنجـوم وغيرهـا؟ وهل يجوز إصدارها أو بيعها وشراؤها؟

وقد تفضل أصــحاب الفضــيلة بالإجابة عن التســاؤل، ننشر هنا خلاصة تلك الإجابـات، آملين أن نتمكن مسـتقبلاً من نشر إجابات العلماء مفصلة.. والله الموفق.

ركز العلمـاء على أن عمل هـذا الرجل هو ادعـاء لعلم الغيب، وأن من أصـول العقيـدة الإسـلامية المقــررة عند أهل الملة أن الله اســـــــتأثر بعلم الغيب فلا يعلمه أحد سواه، وأدلة ذلك جدّ كثيرة، ومنها:

1- قوله تعـالى: **قل لا يعلم من في السـموات والأرض الغيب إلا الله وما يشعرون أيان يبعثــون** "النمل 65"

2- وقوله تعــالى: **وما كــان الله ليطلعكم على الغيب ولكن الله يجتبي من رسله من يشاء** "آل عمران179"

3- وقوله تعالى: **وعنده مفـاتح الغيب لا يعلمها إلا هو.** "الأنعام 59 ".

4- وقوله تعالى: **ويقولـون لـولا أنـزل عليه آية من ربه فقل إنما الغيب لله** " يونس 20 ".

5- وقوله تعالى: **ولله غيب السموات والأرض** " النحل 77 ".

6- وقوله تعــالى: **عــالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحداً** "الجن 26 ".

وعلى هذا فعلم الغيب محجـوب عن جميع الخلـق، بما في ذلك الملائكة والنبــيين، قــال الله تعــالى حكاية عن الملائكة: **قـالوا سـبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا** " البقــرة 32 ". وقــال الله حكاية عن محمد : **ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخـير** "الأعـراف 188 ". وقـال الله آمـراً نبيه محمد : **قل لا أقـول لكم عنـدي خـزائن الله ولا أعلم الغيب** " الأنعـام 50 "، وقال الله: **عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحــداً إلا من ارتضى من رســول** " الجن 26 ". وقــال الله عن الجن: **فلما خر تــبينت الجن أن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العــذاب المهين** "سبأ 14 "، ويقول تعـالى: **وما تدري نفس مـاذا تكسب غـداً وما تـدري نفس بـأي أرض تمـوت** "لقمان34".

فالله قد حجب علم الغيب عن أكرم خلقه وهم الأنبياء والملائكة إلا ما أعلمه الله لهم، أبعد هذا يأتي هذا ويـدعي معرفة الغيب؟!. إن من ادعى علم الغيب قد نــازع اللــه، وكذب القرآن، وفارق هذه الملة.

ركز العلمــاء في إجــابتهم على أن هــذا العمل من الكهانة التي جاء الإسلام بتحريمها؛ إذ أن الكاهن هو الـذي يــدعي معرفة علم الغيب، وما ســيقع من أحــداث مسـتقبلية، وأن صـاحب هـذا العمل كـاهن، والرسـول يقول: **$ليس منا من تطيّر أو تُطيِّر له أو تكهَّن أو تُكهِّن له#** رواه البزار والطبراني.

وأن من أتى كاهنـاً، فسـأله عن شـيء لم تقبل صـلاته أربعين يوماً، كما جـاء في صـحيح مسـلم عن النـبي ، أما إن سأله وصدقه بما يقول، فقد كفر بما أنزل على محمد،

كما جـــاء عن النـــبي في ســـنن أبي داود والنســـائي والترمــذي وابن ماجــه، وصــححه الألبــاني في الإرواء " 2006"، هذا في السائل فما بالك بالمسؤول.

- علم النجوم الذي يدّعي صاحب هذه النتيجة الاعتماد عليه في معرفة علم الغيب - يقول فيه الرسـول : **$من اقتبس شعبة من النجـوم فقد اقتبس شـعبة من السـحر زاد ما زاد#**. رواه أبو داود وابن ماجه وأحمـد، وصححه الألباني في السلسلة " 793 ".

وقد جــاء في البخــاري عن قتــادة: (خلق الله هــذه النجوم لثلاث: زينة السماء، وعلامات يهتـدى بهـا، ورجـوم للشياطين، فمن تأوّل فيها غير ذلك، أخطأ، وأضاع نصيبه، وتكلف ما لا علم له به).

وقال الإمام الخطابي في معالم السنن: (علم النجــوم المنهي عنه هــو: ما يدعيه أهل التنجيم من علم الكــوائن والحــوادث الــتي ســتقع وما في معناها من الأمــور الــتي يزعمــون أنها تـدرك معرفتها بسـير الكـواكب في مجاريها واجتماعها وافتراقها، ويدعون أن لها تأثيراً في السفليات، وهذا منهم تحكّم على الغيب، وتعاط لعلم قد اســتأثر الله به، فلا يعلم الغيب سواه).

- وأما علم الجفر (وأنه العلم الإجمـالي بلـوح القضـاء والقدر والـذي يحتـوي على ما كـان ويكـون وأن الرسـول خَصّ به علياً وذريته من بعده)، فـأمر وهمي لا حقيقة لـه. وأدلة ذلك كثيرة ويكفي منها:

ما جاء عند البخـاري من سـؤال أبي جحيفة لعلي -- : هل عنـــدكم شـــيء مما ليس في القـــرآن أو ليس عند الناس؟. فقال: والذي فلق الحبة، وبرأ النســمة، ما عنـدنا إلا ما في القـرآن، إلا فهمـاً يعطى رجل في كتابه وما في الصـحيفة. قلت: وما في الصـحيفة؟ قـال: العقل وفكـاك الأسير وألا يقتل مسلم بكافر. وما جاء عند مسلم بــرقم"

1987 " عن علي قوله: (ما خصنا رسول الله بشيء لم يعم به الناس كافة إلا ما كان في قراب سيفي هذا) وأخرج صحيفة مكتوب فيها: **$لعن الله من ذبح لغير الله... #.**

فعلم الجفر باطل، وما بني على باطل فهو باطل.

وبناءً على ما سبق؛ فقد أكد العلماء على أنه لا يجوز التصريح بإصدارها، كما أنه لا يجوز طبعها، ولا بيعها، ولا شراؤها، ولا تداولها. وأنه يجب على الجهات المختصة مصادرتها والأخذ على يد صاحبها ومحاكمته، وأنه يجب عليه التوبة إلى الله والابتعاد عن هذه الضلالات، وأنه يجب إسداء النصيحة لكل من يقتنيها أو يطلع عليها، وتبيين مخاطر ذلك على العقيدة والتوحيد لعموم المسلمين. تلك هي بعض أهم النقاط التي ركز عليها العلماء سارعنا في إخراجها؛ إقامة للحجة؛ وتوضيحاً للحق؛ ونصحاً للخلق.

أما العلماء الذين تكرّموا بالإجابة على هذا التساؤل فهم:

محمد بن إسماعيل العمراني، عمر أحمد سيف، عبد المجيد الريمي، محمد الصادق، حسين عمر محفوظ، محمد المؤيد، حسن حيدر الوصابي، على العديني، مراد القدسي، أحمد حسان، عارف أنور، عمار بن ناشر، عبدالله بن أحمد المرفدي، أحمد مقبل بن نصر، عبد الرحمن قحطان، عقيل المقطري، عبد الله سيف، عبد الله سنان، طارق عبد الواسع، عبد الملك داود، عبد القادر الشيباني، فاضل محمد عبدالله، يحيى الجهراني، د/ حسن الأهدل، أمين عبدالله جعفر، د /عبد الله الأهدل، محمد سعيد الحطامي، عمر علي سقيم، حسن صغير الأهدل، عبد الرحمن عبد الله الأهدل، أحمد حسن المعلم، عبده عبدالله الحميدي، حميد عقيل، محمد

المهدي، القاضي علي البعـداني، محمد بن علي الرحـبي، عبد الله بن غالب الحمـيري، عبد الـرحيم الشـرعبي، عبد الله عبده الإبي، يحيى السوسوة.

كما تم الاعتماد على فتـوى حـول الموضـوع لسـماحة الشـــيخ عبد العزيز بن بـــاز، ومعه لجنة الافتـــاء الدائمة المكونة من كل من: ، عبد العزيز آل الشــــيخ، صــــالح الفوزان، بكر أبو زيد، عبد الله الغديان.

الفتوى الرابعة: **السؤال: ما حكم شد الرحال إلى الجند من قبل الرجال والنساء؟ وما صحة ما ينسب إلى النبي في ذلك؟**

- ما حكم الموالد الــتي تقــام داخل المســجد ليلة ذلك اليوم؟ وما حكم ما يفعله المجاذيب من طعن الرؤوس؟

- ما حكم اختلاط الرجــــال بالنســــاء داخل المسجد؟

- ما صــحة ما يشـــاع من أن الـــذهاب هو حج الفقراء؟

وقد تفضل أصحاب الفضيلة العلمــاء بالإجابة على تلك الأســئلة. ننشر هنا خلاصة إجابــاتهم، آملين أن نتمكن من نشرها كاملة ومفصلة.

أولاً: أكد أصحاب الفضـيلة على شد الرحـال إلى الجند بقصد التقرب والتعبد بدعة محدثة منكرة. وقد جاء الشرع بالنهي عن الابتداع. فالنص النبـوي يقـول: **$وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضـلالة)** ويقــول: **$من أحــدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد#**. وفي روايــة: **$من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد#**.

هذا وقد جاء نص نبوي آخر له صلة بحرمة شد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد يقول الرســول : **$لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحـرام، والمسـجد**

الأقصى، ومسجدي هذا#، وأما ما يردده بعض الجهال أن الرسول قال: **$إلى أربعة مساجد#** بإضافة مسجد الجند، فكذب على النبي والرسول يقول: **$ومن كذب علي متعمداً، فليتبوأ مقعده من النار#**.

ولا يخفى على أحد خطورة الابتداع في الدين، ويكفي في ذلك قوله : **$إن الله حجب التوبة عن كل صاحب بدعة حتى يدعها#** حسنه الألباني.

ومما يزيد النكارة، ويشدد الحرمة ممارسة منكرات أخرى في ليلة ذلك اليوم في ذلك المكان، ومنها: (السحر الذي يفعله المجاذيب، وامتهان المسجد باختلاط الرجال والنساء - وهو منكر في حد ذاته - ومضغ القات وغير ذلك..

ثانياً: أكد العلماء على أن تخصيص أول جمعة من رجب، هو بدعة أخرى لا دليل عليها، وكذلك اتخاذ ذلك المكان بعينه في ذلك الوقت ومن باب اتخاذه عيداً، مع العلم أن الرسول ، نهى عن اتخاذ قبره عيداً، فهذا المكان من باب أولى.

ثالثاً: أكد العلماء على أهمية محبة الرسول ، وعلى أنها من الأمور الواجبة على كل مسلم، بل لا يتم إيمان المرء حتى يكون الرسول أحب إليه من نفسه وولده ووالده والناس أجمعين، كما أكدوا على أهمية تدارس سيرته وتعلمها وتعليمها، وليس من ذلك إقامة الموالد، سواء في تلك المناسبة أو في غيرها، بل الموالد أمر محدث لم ينص عليه كتاب ولا سنه، ولم يفعل في عهده ، ولا في عهد صحابته الكرام، ولا في عهد التابعين، ولا في عهد الأئمة الأربعة، وهم أكمل الناس حباً لرسول الله، وأكثرهم تعظيماً له وقد كمّل الله دينه، وأخبر عن ذلك بقوله: **اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت**

عليكم نعمـتي ﴿ وليست هـذه الموالد من الـدين الـذي أكمله اللـــه، بل تـــدخل في قوله ﷺ: $**من أحـــدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد**#.

رابعــاً: أكد العلمــاء على أن ما يحصل ممن يُسـمَّون بالمجاذيب هو نوع من السحر المعلوم حُرْمته، ومعلوم ما جــاء في صـحيح البخــاري أن عمر كتب إلى ولاتــه: (أن اقتلــوا كل ســاحر وســاحرة) وقوله تعــالى: ﴿ **وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفـروا يعلمـون النـاس السـحر** ﴾ الآية وقوله تعــالى: ﴿ **وما يعلمــان من أحد حتى يقولا إنما نحن فتنة فلا تكفر** ﴾ الآية.

خامساً: أكد أصحاب الفضـيلة على حرمة الاختلاط في ذلك المكــان وفي غــيره، وعلى النكــارة الشــديدة لشد الرحــال من قبل النســاء إلى ذلك المكــان، فــإذا كــانت المرأة لا ينبغي لها أن تخرج من بيتها للصـلاة جماعــة؛ إذا ترتب على خروجها فتنة، فهذا من باب أولى.

والاختلاط أصل كل بلية وشـر، وهو من أعظم أسـباب نزول العقوبات وسبب في كثرة الفواحش.

سادساً: أشار العلماء إلى أنه لم يثبت في فضل رجب أو في فضل العمل فيه رجب شـــيءٌ، وأنه كغـــيره من الشــهور. غــير أنه فقط من الأشــهر الحــرم، وقد ألف الحافظ ابن حجر رسالة في ذلك..

سابعاً: ذكر بعض البـاحثين ممن أجـاب على السـؤال: أن مسـألة بنـاء معـاذ لمسـجد في الجند بحاجة إلى مزيد من البحث والتحــري وحــتى لو ثبت ذلك فليس في ذلك أدنى دليل على ما يفعل من شد الرحـــال إلى هنـــاك، فالصـحابة بنـوا العديد من المسـاجد في الشـام والعـراق ومصر وغيرها، ولم يكن ذلك البناء مدعاة إلى شد الرحال إليها.

ثامناً: أكد العلماء على أهمية دور العلماء والمرشــدين

في إنكار مثل هذه البدع؛ قياماً بواجب النصيحة **$الـدين النصـــــيحة#**، وقوله : **$من رأى منكم منكـــــراً فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه... #**

وأكــدوا على أهمية دور أصــحاب الســلطات في ردع المنتفعين من ذلـــك؛ لما يقومـــون به من التغرير بالعامة والتلــبيس عليهم، وأكـــدوا - أيضـــاً - على أهمية تظـــافر الجهود في إزالة هذا المحدث وغيره من المحدثات.

تاسـعاً: أكد العلمـاء على أن القـول بـأن الـذهاب إلى هناك يعدل حجة هو من الكـذب على اللـه، ومعلـوم قوله تعالى: **لا تقولوا لما تصف ألسـنتكم الكـذب هـذا حلال وهـذا حـرام لتفـتروا على الله الكـذب، إن الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحـون، متـاعٌ قليل ولهم عذاب اليم **.

والعلماء الموقعون على الفتوى هم:

عبد الله ســيف الحيــدري، أحمد حسن المعلم، عقيل بن محمد المقطـري، عبد الله بن غـالب الحمـيري، محمد بن محمد المهدي، عبده عبد الله الحميـدي، علي بن علي البعداني، عبد الرحيم الشـرعبي، محمد بن علي الرحـبي، علي بن يحـيى شمســان، حميد قاسم عقيــل، عبد الملك داود عبد الصمد، عبد القـادر الشـيباني، يحـيى بن محسن الجهـــراني، فاضل محمد عبداللـــه، عبد العزيز الـــدبعي، ســعيد بن ســعيد حــزام، أحمد مقبل بن نصــر، عبد الله ســنان، د. حسن شـبالة، عبد الله بن فيصل الأهــدل، عبد المجيد الريمي، عبد الرحمن سـعيد الـبريهي، عبد الله بن سـعيد الحاشـدي، كمـال بن عبد القـادر بامخرمـة، محمد الصادق مغلس، عبدالله علي صعتر، عبد المجيد الزنداني، د. عبد الوهاب لطف الـديلمي، صـالح الضـبياني، علي بن عبد الله العـديني، حسن بن محمد حيـدر الوصـابي، مـراد بن أحمد القدسـي، مهيـوب بن حسـين المعـولي، د. علي

مقبــول الأهــدل، عبد الله عبــده الإبي، القاضي العلامة محمد بن إسماعيل العمـراني، محمد عبد الـرحمن غـنيم، د. صـالح صـواب، حسـين عمر محفـوظ، محمد بن على الوادعي، صالح بن علي الوادعي، أحمد حسان، محمد بن علي المؤيد، طارق بن عبد الواسع، عبد العزيز البرعي.

الفتــوى الخامسة: فتــوى بمنع ما يســمى " زف الختاميـــات " الـــتي يقيمها القبورية في بعض مـــدن حضـرموت كـالمكلا والشـحر وغيرهـا، والـزف هو السـير الجماعي من المسجد الـذي يقـام فيه الحفل " حفل ختم القـرآن" إلى قـبر ومشـهد معين , ويصـحب ذلك السـماع الصوفي بالـدفوف والطبـول وأنـواع من الملاهي ويحتشد لحضـوره جمع كبـير من النـاس رجـالاً ونسـاءً وأطفـالاً , ويحصل فيه مفاسد كبيرة، يقول أخونا الشيخ أحمد برعود في كتابه " الأضـــواء المضـــيئة على بعض العـــادات الحضــرمية " وهو يتكلم عن تلك العــادة " البدعة " بدعة الختاميـات: (ولقد أمليت على هـذه الفتـوى وكتبتها بيـدي ووقع عليها المشـايخ المـذكورون في نفس الجلسة عــدا الســيد عبــاس حامد الحــداد لم يكن حاضــراً، كما زكى الفتـوى السـيد عبدالله بن محفـوظ الحـداد. فإليك أخي القارىء نص الفتوى:

" بسم الله الــرحمن الــرحيم، الحمد لله رب العلمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد سيد المرسلين وبعــد: فقد اتفق طلبة العلم بمدينة الشـحر على أن تمنع زفـوف الختاميات بعد نهاية الصلاة والقــرآن لما يـترتب على ذلك من المفاسد والمنكرات التي لاتتفق مع الشرع الشـريف، فعليه نطلب من حكومتنا الموقرة أن تمنع وأن تلاحظ من يخالف هذا الأمر؛ لأن الرسول يقول: **$من رأى منكم منكراً فليغـيره بيـده فـإن لم يسـتطع فبلسـانه، فإن لم يسـتطع فبقلبه وذلك أضـعف الإيمـان#**،

كما نطلب من السيد الفاضل عبدالله بن محفـوظ الحـداد في هذا الموضوع أن يصدر فتوى لمنع الزفـوف منعـاً لما يحصل بسببها من المنكرات والمفاسد، وبعد هذه الفتـوى ينبغي ويلـزم كل مسـلم أن يمنع أهله من الحضـور لمثل هـذه المجموعـات الـتي تحصل فيها المنكـرات حصـولاً ظـاهراً , ومع العلم أنه ليس هنـاك ختم حقيقي للقـرآن الكريم كما كـان السـلف يقـرأون من أوله في الصـلاة ثم يختمونه في إحـــدى اليـــالي ويـــدعون اللعه بعد الختم ويحضره الناس في المسجد ثم يتفرقون إلى بيـوتهم هـذا وبالله التوفيق.

وكـذلك نعلم حكومتنا المـوقرة أن هـذه الليـالي من رمضـان يجتمعن كثـير من النسـاء في الأسـواق لشـراء حـوائجهن، فيجتمع بسـببهن كثـير من الشـباب فيحتكـون بالنســاء احتكاكــاً متعمــداً يأبــاه الشــرع الحكيم وأهل النفوس الزكية، فالمطلوب من حكومتنا الموقرة أن تقوم بملاحظة هـــؤلاء النـــاس، ودفعهم عن النســـاء وهم المسؤولون بين يدي الله سبحانه وتعالى.

والله الموفق

21/ رمضان 1411ه

التوقيع:

" الشيخ عبد الكريم عبدالقادر الملاحي، الشـيخ سـالم خميس حبليل، الشيخ السيد عباس حامد الحداد ".

الحمد لله وأنا بـدوري أزكي ما قاله مشـايخ الشـحر وعلماؤها وأضم صـوتي إلى صـوتهم لتقـوم الحكومة بمنع هذه المنكرات المحدثه.

التوقيع:

عبـد اللـه بن محفـوظ الحـداد)[1]. بيـان بشـأن

---

1 (?) الأضواء البهية على بعض العادات الحضـرمية تـأليف أحمد بن علي برعود ص (37). ، الطبعة الأولى: (1421 - 2001).

أحداث تسوية القبور بعدن بعد انتهاء حرب الانفصال سنة (1415ه/1994م)

وقد صــدرت ردود فعل كثــيرة تجــاه تلك الحــوادث معظمها كانت في معرض النقد والاستهجان لـذلك العمل منها ما هو داخلي ومنها ما هو خــارجي إســلامي أو غــير إسلامي كما صدرت عدة بيانات تعبر عن مواقف أصحابها منه ومعظمها إما رسمي يراعي سياسة الدولة التي كانت في موقف محــرج أمــام الجهة الإعلامية الــتي جوبه بها الحــدث أو كــانت منطلقة من منطلق حــزبي تعــبر عن الموقف الرســمي للحــزب فلــذا لم يــبرز فيها الحكم الشــرعي كما هو عند علمــاء الشــرع الســالمين من تلك الضغوط والحسـابات الأخـرى وما رأيت في تلك البيانـات والكلمات والمواقف ما يمثل الحكم الشـرعي الصـريح إلا هذا البيان الذي وقعه مجموعة من خيرة من علماء اليمن ونشرته مجلة المنتدى الـتي كـانت تصـدر تلك الفـترة من صنعاء في عددها.

وهذا نص البيـان وأسـماء المـوقعين عليـه: (الحمد لله رب العالمين والصلاة والســلام على نبيه الأمين محمد بن عبد الله خــاتم الأنبيــاء والمرســلين، أما بعــد: فقد تــابع العلماء الموقعـون على هـذا البيـان الأحـداث الأخـيرة في عدن:

الأول منها نتج عنه تسوية القباب والقبور الــتي تعلق بها عوام الناس من قديم حـتى أضـفوا عليها من القداسة والتعظيم إلى درجة عبادتها من دون الله تعــــالى متمثلة في دعائها لكشف الضر وتفريج الكرب والذبح والنذر لها.

والحدث الثاني وهو حدث لا صلة له بـالأول ألا وهو اشتباك مسلح بين رجال الأمن وبعض الشباب وذلك حول مقر ما يسمى بمليشـيا الحـزب الاشـتراكي وسـببه خلاف في ملكية المنزل.

كما تـابع العلمـاء البيانـات السياسـية والمقـالات الصـحفية ورأوا أن الحقيقة الشـرعية ضـاعت بين دهـاء سياسي وسـبق صـحفي، وكلا الأمـرين لم ينطلقا من ضوابط شرعية وثوابت عقدية في ديننا الإسلامي.

لهذا رأى الموقعـون على هـذا البيـان أن يـبينوا الحكم الشرعي في هـذه القضـية حـتى لا يشـملهم قوله تعـالى: **إن الذين يكتمـون ما أنزلنا من البينـات والهـدى من بعد ما بيناه للناس في الكتـاب أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنـون**[1]، كما أن هـذا البيـان ينطلق من قوله فيما رواه مسـلم من حـديث أبي سـعيد[2] الخدري $الدين النصيحة، الدين النصيحة، الدين النصـيحة، قلنا لمن يارسول الله؟ قال: لله ولكتابه ولرسـوله ولأئمة المسلمين وعامتهم#.

الشرك وخطره:

من المعلـوم من الـدين بالضـرورة ومن قطعيـات الشـريعة ويقينياتها خطـورة الشـرك وأنه مخـرج من ملة الإسلام وموجب لصـاحبه عـدم المغفـرة وحبـوط العمـل؛ قـال تعـالى: إن الله لا يغفر أن يشـرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشـاء [3]، وقـال تعـالى: إنه من يشـرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومـأواه النـار [4]، وقـال تعـالى: ولقد أوحي إليك وإلى الـذين من قبلك لئن أشـركت ليحبطن عملك [5].

وإن أصل دعـوة الرسل عليهم الصـلاة والسـلام قـام

---

1 (?) البقرة (159)

2 (?) االصـحيح أن الحـديث من رواية أبي رقية تميم بن أوس الداري

3 (?) النساء (48)

4 (?) المائدة (72)

5 (?) الزمر (65)

على محاربة الشرك وتأسيس التوحيد، قـالى تعـالى: ﴿وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نــوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون[1]﴾، وإن من وسائل الشرك التي ابتليت بها الأمة تعظيم الصــالحين ونصب القبــاب لهم فكــانت نتيجة ذلك الغلو أن دعوهم من دون الله بحجة أنهم أولياء صــالحون، وهذا من تزيين الشيطان وإضــلاله، لأن الغلو في التعظيم يجر إلى العبادة التي لا يجوز صرفها إلا لله تعالى.

نعم الـــواجب توقـــير أوليـــاء الله ومحبتهم وإثبـــات الكرامــات لهم؛ ولكن لا يجــوز دعــاؤهم والاســتعانة بهم والذبح والنذر لهم كما يفعله الخرافيون.

والزيــارة الشــرعية لأمــوات المســلمين ســنة لأنها تــذكرهم بــالآخرة، أما الزيــارات المبتدعة الــتي تكــون موســمية ويجتمع لها الرجـــال والنســاء ولاعبو القمـــار ويحدثون حول تلك القبور من المفاسد البدعية والشـركية والسـلوكية ما لا يرضى بها عاقـل، بل هي من المنكـرات والصور التي شوهت جمال الإسلام وصــفاءه، ويجب على العلماء إنكارها والبراءة منها.

وقد أنكر العلماء قديماً وحـديثاً هـذه الظـواهر، وهـذه أقوالهم:

1- قال ابن حجر الهيتمي المكي:

(وتجب المبــادرة لهــدمها وهــدم القبــاب الــتي على القبور، إذ هي أضر من مسجد الضـرار؛ لأنها أسست على معصية رسول الله ﷺ لأنه نهى عن ذلك وأمر ﷺ بهدم القبور المشـرفة وتجب إزالة كل قنـدل أو سـراج على قـبر، ولا يصح وقفه ونــذره) اه. - الزواجر عن اقــتراف الكبــائر "1/149".

2- الإمام الشوكاني:

وقال في الدر النضيد ص 22: (وروي لنا أن بعض أهل

1 (?) الأنبياء (25)

جهات القبلة وصل إلى القبة الموضوعة على قبر الإمام أحمد بن الحسين صاحب " ذي بين " رحمه الله فرآها وهي مسرجة بالشمع والبخور ينفح في جوانبها وعلى القبر الستور الفائقة فقال عند وصوله إلى الباب: " أمسيت بالخير يا أرحم الراحمين".

3- قال الإمام الصنعاني في " تطهير الاعتقاد ":

(وكذلك تسمية القبر مشهداً ومن يعتقدون فيه ولياً لا تخرجه عن اسم الصنم والوثن، إذ هم معاملون لها معاملة المشركين للأصنام ويطوفون بهم طواف الحجاج ببيت الله الحرام ويستلمونهم استلامهم لأركان البيت ويخاطبون الميت بالكلمات الكفرية من قولهم: " على الله وعليك " ويهتفون بأسمائهم عند الشدائد ونحوها.

فأهل التهائم لهم في كل بلد ميت يهتفون باسمه يقولون: يا زيلعي يابن العجيل، وأهل الجبال: يا أبا طير، وأهل اليمن: يابن علوان).

4-فتوى دار الإفتاء المصرية:

هذا وقد صدرت فتوى من دار الإفتاء المصرية في عهد الشيخ عبد المجيد سليم بتاريخ "2/7/1928م"، ونصها: (اعلم أنه يحرم رفع البناء على القبر ولو للزينة ويكره للإحكام بعد الدفن بل تكره الزيادة العظيمة من التراب على القبر لإنه بمنزلة البناء وهو منهي عنه لما في صحيح مسلم عن جابر قال: نهى رسول الله أن يجصص القبر وأن يبنى عليه. انتهى من الدر المختار وحاشية رد المحتار.

وحين نقول يجب إنكار الشرك ومظاهره فلا يعني ذلك إعطاء الفرصة للذين يصطادون في الماء العكر ولكن لا بد من الحكمة في ذلك واتخاذ الوسائل الناجحة في استئصال كل المظاهر التي تسيء إلى ديننا وأمتنا ومراعاة المصالح والمفاسد وهدم كل مظاهر الشرك من

النفـــوس والقلـــوب أولاً بواســـطة نشر الـــوعي بين المسـلمين بالوسـائل المشـروعة حـتى يتيسر هـدمها في الواقـع، ألا تـرى أن النـبي أوكل إلى خالد بن الوليد بعد أن استقر في قلبه هدم العزى، حتى قال خالد :

يـــــاعزُ كفرانك لا غفرانك إني رأيت الله قد أهانك

ولقد حـرص الحـزب الاشـتراكي على دعم الخرافـيين الذين تحالفوا معه وأيدوه في قرار الانفصـال وذلك سـعياً منهم في طعن الإسلام وتدميره باسم الإسلام.

وإنه من ما ينبغي التنبيه عليه ان الحامل لبعض الشباب المسلم على تسوية القبور التي قدست من دون الله هو ما قدمنا من مسلمات الدين وضرورياته، وما ثبت عن النبي ، أنه قال: **$**لعن الله اليهـود والنصـارى اتخـذوا قبور أنبيائهم مساجد**#** - متفق عليه -.

وروى مسلم في صـحيحه أن عليـاً قـال لأبي الهيـاج الأسدي: **$**ألا أبعثك على ما بعثـني عليه رسـول الله أن لا تدع قبراً مشرفاً إلا سويته.. **#**.

إلا أن بعض الساعين إلى الفتنة والحاقدين على وحدة الأمة استغل الحدث أبشع استغلال بغية ضرب المسـلمين بعضهم ببعض وشق صفهم ولبس الحق بالباطل، وتشـويه الحقائق حتى صيروا المنكر معروفاً والمعروف منكراً.

وأدخلت قضيتان في بعضهما مع أن كلاً منهما منفصلة عن الأخرى، فقضية تسوية القبـور كـانت يـوم الجمعة 27 ربيع الأول 1415ه وما قبلها من أيام ومرت بسلام.

وقضية الصراع حول مركز المليشيا كانت يوم السـبت 28 ربيع الأول 1415ه وهي القضية المؤسـفة جـداً الـتي أدت إلى سفك دماء الأبرياء سـواء من الأمن أو الشـباب، فسـفك الـدماء بهـذه الطريقة يـدل على عـدم مسـؤولية وتصـرف أرعن يجب التحقيق المنصف لمعرفة المتسـبب

لهذه الحادثة، وحتى لا يكون بداية سيئة وخطـرة يسـتغلها أعداء شعبنا لتفجير صـراعات داخلية واسـتغلالها سياسـياً في الخارج وتلك هي أمنية الانفصاليين.

وعلى ضوء ما تقدم نوصي بالتالي:

1- على ولاة الأمر والعلماء القيام بواجبهم الشـرعي في محاربة الشرك ومظـاهره واتخـاذ الوسـائل الشـرعية لذلك وتكوين هيئة للأمر بـالمعروف والنهي لتتـولى محاربة جميع ظـــواهر الفســـاد، وهـــذا يسد أبـــواب الفوضى والاضطراب.

2- اتحـــاد كلمة العلمـــاء وخصوصـــاً في مثل هـــذه المواقف الخطـــرة وأن يصـــدروا عن مواقف مشـــتركة ومنسقة تخدم دين الله .

3- على الشـــباب الرجـــوع إلى العلمـــاء والالتفـــاف حولهم وأن لا يقدموا على عمل دون الرجوع إلى العلمـاء ومعرفة توجيهـاتهم والحكم الشـرعي في ذلـك، مع العلم أن ما حصل في عدن لم يكن بمشـاورة العلمـاء مما أدى إلى هذه النتيجة غير المرضية.

4- أن يتم تغيـير المنكـرات بالحكمة ومراعـاة الواقع وقاعدة المصالح والمفاسد.

5- أن يحذر المسلمون الفرقة والتنازع لأن هــذا مما يضعفهم ويقر عيون أعداء الإسلام.

6- تشـــكيل لجنة من العلمـــاء والالتقـــاء بالشـــباب لمعرفة ملابسات الحادث والعمل على إطلاق سراحهم.

7- أن يقـوم ولاة الأمر برعاية مصـالح الأمة وشـبابها وصيانة دينها فكلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته.

8- يجب عدم إعادة الأضـرحة وتشـييدها وخاصة بعد معرفة الحكم الشـــرعي في ذلك ويجب إنفـــاق الأمـــوال المرصـــودة لـــذلك للمتضـــررين من الحـــرب وخاصة في المحافظات الجنوبية.

والله من وراء القصد

صادر عن مجموعة من علماء اليمن بتاريخ 11 ربيع الآخر 1415هـ

العلماء الموقعون على البيان هم:

عقيل المقطري، عمار بن ناشر، طارق عبد الواسع، عبد العزيز الدبعي، عبد القادر الشيباني، أحمد علي معوضة، علي محمد بارويس، عارف أنور، أحمد الشيباني، عبد الكريم الضراسي، زيد بن ثابت، عبد الله سنان، مجاهد الوصابي، علي صالح عنان محمد، عبد المجيد الريمي، محمد عبد الله الإمام، يحيى الجهراني، د. عبد الوهاب الديلمي، حمود علي ناصر السعيدي، علي العديني، عبد الله الحاشدي، مراد القدسي، يحيى علي محمد جغمان، صالح الوادعي، محمد الوادعي، أحمد مقبل، خالد أحمد سعيد.

المبحث الرابع: الجهود العملية لمواجهة القبورية

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: أثر دعـــــوة الشـــــيخ محمد بن عبد الوهاب على القبورية:

(3) التعريف:

دعــوة الشـيخ محمد بن عبد الوهـاب دعـوة تجديديـة، هدفها إعادة الأمة إلى ماكـان عليه الأمر في عهد النـبي ﷺ وأصحابه الكرام، وذلك بالدعوة إلىالتوحيد الخالص، وتنقية عقائد الأمة مما داخلها من عقائد ومفـاهيم منحرفـة، أدت إلى الشـرك بالله تعـالى، ودعـوة للاتبـاع الكامل للنـبي ﷺ، وتنقية عبادات الأمة مما ألصق بها من البـدع والمحـدثات، والمجاهدة؛لإقامة الشرع في حياة الأمة وإزالة ما يخالفه. هذا ملخص ما يمكن أن تُعرَّف به دعــوة الشـيخ محمد بن عبدالوهاب رحمه الله تعالى.

نشأتها:

نشأت الدعوة السـلفية الـتي جـددها الشـيخ محمد بن عبدالوهاب "دعـوة الإسـلام الأولى" في ذهنه، بعد أن بـدأ في طلب العلم، وبـــدأ يقـــارن بين ما يتعلمه من مبـــادئ الشرع وأحكامه وما يرى عليه الناس، ثم بـدأ فعلاً عنـدما عاد من رحلاته إلى بلده، ولكن الــدعوة راوحت مكانها بل كـاد أن يُقضـى عليها بالقضـاء على الشـيخ نفســه، حينما عـزم أمـير العيينــة على تصـفيته جسـدياً[1]، فهـاجر من العيينة إلى الدرعية وفيها نشـأت الـدعوة النشـأة الأخـيرة العمليـــة، ومنها انطلقت حينما وجد الشـــيخ المناصـــرة الكاملة من قبل أميرها محمد بن ســــعود - رحمه الله -

---

1 (?) عنوان المجد في تاريخ نجد ص(11) تأليف عثمان بن بشر - طبع مكتبة الرياض الحديثة - بدون تاريخ.

وذلك سنة (1157 هـ).

وبعد أن تقبلت الدرعية وأهلها دعوة الشيخ وآمنت بها، وصَدَقتْ في ولائهـا، انطلق دعاتها حـاملين مبادئها إلى ما حولها من ديار نجد، ثم إلى الإحساء والمنـاطق الشـرقية، وإلى الحجاز وسـائر أرجـاء الجزيـرة العربيـة، وكـان بعض ذلك في حيـاة الشـيخ والإمـام محمد بن سـعود وبعضـه بعدموتهما في أيام عبد العزيز بن محمد بن سعود على يد ابنه سـعود، وكـان من فضل الله على عبـاده أنه في زمن قصـير تحقق للـدعوة نجـاح كبـير، وطُهِّرت نجد وما حولها من البدع والشركيات ووسـائلها، ثم أخذ أئمة الـدعوة من أبناء وأحفاد الإمامين يسيرون في الأرض دعاة مجاهـدين، فمن أجاب قبلوا منه، ومن أبى قاتلوه.

المآخذ على الدعوة النجدية:

وعندما تكاثر الأتباع والأنصار حدث من بعضهم حوادث غير مرضية، وقضايا على خلاف مقتضى الشرع.

وهذا طبيعي فليس كل الجند بل ولا كل القادة هم من العلمـاء العـاملين والـدعاة المخلصـين، وإنما هنـاك من يـركب الموجة، وهنـاك من يطمع في الغنيمـة، وهنـاك أصناف من النـاس مختلفو المقاصد وجرائـرهم كلها تلقى على كاهل الشيخ ودعوته، ولقد صـار لتلك الـدعوة صـدىً واسع، وانتشر لجيوشها رعب كبير بين الناس، وخـاف كل ذي سلطة على سلطته من أمراء وأشراف وشيوخ طرق، كلهم رأوا أن الـدعوة تهـددهم، فبـدأت الحـرب بشـتى وسائلها، الحرب العسكرية والحرب الدعائيـة، وغيرها من أنواع الحروب، وكان الذي تولى كـبر ذلك الدولة العثمانية بإسطنبول، وذلك لأمرين أساسيين:

الأمر الأول: السياسة، إذ خشيت على أجـزاء كبـيرة من أطراف مملكتها، ومن أهم تلك الأطـراف الحجـاز بما فيه مكة والمدينة، أن تخرج عن سيطرتها.

الأمر الآخر: أن الصــــوفية الاتحادية، كــــانت هي المسيطرة على الخلفـاء، وهم أعدى أعـداء هـذه الـدعوة للاختلاف العقدي بينهما.

فمن هناك طارت الدعايات، وانتشـرت الشـائعات ضد دعوة الشيخ -رحمه الله تعالى- وكانت كما وصفها الشــيخ الإمـام ابن الأمـير (وأتتنا فيها جوابـات من مكة المشـرفة ومن البصــــرة وغيرهمــــا، إلا أنها جوابــــات خالية عن الإنصاف[1]#واستغل خصومها بعض الهفوات التي يقع فيها بعض المحســوبين على الــدعوة فضــخموها، وزادوا فيها، واتخـذوها أدلة على ضـلال الـدعوة وانحرافهـا، ولكن ذلك كله مــازاد الــدعوة التجديدية هـذه إلا رســوخاً وانتشــاراً وقبــــولاً في الأرض؛ خصوصــــاً بعد أن دخلت الحجــــاز، وحكمت الحـرمين، والتقى دعاتها بالحجـاج من كل مكـان مباشرة، فعرف الناس الحقيقة، وتبين لهم زيف الدعايات التي كـانوا يسـمعونها، فحملـوا هـذه الـدعوة إلى بلادهم، ونشروها بين أهليهم وإخوانهم، وهاهي الــدعوة " الوهابية " كما سميت وشاع ذلك عنها، هاهي لا يخلو بلد من بلدان المسلمين من حاملين لها فيه، وكم من علمـاء وجمعيـات وهيئات علمية ودعوية تســير على الخط الســلفي الــذي جــدده الشــيخ الإمــام محمد بن عبــدالوهاب -رحمه الله تعــالى- في مشــــارق الأرض ومغاربهــــا، رغم أن الدولة العثمانية وبواســطة واليها على مصر محمد علي باشا قد حـاولوا القضـاء عليهـا، وتمكنـوا من القضـاء على الدولة والقوة العسكرية والكيـان السياسـي، ولكنهم لم يتمكنـوا من القضاء على ما أشربته قلـوب النـاس من الحـق، فما خرج الجنود الغـزاة من نجد حـتى عـادت الـدعوة والقـوة والدولة بشــكل قــوي، ربما أقــوى من ذي قبل، وهــاهي قائمة إلى اليوم في أوسع مداها وأقصى انتشارها.

---

1 (?) الديوان ص(172).

علاقة الدعوة النجدية باليمن:

من الطـبيعي أن الداعية المـوقن بصـحة ما يـدعو إليه المخلص لمبادئه محب الخير لأمته، لا تقف همته عند حـد، ولا يكتفي في نشر دعوته ببلد دون بلد؛ لـذا فإنه قد كـان اليمن كل اليمن مســـتهدفاً للــــدعوة مُعرّضاً لـــــدعاتها وجيوشــها، ولقد شــقت جيوشــها الطريق إلى اليمن من جهتين، من الغرب عبر الحجاز وجبال السراة حتى وصلت إلى مناطق عسير جبالها وتهائمها، فكانت القاعدة لها بعد أن انضم أهلها إليها، وفتنوا بمبادئها، ودخل بعض أشـرافها وأمرائها مع النجــديين، وآزروهم على نشر الــدعوة حــتى وصلوا إلى الحديدة، بل إلى زبيد وحيس وما حولها[1].

وحينما بلغت الدعوة النجدية تلك المكانة من الاستيلاء على البلاد ودخـول القبائل معها والقبـول بما تـدعو إليـه، تجاوبت القبائل اليمنية لذلك، وشعرت بضعف دولة صنعاء في عهد الإمـام " المنصـور " أحد الأئمة الـذين عاصـرهم الإمـام الشـوكاني، وتقـدمت تلك القبائل حـتى حاصـرت صنعاء بعد عام (1216ه)[2]، وكانت الرسل في أثنــاء ذلك تــرد إلى صـنعاء من الدرعية بالـدعوة إلى التوحيد وهـدم القباب والمشاهد، وحينما أحس الإمـام المتوكل بالضـغط الشـــديد شـــاور من بحضــرته في هـــدم تلك القبـــاب والمشاهد، فقالوا له: إن كان هذا الهدم لوجه الله وتنفيذاً للشريعة فنعمًّا هو، وإن كان إنما هو مجاملة لأصحاب نجد فلا فائــدة[3]، قــال الشــوكاني: (ثم وقع الهــدم للقبــاب والقبـــور المشـــيدة في صـــنعاء وفي كثـــير من الأمكنة

---

1 (?) البدر الطالع - ترجمة الشريف حمود بن محمد صاحب أبي عريش (1/240-241).

2 (?) فرجة الهمـوم والحـزن للواسـعي ص(234) و الشـوكاني حياته وفكره ص(55).

3 (?) حوليات يمانية ص(22-23).

المجاورة لها وفي جهة ذمار وما يتصل بها)[1]، كما أنني لا أشك أنهم عندما مروا بمدن وقرى تهامه قد أزالوا ما فيها من مشاهد وقباب وسـووا ما فيها من قبـور مشـرفة؛ لأن هذه هي عـادتهم في كـل مكـان يسـتولون عليـه، وإن لم أظفر بــذلك في مرجع خــاص، والفرقة الأخــرى من جهة الصحراء حتى وصلت حضرموت.

وصول الدعوة النجدية إلى حضرموت:

وصلت الدعوة النجدية إلى حضرموت رسمياً بوصــول الجيش النجدي الذي يقوده نــاجي بن قملا وكـان ذلك في ســنة (1224ه)، فاســتولوا على الكســور، وفيها حــورة وهينن وحواليهما، وصَالَحَ بن قملا القبائل اليافعية والنهدية والشنفرية، وهدم غالب رؤوس القباب المبنية على القبور من دوعن غربـــاً إلى قـــبر هـــود على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسـلام شـرقاً[2]، ولم يكن التـأثير مقتصـراً على هدم القباب فقط، بل وصل إلى إقنــاع القبائل وجماعـات من أبنـاء حضـرموت بهـذه الـدعوة وحملهم لها ورفضـهم للخرافات والعقائد القبورية التي كـانت سـائدة في البلاد، ومن تلك القبائل قبيلة " آل علي جابر " ببلد خشــامر وما حولها في منطقة العقّاد بين القطن وشــبام، وحــتى بعض رجـال السـادة العلـويين تـابعوهم على ذلك، كما ذكر ابن عبيدالله في "إدام القــــــــوت" عند كلامه على الحوطه "حوطة أحمد بن زين"[3]وبشـــــــكل أوسع في منطقة " المحيضــــرة " إحــــدى ضــــواحي تــــريم وهو يتكلم، عن

---

1 (?) البدر الطالع (1/262-263).

2 (?) تـاريخ حضـرموت المسـمى ب (العـدة المفيـدة) (1/321) للشــيخ العلامة ســالم بن محمد بن ســالم بن حميد الكنــدي. تحقيق عبدالله محمد الحبشي. مكتبة الإرشاد. صــنعاء (الطبعة الأولى، 1411 هـ - 1991 م)، وتاج الأعراس (1/174).

3 (?) انظر إدام القوت لابن عبيدالله ص(227).

السلطان عبدالله عوض غرامة، فقد قال: (وكان ينكر بطبعه غلو القبوريين، فوافقته آراء الوهابية، وأكثر التعلق بوحيد عصره وفريد دهره مقدم الجماعة، وشيخ الصناعة والذي انتهت إليه رياسة العلم بتريم، العلامة الجليل السيد أبي بكر بن عبدالله الهندوان، المتوفى بتريم سنة (1248ه)، وقد اتهمه العلويون بأنه هو الذي يعلم عبدالله عوض غرامة آراء الوهابية، ويحثه على االالتزام بها، ومؤاخذة الناس بمقتضاها، فتآمروا على قتاله، فهرب إلى بيت جبير، ولم يقدر عبدالله غرامة على حمايته بتريم؛ لأن غرامة لا يملكها كلها، وفي أيامه كان وصول الوهابية إلى تريم سنة (1224 هـ)، بقيادة الأمير علي[1] بن قملا، فطوى بهم حضرموت، ولم يفسد حرثاً، ولا أهلك نسلاً، وإنما هدم القباب، وسوى القبور المشرفة، وألقى القبض على المناصب، وأهانهم، وأتلف قليلاً من الكتب، كثره بعض العلويين، كصاحبنا الفاضل السيد علوي بن سهل، بدون مبرر من الدليل، وأقاموا بتريم نحو أربعين يوماً، وعاهده عبدالله عوض غرامة، وعبدالله بن أحمد بن يماني على أن يكف الأذى عن بلادهما، على شرط أن يقوما بنشر دعوته، التي لاقت هوى من نفوسهم وقبولاً من خواطرهم)[2].

إذاً فهذا إمام كبير وعلامة شهير من سادة تريم، كان يوافق أهل نجد على منهجهم، وقد اتهم بنشر هذا المنهج وتعليمه لهذا السلطان، حتى أن السلطان عبدالله عوض غرامة أرسل رسالة عزاء في قتيل قتل في مشاجرة بغير قصد، جاء فيها: (إننا لا نريد ذلك ولانحبه، وإنما كان قتله على غير اختيار منا، ولكن شؤم أعمالكم والتفاتكم

---

1 (?) كذا قال والصواب ناجي بن قملا.

2 (?) إدام القوت الحلقة (40) في مجلة العري التي تصدر في الرياض.

إلى غير الله وعبادتكم للأموات والقبور هو الذي جر عليكم المصائب، وسيجر عليكم ما هو أعظم)، قال ابن عبيدالله: (ويقال أن هذه المكاتبة كانت من إنشاء إمام تريم لذلك العهد المتقدم، ذكره السيد أبي بكر بن عبدالله الهندوان، والله أعلم)[1]، بل هناك نص أوضح وأصرح في استجابة الكثير من قبائل حضرموت وبعض السادة العلويين للدعوة الوهابية، بل وطلبهم وصول دعاتها إلى حضرموت، يقول ابن عبيد الله في ترجمة أحمد بن سالم منصب عينات: (وفي أيامه كان وصول الوهابية إلى حضرموت، بطلب من بعض السادة وآل كثير، ولم يكن لهم عسكر كثير، وإنما كانوا ينشرون دعوتهم، ويستجيب لهم الناس، وكان ممن استجاب لهم آل علي جابر بخشامر، غربي شبام، وبعض السادة وبعض آل كثير وعبدالله عوض غرامة بتريم)[2]، ولكن وجود النجديين في حضرموت لم يدم طويلاً حيث كان وصولهم إليها في آخر عمر الدولة السعودية الأولى، والتي انتهت بوصول القوات المصرية إلى الدرعية سنة (1233هـ)[3]، وكانت جيوشهم قد وصلت إلى ساحل ينبع سنة (1226 هـ)[4]، وما بين هذين التاريخين كان أهل نجد مشغولين بقتال القوات المصرية، ومن هنا قلّت إمداداتهم إلى جيوشهم التي تقاتل في أطراف الجزيرة العربية ومنها الجيش الذي بحضرموت؛ ولذلك فقد هزم هذا الجيش بالقرب من حريضة على يد قبائل الجعده وقيادة السادة آل العطاس[5]، ورجعوا إلى بلادهم.

---

1 (?) إدام القوت ص(123).
2 (?) إدام القوت ص(43).
3 (?) عنوان المجد (ص 191 - 214).
4 (?) المصدر السابق ص(157).
5 (?) انظر تاج الأعراس (237-1/230)

ولكن آثار دعوتهم مـازالت موجـودة، وكـان أشـهر بلد استقرت على مبادئ هذه الـدعوة هي بلد خشـامر وأهلها آل علي جابر؛ لذلك كانت من النوادر أن أحداً إذا أراد من وليٍّ كرامة فلم تحصل يهدِّده بـاللجوء إلى آل علي جـابر في خشامر، كما ذكر في تذكير الناس قول الذي قال في زيارة المشهد:

زوار جينا بـانزورك يـاعلي لي تكـرم القاصد وتـرحب بالغريب

إن شيء كرامة با تقع ذا حلها والا رجعنا لا قَـدَا صـالح حبيب[1]

أي إذا لم تكرمنا فإننا سنذهب إلى صالح حـبيب شـيخ آل علي جـابر الوهـابيين، وقـول الآخر حينما جـاء إلى الحسن بن صالح البحر، وله ولد مـريض، فخاطبـه بقولـه: (وعـزة المعبـود إن لم تـذهب الحمى من ولـدي محمد لأصـبح في خشـامر عند بن علي جـابر)[2]. وكل ذلك قد تقدم.

ومالبث الناس بعد ذهاب النجديين إلا يسـيراً، فنشـأت جمعية الإرشـاد بإندونيسـيا، فتواصل التـأثير، ولله الحمـد، حتى جاء الله بهذه الصحوة التي هي سلفية سـنية منابـذة للقبورية متمسـكة بمنهج السـلف الصـالح رضـوان اللـه، عليهم نسـأل الله أن يتم نـوره، ويعلي كلمته، ويهـدي الجميع للتمسك بما يرضيه

المطلب الثـاني: دعـوة الإرشـاد بإندونيسـيا وأثرها على القبورية في اليمن:

من خلال العوامل الـتي أدت إلى قيـام دعـوة الإرشـاد يمكننا أن نتعـرف على أهم ملامحها، فالعوامل الـتي أدت إلى قيامها هي:

---

1 (?) تذكير الناس ص(219).

2 (?) تذكير الناس ص(220).

1) الجهل المركّب الذي يسود العرب في إندونيسيا.
2) تمــادي العنصــريين في استعلائهم على النــاس واستغفالهم لهؤلاء ماديّا واجتماعيّا.
3) كثرة البدع والخرافات. [1]

من خلال هـذه العوامل يتضح أن هـذه الـدعوة كـانت ثورة على الجهل الذي كـان يسـود العـرب في مهجـرهم، ووسـيلة إزالته العلم، وثــورة على التعــالي العنصــري، والمطلـوب هو التسـاوي والعـدل الـذي جـاء به الإسـلام، وثــورة على البــدع والخرافــات، وســبيل ذلك هو نشر التوحيد والاتبـاع وتعلم الإســلام الصــحيح من كتــاب الله وسنة رسوله .

ومن مجمــــوع ذلك نتعــــرف على جمعية الإرشــــاد الإسلامية بإندونيسيا، فنراها تقوم على ثلاثة أصول:

1) نشر العلم وإفشائه بين سائر الطبقات.
2) المســاواة في الحقــوق والواجبــات بين جميع الشرائح في المجتمع.
3) محاربة البدع والخرافات ونشر ضـدها من التوحيد والاتباع.

وهــذه الأصــول كلها نقض لبعض أركــان القبورية في اليمن، وقد سبق ذكرها مفصلة في الباب الثـاني في آثـار القبورية.

وقد وصـلت هـذه الـدعوة إلى اليمن وإلى حضـرموت بوجه خـاص مـوطن، مؤسسي هـذه الجمعيــة، وكـان لها أثرها الطيب؛حيث تنبه الناس من غفلتهم واسـتيقظوا من رقــدتهم، فهرعــوا إلى العلم، ورفضــوا التمــايز الطبقي، ودعــوا إلى التوحيد والســنة ورفض البــدع والخرافــات والشــركيات، وقــام بعضــهم بتســوية بعض القبــور في مناطقهم، وأذكر أن أحدهم في قريتنا عَمَدَ إلى ثوب كـان

[1] (?) تاريخ الإرشاد ص(6).

يكسى به صناديق مكتبة الشيخ عمر بن أحمد العمودي الشهيرة والمعروفة عند المؤرخين ب " المكتبة الشُعبية " وعند العوام بخزانة الشيخ عمربن أحمد، قام ذلك الشخص بأخذ هذا الثوب الذي تكسى به صناديق الكتب -على جهة التعظيم- وألقاه في بئر معطلة بالقرب من الخزانة، وذلك الرجل هو الشيخ عبدالرحيم بن محمد المهجوس العمودي رحمه الله، وكان أول من أعلن الدعوة إلى السنة ومحاربة البدع والشركيات في ذلك البلد، وبالقرب من هذه القرية في قرية "الرضحين " كان هناك رجل آخر من أعضاء جمعية الإرشاد عاد إلى البلد من أندونسيا بالمنهج السني والدعوة إليه وكتب السنة من حديث وتفسير وعقيدة وبعض كتب شيخ الإسلام ابن تيمية وقد نفع الله به أهل منطقته فهم إلى اليوم ولله الحمد على السنة والتوحيد لا وجود للخرافة بينهم ذلك الرجل هو الشيخ: عبد الله باسعيد بن جبير - رحمه الله -.

وهكذا لم يبق وادٍ أو منطقة من مناطق حضرموت إلا ووجد فيها مثل ذلك الرجل، وفي كثير من الأماكن كان لهؤلاء أنصار وأعوان، يحملون هذه الدعوة ولو في أنفسهم وأقاربهم.

ومما يدل على وجود هذا الأثر ضجة القبوريين من هذه الدعوة والشكوى منها ونشر الدعاية ضدها، من ذلك ما هو مكتوب، ومنه ما هو على الألسنة.

المطلب الثالث: جهود أئمة وعلماء اليمن الأعلى في المواجهة العملية للقبورية:

إن القبورية لم تترسخ في اليمن الأعلى مثلما ترسخت في بقية مناطق اليمن، وذلك أن الفرقة الزيدية والمذهب الهادوي ليس فيهما من الغلو ما في مذاهب أهل الرفض والباطنية من الإسماعيلية والصوفية الغلاة، لذلك؛لم يكن في أصل المذهب الهادوي ترخيص في

البنـــاء على القبـــور، ولا في عقائد الزيدية اليمنية الأولى شـــيء من ذلــك، وإنما طــرأت تلك الأقــوال في القــرن السـابع عنـدما توافد الصـوفية على اليمن وحينما بـنى بنو أيوب المشـاهد على قبـور سـلاطينهم، وميزوها عن قبـور الناس، عند ذلك سـرت العـدوى إلى ديـار الزيدية، وبقيت محصورة على الأئمة الحاكمين وأسـرهم ومقـربيهم، فهي فتــوى سياســية أكـثر منها شــرعية واعتمــاد على إلحــاح الواقع لا على أدلة الشـــرع؛ ولـــذلك فليس هنـــاك تعظيم للقبــور الــتي في ذلك الجــزء من اليمن كما هو في بقية الأجــزاء الأخــرى، وليس هنـاك فلسـفة لزيارتها كما يوجد عند الصوفية؛ لذلك كله كان من السـهل على علمـاء تلك البلاد وبعض حكامها أن يــــدركوا الحكم الصــــحيح لتلك المشـاهد وأن يتمكنـوا من هـدمها وإزالتها بيسر أكـثر مما عليه الحال في مناطق الصوفية، كـذلك فقد كـانت هنـاك جـولات لبعض العلمـاء وبعض الأئمة وجهـود عمليـة؛لإزالة بعض تلك المشــاهد وتســوية القبــور المعظمة عند بعض العامة، وقد اطلعت على جولتين من تلك الجولات.

الجولة الأولى: على عهد الإمـــام المهـــدي العبـــاس بن الحســـــــــــين بن القاسم المولــــــــــــود (1131هـ) والمتوفى سنة (1189هـ) والذي كان معاصــرا للإمـام الأمـير الصنعاني رحمه الله المتـوفى (1182هــ)، فقد قام هذا الإمام بهدم كثـير من تلك المشـاهد والقبـور المعظمة بتحريض جماعة من العلماء رحمهم الله تعـالى، قال الإمـام الشـوكاني رحمه اللـه: (وقد تكلم جماعة من أئمة أهل البيت -رضوان الله عليهم- ومن أتباعهم رحمهم الله، في هذه المسألة بما يشفي ويكفي، ولا يتسع المقام لبسطه، وآخر من كان منهم نكـالاً على القبـوريين، وعلى القبور الموضوعة على غير الصفة الشرعية، مولانا الإمـام المهـدي العبـاس بن الحسـين بن القاسم - رحمه الله -،

فإنه بالغ في هدم المشاهد التي كانت فتنة للناس وسبباً لضلالهم، وأتى على غالبها، ونهى الناس عن قصدها والعكوف عليها فهدمها، وكان في عصره جماعة من أكابر العلماء ترسلوا إليه برسائل، وكان ذلك الحامل له على نصرة الدين بهدم طواغيت القبوريين[1].

أما الجولة الثانية: فقد تم فيها إزالة القباب والمشاهد في اليمن الأعلى بجهود علماء صنعاء وحث أئمة الدعوة النجدية، قال الإمام الشوكاني -رحمه الله- في ترجمة سعود بن عبدالعزيز بن محمد بن سعود في البدر الطالع: (ومازال الوافدون من سعود يفدون إلينا إلى صنعاء إلى حضرة الإمام المنصور، وإلى حضرة ولده الإمام المتوكل بمكاتيب إليهما بالدعوة إلى التوحيد وهدم القبور المشيدة والقباب المرتفعة، ويكتب إليّ أيضاً مع ما يصل من الكتب إلى الإمامين، ثم وقع الهدم للقباب والقبور المشيدة في صنعاء وفي كثير من الأماكن المجاورة لها وفي جهة ذمار، ومايتصل بها)[2].

وقد ورد هذا الخبر مزيداً ومفصلاً في كتاب "حوليات يمانية" الذي حققه ونشره السيد عبدالله الحبشي حيث قال: (وفي سنة (1229هـ) تهيأ المتوكل على خروجه على النجدي على تهامة، وعلى الشريف وعاهد الإمام القاضي عبدالله العِكام، ووصل وقد رحل المتوكل من صنعاء إلى ذمار، وبقي خارج ذمار، وطلب المغلَّبات من الإمام، ولم يتم منه بشيء ونهب محل اليهود في ذمار لا رحمه الله، وتعدى إلى الطريق المسبلة، ورحل خارج اليمن، وتبعه المتوكل وجرت بينهم حروب.

وفيها وقعة السرايم خارج جبلة، وخاب السعي من النفوذ على تهامة، فكلما هيأهم المتوكل للتحضير على

---

[1] (?) الدر النضيد ص(126 - 127).
[2] (?) البدر الطالع (1/262-263).

المخـالفين طلبـوا المغلَّبـات، وما مقصـدهم إلا الفسـاد، ووقع لهم شـيء من المـال ورجعـوا بلادهم، ورجع الإمـام إلى صنعاء، ورجح مكاتبـة النجـدي ومداهنتـه، حـتى وصل من الدرعية المطاوعة الآخــرون الأمــير محمــد، ويوسف القرمــاني وجماعة معهم، وخــاطبوا المتوكل في خــراب المشاهد والقباب المنصـوبة على قبـور الصـالحين والأئمة الهادين، فجمع الإمام أعيان دولته وعلماء حضرته، وأجاب عليه العلمـاء بأنه إذا كـان العمل بالشـريعة حقيقة لا على أنها مداهنة للنجدي وقبول قوله فهذه القباب ورفع القبور بدعة لاعلى الوجه المشروع، كما روي عن أمير المؤمنين بهـدمها وتسـويتها بـالأرض، فـرجح المتوكل الأمر بهـدمها وهدمت الذي في صنعاء وما حولها قبة صلاح الـدين، وقبة المنصــور حســين في الأبهــر، وقبة الفليحي، وســدة قبة المهدي العباس التي فيها القــبر، ولم يبق إلا قبة المتوكل للصلاة، وهدمت قبة أحمد بن أحسن في الغـراس وأرسل على بقية النواحي بهذا[1].

ومن هذا النص نفهم أن أصـحاب نجد قد شـددوا على الإمــام في صــنعاء في هــذا الأمر وقد وجد الإمــام نفسه مضطراً لقبـول ضـغوطهم والعمل بمايـدعون إليـه، ولكن أراد أن يحمل المسؤولية العلماء بدل أن يتحملها بمفرده، وكـان العلمـاء يتحينـون هـذه الفرصـة؛ لأنها تحقق جـزءاً مهمــاً من دعــوتهم، ولــذلك كــان جــوابهم: (بأنه إذا كــان العمل بالشــــريعة حقيقة لا على أنها مداهنة للنجــــدي، وقبول لقوله فهـذه القبـاب ورفع القبــور بدعة على الوجه المشروع، كما روي عن أمير المؤمـنين بهـدمها وتسـويتها بالأرض، فرجح المتوكل الأمر بهـدمها)[2]. فهـذا جهد كبـير

---

1 (?) حوليات يمانية ص (22-23).

2 (?) هنا في التعليق على الكتاب ص(22) رقم (7) قلت: وفي هــذه المناســبة ألف العلامة محمد بن علي الشــوكاني رســالة

كان الدافع له دعوة الشيخ محمد بن عبـدالوهاب وتنفيـذه برغبــة وقناعة تامة من علمــاء اليمن، والنتيجة هي هــدم تلك القباب وتسـوية تلك القبـور المشـرفة وإن كـانت قد أعيـدت إلى سـالف عهـدها فيما بعد، ولا حـول ولاقـوة إلا بالله العلي العظيم.

ونموذج آخر قام به أحد الأئمة ولكن، هنـاك شـكوك في دوافعــه، تلك الجهــود هي الــتي قــام بها الإمــام أحمد بن يحــيى حميد الــدين حينما كــان وليــاً للعهد في أيــام أبيه وحاكماً للواء تعز، فقد قام بهــدم قبة أحمد بن موسى بن العجيل في مدينة بيت الفقيه عـــام (1348هـــ)، وتحطيم تـابوت أحمد بن علـوان وإخـراج رفاته ثم دفنه في مكـان مجهول عام (1372هــ)، وهـذا العمل من حيث أنه تحقق به أمر مطلوب شرعاً فهو جيـد، ولكن الشـكوك سـاورت الناس حينما اقتصر على هدم مشاهد البلاد الشافعية بينما البلاد الزيدية فيها مشاهد كثيرة، ومنها ما قد فتن به بعض الناس، ومع ذلك لم يمسها بشيء من ذلك، قــال القاضي إسماعيل الأكوع في "هجر العلم" بعد أن ذكر هدم الإمـام أحمد لهـذين المشـهدين: (وتالله لقد أحسن الإمــام أحمد صــنعاً في كلتا الحــالين، ولو أن يــده امتــدت إلى ســائر القبــاب والتــوابيت الأخــرى الــتي يعتقد عامة النــاس في أصـــحابها الضر والنفع لأجـــزل الله مثوبته وأحسن إليـــه، ولاسيما القبور التي يلتمس عندها العامة الخـير والبركـة، ويرجـون منها النفع ودفع الضر والشر[1]، ثم اسـتطرد في الموضوع إلى أن قال: (وكـان الـواجب على الإمـام أحمد هـدم القبـور الـتي يلتمس العامة منها الخـير والبركـات؛ امتثالاً لأمر رسول الله ﷺ)[2].

(شرح الصدور في تحريم رفع القبور).

1 (?) هجر العلم (1/223).

2 (?) المصدر السابق (1/225).

قلت: وفي هذا إشارة إلى أن الإمام أحمد ما فعل ما يجب عليه، وما كـان مقصـده تطـبيق أمر الشـرع بشـكل خالص؛ وإلا لعمم ذلك، وربما يعتذر له بأن هـذه المشـاهد تحت ســلطته بينما غيرها ليس له عليها ســلطة، فقد مر أن أباه كان يؤيد تلك المشاهد التي على قبور الأئمة، وقد أمر ببنــاء واحد منها في منطقة أرحب على قــبر الإمــام أحمد بن هاشم الويسي المتــوفى ســنة (1269 هـــ) والمــدفون في (دار أعلا من أرحب للتــبرك به، وهــددهم بأنهم إن لم يفعلوا ذلك فإنه سينقل رفاته إلى مكان آخر، فما كـان من أهل أرحب إلا أن بنـوا له قبة، ووضـعوا على قبره تابوتاً)[1].

والخلاصة أن هناك جهوداً عملية قام بها أئمة وعلماء في هذه المناطق، وقضوا ما عليهم، وقاموا بما أمروا بــه، فمن كـان منهم مخلصـاً فـأجره على اللـه، ومن كـان له مقصد آخر؛فإنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ مانوى.

المطلب الرابع: الجهود العملية المختلفة الـتي قـام بها أناس مختلفون في سائر أنحاء اليمن:

إن الجهود العملية لتسوية القبور المشـرفة كـانت من عهد النـــبي ولا تـــزال إلى اليـــوم، وقد مر في البـــاب التمهيـــدي حـــديث علي -رضي الله عنه- حين قـــال لأبي الهياج الأسدي: (ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسـول الله ألا تدع صورة إلا طمستها ولا قبراً مشرفاً إلا سويته)[2]، وهو يدل على أن النبي بـذل جهـوداً في محاربـة القبـور المشـرفة، وكـذلك علي -رضي الله عنه- في أيـام خلافته وقبل ذلك في أيام عثمان حيث كان يتفقد المقابر بنفسه، ويأمر بتسويتها، وقد مر هناك.

ثم مازال ولاة الأمور يتابعون هدم ما بني في المقابر،

---

1 (?) المصدر السابق (1/225).

2 (?) تقدم تخريجه ص (51).

كما صــرح الإمــام الشــافعي -رحمه الله- بــذلك في الأم ونقلته في البــاب التمهيــدي، وإنما تخــاذل ولاة الأمر في ذلك بعد تمكن الباطنية من مقاليد الأمر في القــرن الرابع كما مر كــذلك، وفي القــرون المتــأخرة أصــبح الســلاطين يؤيدون القبورية؛لأغراض سياســية فعمقوها وجــذروها في الأمـــة، وأصـــبحت الجريمة ليست هي بنـــاء المســـاجد والمشاهد على القبور، وإنما هدم وإزالة تلك الأبنية.

وبالمناسبة أقول: إنه لــدينا في اليمن تجــري الســلطة على نفس منهج الســـلاطين المتقـــدمين من مجـــاراة للقبورية ومداهنة لهم، ويتوهمــون أنهم بــذلك يكســبونهم ويكسبون الأمة من ورائهم، وهذا وهم كاذب، فالصوفية لا تحب هــذا النظــام أوتنصح لــه، وأكــبر دليل ما حصل منها أثنــاء حــرب الانفصــال فكل النــاس يعرفــون موقفها من ذلك، وعندما يقــوم فــرد أو مجموعة من الغيــوريين بتنفيذ أمر رسول الله ﷺ فيسوون قبراً أو يهدمون مشهداً، تقــوم عليهم الدنيا ولا تقعد ويساقون إلى السجون، وتشــهر بهم الصــحف المــأجورة، ويتنــاولهم من لا علم له ولا دين ولا خلق بــأنواع الســباب والشــتائم، والعلة في ذلك حسب زعمهم هي: إثارة العوام، وإثارة القلاقل، والإخلال بالأمن، واحتمال وقوع الفتن والقتل، ونحو ذلك من العلل.

وأقــول: إنــه قد يحصل شيء من هــذا، لكن أليس ما يقوم به القبورية اليوم على مرأى ومسمع من الجميع من بنــاء مشــاهد جديــدة وتــرميم وإصــلاح المشــاهد القديمة وبعث العــادات والبــدع القبورية الميتــة، أليس هــذا كله يستفز الأمة التي قد وعت وعرفت أن ذلك حرام ووسيلة من وســائل الشــرك؟ وجميع المســؤولين والمهــاجمين لمعارض القبورية معترفون به، فإذن لِمَ تجــوز الإثــارة من قبلهم ولا تجــوز من قبل معارضــيهم؟ مع أنهم على باطل ومعارضــوهم على حق بــاعتراف قيــادات الأمن وقضــاة

المحاكم وأسـاطين الصـحافة؟ هل لأن الـدعاة لا يلجـأون للإثـارة وتهييج الجمــوع؟ والقبورية يتقنــون ذلــك؟ أم أن هنـاك إيحـاءً بـذلك من جهـات لا نعرفهـا؟ يجب أن نسـمع جوابــاً شــافياً على هــذا التســاؤل وعــدلاً وإنصــافاً مع الأطـــراف المختلفة والتخلي عن محابـــاة طـــرف على حساب الآخر.

ويجب أن يزول كذلك وهم أن الصــوفية القبورية ومن على شـاكلتهم قـادرون على أن يحققـوا لبعض الأحـزاب أهـــدافها، فوالله ما هم بفـــاعلين؛ لأنهم إنما يســـعون لمصلحة مبادئهم ومنـاهجهم لا لمصـلحة أحد سـواهم، ولو فرض إرادتهم نفع هذا الحزب أو ذاك فلم يعـودوا قـادرين عليــه؛لأن الأمة قد ســحبت ثقتها منهم ولم يعد نفــوذهم يسيّرها.

نماذج من تلك الجهود:

بعد هــذه المقدمة الــتي أطلت فيها حيث لم أســتطع تجاوز هذا الموضع بدونها أقول:

إن هنــــاك نمــــاذج مشرقة في مواجهة القبورية في اليمن مواجهة فعلية، وتقـدم قريبـاً ما فعل علمـاء صـنعاء عنــــدما واتت الفرصة لهم، كما ســـبق في مبحث من مباحث هذا الباب، ما فعله القاضي العلامة عبدالله عـوض بكـير وزملاؤه أعضـاء لجنة الشـؤون الدينية حينما قـامت اللجنة الشـرعية وأعطي لها الصـلاحيات من إزالة الكثـير من مناكر الزيارات القبورية، وكذلك ما فعله بحكم منصبه القضـائي من إغلاق لمشـهد " علوية " بمدينة المكلا ومنع إقامة الحضرة فيه.

ولقد تســـاند بعض القضـــاة الصــــالحون مع بعض مسؤولي النواحي في -ما كان يعـرف بالشـطر الشـمالي من اليمن- فقاموا بجهود مشكورة ومساندة للدعاة لإزالة بعض المشاهد وتسوية بعض القبور المعظمة وهاك مثـالاً

على ذلك وهو ما أخـــبرني به الأخ الشـــيخ محمد بن علي الغيلي من احتسـاب، قـام به الشـاب الغيـور الداعية إلى الله في بلاد المحابشة من محافظة حجة الأسـتاذ الشـهيد -إن شــاء الله- " أحمد بن أحمد الأمين " مع مجموعة من إخوانه طلبة العلم والـــدعاة حيث قـــرروا إزالة هـــذه المشــاهد وما يــترتب عليها من مفاســد، وبــدأوا بالتوعية والتهيأة لذلك، ثم اتصلوا بالعلماء فوجدوهم مجمعين على أن ذلك من البدع المنكـرة، غـير أنهم ما كـان بمقـدورهم الإفصـــاح عن ذلـــك، ثم اتصـــلوا بالمســـؤولين "العامل والقاضي ومســؤول الأوقــاف"، وقد وافقهم الجميــع، ثم أخذوا أمراً من القاضي " محمد بن علي الخـزان " حـاكم القضاء، هذا نصه:

(نـأمر المـذكورين المحـررة أسـماؤهم بـالعزم بمعية الولــدين محمد علي الغيلي، وأحمد الأمين لهــدم مشــهد "الصوفرة" ليزول الاعتقاد والفساد لدى العـوام وفي ذلك عمل صالح تخدمون به الإسلام والعقيـدة الحقة، اعتمـدوا هذا.

11/شعبان سنة 1394هـ حاكم القضاء

محمد بن علي الخزان).

وذكر أســـماء المكلفين بـــذلك، وقد نفـــذت العملية صبيحة يوم الرابع عشر من شـعبان عـام (1394ه) وذلك من قبل الشــباب المــذكورين، ومعهم عــدد من الجنــود المسلحين، ولم يحـدث شــيء يـذكر من فتنة ولاغيرها ثم قضى على بقية المشــاهد في المنطقــة، والحمد لله رب العالمين.

هذا ملخص ما حكاه الشيخ محمد الغيلي حفظـه اللـه، وصورة أمر القاضي موجودة لدي، وإليك مثـالاً ثانيـاً على المواجهة العملية للقبورية في اليمن من محافظة شـــبوة حيث قــام مجموعة من المهــاجرين إلى الحجــاز الــذين

جالســوا علمــاء مكة والمدينة وعرفــوا منهم الحق في موضــوع القبورية قــاموا بعمل ملفت حيث اتفقــوا مع الشـــيخ الجليل والداعية المعـــروف الشـــيخ محمد بن عبدالوهاب البناء المصري أحد أعضاء جماعة أنصار السنة المحمدية، والذي كـان مقيمـاً في المدينة حينـاً وفي مكة حيناً آخر، اتفقوا أن يصـحبوه إلى بلادهم للـدعوة إلى الله عزوجل ونشر الســـنة والتوحيد وإصـــلاح ما أفســـدته القبوريـــة، فارتحل معهم وذلك قبيل اســـتقلال البلد عن الاستعمار البريطاني بقليل، حتى وصلوا إلى بلادهم والتي كانت تسمى"سلطنة الواحدي " ومكثوا مــدة طويلة فيها، يـــدعو الشـــيخ ويعلم النـــاس، وتلك المجموعة تناصـــره وتحميه، وقد اتصل بالمسؤولين والعلماء وكبار الناس في المنطقة، وكـــان لدعوته أثر طيب، منه قيـــام أولئك النفر ومن تأثر بهم بهدم بعض القباب والمشاهد وتســوية بعض القبور المعظمة، ومنها القبر المزعوم والمنسوب إلى من قالوا أنه النبي(دانيـال بن هادون بن هـود)، ولا أدري كيف أجـازوا إضـافة نـبي لم يخـبر به كتـاب ولا سـنة ولا أثر صـحيح، المهم اكتُشف القـبر ورسخ في عقـول ونفـوس الناس أنه قبر هذا النبي " المزعوم "، فصار مشهداً تقـام له زيـــارة ســـنوية في رجب، وتحصل فيها اجتماعـــات وكرامــات، و افتتــان من النــاس به، فقــام بهدمه أولئك الرجال جزاهم الله خيراً[1].

ومن العجب -وكل أمر القبورية عجب- أن بعض الإخوة الذين عاصروا هـدم ذلك القـبر أخـبرني أنه عنـدما هــدمت القبة، وأزيل ما على القــبر لم يوجد به أي قــبر وإنما وجدوا صفاة صماء لا حفر فيها ولا أي أثر يــدل على

---

[1] (?) انظر ما جـاد به الزمـان من أخبـار مدينة حبـان تـأليف السيد/محمد بن عبدالله بن محمد بن أبي بكر الحوت المحضار لم تذكر له دار نشر وتاريخ ص(33).

أنه قد دفن فيه أحد.

ومثـال ثـالث أخـير على المواجهة العملية وهو من محافظة عدن، وهي الحادثة التي كـان من نتائجها تسـوية القبـــور المشـــرفة، وهــدم القبـــاب المرتفعة، وتحطيم التوابيت الـتي على قبـور من يـدعون أنهم أوليـاء، فيفتتن بهم عامة المسـلمين، تلك الحادثة وقعت في عـدن عقب انتهاء حرب الانفصـال في عـام (1415ه) والـتي قـام بها مجموعة كبـيرة من شـباب الصـحوة من سـائر فصـائل العمل الإســـلامي، بعد أن رتبـــوا أو على الأقل أبلغـــوا الجهـــات الأمنية ولم تجد معارضة لفعلهم، غـــير أنه وبعد يــومين من بداية الحملة انعكس توجه الحكومة ويبــدو أن ذلك كــان تحت ضــغوط داخلية وخارجية كبــيرة، وبــدأوا يلاحقون الشـباب الـذين شـاركوا في تلك الحملة، وزجـوا بمجموعة كبــيرة منهم في الســجون، وقد ضــخمت تلك الحادثة في وســـائل الأعلام تضـــخيماً كبـــيراً، ووصف القـــائمون بـــذلك العمل بشـــتى الأوصـــاف القبيحة من إرهابيين ومجرمين وجبناء وغير ذلك، وكان من نتيجة ذلك هـــدم قبة الهاشـــمي وتســـوية ما بـــداخلها من القبـــور المشرفة وكذلك قبة العثماني وكلاهما في الشيخ عثمـان، وتحطيم تـــابوت العيـــدروس وما بجـــواره من القبـــور المشــرفة، وعددها حــوالي اثــني عشر قــبراً، ثم إخــراج القبور من المساجد وهي قبر العراقي من مسجد حسين، وقبر مجاور للمسجد، وقبر المهدلي وقبر حسـين الأهـدل وقبر في مسجد العلوي بالقطيع وقــبر الحامد من مسـجد بالزعفران وتسوية قبر أو قبرين ب (صيره).

وربما كان هناك أخطاء في تلك الحملة قبل البدء فيها حيث لم ينظر بدقة إلى عـواقب الأمر، وما سـيترتب على ذلك العمل من نتـائج وفي ظل أجـواء مشـحونة بـالتوتر ووجـــود فئـــات مهزومـــة، لم يبقَ لها إلا ســـلاح الدعاية

والإشـــاعات الخبيثه، وتوجـــه إعلامي كامل نحو اليمن إثر الحرب التي انتهت قبل أيام.





كما حصل أثناء الحملة بعض الأخطاء، مثل: الحفر عن بعض القبور، وإخراج جثث الموتى منها، ولا أدري في أي مكان دفنت بعد ذلك، فهذه بعض المفاسد وهي طفيفة، وأما المصالح فكانت كثيرة فمنها: امتثال أمر النبي ﷺ الخاص بتسوية القبور المشرفة، ومنها: إزالة أماكن المنكر والفتنة التي يضل بها فئام من الناس كل حين، ومنها: إقامة البرهان على كذب الدعاوى العريضة التي كان سدنة تلك المشاهد يرددونها حول الكرامات الخارقة التي يزعمونها لأولئك الأولياء، ومنها: هذه الكرامة التي ينسبونها للعيدروس حيث يقولون: (إن القطب أبابكر العيدروس كان يمازح الولي الشهير سعد السويني، والعيدروس بعدن، والسويني بحضرموت، إذ ضجر السويني من ممازحة العيدروس، فرماه بمسواكه فأقبل المسواك " كالصاروخ سكود " فاكتشفه العيدروس وأمر طلابه بأن يخفضوا رؤوسهم حتى لايصيبهم، ولكن المسواك ارتفع عن المسجد ومن فيه ووقع في الجبل القريب منهم فأحدث فتحة كبيرة، لاتزال موجودة إلى اليوم)، هكذا يقولون للسذج من الناس ويصدقهم الكثير منهم، ويلغون عقولهم فلا يفكرون في إمكانية ذلك من عدم إمكانيته، فلما كسر التابوت وحطم أجزاء من المباني حوله بل وحفر القبر ورفع الرفات المتبقي من تلك الجثة، أيقن العقلاء أن ذلك هراء ودجل صريح، فهذه الفائدة كبيرة جداً، وإن كان بعض المخدوعين مازالوا يعتقدون بتصرف العيدروس في الكون حياً وميتاً، ولم يعدم السدنة والمضللون من القبورية حيلاً يبررون بها ما جرى، ولله الأمر من قبل ومن بعد.

ولعمري لقد أدى أولئك الشباب واجباً، وقاموا بفرض

تخلى عنه الآخرون، فجـزاهم الله خـير الجـزاء، وغفر لهم ما فيه من أخطاء.

ولقد تبـاينت ردود الأفعـال كثـيراً حـول تلك الحادثـة، وقال كلٌّ بما أراد أن يقـول، إما عن اجتهـاد أو هـوى، وقد صدرت على إثر ذلك الحادث بيانات وكتبت مقـالات، كـان الغالب عليها مراعـاة الحالة السياسـية والوضع الـذي تمر به البلاد والتـأثر بما قـامت به وسـائل الإعلام العالمية من هجوم ضد منفذي هـذه العمليـة، ولم أر من تلك البيانـات والمقالات أكثر تجرداً، ولا أوضح تناولاً، ولا أنصح من بيان العلمـاء الـذي سـبق نقله في المبحث الثـالث من هـذا الفصل؛لأن الموقعين عليه من العلمـاء العـاملين والـدعاة المخلصين والمتجردين من الضـغوط والأهـواء المختلفـة، فهو بحق يمثل الموقف الشـــرعي الصـــحيح إزاء ذلك الحادث، ويعتمد على الأدلة الصحيحة والـبراهين الناصـعة، فجزى الله من أصدره خير الجزاء.